

القراءة للجميع
2018



حقبة من تاريخ الأردن

الآثار الكاملة للملك المؤسس عبد الله بن الحسين

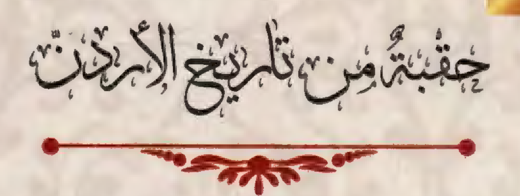
حقبة من تاريخ الأردن

الآثار الكاملة للملك المؤسس عبد الله بن الحسين

منشورات وزارة الثقافة 2018



حقبة من تاريخ الأردن



الآثار الكاملة للملك المؤسس عبد الله بن الحسين

يأتي مشروع مكتبة الأسرة الأردنية ومهرجان القراءة للجميع، بهدف توفير طبعة شعبية زهيدة الثمن، تكون في متناول يد الأسرة الأردنية في كل بيت.

ويهدف هذا المشروع إلى تعميم الثقافة والمعرفة، وربط الأجيال بالتراث الثقافي والحضاري للأمة، والتواصل مع الثقافات الإنسانية.

إن الكتاب الجيد هو سفر باتجاه الذات ومعرفتها ومعرفة الآخر، وهو ومضة لإضاءة عصرنا هذا، من أجل إنجاز رسالتنا التنويرية، القائمة على مشروع الدولة الأردنية منذ انطلاقة الثورة العربية الكبرى ومشروعها النهضوي.

لقد تباينت إصدارات هذه السلسلة في موضوعاتها، ومضامينها، واتجاهاتها، ورؤاها، آملين أن تقدم للقارىء زاداً معرفياً متكاملاً، وتلبي رغبات وحاجات مختلف الشرائح الإجتماعية.

طبع بدعم من:









الآثار الكاملة
للملك
عبد الله بن الحسين

وزارة الثقافة
مكتبة الأسرة الأردنية / مهرجان القراءة للجميع

* الآثار الكاملة للملك عبدالله بن الحسين
* المؤلف: الملك عبدالله الأول بن الحسين
* الناشر: وزارة الثقافة
شارع صبحي القطب
المتفرع من شارع وصفي التل
ص.ب. 6140 - عمان - الأردن
تلفون: 5696218 / 5699054
فاكس: 5696598
Email: info@culture.gov.jo

* الطباعة: مطبعة أروى 4892686
* رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (٢٥٩٩ / ٥ / ٢٠١٨)


حقبة من تاريخ الأردن
الآثار الكاملة
للملك
عبد الله بن الحسين
الدار المتحدة للنشر



تقديم الكتاب

في هذا الكتاب تاريخ عرش وسيرة مجاهد رائد تمكن من نفسه عقلا وتطويعا ، حتى استنام هواها، واتزنت عواطفها، وارهف حسها ، وتلمستّ في الطريق الصعب نهج الحياة الكريمة ، بالصبر والمكابرة والالم والامل ، فاذا هي بين مرارة الواقع ، واضطراب الزمن واهله ، صافية الحنين الى المثل الاعلى ، ترقب في المجهول نورا يتسقط من لدن الله ، فيبرىء الامة ، ويقيلها من عثرتها ، ويقيم اود الحق اليتيم ، والعدالة الثكلى ، حتى اذا انكفأت على ذاتها في مخدع الذكريات واستطلعت نافذة الغيب المرصود ، غلب عليها الوحي وفاض أوارها المكنون شعرا كأنه سلاسل الذهب ، يضجّ بأصداء الفروسية أو يرِقّ حتى لكأنه خفق النسيم وألَق الجداول تحت الشمس .

ذلك هو المغفور له الملك عبد الله بن الحسين صاحب الجلالة الهاشمية ، الذي يصدر هذا الكتاب على اسمه الداوي المجيد ، جامعا كل ما كتب ودوّن في حياته الحافلة بالمآثر والعظائم والعبر . انه مجموعة كتب في كتاب واحد ، ترتسم فيه عبر التنوع الموضوعي صورة الفارس العربي ، بما يختزن الجوهر من نبل واصالة وشجاعة وحكمة واقدام وتوجّس وحسبان وصفح وغفران .

نتصفح هذا الاثر الفريد الجامع ، من كتاب **المذكرات** بكامل فصوله — وقد حرصنا على اثبات اجزائه التي لم تنشر — الى **ديوان شعر** المغفور له الملك عبدالله ، الى كتابه « **جواب السائل عن الخيل الاصائل** » الذي ينبىء عنوانه بطريف مضمونه ، الى كتاب « **آمالي**

السياسية » ، وهو يوضح الرأي والعقيدة في شؤون الحياة العامة والطموح السياسي ، الى كتاب « **من انا** » الذي وضعه للتنشئة القومية في مرحلة الطفولة . نتصفح هذه المجموعة الكاملة من آثار الملك عبدالله بن الحسين ، فاذا هي على اختلاف مناهلها وشتات عناوينها ، وحدة متكاملة تنبع من عبقرية مؤمنة بالله ، راسخة في مفاهيمها للحياة والكون والانسان ، عزيزة بعروبتها ، واثقة من نصر المؤمنين ، ولو بعد حين .

وليس آخر ما يفيد به القارىء من هذا الكتاب ذكر احداث البلاد العربية في مطلع القرن العشرين ، واحوال الحجاز والشام والعراق ، وتاريخ الثورة العربية الكبرى ، والوقائع والحروب الاقليمية ، والمراسلات المتصلة بالمصائر القومية ، في مرحلة من ادق مراحل التبديل في حياة امتنا العربية ، وفي الهزيع الاخير من ليل الظلام الذي اخضع العرب للنير العثماني زهاء اربعة قرون .

بل ان الوجوه التي تطل من خلال السطور ، كالمغفور لهم المنقذ الاعظم الملك الحسين بن علي ، واشباله الملك علي ، والملك فيصل الاول ، والامير زيد ، واخيه الشريف ناصر بن علي وغيرهم من الهواشم ومن رجالات الرعيل الاول في الوطن العربي الكبير ...

هذه الوجوه ذات الاثر البالغ في تاريخنا المعاصر ، انما تبدو على حقيقتها ، بلا تزيين ، ولا تزييف ، ولا تكلف ، ولا محاذرة او او محاباة ، فان الكاتب لم يوفر تقييم نفسه في بعض ما دوّن ، ولم يسلم شخصه من لواذع نقده ، كذلك لم ينزع الى مسايرة احد ، ولا تحامل بدافع الاثرة والخصومة على احد ، وفاء للحقيقة وامانة للتاريخ ، وقد تعالى بهذه الموضوعية الى مرتبة عظماء كتاب السير واساطين المؤرخين .

ثم ان الكتاب ينبىء بخبرة واسعة في شؤون الارض العربية

واخلاق ناسها واخلاط قبائلها واجناسها ، ومواقع ديارها ، وعادات اهل الشام واهل الحجاز وخصائص النجديين والعراقيين ، الى علم وافر وجواب حاضرفي كل ما يمت الى الشؤون الدولية بصلة، وفهم عميق لاغراض الصهيونية وحلفائها ومؤامراتها الدهرية على العرب وفلسطين ، ثم اعتراف يخالجه الاسف والمرارة ، بعجز العرب عن توحيد الكلمة والصف ، واجتناب الخلف ، واستتباب الامر ؛ وانصاف من مركز التقرير العلمي المجرد — كثيرا ما يغاير العاطفة الشخصية — لمحاسن ذهبت في احكام السطحية مذهب المساوىء ؛ واعمال ومآثر دوّنها التحريف المفتعل في عداد المثالب ؛ كل ذلك مع بساطة التعبير ، ورشاقة الاسلوب ، واحتلاب لحافظة واعية في سرد الوقائع والاسماء والمواقع والجهات والاوقات ، يضع القارىء في اطار تصوري ينتقل معه الى قلب الاحداث ، وكأنه مشارك فيها .

اما شعر المليك فلا يقل عن نثره روعة وصفاء . وهو يذكرنا بالرعيل الاول من الشعراء الفرسان ، ايام الجاهلية وصدر الاسلام، على ديباجة عباسية محكمة النسج تقع في حدود السهل الممتنع وهي ابعد ما تكون عن الغريب المتقعّر من الالفاظ المنسية ، والمتداول الضحل من هذر العامية ورطانتها .

انه راي نقدي مجرد اسوقه في العجالة من خلال قراءة هذه الفصول ، بعيدا عن أي راي سياسي أحكم به للرجل او عليه ، وانا على اي حال ، في من ينزع بإمرة القلب الى الحكم له دائما ، وقد ربيت في كنفه ونشأت في حماه وشرفت بقربه زمن الشباب الاول وعرفت من طهر سريرته وكريم سجيته ما يحملني بلا تردد على المبالغة في مدحه واجلال ذكره واكثار حمده . ولكنني اشهد بتعطيل هذه كلها في اوان القراءة ، واقول ان اليراعة التي سطرت حروف هذا الكتاب لم تقدّ من صخر التجارب القاسية التي مر بها الملك عبدالله بن الحسين،بل غمست في حبر حناياه البريئة المؤمنة ،فأعطت صورة الحقيقة المجردة في اطار البساطة والصراحة والاباء الذي

يعتبر معه الاعتراف بالخطأ فضيلة ، والقدرة على اجتناب الخطأ عبقرية .

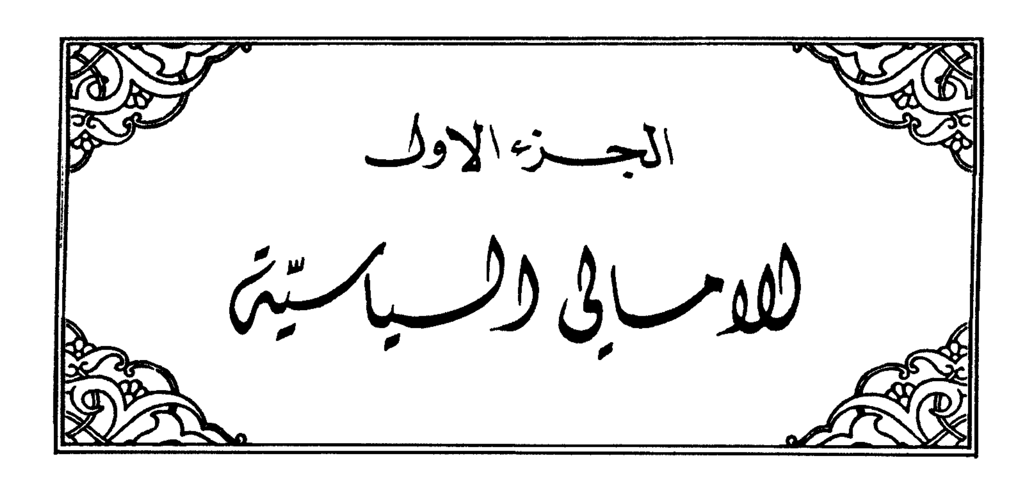
وبعد ، فانني فيما اترك للقارىء ان يتلمس في هذا الكتاب ما يرضيه،او يجتنب ما يؤذيه،مما تجافيه نفسه او عقيدته السياسية، او اهدافه الشخصية ، اود التأكيد على حقيقة اساسية ، هي ان كاتب هذه الفصول ، وهو ملك ابن ملك ، لم يمش (في الارض مرحا) لانه كان يعلم حق العلم انه (لن يخرق الارض ولن يبلغ الجبال طولا) وكان يؤمن بأن الله على من طغى وبغى وتجبر ، وان اقرب عيال الله اليه انفعهم لعياله ..

عمر المدني



الحمد لله شكراً لله [illegible] انني سنجد في الكثير من المفاخر من مجد الأجداد
وجلال الأحفاد بتعاقب ملوك الأكابر لهذه الأمة سائلاً الله لها الهداية والرعاية انه
سميع الدعاء والحمد لله بدءاً وختاماً والصلاة والسلام على محمد وآله وصحبه




الجزء الاول
الامامة والسياسة

فعــزاء فــيما اعترانــا عـزاء

وقعــه مـن شهودهـا كـربلاء

كـان فيهـا الشهيـد نجـل علي

وهــو سبط وأمــه الزهــراء

ليس يعـرو القنـوط منـا قـلوبـاً

ولــه الأمـر وحـده والقضـاء

عبد الله بن الحسين

الفصل الأول

مدخل

قدر ودبر ، وخلق وصور ، ناصر الصدق ومديله ، وخاذل المين ومذيله ، العلي مكانه ، الساطع برهانه ، مجزل اجر الصابرين ، وموهن كيد المارقين ، هو الذي الهم اولياءه الرشد ولم يخلف موعده ، وضمن الفوز لمن توكل عليه يومه وغده ، جل عن ادراك صفاته بعد او حد ، ودل بباهر آياته على انه الولي بكل ثناء وحمد ، شمل البرية فضله ، وعمها عدله ، واليه يرجع الامر كله .

ثم الصلاة والسلام على رسوله الامين ، الذي بعثه رحمة للعالمين ، فبلغ الرسالة ، واوضح الدلالة ، قد اصطفاه من أشرف الانساب والقبائل ، فقذف بالحق على الباطل ، فكان بشيرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ، حتى استوسق امر الهدى واستتب ، وتبت يدا مناوئه وتب .

نسأله ان يلهمنا انتهاج الطريقة المثلى ، والتمسك بالعروة الوثقى ، وان يوفقنا الى اقوم المسالك ، وان يجنبنا مرديات المهالك ، فنعمل باوامره المحكمة ، ونقف عند نواهيه المبرمة ، ونستشعر التقوى فيما نسر ونعلن ، ونظهر ونبطن ، فنقدع النفس عما تدعو اليه الشهوات ، وتشرئب اليه النزوات ، فنكفها كف الحليم ، ونضبطها ضبط الحكيم ، فان التقوى هي الجنة الواقية ، والذخيرة الباقية .

اللهم فاجعلنا من الهادين المهتدين ، التابعين لسنة سيد المرسلين . باحسان الى يوم الدين ، اياك نعبد واياك نستعين ، وعليك فليتوكل المتوكلون وفي مرضاتك سبحانك فليتنافس المتنافسون .

ثم ايتها الامة التي انا منها ، وليس لي حول عنها ، وكل املي ان اراها تتبوأ ارفع مكان بين الامم ، وان تكون المصباح الساطع في

حنادس الظلم ، انني أتقدم اليك بهذا الكتاب الذي يجمع بين دفتيه بعض ما اديت لك من خدمة ، وما صرفته من مجهود لدفع كل نقمة، ولست بالذي يمن عليك في ما فعل او قال ، ولكن لبيان الحقيقة ودحض باطل الاقوال ، وها انذا اقص عليك صادق الحديث ، من قديم التاريخ الى عهده الحديث :

نعم لقد شاء الله ان ابر بوعدي في خطابي الذي القيته بدار البلدية ، وما دمنا على قيد الحياة ، فقد احببنا ذكر ما شهدناه وما هو في علمنا من حقائق الوقائع كي لا تكون عرضة للتشويه. لقد أشار التاريخ الى الوقائع التي حدثت فأدت الى ظهور المسألة الشرقية وذلك لفقدان العالم الاسلامي رئاسة الامة العربية له ، ومبدأ الانحطاط الاسلامي على ما يعرفه المنقبون في التاريخ قد نشأ من غلطة السلطان سليم الاول الملقب بياوز بهجومه على دولتي الشرق ـ ايران ، ومصر ـ وضمه مصر الى ممالك الدولة العثمانية وابقائه الحجاز في حالة اهمال وضعف ادى به الى درجة متناهية من حيث النظام والامن والثقافة لقاء صرة سنوية كانت ترسل الى تلك البلاد وتوزع على اشرار الاعراب كي يؤمنوا سبل الحج وبهذا تضمن الخلافة للعثمانيين . اما سيرتهم في اليمن فهي معلومة لما كان من طمع الولاة والقواد وحرصهم على جباية الاموال وتخريب الديار ، وكذلك الحال في مصر يوم كانت ولاية عثمانية فلو بقي سلطانها لكان المصريون شعبا يقوم بما يقتضي لحفظ كيانه واستقلاله تمشيا مع العصر في رقيه واعتلائه ، ولما كانت الدولة العثمانية تضخمت الى ذلك الحد الذي جعل المركز التركي أضعف من ان يقوم بادارة هذه المملكة المترامية الاطراف ، فوق ان تركيا اوجدت لها خصوما من المسلمين يترقبون الفرص لاعادة مجدهم المندثر ، ثم كان بعد ذلك ان جاء دور الاستقرار العثماني بزمن السلطان سليمان القانوني وقد طالت مدته وتخطى في حركاته العسكرية تارة بغزوات في تخومه الاوربية وطورا في جزائر البحر الابيض ؛ وبدأ بعد وفاة هذا السلطان العظيم دور الانحطاط والتراجع ثم فتن البلقان وانتباه اوربا وبالاخص روسيا ، فما كانت تفوت فترة من الزمن

الا وقد نكبت فيها الدولة العثمانية بضربة جديدة من هـــذه الامبراطورية حتى زمن السلطان محمود الثاني الذي احب ان يحدث نظاما جديدا في الجيش فقضى بضربته المعلومة على «الينيشيريين» وهو الجيش العثماني القديم واحدث بدله الجيش العثماني النظامي، وفي تلك الاثناء كان ظهور محمد عي الكبير بمصر وفتنة داود باشا ببغداد وظهور الوهــابيين بنجد واستيلاؤهم على الحجاز وكادت حينذاك ان تلفظ الدولة العثمانية أنفاسها فأجلها الله الى هذا الزمن الاخير . أما السبب في اضطرار العرب الى الانفصال عن هذه الدولة فمبدؤه على ما أرى هو تاريخ اصــدار التنظيمات الخيرية بزمن السلطان عبد المجيد الاول وتشكيل نظام الولايات ثم بعد ذلك حدث أن كان مدحت باشا ان اعلن الدستور العثماني وهو يقضي بإسناد الحاكمية الى الامة ونزعها من سلطة الخلافة ، واذا قلنا الامة فلا ينبغي ان يفهم القارىء اننا نعني الامة الحاكمة التي ينتمي اليهــا السلطان ، ومن هذا يرى القارىء كيف ان الجامعة الاسلامية التي كانت تضم الى سلطة السلطان كل العناصر الاسلامية تصدعت بهذا التخصيص ، فأصبح العرب يرون انهم سلب منهم بعد سلطة الخلافة سلطة الثقافة الاسلامية واصبحوا رعايا أتراك بكل معنى الكلمة عدا الفروق المرئية في تفضيل الولايات التركية على سائر المملكة بالتعليم والتربية والتوظيف والطرق وسائر ما ألى ذلك من فروق ، ثم تكرر هذا الامر المخيف عند اعلان الدستور اخيرا وفي زمن السلطان عبد الحميد الثاني للمرة الثانية بصورة أفظع ، ومالوا الى تتريك العناصر وسلب العرب حتى لسانهم ، هنا ابتدأ الشباب العربي يبث الدعوة للانفصال في كل محل ، وكانت الفتن في البلاد العربية عامة شاملة ما عدا البلاد الحجازية ، فقد قيدت الوقائع حركات حوران والكرك وعسير ايام الادريسي واليمن في زمن الامام الحالي وكذلك قيــد التاريخ كيف ان الملك ابن سعود انتزع الاحساء من يد هذه السلطنة العثمانية ، كل هذه الظروف دعت الى الانفصال بعد ان شعر الترك بأنهم هم العنصر الاقــل بعد العرب في الجسم العثماني ، فاذا هم تمشوا على الشرائط الدستورية بصورة كاملة عادلة فقدوا الاكثرية

في الانتخابات وبذلك عرضوا دولتهم الى انقلاب سلمي قد يعود بسيادة العرب شيئا فشيئا اولا عن طريق اللسان وثانيا عن اكثرية برلمانية يحصل لهم منها التغلب في الوزارة وفي سائر الفروع ، فهم ايضا من جانبهم شعروا بهذا الخطر واخذوا يضغطون في الانتخابات ثم ابتداوا يلهجون بتتريك العناصر ، وكلا الشعبين في عذر ان هو حرص على حفظ كيانه ، لذلك كان الانقلاب الاخير ضرورة لازمة للشعبين ، واني لأتمنى من صميم فؤادي أن أرى الامة العربية في قريب من الزمن كالامة الجارة التركية قوة ونظاما واتحادا ؛ ثم أود من صميم قلبي للشعبين الشرقيين العظيمين الاخاء والولاء ليثبتا للعالم كله ان الشرق قوة لا تضعف ونور لا يخبو والله الموفق .

اما معلومات الانفصال الفعلي فقد بدات تظهر بالخلاف الجدي بين مرامي الاتراك في البلاد العربية وبين حب العرب للتخلص ؛ وقد شعرنا بذلك في الحجاز ايضا حيث كان الخصام وكان العداء المستتر يبدوان بين كل وال يأتي الى الحجاز وبين الامير ، واضطرت الحالة حينذاك الى ايجاد التفاهم المبدئي بين انجلترا وبين الامة العربية بواسطة امير مكة ؛ وعن استخدامي فعلا في هذه المهمة الدقيقة . أما ما حدث بعد ذلك فلا يحتاج الى بيان . كانت الحرب العامة هي الفرصة المناسبة لإظهار ما تضمره الامة العربية ، ولما تم الاتفاق بين رجالات العرب بسورية على الحدود ، والطريقة التي ينبغي المطالبة بها، عاد الاخ فيصل الى الحجاز ومعه اختام رجالات سورية بأجمعهم وكانت تتجاوز المئتي ختم موضوعة في كيس . ومن جملة الاختام التي رأيتها ختم الفريق علي رضا باشا الركابي ، وختم ياسين باشا الهاشمي ، الى غير ذلك . وتلك الحدود هي التي يعبر عنها الانجليز بالحدود التي طلبها شريف مكة ؛ وعليها بنت الجمهورية التركية نظريتها الاخيرة في قضية السنجق ، وطالبوا بتحقيق تحفظ بريطانيا في ساحل سورية الغربي والاسكندرونة . وكان بعد هذا ان تعين للثورة قوادها وخطتها فعاد الامير فيصل من الشام الى المدينة بقصد ظاهري وهو استصحاب المجاهدين الى جبهة القتال ؛ فانضم الى أخيه الامير علي بالمدينة وقد طلب العثمانيون مبارحة الامير علي

المدينة الى مكة ، فخرج معه اخوه فيصل كالمودع لـه فعسكر في « بئر الماشي » . ومن هناك ارسلا بلاغهما الى القائد فخري الدين باشا بالمطالب العربية ؛ فكانت الثورة في ٩ شعبان المبارك ١٣٣٤ . فابتدأت في مكة المكرمة ، وجدة ، والليث ، ورابغ ، والمدينة المنورة . واما في الطائف فكانت ان قطعت الاسلاك التلغرافية بين مكة والطائف فقط . واما الهجوم ، فبوشر به بقيادتي يوم ١١ من شعبان حيث اتممت الاستعداد المبدئي ، وحيث كـان الطائف مركزا للفرقـة الحجازية العثمانية . وكان النصر حليف الجيوش العربية بمكـة المكرمة حيث قبض على ناصية الحال في ساعات يسيرة . أما ما كان من أمر قلعة جياد والجنود الذين تحصنوا في ثكنة « جرول » فقد صابروا اسبوعين . وأما جدة فقد سقطت بأيدي العرب في اليوم الثالث للثورة . وقد استمرت الفرقة تدافع في الطائف الى شهر ذي القعدة ، فاضطرت الى القاء السلاح وعومل والي الحجاز وقائده الفريق غالب باشا وقائد الفرقة القائمقام احمد بك وقواد التوابير الضباط والافراد بما يجب من الكرامة وحسن المعاملة ، فوق ما طبق نحوهم من حقوق اسرى الحرب . أما ما كان في المدينة المنورة فقد هاجم الاميران علي وفيصل الخط الحديدي بين المدينة ومحطة « مخيط » ، وابتدأت المناوشات بينهما وبين فخر الدين باشا قائد القوات العثمانية السفرية ، وكانا يقودان خيرة الجيوش الهاشمية وافضل العشائر الحجـازية ، وانفرد اهل مكـة وبعض العشـائر باستيلائهم على الجنود التي بها . واستولت عشائر ثقيف وعتيبة وبنو سعد على الطائف معي . ثم لما ظن فخري باشا انه قد استعد وان الشريف الجديد الذي عين لإمارة مكة وصل الى المدينة وهو المرحوم الشريف علي حيدر باشا بن جابر باشا بن عبد المطلب بن غالب ابتدأ فهاجم الاميرين علي وفيصل في الاحساء ، وكانت له الغلبة عليهمـا فتراجع الامير علي (جـلالة الملك علي) الى الجهـة الجنوبية من طريق مكة فعسكر في « بئر الماشي » ، وتراجع الامير فيصل (جلالة الملك فيصل) الى الطريق الساحلية وعسكر في « بئر درويش» . ثم ان فخري الدين باشا لم يمهلهما كي يستجما فهاجمهما

مرة اخرى فدفع بالامير على (جلالة الملك علي) الى « سطح الفاير » وكانت ميمنته ترتكز على جبلي برام وعبود ، ودفع الامير فيصل (جلالة الملك فيصل) الى وادي الصفراء . ثم في الحملة الثالثة دفع الملك علي الى رابغ واضطر الامير فيصل (الملك فيصل) بعد قتال يسير في « نخل ينبع » الى التراجع الى « ينبع البحر » نفسها. وكاد الامير زيد ، الذي كان تحرك من مكة مع الامير شاكر بقوات افرزتها لهما من جيش حصار الطائف ، ان يؤسر ببئر سعيد ولكن نجا والتحق بأخيه في ينبع . وكانت تلك الاوقات هي احرج وقت على الثورة العربية ، وكادت تذهب بالسرور الذي حصل من الموفقيات في مكة والطائف وجدة . هنالك كان شيء من الخوف وكان علينا ان لا نتوانى في التقدم من الناحيتين السياسية والعسكرية . وقد اجمع الراي على اعلان الاستقلال العربي وعلى مبايعة المنقذ الاعظم ملكا على كافة العرب بقرار والحاح مني ؛ انضم الي فيه عزيز علي باشا المصري الذي كان رأسا للأركان الحربية ، ثم اخواننا في الجهاد وهم الشيخ فؤاد الخطيب والشيخ كامل القصاب والشيخ محب الدين الخطيب والسيد عارف الداعوق والسيد عارف الدرويش . وقد جرى عرض الامر على المنقذ الاعظم فتأبى وامتنع . فدخلت على جلالته وقلت مع الاحترام العظيم لجلالته ان قرارنا حتم وانه ان لم يقبل سنترك العمل باجمعنا . فقبل رحمه الله وكان ما كان من أمر البيعة وعدم ارتياح ممثلي الحلفاء بهذا الشكل ، ثم كان ان جاءت موافقة الحكومة الامبراطورية الروسية واعترافها بالامر ببرقية تلقيتها من الموسيو ستورمر وزير خارجية روسية ، ومن وزير خارجية سيام . فبلغت ذلك بصفتي وزيرا للخارجية الهاشمية ؛ فأوجب ذلك بين ممثلي الحلفاء شيئا من الاستغراب الدال على الاضطراب . ثم اعترف الحلفاء بالاستقلال العربي وبالمملكة العربية في الحجاز فقط بدعوى ان البلاد العربية الاخرى لا تزال تحت يد الاعداء ، وكنا نصر على خطتنا هذه .

تلك هي الحالة السياسية ، أما حالة الجيوش العربية في الشمال آنذاك ، فقد وصلت الى منتهى الضعف ولجأ الامير علي الى رابغ كما

اسلفت محتميا بالاسلاك الشائكة وكذلك الحالة في ينبع مع الامير فيصل، وقد اطلت طلائع الاتراك على نفس ينبع البحر ونزلت جيوش فخري الدين باشا الى جهة الامير علي الى « بئر قيضي » في تهامة . وكان الطريق : خلص ــ عسفان مفتوحا لهم ، وكان الشيخ حسين ابن مبيريك شيخ رابغ الموالي للعثمانيين متحصنا في « حجر » وهي بلدة ذات نخل ، شرقي رابغ بين « الحرة » وبين جبال السراة . ففي مثل تلك الآونة كانت القيادة العليا العربيـــة برابغ تصر على لزوم التحاقي بها في رابغ مع القوات التي افتتحت بها « الطائف » ؛ وكنت لا ارى هذا الرأي ، فرفضت هذه الخطة واكتفيت بما كنت قد بعثت من قواتي وانا لا ازال في حصار الطائف مع الاميرين الاخ زيـــد بن الحسين والمرحوم شاكر بن زيد على شريطة رجوع الاخير للالتحاق بالقوات الاصلية للجيش العربي الشرقي الذي كنت اقوده . وعندما كان الجيش يأخذ اهبته للسفر الشاق الطويل امرت بالنزول الى جدة لمقابلة السير رونالد ستورس الذي جاء خصيصا لامور هامة ؛ فقابلته هناك وليس هذا الكتاب هو المحل للبحث عما دار بيننـــا لعلاقته بصدد القضية الكبرى ، ورأيت معه الكولونيل لورنس لاول مرة ، وكانت رتبته من درجة كابتن ، فقدّم الي كضابط مهندس يستطيع تعويق الامدادات العثمانية بتخريب يقوم به على الخط الحديدي الحجازي ، وطلب مني ان ارفقه بمن يسافر به برا الى رابغ مركز القيادة العربية العليا ، فرفضت قائلا يجب عليك السفر من البحر ، فامتعض ولم يرق هذا القول لرفقائه الآخرين ؛ ثم سافر الى رابغ وبعد وصوله اليها طلب من سمو الامير علي (جلالة الملك علي) ان يرفقه بمـــن يوصله الى ينبع البحـــر حيث الامير فيصل (جلالة الملك فيصل) ، فلم يوافقه ايضا واشار اليه بالسفر بحرا . ولكن كان ان الكابتن لورنس فرّ وتخطى مناطق الجيش زاعما انه يريد الوصول الى ينبع ؛ فوقع بيد الحرس الخارجي ، واعيد الى رابغ ومنها سافر بحرا الى ينبع ؛ واعتقد ان السبب في عدم رضى الكولونيل لورنس عني وعن المرحوم اخي الملك علي مبدؤه هذا الامر. وبعد ان أتممت مهمتي بجدة عدت الى مكة المكرمة وتوجهت بالجيش

الشرقي قاصدا الى « الحناكية » ـ وهي ماء كائن شرقي شمالي المدينة المنورة ـ لجمع كافة عشائر نجد القريبة ، والنزول على الخط الحديدي في محل مناسب بين الشام والمدينة ، ونقل وتوسيع مجال الثورة الى ذلك المكان بغية توسيع الخرق على الجيوش العثمانية . فكانت الخطة ناجحة بفضل الله . ولما وصلت في طريقي الى « صفينة » قبل ان اصل الى « الحناكية » كان تضييق فخري باشا على جيشي الجنوب والشمال اللذين يقودهما الامراء علي وفيصل وزيد قد بلغ أشده . تلقيت امرا من جلالة الملك علي يلح علي فيه بالرجوع الى مكة للدفاع عنها ، وبالطبع كنت لا أرى الفائدة من هذه الخطة ، ولكن بعثت قوة كافية من الجيش تحت امرة الشريف فوزان الحارث ليضرب الشيخ حسين بن مبيريك « بحجر » ويحمي طريق « خلص ـ عسفان » . وبعثت قوة اخرى بقيادة الشريف عبدالله بن ثواب الحارثي لمهاجمة المدينة المنورة من شرقيها والاستيلاء ان أمكن ذلك على المواقع المحصنة العثمانية بـ «خشم وعيرة» وجبل «أحد» . وقد تلقيت بشارة استئصال الشيخ حسين بن مبيريك بعد يومين من حركتي ، وضرب حامية المدينة ايضا في وقت واحد . وكانت لهاتين الحركتين التأثير الفعال فقد ارتبك امير اللواء بصري باشا محافظ المدينة ، وانذر فخري باشا بإمكان دخول الجيوش العربية الشرقية الى المدينة ، كما انهم جزعوا لسقوط « حجر » وهزيمة ابن مبيريك . فتراجع الجناح الايسر العثماني من « بئر قيضي » الى « سطح الفابر » والى « غدير مجز ومجزان » اعني مسافة تفوق الستين كيلومترا ، وترك ايضا جناحه الايمن نخل «ينبع» «وبئر سعيد» فرجع عن طريق «وادي الصفراء» «فبئر درويش» واستعد للحصار بخط يمتد من «مخيط» على خط السكة الحجازية، «فالجفر» ، «فبئر درويش» فغديري «مجز ومجزان» ، «وبئر الماشي» . وحينذاك كنت قد وصلت الى « الحناكية » . وبعد ان جهزت العشائر التي التحقت بي من عربان حرب ، وهتيم ، ومطير على من معي من عتيبة ، وتركت « الحناكية » وتوجهت بسرعة عن طريق « الجنبلة » في الحرة كي اعبر خط السكة الحديدية بين محطتي

« ابي النعم » و « هدية » . وفي اثناء الطريق ، التقينا فجأة بقوة عثمانية يقودها الاميرالاي اشرف بك المعروف بابن باشا الطيور (قوشجي باشي زاده) . وكانت معه اموال وهدايا بقصد اعطائها للامير ابن رشيد ، وايصال الآخر الى اليمين ؛ والسعي لاثارة العشائر ضد الحركة العربية . فكانت مناوشة امتدت بعض الوقت فسقط اسيرا بأيدينا واستولينا على جميع ما كان معه من هدايا وكتب ومهمات ، وعلى ستة مدافع رشاشة وبنادق من قاذفات قنابل اليد . ثم سرنا وعبرنا الخط الحديدي بدون اي إشكال . وارتكز الجيش الشرقي « بوادي العيص » بعد ان خرب الخط اثناء مروره خرابا شل الحركة في النقل . فانتقلت الثورة مما بين الحرمين الى ما بين الشام والمدينة ، وبهذا نال الامير فيصل وجيشه الحرية . فتوجه يتبع الساحل من « ينبع البحر » الى « أملج » « فالوجه » ، ومنها اقام مركزا بمحل اسمه « جيدة » على جناحنا الايسر . وكذلك توجه جلالة الملك علي من « رابغ » بعد ان استكملت قواته ، فاستولى على « بئر درويش » عنوة وكانت للخطة العسكرية التي رسمها الزعيم نوري السعيد (فخامة نوري باشا السعيد) والتي طبقت كما ينبغي من الاحكام من لدن القسم النظامي للجيش الجنوبي الهاشمي وجيوش العشائر الاثر العاجل في الاستيلاء على ذلك المركز الحصين . وكان للحنكة والسكينة التي اظهرهما الامير علي (جلالة الملك علي) ما ساق الجيش الى الظفر بدون توان . وكانت حرب « بئر درويش » هي الحادثة الحربية الفريدة في جميع تلك المحاربات من ابتدائها الى انتهائها تغلبت فيها الصناعة الحربية على مثيلها فأوجبت الاعجاب . وقد احب جلالة الملك علي رحمه الله ان يعمل ذلك بالجناح العثماني الايسر في « مجز ومجزان » ؛ ولكن كانت القوات العثمانية الفائقة التي عرفت المكيدة الحربية المطبقة في « بئر درويش » ، تمكنت من صد الهجوم العربي ، وبقيت هناك حتى نهاية الحرب فالتسليم . وبهذا بدا حصار المدينة المنورة واخذ نجم العثمانيين بالافول . هذه هي الحركات العسكرية وضعت بايجاز ، وقد أشير في الخريطة المثبتة بهذا الكتاب الى

المواقع المذكورة فالحمد لله .

ولا ينبغي لي ان انسى انني حينما نزلت « بوادي العيص » لم يرعني الا اني رأيت ركبا عدده الثلاثون من الهجانة ينيخ ، واذا بالكابتن لورنس معهم مرسل الي من الاخ فيصل للمهمة التي ذكرها بجدة ، وهو القيام بالمساعدة على تخريب الخط . فلم اسر بقدومه لعلمي بالتأثر السيء المزدوج الاساءة الذي سيكون لقدومه . اولا لاشمئزاز عشائر الحجاز ونجد من وجوده هناك ؛ وفيهم امثال خالد ابن لؤي وابن حميد والذويبي الذين تراسوا الحركة الوهابية الاخيرة بنجد . ثانيا لامكان اتصاله بالغزاة وابتدائه العمل بجيشي لاكتساب لقب ملك العرب غير المتوج وهو معي ؛ كما تم له هذا وهو بالجيش الشمالي . وبعد مقابلة قصيرة بنيت له خيمة وخصص له من الضباط العرب من يرافقه ، ومنع عن الاختلاط بالناس . فلم ترضه الحالة ؛ فادعى انه اصيب بدمامل ، وانه يحتاج الى الرجوع فأعيد مكرما حيث أتى . فمن هنا كانت حملاته ضد الاميرين الحجازيين علي وعبدالله . وان اسر بشيء فلا اسر بمثل فرحي لعدم تمكينه من تهكماته بحق العرب وهو عندي ، كما كتب متفكها في كتابه : من انه بينما كان الجيش الذي يقوده الامير فيصل يسير بين « املج » و « الوجه » سمع لغطا وصياحا ، فاهتم له واذا بالرجال يتسابقون ويتدافعون يطلبون يربوعا او يرابيع راوها فاصطادوها . وانه راى فيصلا كما يقول ، مشرق الوجه لان جنده وجد لحما يأكله ، ذلك اللحم الذي هم في قرم له وحاجة اليه . هذا شيء من تهكماته ، وهي في حالتها غريبة ، وهذا هو ملك العرب غير المتوج . لست الآن في قصص الوقائع الحربية ولكن حيث ان الاساس هو هناك ، ساقني اتباع الحقائق لذكر الواقع . وبينما كنت « بالعيص » عام ١٩١٦ واذا بي ابلغ ان السير سايكس والموسيو بيكو قد وصلا الى الوجه واستصحبا معهما الامير فيصل (جلالة الملك فيصل) الى جدة لمقابلة جلالة الملك . وبصفتي وزيرا للخارجية ، ولسابق مسؤولياتي عن الثورة ، سألت مستوضحا عن الاجتماع فلم اتلق التفصيل الكافي ؛ غير برقية مقتضبة من الوالد المرحوم قال فيها

انهم « اتوا وتحدثوا عن سورية والعراق ومستقبلهما فأجبناهم بما الهمنا الله اياه » . ولم يحدث اي تغيير في المبدأ الاول . ثم كان سقوط بغداد ، فبدأ علي شيء من التأثر وكان بحضرتي الكابتن (رحتّو) المغربي الفرنسي ضابط الارتباط ، فنقل هذا نبأ ما شاهده من أسى علي الى مركزه بجدة ؛ ومركزه ابلغ الخبر الى المعتمدية البريطانية حيث احتجت مغتاظة ، فتلقيت برقية من الوالد المرحوم فيها التأكيد باعتقاد جلالته بصدق حلفائه وطيب نياتهم ، وانه لا ينبغي ظهور ما يكدر علائق المودة والاطمئنان بين الجهتين . وكان في هذا ، التوبيخ الصريح . فعرضت مجيبا بأنه يجب علي ، كوزير للخارجية ، السؤال عن التقدم البريطاني في العراق والى اي حد يكون ، وما القصد منه . وانه يجب عليهم ان يرفعوا الراية العربية في كل بلد عربي يفتتح . واشرت بلزوم استصحابهم قوات عربية اثباتا للحق . فكان بعد زمن ان طلب ارفاق قسم من القوات العربية في فلسطين وتعيين الشريف عبدالله بن حمزة لهذه المهمة ؛ وجاء هذا القرار اثر صدور وعد بلفور . فكررت الاحتجاج وبقي الامر على سابق حاله في العراق وفي فلسطين . اما ما عقب هذا الحادث الذي ذكرناه من الزمن، فلم يحدث فيه ما يستحق الذكر كحادث سياسي، سوى تلك الرسالة التي ارسلها جمال باشا لي وللملك فيصل وللجيشين العربيين يذكرهما بأنهما يعملان على ضياع فلسطين التي دافع عنها صلاح الدين الايوبي ، وتفصيل ذلك في المذكرة المرسلة للمندوب السامي السير ارثور ويكوب في الرد على السير هنري مكماهون « انظرها في هذا الكتاب » .

نعود الآن الى متابعة الحوادث ونقول ، ان جيش الملك فيصل لما اطلق من عقاله في ينبع ، استمر على التقدم متتبعا الساحل حتى وصل العقبة ، وكان له قسم في « جيدة » كما ذكرنا آنفا . وقد زارني في « وادي العيص » وكان معه من العرب المرحوم جعفر باشا العسكري والمرحوم الشيخ عودة أبي تايه ومن الانكليز الكولونيل كورنواليس والمعتمد الانجليزي بجدة الكولونيل ولسون،واخبرني حينذاك انه عازم على ارسال قوة الى العقبة بمعية الشريف ناصر

المعروف بأبي سيف والشيخ عودة ابي تايه . وبعد عودته رحمه الله نفذ ما ذكر ؛ وبعدها تقـدم فوصل الى « ابي اللسن » واتصلت الجيوش الى الطفيلة من طريق الشراة . اما الخط الحديدي فبقي مصونا . وتوقف التقدم العربي في هذه الاماكن الى ان ضرب اللورد اللنبي ضربته المعروفة للجيش العثماني في الناصرة الذي كانت قواه قد وهنت . وهكذا ابتدأ التقهقر العثماني . وعلى أثر ذلك تقدمت الجيوش العربية الى الازرق فدرعا والى النهاية التي يعرفها كل انسان . وبقيت المدينة المنورة والحامية التركية التي على الخط تدافع الى ان استسلمت هي في النهاية ايضا . وكان عدد الذين ركبوا البحر الى مصر من ينبع والوجه تسعة عشر الفا ما بين ضابط وجندي بعـد نضال ثلاث سنـوات ؛ ولقد كانوا يقاربون الثلاثين الفا قبـل ذلك أعني ان عددهم كان يفوق عدد الجيش الذي ضربه اللورد اللنبي في الناصرة . واذكر من قبل الامور التي صادفتها فاستغربتها برقية وردتني من الاخ المرحوم الملك فيصل من دمشق يبلغني فيها ارادة سنية بلزوم سفري الى دمشق لأحل محله حيث قد تقرر ايفاده الى اوربا ؛ وعين لي الباخرة التي يجب السفر فيها بدون تأخير . فعرضت ذلك على والدي بمكة واسترحمت ان يبعث الي بالشيخ فؤاد الخطيب فأجابني موبخا بما نصه « من بلغك ارادتنا بالسفر ؟ الا تستحي من النبي صلى الله عليه وسلم فتسافر الى جنان الشام قبل ان تدخل المدينة » . وظننت بعد ذلك ان الاخ المرحوم قدم هذا الطلب ولم يدر بخلده انه يرفض ؛ فكان نصيبه السفر الى اوربا ، وحظي اني وُبخت بينهما . ولكن نجاني الله من تبعة الوجود في مؤتمر الصلح الذي قضى بالعقم على الآمال العربية بأجمعها . وبهذه المناسبة اذكر الاخوان الذين قدموا للحركة في الحجاز بكل خير . ولا انسى تلك القصيدة التي ساقت الامة العربية الى الطريق ونبهتهم الى واجبها وهي قصيدة التحية للبيت والحرم الشريف والامة التي قالها الشيخ الخطيب . امـا الشيخ كـامل القصاب فكان هو المشجع للناس على قبول المسؤولية الدينية في اعلان الثورة على العثمانيين . ولقد سألته عما يمكن ان يلحقنا نحن

الثائرين دينا فقال لي ما نصه « أشهد بالله ان جهادهم قد اصبح فرضا على كل عربي دينا ودنيا » وكان له اشد التاثير على الوالد والاخوة . والآن فلنعد الى ما عقب هذا من امر الهدنة وتأسيس الادارة العربية بدمشق ، وسفر الامير فيصل الى اوربا ، وعودته اليها ، ثم رجوعه بمشروع الاتفاقية المعروفة باتفاقية كليمنصو فيصل، وقيام الناس ضدها وحوادثها واعتقال ياسين باشا الهاشمي في الشام واخذه الى الرملة . ثم جزع الناس عندما اخلى الجيش الانكليزي سورية واستيلاء الكثيرين من اهل العروبة الذين كانوا ينتمون الى حزب الاتحاد والترقي التركي على فروع الادارة والتأثير في الراي العام ، واقعاد النهضة وضباطها وحل اللواء الهاشمي ، كل ذلك مما يحز في النفس ويجعل الانسان يقف محتسبا ويترك التفسير للتاريخ العادل . وكان ما كان من تعقيب سياسة العصابات التي كانت الارشادات الصادرة من المنقذ الاعظم بالبرقيات والكتب والرسائل تنهى عنها اشد النهي . كما انه لم يعد من الرشد في مكة اظهار حركات سلبية عنيفة في وقت حرج كذلك الزمن ، وبالاخص عندما صرح رجال بريطانيون مسؤولون بأن انجلترا لا تزج بنفسها في حرب مع حليفتها فرنسا من اجل بلد لا يبلغ عدد نفوسه بأسرها قدر نصف نفوس لندن او باريس . ولا ادري كيف ان عرب سورية اعتبروا ان تجلي الانصاف والعدل من الدول الطامعة في ذلك الوقت من الممكنات فخاطروا واتبعوا ما كانت نتيجته ضياع الجهود في شتى بلاد العرب ، فوق انهم لم يكونوا قد قاموا بايجاد قوة عسكرية تعضد تلك الحركات في وقت الخطر . وكان في الامكان ايجاد جيش عربي من الجيش الخامس العثماني السابق كما كان . حيث ان عناصر ذلك الجيش وبلاده بمجموعتها كانت في اليد العربية ما عدا فلسطين ولبنان والسواحل السورية . فغياب الامير في اوربا ، وانصراف الراغبين في الرئاسات السورية الى المنافع الحزبية ، وتبلبل الآراء ، جعل الامير الذي عاد من اوربا بين عاملين : وهما تقديره للخطر في حالة وقوع حرب مع فرنسا ، وعدم اقتداره على افهام الناس حقيقة الحال . على انه

لما اشتدت الحالة وتحقق الخطر وعرض على مسامع المنقذ الاعظم اعلان الحرب التي لا يد للحجاز فيها ، امر ان تنقل خزانة الدولة واوراقها ومدافعها الضخمة التي لا يوجد مرتبات لاستعمالها ، الى درعا ثم الى عمان . فاذا رؤي التراجع عن دمشق بعد الدفاع المشرف ، فيكون مركز الدولة بالبلقاء ؛ والحجاز من ورائها . ويتراجع القسم الشمالي من الجيش عن طريق حمص ـ حماه الى حلب ، فيطول على فرنسا خط الحركة . ويسعى حينذاك الى التفاهم ، وبالطبع سيكون انتداب فرنسا امرا لا بد منه ، حيث كان الانذار الفرنساوي قد قبل من جلالة الملك فيصل وحكومته قبل القتال . هذا ما قالته الوقائع . ولا ادري هل كانت هذه البرقيات قد وصلت الى يد جلالة الملك فيصل ام اخفيت عنه . هذا شيء لا حق لي في الخوض فيه ، وانا اقول لقد سألني الكثير من رجال السياسة العرب وغيرهم عن امر لا ازال اعلن عجزي عن الدفاع عنه ؛ وهو لِم لم يرتكز الملك فيصل ورجاله في البلقاء كما اشير اليه من مكة ؟ ولِمَ غض النظر عن ذلك ؟ . انما المهم الآن هو النظر في ما نحن فيه : وصلت على اثر ذلك بطلب ملح ممن قام بالحركة الثورية « بخربة الغزالة » التي ادت الى قتل بعض الوزراء السوريين . وبطلب من عمان ومعان ورجالاتها موجهة الى والدي بالاذن لاحد ابنائه بترؤس الحركة ، قدمت لا لكوني افضل القوم ، بل لانني كنت ولا مسؤولية علي في الحجاز حينذاك . وكان على الاخ علي رحمه الله مسؤولية ولاية العهد وامارة المدينة . والاخ زيد كان بمعية الاخ فيصل في اوربا بعد خروجهما من الشام . فوصلت الى معان بعد مشقات هائلة في الطريق الذي كان غير صالح لسير القطارات . وبوصولي اعلنت نفسي نائبا لملك سورية ودعوت اعضاء المؤتمر السوري للاجتماع بمعان ، واعتزمت جعل معان مركزا للحكومة السورية . ثم دعوت كل ضابط وجندي من الجيش العربي السوري بأن يحضر الى معان بأسرع وقت مع ما يمكن احضاره معه من السلاح للجندي والضابط . واستدعيت رؤساء العشائر ، وعلى ما ظهر لي ان ضربة ميسلون كانت حادة الى درجة من القنوط جعلتني لا اظفر

بجواب من اعضاء المؤتمر المحترمين . اما الضباط فمنهم من اجاب طلبي واشترط علي تقديم كفالة من ان الحكومة الهاشمية بالحجاز تضمن تقاعدياتهم في حالة عدم الموفقية. واما افراد الجيش فعذرهم واضح ، ورؤساء العشائر قالوا انه اذا كان لدينا ما كان يصرف لهم وقت الحرب ، وكان معي دولة تقاتل فرنسا فسيحضرون والا فينبغي تركهم يسايرون الوقت : هذه كانت الحالة ، وانني لا اعلم كيف مالوا الى العقيدة بأن القصد من الحضور كان الحرب ، مع ان القصد كان الترؤس لحل المشكلة على وجه الصداقة واحقاق ما لفرنسا من مصالح والسعي لاعادة الحالة الى ما كانت عليه. غير انني اذكر حادثة غريبة ربما كانت السبب في تطور الحالة. وهي انه كنا نريد الاتصال بلاسلكي جدة من لاسلكي معان، فاذا بلاسلكي معان يتصل بلاسلكي ديار بكر ويحصل التفاهم بين المركزين في طول الموجات ودقة المخابرة . ثم تلقيت بعد ليلة برقية واردة من احد زملائي السابقين بالمجلس النيابي العثماني وهو يسمى عبدالله بك لعله كان مبعوثا من الموصل او ديار بكر فاجبته بمثلها ثم جاءني الاميرآلاي غالب بك الشعلان وقال لي انه يعرف مصطفى كمال باشا يوم كانا ضابطين بيافا وطلب مني ان يحييه باسم الثوار العرب بمعان ويعده بالمساعدة ويطلب اليه المعونة . فاذنته فابرق برقية بهذا المعنى لمصطفى كمال باشا حينذاك ، وجاء الرد منه فوق المأمول من ان التعليمات اعطيت لكاظم قره بيكر باشا الذي هو ينحدر في حركاته عن جبهة الفرات ، وان شيفره للمخابرة مرسلة عن طريق البر . وعلى اثر هذا استدعى الملك فيصل على عجل الى لندن وتلقيت منه تلك البرقية المشهورة التي يطلب الي فيها توقيف كل حركة ضد الحلفاء وبالاخص ضد فرنسا لأن القضية العربية ستوضع على بساط البحث من جديد وان اي حركة تحدث ستكون ضارة بمستقبل العرب .

ثم حضر الى معان السيد صبحي الخضرا والسيد فؤاد سليم ليعملا على تهدئة اخوانهم من رجال العرب . ثم وردتني برقية بهذا المعنى مؤيدة لبرقية الملك فيصل من مكة . وقد اخذت برقية من الوالد بعد هذا ايضا يشير فيها جلالته الى انه بلغه عن طريق المتمدية

البريطانية بجدة ان اهل البلقاء رفضوا دفع الضرائب للحكومة الوطنية ، وانه لا ينبغي علينا ايجاد مشاكل في طريق الحكومات المحلية . وبالطبع كان الاهمال نصيب هذه الارشادات كلها سواء كانت من لندن او مكة . وكان ذلك من عملي لانني جئت على مسؤولية نفسي ، ولانني عرفت ان الامر يقتضي اقرانه بالفعل . ثم تلقيت مذكرة من السيد مظهر رسلان الذي كان متصرفا بالسلط يقول فيها انه بلغه عزمنا على القدوم الى عمان ، ولذلك فهو يسأل عن سبب القدوم حتى يقوم بواجب الرعاية والضيافة اذا كان القدوم لمجرد السياحة ، وان كان لامر غيره فالحكومة المحلية تتخذ الاسباب اللازمة لصدنا عن الدخول . ولما اجبناه بانه كان قد تعين بأمر من الحكومة العربية السورية ، وان حكومة سورية الآن مركزها بمعان ، فعليه ان يأتمر بأمر هذا المركز الجديد لتلك الحكومة العربية، والا فسينصب على السلط من فيه الحمية، او ماكان في معنى هذا الكلام. فما كان منه الا انه ركب الى معان والتحق بالحركة وبالحكومة وادى واجبه . ثم تلقيت الدعوة من كافة رجالات شرقي الاردن وقد حضر اغلبهم الى معان ، فقر القرار على التقدم الى عمان واشغال شرقي الاردن وتوحيدها . فحدث ما عرفه الناس ، وكان وصولنا الى عمان تحت عاصفة من السرور . وبالرغم من تحذير السيد يوسف ياسين لنا «بزيزياء» من دخول عمان قائلا ان المعتمدين الانجليز انسحبوا الى فلسطين ليفسحوا الطريق للجيش الافرنسي ليدخل ، فانني شكرته وهو ملتزم شباك المركبة في القطار ، وقلت نحن جئنا لهذا الغرض نفسه . وبعد أن تأسست الامارة في شرقي الاردن باسم نائب ملك سورية وحكومة سورية، تلقيت برقية من الوالد المرحوم يبلغني فيها بأن المستر ونستون تشرشل وزير المستعمرات البريطانية هو في مصر وانه سيزور فلسطين وانه ربما طلب الوصول الى وادي موسى. فاذا كان ذلك سهلوا له امر السياحة واحترموه ، وان دعاك الى القدس فأجب الدعوة، وانظر ماذا سيكون. وقد لحقتني الدعوة بعد ذلك بأيام من المندوب السامي للاقامة بالقدس بضع ليال وعين يوم الدعوة فقبلت .

وكان يوم سفري من عمان الى القدس يوم وصول السيد رشيد طليع من جبل الدروز الى عمان فاستصحبته ، وكان معي كذلك عوني بك عبد الهادي رئيس ديواني آنذاك والكثير من رجالات العرب الاستقلاليين ، واستقبلنا في السلط باسم المندوب السامي الارل مرشال سلمون والكولونيل لورنس .

وعندما سافرت من عمان قضينا الليلة في السلط في دار الوجيه يوسف السكر ، ولما كنا على العشاء ومعنا الضيوف الانجليز ورؤساء العرب قال «لورنس» في مداعبة له : انت يا سمو الامير الآن في بلد افتتحها الجيش آكل السمك كما كنتم تقولون عنا نحن اهل الجيش الشمالي اذ كنا نسير من الساحل ينبع ـ املج ـ الوجه ـ العقبة . فقلت له في مداعبة ايضا : انالارض التيدخلتموها متعلقين بجناح اللورد اللنبي جئت الآن لاستردادها لأنكم بعد جلاء جيش اللورد اللنبي لم تتمكنوا من البقاء فيها ، اما البلاد التي تأخرنا عن اخراج الاعداء منها فهيلا تزال عربيةوالحمد لله أعني بذلك الحجاز. ولعل الاخوان الذين كانوا على مائدة العشاء لم ينسوا هذه النكتة .

واخبرني لورنس ليلا عن موضوع المقابلة التي ترمي الى لزوم مساعدة انجلترا على اخذ الملك فيصل ملكا على العراق لأن فرنسا لا ترضى برجوعه الى سوريا ، ولا برجوع الامير زيد لانها تعد الاخير أشد عداء لها من الاول. وطلب الي اناظل في شرقي الاردن اعمل على ايجاد ادارة مدنية سالمة من اي عنف في مراميها السياسية مع العمل على احباط حركات العصابات . وقال ان المعروف عنك انك تضحي بشخصك من أجل وطنك ، فابق ، واذا توفقت ستظفر بعد ستة اشهر بوحدة سورية وسنزورك فيدمشق مهنئينانشاء الله بتوفيقك لإصلاح ما خرب. ولما كانالامر له خطورته لم اجبه بشيء. فتذاكرت ليلا مع السيد رشيد طليع والسيد عوني عبد الهادي والسيد غالب الشعلان فقالوا اذا تأكدنا من هذه النتيجة بصورة جازمة فلا بأس من هذه الخطة. ثم سافرنا في اليومالثاني الى القدس. وكانتالمذاكرة صبيحة يوم وصولنا اليها وكان المجلس يحوي من الانجليز وزير المستعمرات ونستون تشرشل والمندوب السامي السر هربرت

صموئيل والسكرتير العام السير وندهام ديدس والكولونيل لورنس والمستر رتشموند واربعة من الكتاب ، أما العرب فكنت انا وعوني بك عبد الهادي وكان يترجم هو حينا وحينا كان الترجمان لورنس.

تحدث المستر تشرشل عن العراق فقال : ان الذين يطلبون عرش العراق اربعة : ابن النقيب وخزعل خان وابن سعود والسيد طالب نقيب البصرة ، وان انجلترا لا تستطيع ان ترى على عرش العراق الا الذي تأتمنه . ثم قال اذا بقيت انت هنا وعملت على السلام وارضيت فرنسا فستعود الحالة الى ما كانت عليه وسنهنئك بعد ستة شهور بهذا التوفيق . اقول هذا بصفتي وزيرا بريطانيا . وان لم تفعلوا فسيتقدم الى العراق احد هؤلاء الاربعة وفي امكان ابن سعود المدخول الى مكة في ثلاثة ايام، الى غير هذا من الجمل التي قابلتها بما شهده حضور المجلس من الهدوء والسكينة الى ان قلت : فيما يتعلق بجلالة الملك ابن سعود فانه من الممكن دخوله ويمكن ايضا عدم استطاعته الوصول في ثلاثة ايام . ولكن حررنا العرب ، فاذا ارادت الامة ان تمنح هذه الامانة وهي حريتهم لبيت كبير من بيوتات العرب غير بيتنا فهو حق العرب . ولكن كيف تعتبرون ابن سعود الآن ؟ أهو ملك مستقل ام سلطان ؟ أم رئيس عشيرة ؟ فقال هذا سؤال لا استطيع الجواب عنه قبل الرجوع الى وزارتي. وعقب هذا اعلن جلالة الملك ابن سعود نفسه سلطانا على نجد . وكانت هذه خدمة جليلة مني لنجد حيث حصل من الجانب البريطاني الاعتراف بهذه السلطنة العربية . فخرجت وبلغت رفاقي انا وعوني عبد الهادي ما حصل . فاقروا بما اشترط علينا . وتحددت المدة ستة اشهر . ورجعنا الى عمان وتعهد السيد رشيد طليع برئاسة الادارة ، فكان كاتبا اداريا ورفقاؤه سموا بالمشاورين. وكان لسوء الحظ ان وقع الاعتداء على الجنرال غورو المندوب السامي لسورية في جوار « الشجرة » اثنا رجوعه من القنيطرة في الشهر الثالث لهذه الادارة ، اثناء متصرفية السيد نبيه العظمة على اربد . فاعتبرت الجهات الاجنبية هذه الحركة نقضا للقرار لسوء الحظ . وتزلزلت قدما السيد رشيد طليع للهجمات التي

وجهت الى الادارة . وكان رحمه الله شهما غيورا وقد اسف لهذا الحادث اشد الاسف . اما المهاجمون للجنرال غورو فقيل انهم بقيادة خال السيد احمد مريود المسمى احمد الخطيب وشريف البعلبكي وابو ذياب البرازي ، فتبعة ما حصل اذن لا تقع على عاتقي بل على عاتق الذين يتبعون الغش في اعمال ليست لاشخاصهم . وعند انتهاء المدة بالتمام ، زارني المندوب السامي السيد هربرت صموئيل بخيمتي « بحسبان » ، وقال لي ، ان المدة المقررة على وشك الانتهاء ، وان حركة الشجرة حالت دون ما كنا نرجوه . ولا بد انك قررت العودة الى الحجاز . فقلت كلا بل قررت العودة الى اساس المبدأ الذي جئت من اجله وهو الثورة . فقال كلا كلا انني اتشرف بالتعاون معك وكذلك حكومتي على الدوام ، وسيزورك بعد ثلاثة ايام الكولونيل لورنس العائد من جدة ومعه حداد باشا . فاذا توفقتم لاتمام المعاهدة الانجليزية الحجازية فسيكون المجال واسعا لاعمال تعود بالخير عليكم وعلينا . فكان ان جاء لورنس وحداد وكان رئيس الديوان الامير عادل ارسلان . فتمت المعاهدة الحجازية الانجليزية بعد ان فوضني المرحوم الوالد للمذاكرة بما يجعل الامل ملؤه التوفيق . وكانت ان اثرت الجهات العربية الفلسطينية على جلالة الوالد فرفض ابرامها قبل ان يلغى وعد بلفور . فكانت هذه ايضا ان ادت الى العقم في ايجاد تفاهم حقيقي بين بريطانيا وصاحب الثورة بعد الحرب ؛ حتى جرت الامور الى الانقلاب الحجازي الذي نسأل الله سبحانه وتعالى ان يجعله خاتمة المكدرات ، وان يوفق الرجال المسؤولين في كل بقعة من بلاد العرب الى وحدة العرب وخيرهم . فحصل بعد ذلك ان بذلت جهدي بالاحتفاظ بهذه البلاد العزيزة ، فكانت الاتفاقية الاردنية الانجليزية وكانت مجهوداتي نحو فلسطين الشقيقة هي هذه الوثائق التي اثبتها في هذا الكتاب . وقد قال اناس انني احقد على الحاج امين والامر بالعكس ، فكانت لي اليد الطولى في تنصيبه للافتاء وكانت لي اليد الكبرى في ابقائه بهذا المنصب ايام كان السير تشانسلور مندوبا ساميا ، وكان قد تقرر تقريبا عزل سماحته . فبعثت اليه تلك الرسالة التي قلت فيها ان

عزل المفتي لا يرضي الاسلام لان الحاج امين اصبح شخصية اسلامية.
اما عوني بك عبد الهادي فهو اعرف من ان نعرّف ، لقد رضيت عنه واحببت ان يبقى في رئاسة الديوان، ولكن كان المرغوب من السيد رشيد طليع ، نصب الامير عادل ارسلان لهذا المحل ، فلم يبذل اي جهد لسحب الاستقالة التي قدمها عوني بك وكان سببها خلافا صوريا لا اهمية له . وعلى كل حال فانني احتفظ بمحبتي للسيد عوني وللسيد عادل . ولقد جاء في ذهني لزوم ذكر المرحوم السيد موسى كاظم الحسيني الذي هو عندي الشخصية المعتدلة التي كانت تعمل للوطنية المحضة غير ملتفت الى شخصه او اقربائه .
اما السيد نبيه العظمة فقد يظن او يظن الناس اني ابغضه لحركاته ضدي . فوالله لم يخطر لي ببال يوما من الايام ان اظن انه عدو لي لان اختلاف الاجتهاد والمذاهب لا تعدو عندي كونها هفوات . وان أنس لا انس اضطرابه عندما قابلني بـ(ماركه) عند دخوني الى عمان ، وانا قادم من معان وهو يقول : يجب ان تدفع سموك اكثر من مئة الف جنيه لنؤسس مراكز دعايات حزبية حتى نؤثر على الشعب وننهض به للمهمات ، وبدون هذا فان الامر قد يصعب . وقد ذكر لي مثل هذا ايضا المرحوم السيد كامل بديري . ولو علم انني كنت مدينا للكثير ممن معي من اهل الحجاز ولمن التحق بي من ضباط العرب من سورية والعراق ، لما طلب مني نبيه بك هذا الطلب . وكم تمنيت حينئذ لو كان لي حظ روكفلر أو غيره من ارباب الملايين حتى انفح الثورة بما تطلبه مني . هذا ما لاح لي من حقائق اثبتها هنا راجيا من الله سبحانه وتعالى الهداية والتوفيق .

ومن الذوات الذين سبقت لهم خدمات جليلة للقضية العربية والذي احب على ما يظهر ان يتوارى لتكون خدمته خالصة لا لغرض ذاتي الرفيق المحترم السيد محب الدين الخطيب الذي تركته بمكة ١٣٣٤ ولم اره الى اليوم والذي كان الوالد له في منتهى الوفاء. وقد استمرت جريدة « القبلة » تحمل اسم صاحب الامتياز محب الدين الخطيب حتى آخر عدد منها .

وهنا نذكر اسماء الضباط الذين التحقوا بي بمعان وعمان .
فاما الذين قابلوني بمعان من الضباط العرب فهم المرالاي غالب بك الشعلان ، خلف بك التل ، القائد عبد القادر بك الجندي ، القائد محمد علي بك العجلوني ، الملازمون احمد التل ، بهجت طباره ، المرحوم خليل ظاظه ، نور الدين البرزنجي ، المرحوم منيب الطرابلسي ، المرحومان عمر بك المغربي والملازم الثاني مبروك المغربي . وكان معي ممن قدم من الحجاز الاميرالاي حامد بك الوادي، القائمقام داود بك المدفعي ومحمود بك الشهواني وسعيد افندي الطلال وغيرهم .

ومن الاشراف الشريف شاكر بن زيد ، والشريف علي بن الحسين والشريف محمد علي بن بديوي ، والشريف عبد الرحيم اللهيمق ، والشريف حسين الشقراني . ومن العلماء العلامة محمد الخضر الشنقيطي . ومن مشايخ عتيبة الشيخ فيحان بن محيه ، والشيخ صنهات الخراص . ومن مشايخ حرب ، عبدالله أبو ربعه ، وعبدالله بن هويمل ، والكثير الصالح منهم .

أما الملتحقون بنا من مشايخ البلاد الاردنية فهم شيوخ الحويطات حمد بن جازي ، وعودة ابي تايه . ومن بني صخر مثقال بن فايز ومشهور بن فايز وحديثة الخريشه . ومن الكرك الشيخ حسين الطراونة والشيخ عطوي المجالي وغيرهما . ومن رؤساء البلديات ، سعيد باشا خير الذي كانت له اليد الطولى في الحركة الجارفة في معونة احرار العرب الذين لجأوا الى عمان بعد الكارثة السورية رحمه الله رحمة واسعة .

ولقد دخلنا شرقي الاردن فوجدنا فيها اربع حكومات منفصل بعضها عن بعض ، فرأعنا شملها المتمزق . ولذلك كان هدفنا الاول ان نلم شعث البلاد ونحقق ما كانت في حاجة اليه من « الوحدة » .

وهاهي اليوم ولله الحمد متمتعة بتلك الوحدة الاردنية الشاملة التي لا تزال تسعى في سبيل تحقيقها شقيقاتها المجاورة لها ، والتي نسأل الله ان يمن عليها بما تصبو اليه من وحدة .

ثم ان البلاد كانت عرضة لان يسري عليها وعد بلفور .

فوقفنا حائلا دون ذلك الخطر فلم يجد اليها من سبيل . وها هي حرة منه طليقة من قيوده .

ولقد كانت شرقي الاردن فيما يعلم الناس جزءا من اجزاء ممزقة اعني بها سورية وفلسطين وشرقي الاردن غير معترف لها بكيان . فما مضت فترة طويلة حتى حققنا لهذه البلاد من تلك المجموعة بعون الله كيانها السياسي، واصبحت لها شخصية دولية بين الامم تأكدت باتفاقيتها المعقودة مع الحكومة البريطانية .

ولعمري ان الذي يعرف بلادنا هذه العزيزة يوم قدومنا اليها ثم يقارن بين حالها في ذلك الوقت وبين ما وصلت اليه من تقدم باهر في زيادة النفوس وفي العمران والثقافة العمومية والطرق والصحة والادارة والبرق والبريد ووسائل الزراعة ومسح الارض والبعثات العلمية الى الخارج وما الى ذلك من اسباب الرفاهية والفلاح ، لا يسعه الا ان يعجب من ذلك الفرق الهائل ويطرب لتلك الخطوة المباركة في اشادة المنازل الحديثة ، والمخازن العامرة ، والمتاجر الرابحة ، واستتباب الامن ويقظة الامة .

واذا رجعنا الطرف الى حالة الاهلين يوم مست الحاجة الى تأليف حكومة وطنية ، وجدنا انه لم يكن في الطاقة ايجاد العدد اللازم من ابناء البلاد لشتى الاعمال والوظائف . ولقد تغيرت الحال وتبوأ الاكفاء منهم ارقى المناصب واصبح منهم الاعضاء في المجلس التنفيذي وامتلأت بهم دوائر القضاء والمالية والادارة ومن المتصرفيات والقائمقاميات وغيرها من المناصب على اختلاف درجاتها . وان في ذلك لدلالة على الشوط الذي قطعته الامة منذ تأسيسنا للحكومة فيها حتى اليوم . ولقد برهن ابناؤها البررة، على انهم اهل واكفاء لبلوغ ما بلغوا من ادارة شؤون البلاد بانفسهم . وانه لم يبق خارج ذلك النطاق الا عدد يسير من ابناء الاقطار الشقيقة الذين انتسبوا الى هذا الوطن العربي العزيز واستقروا فيه . وليس العربي عن العربي بغريب ، وانا اذكر هذا لاقول أن في هذا الاشتراك الدليل الساطع على ان مبدأ النهضة الكبرى من وحدة الامة لا يزال قائما في هذه البلاد ومحسوسا فيها ، وانها جديرة ان تتبوأ مكانها اللائق

بين المجموعة العربية .

ثم اني جعلت نصب عيني ان تنهض الامة بمجموعها فتشرف على اعمالها بنفسها فانشأت لها المجلس التشريعي الذي قام باعمال جليلة دلت على ان ما اضمره للبلاد من التوسع في الحقوق النيابية آت زمنه وفي امد قريب ان شاء الله .

وبالرغم عما تعاقب على البلاد من سنوات الجدب والجفاف التي لم تمن بها الاقطار المجاورة ، فانها استطاعت ان تجتاز تلك العقبات وان تحتفظ بثروتها وكيانها الاقتصادي من غير ما انتقاص او استعانة براس مال اجنبي .

على ان الحالة الادارية في بلادي قبل دخولنا كانت اقرب الى الفوضى لما كان في العشائر من ثأرات ، وما كانت عليه الحكومات المحلية من ضعف وتفكك، حتى لم يكن في طاقة اكثر الزعماء المعروفين ان ينتقلوا من مناطقهم العشائرية الى ما يجاورها . فما انقضت فترة حتى زال ذلك كله وائتلفت القلوب وهنئت الخواطر .

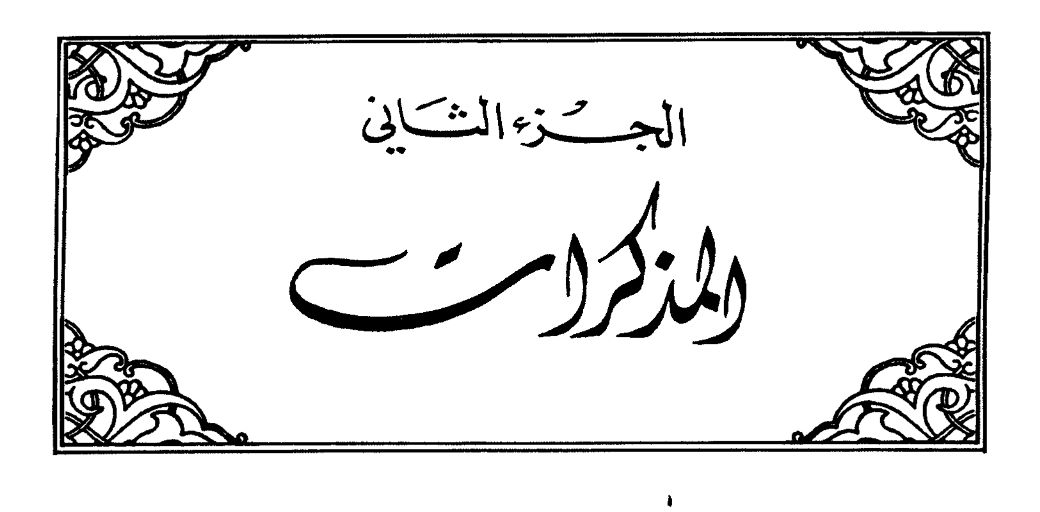
فالخروج بالبلاد من آفة التمزق الى الوحدة ، ومن الخمول الى الكيان السياسي ، ومن التقهقر الى العمران ، ثم تمهيد الطريق امام السواد الاعظم من ابناء الامة حتى بلغوا ما بلغوا من الاستيلاء على مقدراتهم ، والتدرج بهم الى النظام النيابي ، مبتدئين بالمجلس التشريعي عملا بالاناة وتجنبا لآفات الطفرة، ما يبشر بالمستقبل الباهر الذي تؤكده المقارنة بين ما كانت عليه البلاد بالامس وما وصلت اليه اليوم من غير ضجة ولا رجة بل بالتؤدة والسكينة .

تلك هي السياسة الحكيمة التي تمشى عليها ابناء هذا الوطن، فلم يقعوا في أزمات اخفها عدم الاستقرار . وان لفتة منهم الى من حولهم تدلهم على مقدار ما من الله به عليهم من فضله ورزقهم اياه من نعمه وانه سبحانه ذو الفضل العظيم .

وذلك ما احببت ان اختص به هذا البلد الامين الذي اسأل الله له المضي في ادراك الغرض الاسمى من المطامح القومية، آملا ان يعلم

اخواننا في الاقطار العربية الشقيقة ، مبلغ ما وصل اليه اخوانهم في القطر الاردني الشقيق ، حتى اذا ازف زمان الوحدة كانت شرقي الاردن دعامة فيها راسخة ولها مكانها المعروف ومنزلتها المرعبة .

والله ولي التوفيق والحمد لله رب العالمين .


الجزء الثاني
المذكرات

حلـــوة الخطـــم والمنـاسم دوم

تسيق الركب ناشز عـنبـــاء

تـلك حمــالتي الى خـــير ارض

ضمنـــها النور والهـــدى والسنـاء

ان دنت بي الى مقام كريم

فهي عتق لا يعتريهـــا الشقـــاء

عبد الله بن الحسين

الفصل الأول

نشأة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

احمده واصلي على نبيه الكريم وأسأله التيسير والهدى والرحمة والغفران

هذا دفتر حياتي ، اودعته وقائع ايامي والليالي ، وكفى بالله حسيبا .

انا عبدالله بن الحسين صاحب النهضة العربية الاخيرة وموقظ قومه من رقدتهم ومؤسس ملكهم ، بن علي بن محمد امير مكة بن عبد المعين بن عون . وامي عابدية بنت عبدالله بن محمد بن عبد المعين بن عون بن محسن بن الحسن بن عبدالله ، وهو الذي تنتمي اليه العبادلة من شرفاء مكة .

ولدت بمكة المكرمة ، وشعرت بالوجود اول ماشعرت بالطائف وانا احبو . اذكر ذلك جيدا حينما اتت احدى النساء فراتني وخشيت علي من السقوط عن الدرج ، فقالت من انت ؟ قلت انا عبدالله . فحملتني وادخلتني الى مكان به ظئري ؛ هذا اول ما اذكر من الدنيا .

وتوفيت والدتي وانا في الرابعة ، وقد اقبلت على الخامسة من سني عمري ، فكفلتني جدة والدي لابيه ، وهي الشيخة صالحة بنت غرم الشهرية العسبلية أم علي بن محمد بن عبد المعين بن عون ، فنشأتني تنشئة عربية محضة ، وكانت معها بنتها هيا بنت محمد ابن عون عمة والدي ، فروعيت بينهما خير رعاية . وكانت تألف النساء العربيات من قومها بني شهر ، ومن نساء العشائر من الحجاز ، فكنت بينهن اصغي دائما الى ما يلقينه على مسامعي من وقائع وحوادث بين العشائر ، ويذكرن ما جرى من أحوال في عهد الوهابية الاولى ، وما وقع من حرب حينما دخل والي مصر « محمد علي باشا » الحجاز لاخراج الوهابية ، ويذكرن الايام بين ذوي عون — وهو بيتنا — وذوي زيد — وهو الفرع الثاني من امراء مكة — ذاكرات اشعارا حماسية لا ازال اذكرها .

ولما جاء سن طلب العلم ، قرانا على المرحوم الشيخ علي المنصوري ، شيخ والدي الذي علمه القرآن . وكان التدريس على الطريقة القديمة ، طريقة ارهاب الطفل واخافته . فكانت « الفلكة » وهي آلة تهديد تجمع اليها رجلا الطفل فيضرب . ولذلك فررت منه ومن القراءة والدرس ، فتركت رعاية لسني ، او لحماية نلتها من الجدة الكبرى الشيخة صالحة بنت غرم المشار اليها .

ثم استأنفت القراء بعد ذلك بسنة ، في الطائف ، بعد فراري من المعلم بمكة . اما شيخي في الطائف فقد كان الشيخ ياسين البسيوني ، امام والدي ذلك الحين ، الذي يصلي به وبمعيته ، وامامه وهو شريف مكة واميرها ، ثم إمامه وهو ملك البلاد العربية . وقد تلطف بي وحملني على ان اقرأ ، بأن اشترط ان يملكني جملا ، لفرط حبي للابل . وبالفعل اتي لي بجمل ، وربط في ناحية من الحيز المخصص للقراءة ، وكان يعلف فأقوم عند رأسه الى ان ينتهي علفه . وهكذا كان للشيخ ياسين ولذلك الجمل ، الفضل في زوال نفوري من المعلمين ومن القراءة الابتدائية .

وكان اخي علي قد سبقني في طلب العلم والدراسة ، فحينما قرات (الف باء) كان هو قد اجتاز جزء (تبارك) وهكذا ابتدأت ،

ولما وصلت الى سورة (المرسلات) الشريفة ، وبها الآية الكريمة (كأنها جمالة صفر)، اذكرتني كلمة «جمالة» بالجمل، فحفظتها عن ظهر قلب، وقد اكرمت لذلك بما يكرم به امثالي ، فزاد شوقي الى التعلم . ولما شرعوا يحفظوننا القرآن الكريم ، كان اخي علي وصل سورة «الاسراء» وكنت وصلت سورة «الرعد» وكان اخي فيصل يتحفظ سورة «الاعراف» . لقد كان للشيخ علي المنصوري الفضل علي في تمييز الاصولين في القراءة القديمة ، والجديدة ، وكان الشيخ ياسين البسيوني هو الذي فتح الله علي بسبب دماثته وحسن احتياله ... رحمهما الله واسكنهما فسيح جنانه .

اما الخط ، فأول من علمني الشيخ عثمان اليمني ، ثم الشيخ عبد الحق الهندي ، ثم نوري افندي التركي. وكان الاول اشرسهم ، اما الثاني فأتقنهم لخطي الثلث والنسخ ، واما الآخر وهو نوري افندي فكان املكهم لخط الرقعة العثمانية . وكان الشيخ عثمان يأمرنا ان يكتب كل واحد منا مئة سطر في اليوم للتمرين ، وكانت لي معه قصة عجيبة .

فلقد كان رحمه الله دامي اللثى كريه الفم ، وكانت المحابر على الطراز القديم ، من تلك التي لها انبوبة لحفظ الاقلام ملتصقة بها الدواة ، وكان الورق يصقل بمصقلة بعد ان يمحى ما كتب عليه بالامس للاقتصاد . وكانت له عادة يألفها بالنسبة لفمه الدامي وللثاته المريضة ، فكان يلعق الاقلام فتدمى هي ايضا متلوثة بدمه ، فيكتب بذلك ثم يعيد القلم في المحبرة فيتهيأ فيها خليط قذر . فعمدت يوما الى حوش كان للاغوات — اي الخصيان — بها مراكن من الفليفلة الحمراء الشديدة الحرارة ، واخذت منها قدرا وضعته، بعد ان اجدت دقه ، في دواة اخي فيصل . ولما كان الغد ، وجاء بعدي اخي يقدم للشيخ ما كتب ، وقفت انظر ماذا يحصل . ولما ان لعق القلم وجد لذع الفلفل في اللثاة والشفتين فتألم ، ثم اشتدت به الحالة فطلب الماء ، فازداد ألمه وورم فمه ، فطلب ان ينظر في الدواة واذا بها الفليفلة . وعندها امر بأخي فيصل ان توضع رجلاه في (الفلكة) ، فأخذ اخي يبكي ويقسم انه لم يفعل ، وانا قائم اضحك،

فالتفت الي وقال : ما يضحكك ؟ فهربت لاجئا الى الجدة الكبيرة ، وقصصت عليها الواقع ورجوتها ان تنجد اخي ، واذا بهم قد وقعوا على طبعة قدمي عند مركن الفليفلة، فعرفوا ان ذلك من عملي. وسمع ابي بما وقع ، فارسل في طلبي ، فاختبأت عند جدته رحمها الله ، فحضر بذاته ليحملني الى الشيخ لاعاقب على جريمتي ، فرفضت الجدة ان تسلمني وطلبت منه ان يسمع السبب .

فقصصت عليه الخبر فسري عنه واخذ يضحك . ثم قر قرارهم على ان يمنحوا الشيخ كسوة جليلة وهبة نقدية وان يصرف بعد الاعتذار اليه ، فصرف . وبلغ الخبر بعد ايام الشريف عون الرفيق بن محمد عم والدي وامير مكة اذ ذاك ، فطلبني اليه . فلما جئته اخذ يضحك ويتعجب من عملي ويقول : فطنة غريبة . . ثم أمر بأحضار الشيخ عثمان واحضار طبيب الاسنان عبد الغفار ، ولما حضر قال : يا عثمان ، تريد ان تعلم أبناءنا الخط وهم علموك كيف تكون النظافة ! يا عبد الغفار اخلع اسنانه . فأخذ الشيخ يصيح ويستغيث بي ، وكان الشريف مازحا ، فكافأه بهبة نقدية كبيرة واوصاه بأن يتداوى .

وعون هذا الذي تنتمي اليه الاسرة الهاشمية الملكية هو عون ابن محسن بن عبدالله . تفرعت منه ثلاثة فروع ، فرع محمد وهم اهل الامارة ، وفرع هزاع ، وفرع ناصر . فأما محمد وهزاع فهما ابنا عبد المعين بن عون بن محسن بن عبدالله ، واما ناصر فهو ابن فواز بن عون ، وهذا الفرع تكون له امارة الطائف عندما تكون الشراقة في ذوي عون . والشرافة في عون هي لبني محمد بن عبد المعين .

مكة المكرمة عاصمة الاسلام وبلد الله الحرامالآمنة المطمئنة ، بلد الرفادة والوفادة والسفارة والايلاف. وبمكة يجتمع المسلمون بسبب الحج ، وهو موسم الاسلام. مصيفها الطائف ، وما ابهج الرحلة اليه في تلك القوافل ، المزدانة هوادجها ومحاملها بالجوخ الاحمر والبسط الفارسية الجميلة ، وما ابهى مراحلها وخيامها والاجتماع بها .

تخرج القوافل عادة من مكة ، اذا قصدت الطائف ، بعد غروب

الشمس ، الى «الزيماء» او «سولة» في المرحلة الاولى ، كي تقطعها في براد الليل ، فتصل الى الزيماء او الى سولة بعيد الشروق ، فتجد خيامها وقد بنيت على العين وسط البساتين الخضراء . فتقضي بها زهاء سبع ساعات . ثم تسافر بعد الظهر بثلاث ساعات آمة المرحلة الثانية ، وهي ذات عرق تعرف اليوم بالسيل ، وهذه المرحلة في طرف السراة ، حكمها حكمه في لطافة هوائه وبرده وشجره ، فتصل الى السيل مع الشروق . والسيل هذا نهير يجري دائما ولا ينقطع . وبعد ان تأخذ القسط من الراحة ، وتعلو الدواب وتتغدى ، يستأنف السفر بعيد الظهر ، فتصل الطائف قبل الصبح ، وهي أطول مرحلة . وفي القفول من الطائف الى مكة ، يكون السفر منه في ضحوة النهار ، ليدخل المسافرون مكة في منتصف الليل ، بعد مسير يومين . وفي هذه المرحلة المتعة المتعة للصبيان ، فيركبون انواع وسائل السفر ، من جمال عراب عليها المحامل الظريفة ، الى بغال فارهة وخيل أصيلة وذلائل عمانيات ، او ركائب أحرار عليها رحال الميس ، وفوق هذه الفرصة التحرر من الدرس . ولقد اقمنا على هذه الحالة ، من طلب للدراسة الابتدائية ورحلات مسرة ، حتى سنة ١٣٠٩ هـ ، عندما طلب الوالد الى الاستانة ، لاختلاف حدث بينه وبين عمه امير مكة المرحوم عون الرفيق بن محمد . وبهذا ختمت الدورة الاولى لي ولاخوتي في وطننا الحجاز الاقدس ، الذي لا شبيه له في الاوطان ، لنستأنف الدراسة في الاستانة عاصمة آل عثمان .

وفي اليوم السابع عشر من شباط من تلك السنة ، سافرنا من جدة في الباخرة « عز الدين » ، وهي باخرة جميلة منسقة ، ذات دواليب من الجنبين وليست من البواخر ذات الرفاس . وكنا نحن الاخوة علي وعبدالله وفيصل في رعاية الجدة بزمجهان والدة الوالد وحرم الشريف عبد الاله بن محمد أمير مكة المشهور . وكانت العائلة مؤلفة من اثنتين وثلاثين سيدة واتباعها . فوصلنا السويس في العشرين من الشهر ، وكان أول سفر لي في البحر . وكانت حالة البحر لا بالهادئة ولا بالهائجة ، وأصابنا دوار البحر جميعا في أول

يوم ، ثم اخذ يخف . واما الرحلة في ترعة السويس فكانت ممتعة مريحة . ولقد كرهت نفوسنا الزاد والخبز الابيض ، ولولا الضرورة لما تناوله احد. وامضت السفينة ليلة في البحيرة قرب الاسماعيلية ، ثم استأنفت السفر الى بور سعيد وبها تجلت لنا حالة جديدة، اذ كان من المستغرب عندنا ان نرى النساء المسيحيات سافرات . فرست السفينة في الميناء وتزودت بالفحم اللازم ، وتزودنا نحن بملابس شتوية ثقيلة،ثم اقلعت عند نصف الليل قاصدة ازمير. وكان البحر في غاية الهياج والجو ماطرا ، وكانت الباخرة تجري في موج كالجبال، لا يستطيع الانسان معه ان يسير او يقف على قدميه ، مما اضطرها الى التعريج على ميناء ليماسول في قبرص ، بعد اثنتين وسبعين ساعة من العناء ، فأقامت هناك خمس عشرة ساعة . وانتهى العاصف فسافرنا من ليماسول والقصد ازمير ، ولكن عندما مرت الباخرة بجزيرة رودس عصف البحر وهاج ، فعرجت على ميناء مرمريس ، وكان ابهج محل رايته في تلك السياحة جمالا وروعة ، أذ تحف بتلك الفرضة جبال شاهقة وقرى لطيفة . وبعد ان رست السفينة حفت بها زوارق صغيرة من البلدة ، يبيع اهلها العسل الطيب ولبن الزبادي والتفاح وابا فروة والبندق . ثم سافرنا في اليوم التالي ، فلم تقف الباخرة بأزمير بل استمرت في سيرها ووقفت بميناء الدردنيل ، فأنزلت منها بعض المنفيين من الحجاز الى ازمير ، وكان وصولنا الى الاستانة في الليلة السابعة من شهر جديد . ومع الفجر القت الباخرة مرساها امام القصر السلطاني، واذا بر فاس صغير هيء لينقلنا الى الدار الساحلية بقرية « أميركان » بالبوسفور ، وبها عبد العزيز افندي مدير دائرة المرحوم الشريف عبدالاله بن محمد عم الوالد الاصغر ، فانتقلنا اليها ثم الى المنزل ، فبلغناه بعد ساعة ، حيث التقينا بالوالد الحبيب فكان لقاء مؤثرا . ثم امر بأن نسرع الى زيارة عمه ، وصحبنا اليه السيد حسن عرنوس سكرتير الوالد ، ولما وصلنا رأيناه وقد خرج من دائرة الحرم يسير الى دائرة الرجال ، وهو ربعة القوام متواضع مائل الرقبة الى الامام ، عريض الجبين كث اللحية اشيبها اشم الانف ،

له منظرة مثبتة الى انفه بقراص انفي ، فأخذ يقبلنا واحدا واحدا ، ثم انهملت عيناه بالدمع يبكي ذاكرا الوطن ، غير اني أضحكته بسؤال عجيب ، وهو قولي : يا سيدنا ، ما هذا الخشب، المهذب المقطع الموضوع في هذا الصندوق ؟ «اشارة الى حطب المدفأة» فقال : هذا الحطب . فقلت : الحطب في الحجاز ليس كهذا ، بل هو ملتو معوج دقيق العيدان ، إما من السلم او من السيال . فاحتضنني وضحك وهو يبكي . ومن اغرب ما استرعى انظارنا نحن الصغار ، البوسفور ومبانيه الساحلية ، وتلاله المكسوة بالاشجار ، والسفن البحرية للشركة الخيرية ، التي تنقل الناس من البوسفور وقراه الى الاستانة والبحر ومنها الى آخر البوسفور ، مارة بكل قرية من قرى الساحل، معرجة عليها او مجتازتها . اما مفاتن الاستانة فإنها تتخطى الحصر والتحديد ، في المواسم كلها ، من ربيع وصيف وخريف وشتاء .

لقد كانت اقامتنا باسطنبول اقامة جبر واكراه ، واقامة تعلم وعبر . وبالرغم من ان السلطان عبد الحميد الثاني ، لما قبل والدي في حضرته يوم وصوله الاستانة ، قال له انه انما استدعاه لينشئه ويرجو منه ان يخدم الدولة ويخدمه . وبالرغم من انه عينه عضوا في شورى الدولة وامر بأن تهيأ له دار ساحلية في البوسفور وتفرش ، فقد كان في الحقيقة ورغم هذه الاعتبارات ، أخذ الى الاستانة نفيا وتغريبا ، بناء على معارضته سياسة الظلم والاعتساف بالحجاز ، واخذ الاموال الطائلة من الحجاج بشتى الاسباب ، تلك السياسة التي اختطها ولاة الحجاز والامير عون الرفيق . وقد نفي اثر اخذ الوالد الى الاستانة ، كل من العلماء الاعلام : الشيخ عبد الرحمن سراج مفتي مكة المكرمة الاكبر ، والشيخ عابد مفتي المالكية بمكة المكرمة ، والسيد عبدالله الزواوي مفتي الشافعية بمكة المكرمة ، فأخرجوا من الحجاز ، وطلب الى صاحب مفتاح بيت الله الحرام الشيخ عبد الرحمن الشيبي ان يسكن بالهدى. وبعد ذلك تفاقم الظلم بالبلاد المقدسة الاسلامية ، ووقع من عدم الامان ومن الاستيلاء بشتى الصور المخزية على اموال الحجاج ، ما اكسب الظالمين الوزر وعدم التمتع ، فتشتتوا هم

وذراريهم ايدي سبأ ، وحاق بالسلطان وبدولته الدمار .

اما نحن الاخوة الثلاثة ــ علي و فيصل وانا ــ فقد اخذنا نتعلم على ايدي معلمين خواص ، علم العربية والتركية والعلوم العسكرية.

وكان من جملة الانقلابات الكونية والمحاربات الطويلة ، التـي مضت وقيدها التاريخ ونحن هناك : حرب الصين واليابان ، حيث انتصرت الاخيرة. وحرب الحبشة والطليان، وكانت الغلبة للنجاشي منليك ، وحرب الاسبان والامريكان . وقد غلبت الاخيرة فأخـذت جزر هواي والفلبين . وحرب الترك واليونان ، وكانت الغلبـة للسلطان . وكانت الاضطهادات في اليمن ودفاع الامام ، وقد تغلب مرة واستولى على صنعـاء . ثم حركـة حزب الاتحاد والترقي والانقلاب الدستوري وعزل الشريف علي بن عبدالله امير مكة ، مع من عزل من خواص السلطان ووزرائه وولاته ، وتعيين الشريف عبد الاله بن محمد اميرا على مكة وارتحاله الى الجنان قبل سفره . ثم سعي حزب الاتحاد والترقي لتنصيب الشريف علي حيدر بن جابر ابن عبد المطلب بن غالب .

الفصل الثاني
في المعترك السياسي

وسعيت انا لدى والدي للمطالبة بحقه من الامارة ، من حيث انه الاحق الاكبر ، فأقنعته بعد جهد ، وقبل تسطير مذكرة بهذا الطلب الى جلالة السلطان بوساطة الصدر الاعظم كامل باشا .

وكانت المذكرة كما يلي : « **بناء على وفاة عمي الشريف عبد الاله بن محمد امير مكة ، بعد عزل ابن عمي الشريف علي بن عبدالله ابن محمد وخلو مقام الامارة ، ولكوني اسن العائلة الهاشمية وأحقها بمقام الآباء ، استرحم جلالة السلطان ان يتكرم بإيصالي الى حقي الذي لا يخفى على جلالته مع صداقتي واخلاصي** » .

وأخذت المذكرة بنفسي ، وذهبت بها الى الصدر الاعظم كامل باشا ودفعتها اليه . فلما قرأها سألني:هل انت أكبر انجال الشريف حسين ؟ فقلت : كلا ، بل انا الثاني ، والاكبر هو الشريف علي . فقال : ولِمَ لم يحمل هذه المذكرة هو ؟ فقلت : انه لا يزال يشتغل بمأتم العم الاكبر ووالد زوجته الامير عبد الاله ، فقال : أقبل انامل والدك واطلب اليك ان تبلغه بأن حقه لا يضيع ان شاء الله . فخرجت شاكرا وانا في شك مما قال ، وكتبت برقية الى مقام السلطنة قلت فيها : « نظرا لشغور مقام الامارة الجليلة بمكة المكرمة ولكوني صاحب الحق فانني انتظر من الاعطاف السنية السلطانية عدم حرماني حقي وتعييني في مقام آبائي » . وعنونتها بثلاثة عناوين للعرض على السلطان:بوساطة الصدارة العظمى الى الاعتاب السنية، وبوساطة مشيخة الاسلام العليا الى الاعتاب السنية ، وبوساطة رئيس كتاب القصر السلطاني الى الاعتاب السنية .

وحضرت الى الدار وانا احمل ما كتبت ، فقلت لوالدي : ان الصدر الاعظم يقبل اناملك ويقول ان شاء الله لا يضيع لك حق ،

وانه لمن المناسب ابراق برقية الى جلالة السلطان بهذه العناوين . وفي تلك الليلة وبعد ان ابرقت البرقية ، وردت برقية من رئيس كتاب القصر السلطاني يقول فيها : ان حضور والدي يوم غد في الساعة الثالثة عربية صباحا مرغوب فيه لدى جلالة السلطان .

ولقد توجه الوالد المرحوم الى القصر السلطاني حسب الوقت، فعين اميرا على مكة ، وعاد بعد الظهر وهو صاحب مقام آبائه . وكان من هذا التعيين ان اغضب حزب الاتحاد والترقي على والدي، فكان مبدأ الخلاف بينه وبين كل حكومة اتحادية ، حتى وصلت الحالة من ذلك الاختلاف الى حين ترؤسه رحمه الله حركة النهضة العربية في الحرب العامة ، على ما سيجيء .

الامة العربية

نشير الى من يتصفح ملخص التاريخ الاسلامي ، ان للظهور والاعتلاء اسبابا ، كما ان للتدني والتضعضع والضياع اسبابا . اما اسباب الظهور والاعتلاء ، فالايمان والجماعة والتنفيذ والامانة في الرئاسة . واما اسباب التدني فالتفرقة واختلاف العقيدة والحسد والتدابر .

وداء العرب الاساسي هو الترف والعصيان على الامراء ثم الخروج عليهم . ودليل ذلك خروج من خرج على امير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه ،فان العرب بالخروج عليه قد فتحوا على انفسهم باب الفتن والانتكاس . وللعرب عدو آخر وهم اخوانهم من المسلمين غير العرب ودوافعهم القومية ، وقد قال النبي (ص) « لا تقوم الساعة حتى يسلب امتي حقها قوم فطس الانوف كأنما وجوههم المجان المطرقة » .

وكذلك ملوك الطوائف والدول الاسلامية ، كدولة بني سلجوق ودولة آل عثمان ، اعداؤهم حسد الامراء والخروج على السلطان وفساد الجند . ولقد جاء في ذكر السلطان عبد العزيز بن محمود خان الثاني ، انه خلع لأنه بذر اموال الخزينة ، وقد افتى بخلعه شيخ الاسلام خير الله افندي بجوابه « يجوز » على السؤال الذي قدم اليه من مجلس الوزراء ونصه : « اذا كان زيد امير المؤمنين

بذر ما في بيت المال من حقوق المسلمين وعمل فيها بالهوى فهل يجوز خلعه » ؟ فأجاب «يجوز» كما قلنا . ولكن كان السبب الاصلي لخلعه والقضاء على البيت العثماني بأجمعه اعلان الحكم الجمهوري. ففي المدة التي كان فيها السلطان مراد الخامس في حالة الجنون ، دعت الحكومة امراء البيت العثماني المذكور لضيافة اقامتها،الغرض منها الفتك بآل عثمان . وقد نمي الخبر على حقيقته الى السلطان عبد الحميد الثاني قبل جلوسه فاعتذر ، ولهذا لم يظفروا بمرادهم.

وكان رأس هذه الفئة الصدر الاعظم احمد مدحت باشا ، وكانوا على عزم ان يبايعوا الشريف عبد المطلب بن غالب امير مكة الاسبق خليفة للمسلمين لو تم القضاء على آل عثمان . وقد شهدنا جميعا تنفيذ هذه الخطة وإقصاء آل عثمان بعد اعلان الجمهورية في تركيا على يد مصطفى كمال باشا .

وما العرب الا بالاسلام ، وكان من الحق عليهم ان يسعوا الى استعادة مجدهم وحقهم وخلافتهم . والثورة العربية الاخيرة التي قام بها والدي ومن معه من عظماء الحجاز ، وبإفتاء علمائهم وانضمام عظماء الشام والعراق اليهم ، كانت ثورة حق للدفاع عن الاسلام ، ثم لتبوء العرب المقام الذي خصهم الله به،حيث قال في كتابه العزيز: « كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » فعسى الله ان يقيض لهذه الامة من يعرف موضع الداء فيها فيحسمه ، وكيفية الدواء فيستعمله ، قبل ان يقال واعرباه !..

لقد كان الانقلاب الجمهوري مطمع انظار الشباب الترك من عهد مدحت باشا ، وخفي عليهم ان السلطنة العثمانية لم تصل في حدودها ، شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ، الا بعد ان انتحلت صفة الخلافة ، وانه بانسلاخ هذه الصفة عنهم ينسلخ العرب بطبيعة الحال ، الست ترى انهم اليوم أقوى منهم بالامس واكثر منهم نظاما وتجديدا ؟ ولكن اين شهرتهم بالامس وتأثيرهم يوم كان سلطانهم امير المؤمنين ، وخليفة رسول رب العالمين ؟ لقد تضاءلوا اليوم وصغروا ، وكانوا تضخموا بالامس وكبروا ، وهذا طبيعي لأن الشيء اذا خرج عن أساسه فسد .

ونحن اليوم ، أي الامة العربية ، كجسم بلا رأس ، او كجسم له رؤوس كثيرة . فالجسم الذي لا راس له حيران لا يهتدي سبيلا ، والجسم الذي له رؤوس كثيرة كذلك هو حيران لا يدري أي رأس من الرؤوس يتبع .

وقد قال الله سبحانه وتعالى في رده على مزاعم اهل الشرك وفي معنى السماء والارض « لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون » .. فالعرب هذه صفتهم اليوم : كل راس من رؤوسهم ذاهب الى حيث يريد ، وفي شتات الناس ضياع .

خواطر

وخاطراتي عن الاستانة (اسطنبول) يومئذ ، واسطنبول اليوم، خاطرات تجاذب وتدافع بين العصبية الاسلامية والنخوة القومية . فان قلنا نحن وانتم اهل الاسلام ، قالوا نعم ولكن نحن السادة وانتم التبع . وان قلنا نحن وانتم قالوا خنتم وخرجتم. فالصلاة صلاتنا، والكتاب كتابنا ، والشهادتان اصل ديننا والزكاة اشتراكيتنا ، والصوم رياضتنا ، والحج الى بلادنا ، ولكن يؤمنا رجال لا يدرون معنى ما يقرأون ، ولا يفقهون مرامي ما يتلون . ترى العالم العلامة من العرب يؤمه من لا يحسن اللفظ العربي ولا الاصل الفقهي ، كذلك كانت الحال : ذل في عز ، وعز في ذل ، ومسكنة في ظهور ، وظهور في مسكنة . وقالوا « لولا فصلت آياته اأعجمي وعربي » ، كذلك كانت الحال .

اما الاستانة ، فرائع جمالها ، مقبول صيفها وشتاؤها . ما اجمل ربيعها واكثر ثمارها واسهل مناخها ! جميلة حوت الجمال ، وحسناء فتنت الرجال. دار الخلافة جمعت فأوعت : تركي وعربي، شركسي وكردي ، الباني وبلغاري ، مصري وهندي .. فيها كل اجناس المسلمين على مختلف ازيائهم والسنتهم ، فلا غربة ولا غرابة ، يجد الانسان كل ما اراد من اي البلاد .

ولقد زعم الناس ان عبد الحميد كان ظالما . لقد كذب الناس. والله لم يكن بظالم ولكنه الحذر المتحوط . ولقد عرف بعد ان ذهب،

انه لم يقتل احدا ولم ينفذ حكم اعدام في محكوم ابدا ، الا مرة واحدة ، والبقية كانوا يتركون في السجون حتى يدركهم الموت . واما الذين ينفون من بلادهم الى اسطنبول ، او من اسطنبول الى الخارج ، فهم اولئك الذين عرض عليه انهم اهل خلاف عليه او على سلطانه ، فيخرجهم الى مكان لا يعرفون فيه ، فيقي دولته بذلك التدبير الفتن . ولئن أحصى الناس ما وقع بعده من صلب وتشريد وادارات عرفية ، وصولات في شام ويمن من الحكومات الاتحادية ، لعلم ان ظلم عبد الحميد بالنسبة الى افعالهم كان عدلا محضا .

بعد وصولنا الى اسطنبول بخمسة عشر يوما ، عين لتعليمنا بإرادة سلطانية الملازم الثاني صفوت افندي العوا ، معاون معلم فن العمارة والهندسة بالمدرسة الحربية ، وكان بين الخامسة والعشرين والثلاثين من سنيه . وابتدانا دروسنا الجديدة علىالطراز الجديد ، وحظر علينا الكلام باللغة العربية . اما الدروس فهي هذه : اللسان التركي ، الجغرافيا ، الحساب، مختصر التاريخالعثماني والاسلامي، الصرف العثماني ، القراءة بالتركية ، ووظيفة تقرأ بصوت جهير . وكنا نتمم القرآن الكريم على يد الوالد . وكان يعلمنا العربية الشيخ محمد قضيب البان ، وهو رجل ازهري واصله حلبي ، ثم جيء بشيخ آخر اسمه محمد توفيق افندي يعلمنا حسن الخط . وبعد عامين وظف لتعليمنا الاديب التركي محمد عارف باشا . وكان اشدهم علينا صفوت افندي العوا ، وقد ترقى في خدمة التعليم هذه حتى احرز رتبة قائد (بكباشي) فصار صفوت بك ، ثم رقي الى رتبة لواء في العهد الهاشمي ، جزاه الله وجزاهم عنا جميعا خير الجزاء ، فنعم المؤدبون هم . واما محمد توفيق افندي فقد توفي ، واما الشيخ محمد قضيب البان فقد اتهم تهمة سياسية وطلب اليه ان يغادر الاستانة فغادرها ، وكان ذلك العهد آخر عهد لنا به . واما عارف باشا ، فوالدته رضيعة الوالد المرحوم ، فهي عمتنا رضاعا . وقد توظف في دار الآثار التركية ورقي حتى حاز الكتابة الاولى هناك ، ثم بدت حاجة الخديوي عباس حلمي باشا الى شخصية معتمدة في الديوان التركي الخديوي ، فأوصيته به

فعينه بديوانه وظل معه الى أن توفي الخديوي . والذي كان بيني وبينه رحمه الله ، من صدق موروث ومحبة مؤكدة ، امر لا يخفى على احـد .

ولقد كانت كل سني اقامتنا باسطنبول،سني عبرة واستفادة، وكنا نجتمع بمن بها من الاشراف اهل الحجاز ، وكان لنا اصحاب من اعيان الترك واشرافهم . وكانت لنا في اسطنبول رحلتان صيفية وشتوية .. ولا يمل الانسان من ذكر المواسم ، وخصوصا مواسم الصيد المائي والبري ، يعلم ذلك من عاش هناك .

اما السلطان فمحتجب الا عن خاصته ، لا يخرج من قصره في غير ايام الجمع والاعياد ، مهاب محترم ، وعليه تعلق الآمال . واما الباب العالي والوزارة العثمانية ، فبيدها ممارسة امور الدولـة بالشكل العادي ، وما ارتفع عن ذلك فالبت فيه للسلطان ، حيث لا يكون أي تبديل او عزل في ولاية او متصرفية او مشيرية او قيادة فرقة او قيادة لواء الا بعد عرض ذلك مع تبيين الاسباب والموجبات. وانه ليصح القول بأن السلطان عبد الحميد ، كان آخر سلاطين المسلمين علوا ورفعة ، واشبه ما حصل بعد خلعه للمسلمين ، بمـا حصل للمسلمين عندما وثب اهل الكوفة واهل مصر على امـير المؤمنين عثمان بن عفان ، فان كان عثمان هو الباب الذي كسر بين الفتنة والناس ، فان عبد الحميد كان الباب الثاني الذي كسر في العصر الاخير بين الفتنة والناس ايضا ، ولله تصريف الامور ، وله الدوام والعزة .

ولقد كان في عهدنا بالاستانة من عظماء العرب ، الشريف عبد الاله بن محمد ، والشريف الحسين بن علي بن محمد صـاحب النهضة ، والشريف حيدر بن جابر بن عبد المطلب بن غالب ، وعمه الشريف احمد عدنان بن عبد المطلب بن غالب ، والشريف جعفر بن جابر بن عبد المطلب بن غالب ، والسيد فضل امير ظفار وابناؤه ، والسيد محمد ابو الهدى الصيادي نقيب حلب ، والسيـد احمد اسعد المدني وكيل الفراشة السلطانية بالمدينة المنورة ، والشيخ محمد ظافر الطرابلسي المغربي النقشبندي مرشد الحضرة السلطانية

وبنوه . وكان السلطان يقبل عليهم جميعا ويرعى جانبهم . وكان غير هؤلاء آخرون ، لهم مصالح بحضرون من اجلها ثم يعودون الى بلادهم . الا انه لم يكن يتاح لأحد ممن ذكرت ، الرجوع الى وطنه او الى بلد آخر البتة ، فكانت اسطنبول السجن المحترم ، او منفى العزازة والاكرام لهؤلاء الاشخاص الكرام .

ومن طريف ما اذكر ، فرار اهل الخلاف على جلالة السلطان والمرجفين بادارته . وكان الفرار الى اوروبا وسيلة لجر المغانم . فاذا ما فر احد ، كمراد بك المؤرخ المعروف ، الى باريس او كأحمد رضا بك الانكليزي رئيس مجلس المبعوثان اخيرا اليها ، او نزوح الداماد محمود باشا،كانت اسطنبول تقوم وتقعد فيهمس وتخافت : هل سمعت فر فلان .. هل علمت ان جيران فلان الذي فر قد اخذوا للتحقيق .. وكان ذلك السلطان العظيم الجراة يقلق جدا لفرار الشخصيات ، لا لهيبتهم في ذواتهم ، ولكن لتساؤل الناس ما السبب ؟.. وفي الحقيقة انه كان يعمل بحسن نية واخلاص ، فهو ان كان من المخطئين فخطؤه انما كان خطأ فياجتهاده .

الفصل الثالث

الحسين بن علي اميراً على مكة المكرمة

بعـد اسبوعين من حيازة والدي مقام الامارة ، تجهز رحمه الله للسفر على الباخرة المسماة (طنطا) وهي احدى بواخر الشركة الخديوية اذ ذاك . وفي يوم سفره قابل السلطان عبد الحميد مودعا، واختلى به أكثر من ساعة ونصف . وكان حزب الاتحاد والترقي يحاول الاستحواذ على الحكم ، بعد ان ظفر بما اراد من انقلاب دستوري ، بتولية المناصب كل من كان ينتمي الى هذا الحزب . وبالطبع فان فريقا من الناس الذين يتمسكون بما الفوه ، لم يكونوا راضين عما حصل ، وكانوا يتساءلون : هل المستقبل بأيدي من لا خبرة لهم في الامور ، اضمن من ايدي الالف السابق ؟..

ولقد ذكر لي والدي ان السلطان عبد الحميد قال له « اسأل الله ان يجازي من حال بيني وبين الاستفادة من مواهبك الهاشمية ، وانني لست بالامين على الدولة والملك من هذه الفئة المتغلبة » . قال فأجبته : « إن لذاتكم الملوكية في البلاد العربية الفئة التي اذا تحيزتم لها كان لكم ما تريدون من حفظ الدولة والملك ، ومتى شعرتم جلالتكم بذلك فأول بلد من بلاد العرب تقوم بالواجب المفروض هو الحجاز ، وان النبي (ص) قال (المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون) ولو فعلتم جلالتكم ذلك وجلبتم آل بيتكم معكم ، لجبيت لكم الاموال ولأخضعت رقاب العصاة ، لانكم تكونون حين ذاك فوق متناول ايديهم ». قال فاغرورقت عيناه واجاب : «اشكرك اشكرك ،بارك الله فيك، ولكن الوقت لم يحن .. » ثم وضع السلطان بيده وسام الافتخار المرصع على صدره وودعه .

وكان حضور الامير الى الباخرة قد تأخر كثيراً . وعند وصوله

حضر الى الباخرة الصدر الاعظم كامل باشا ، مودعا ومقدما اليه مذكرة يقول فيها :

« ان الخطة المباركة الحجازية مربوطة راسا بمقام الخلافة العظمى ، وانه لا يسري عليها بمناسبة الدستور الجديد ما يخالف الحقوق المقدسة القائمة بين الامارة الشريفة والسدة السلطانية . وان اعتماد الحضرة الملوكية والباب العالي على ذاتكم الهاشمية مما لا يحتاج الى تاكيد ، فقوموا بواجباتكم السامية على اساس التعامل القديم ، وفقكم الله للخير » .

ولقد كان هـــذا اول نضال بين السلطان ومتغلبة الاتحـــاد والترقي ، واول علم أعطي لامير شريف ليكون السبب في اشتغال هؤلاء بمدعيات قديمة تركز مقام الخلافة والسلطنة وتدعمها .

ولما خرج الصدر الاعظم اقلعت الباخرة ليلا ، وكان الشهر تشرين الثاني ، شهر أوائل العواصف الشتوية ، غير ان البحر لم يكن بالهادىء الساجي ولا بالهائج المائج . وكان في المعية الفريق عمر شاكر باشا المرافق السلطـــاني يحمل الفرمان ، وكنت انا في المعية ، والشريف دخيل الله العواجي والشريف محمد الشنبري ومدير الحرم الشريف المكي حافظ امين افندي ، ومعلمنا صفوت باشا العوا ومحمد شاكر افندي إمام الامارة ورجال الحاشية .

ولقد اجتازت السفينة الدردنيل بعد ظهر اليوم التالي ، غير انها بعد ان خرجت الى بحر ايجة ، هاج البحر هياجا شديدا وهب كثير من الرعد والبرق والمطر ، وهي تجري في موج كالجبال ، ولم يتمكن الكثيرون من الصلاة الا وهم جلوس . وظلت الحالة على مـــا وصفت الى ان وصلت السفينة مضايق ازمير حيث تضاءل الموج ، فرست السفينة عند الرصيف ، وقام الوالي والقائد بزيارة الامير في السفينـــة .

ثم سافرنا في اليوم التالي في بحر هادىء وجو حسن ، استمر الى أن أقبلت السفينة على طرابلس الشام ، فهاجت الريح وعصف البحر ؛ وكانت بقية ليل موحش انتهى بالوصول بالسلامة الـــى طرابلس ، حيث طرقت سمعي النداءات العربية الحبيبة ، ورأيت

النخيل وشاهدت المباني العربية ، فاحسست بشعور غريب يقول لي : هؤلاء قومك ومعشرك .. واحسست بشعور بين البكاء والضحك .

وبعد سبع ساعات في ميناء طرابلس زار رئيس البلدية والمتصرف خلالها سيدنا الامير على ظهر السفينة ، غادرناها الى بيروت فوصلناها عند آخر الليل . وكانت بيروت ما تزال عليها مسحتها الشرقية في اكثر محالها . ثم غادرنا بيروت في الثالثة بعد الظهر متوجهين الى بور سعيد ، بعد ان ابرق المرحوم برقيتين الى المدينة المنورة : واحدة الى الشيخ يوسف الخشيرم وفيها : « وصلنا بيروت وجهنا اليك وكالة اشغالنا الخاصة » والاخرى الى الشريف شحاد وفيها : « وصلنا بيروت متوجهين الى جدة ، وجهنا اليك امارة المدينة فتوجه باشراف طرفكم ومشايخ حرب وجهينة الى مكة المكرمة » .

ولقد حدث ساعة خروجنا من ميناء بيروت حادث غريب . اذكر انني صعدت الى برج السفينة في مؤخرتها ومعي اخي زيد وعابدين بن الشريف دخيل الله العواجي ، وهما بعد صغيران في حوالى الثامنة من عمريهما . وبينما نحن ننظر الى البحر وجبال لبنان ، اذ بأحمد بن محمد افندي مدير الحرم يقف خلفي وقد مد كلتا يديه واخذ بالغلامين من محزميهما ورفعهما وهو يقول : يا سيدي عبدالله ماذا تصنع لو قذفت بهما الى البحر ؟ فبهت . ثم اذا به ينظر الى صاري السفينة، فيترك الصبيين ويتوجه الى السلم الحبل يأخذه صعدا الى الصاري ويقول : يا سيدي عبدالله انا صاعد الى سيدي عيسى بن مريم ، انظره في منتهى السلم يدعوني .. فأشرت لأخي وزميله بأن يفرا ففرا . وامسكت برجليه وهو يقول «اتركني» وينظر الى فوق ويقول « يا سيدنا عيسى مره يتركني » ثم ينظر الي ويقول «والله لئن لم تتركني لأهشمن اسنانك بما في رجلي» . واذا بأحمد افندي الياور وثلاثة بحارة يهرعون الينا، فأمسكنا بالرجل وتجاذبناه كلنا ، ووالله لم نأخذه حتى كاد يعيينا . ثم اخذوه وانزلوه الى احد عنابر السفينة لئلا يؤذي احدا او

يتاذى . وقد رآه الطبيب فقال ان به مسا في عقله .

وفي بحر شديد الرياح والامواج ، وبعد ليلتين وعند الضحى ، رست السفينة ببور سعيد ، فقدم الشيخ عبدالله باناجه باشا ، ومعه اخوه احمد افندي باناجه ، ولكن لم يتمكنا من الصعود الى السفينة لمناسبة الحجر الصحي وقد تبادل المرحوم البرقيات مع المرحوم الخديوي عباس ، ثم تحركنا من بور سعيد ليلا الى السويس ومنها راسا الى جدة .

استقبال الركب الاميري

وكان الوصول الى جدة في اول اسبوع من ذي القعدة سنة ١٣٢٨ هـ. فاقبلت السنابك الشراعية نحو السفينة ، وفيها مئات الرجال من شرفاء وعظماء ومشايخ عربان واخذوا يدخلون على المرحوم وكلهم دامع العين شوقا وسرورا .

اما الشرفاء فمن آل محمد بن عون : محسن بن عبدالله بن محمد بن عون ، واخوه عبدالله ، وجميل بن ناصر بن علي بن محمد ، واخوته عبد المعين وزامل . ثم كان يتقدم اشراف الطائف الشريف زيد بن فواز بن ناصر ، وابنه عبدالله ، وابن أخيه شرف ، وبنوه حمود وشاكر وعلي . ثم كان هناك من الفعور الاشراف : حمزة بن عبدالله ومستور . وكان الشريف فتن بن محسن ، وكان من اشراف تهامة : الشريف احمد بن منصور، والشريف شرف بن عبد المحسن، ومحمد بن عبد المحسن ، وناصر بن شكر ، وسائر ذوي حسين . ثم شرفاء المضيق الحرث ومشايخ حرب وهذيل . ومن العلماء مفتي مكة المكرمة الشيخ عبدالله سراج يتقدم العلماء كلهم .ثم من لا اعرف من الناس . وإن انس لا انس ما كان يردح به مقدم بيشة ، حيث قد نبأ بردحته عما حصل بعد « اطرد الخوان واسلم ، وباعد من شرد يا ملك مكة ، ويا سلطان جميع العرب » .

كانت الاقامة في جدة ثلاثة ايام ، وكنا في الاحرام ، حيث اهللنا من محاذاة الجحفة في البحر ، فتحرك الركاب الاميري بعد صلاة العصر قاصدا (بحره) وكان الركب يمثل جلال القومية في روعة وهيبة ، فلا تقع عينك الا على عربي فالركاب والخيل والازياء

والادب عربي هاشمي .

ولما اتسع المجال في الخبت خبت جدة ، اخذ الفرسان يظهرون انواع التمارين على خيولهم مثنى وجماعات ، فسار الركب العظيم على تلك الحالة ، الى ان وصل الى الرغامة ، وهو اول حد الجبال من خبت تهامة ، فنزل الوالد وصلى المغرب ، وكان على جواد اشقر (كحيلان النواق). وحين اراد الركوب طلب احدى الركائب العمانيات فقدمت اليه ناقة كريمة من خيار عمانيات الحجاز تسمى (غروة) ، ولما وضع ركبته على الرحال قال « تعود لجداتها ولو قرحت » . ثم ركبت انا ايضا ذلولا عمانية اسمها (الشرفاء) .

وسار الموكب على بركة الله ، وكان الشريف حمزة الفعر المعروف بالثرثرة الى جانبي ، فقال « امسك العصا من هنا وضع الرسن ها هنا ، تقدم الى الامام والو يمنى رجليك الغزال ، ثم اسدل يسراك عليها واحثث الذلول بعرقوبك » الى غير هذا مما يرى انه واجب عليه قوله ... ولما اكثر احفظني واغاظني وبالطبع كنت لا احسن ركوب المطايا ، لسفري من الحجاز وانا طفل وغيبتي الطويلة ، فقلت له « ليتلطف الشريف ويعلمني الركوب متى تفرغنا لذلك ، والا فالسير على الاقدام احب الي من ان تباريني بهذا الشكل » فلامه الناس وندمت على ما قلت ، لانه ربما كان حين ذاك فوق الخامسة والسبعين من عمره .

ذكرى ليلة

ما كان اروع تلك الليلة !.. كان يتقدم الامير رتل من المشاة السودان الذين يسمون (البواردية) ، تتقدمهم جنائب الخيل وهي ست تقاد ليطلب ايها شاء ، يتقدمها خمس من نجائب الركائب تقاد ايضا وقوادها راكبون على مثلها ، وعلى يمينه ويساره المشاعل يحملها الرجال توقد بالحطب ويقذف فيها اللبان واهازيج الحرس الراكب وحداؤه .. فكان موكبا شريفا تحفه الاشاوس من هاشم والنجباء من المنتمين لربيعة او مضر . فبلغ الركب الميمون (بحره) في الساعة الخامسة من الليل ـ بالساعة الغروبية ـ فعدل الى حيث المناخ المخصص وبه المضارب الهاشمية في بطحاء كاللؤلؤ من

وادي مر الظهران ، فنزل وامر بالعشاء وكان مهيأ لكافة من حوى الموكب ولمن جاء لاستقباله من مكة .

ثم نادى المنادي بالركوب بعد العشاء فورا ، وكان ذلك اشد شيء علي حيث اخذ مني التعب كل ماخذ ، فقدمت لجلالتــه بغلة فارهة شهباء ، وركب الى جانبه الشريف زيد بن فواز أسن آل عون يومئذ ، وركبت انا ذلولي وخشيت تدخلات حمزة ، ولكن سلمني الله منه .

وقد ادركنا الصبح في البازان بعد ان اجتزنا الحديبية ــ ولعل هذا الاسم يعرفه كل عربي مسلم ــ فصلى الصبح هناك ثم تريث حتى اسفر ، فطلب احدى ركائب الخيل فجيء له بجواد اشقر اسحم يقال له عبد الرحمن ــ نسبة الى مهديه عبد الرحمن باشا اليوسف امير الحج الشامي ــ وكان من احسن جياد الشام ، فأخذ يتهادى تحته ويصول كأنه قد عرف من عليه . ولقد ذكرتني حالته قول الحادي الذي حدا بالامام علي زين العابدين،بعد ان حدا هشام ابن عبد الملك حيث قال :

يا أيهــا البكر الذي أراكا   هلا عرفت اليوم من عــلاكا

ان عليا قد علا ذراكا

وهكذا يمسك الآخر الاول ، ذرية بعضها من بعض .

سرنا واذا بجبال مكة : ثور وخندمة وحراء ثم ابي قبيس وقعيقعان ، حتى بلغ الموكب الهجلة حيث ضربت خيام الاستقبال ، وكان فيها كل من بمكة وكل من بالطائف ومن لحق من اهل المدينة ، يتقدمهم الشريف ناصر بن علي شقيق جلالته ، ووكيل امــير مكة ووالي الحجاز وقائدها المشير كاظم باشا وهيئة الولاية وقاضي مكة ، ومن العلماء الشيخ بابصيل والسيد عبد القادر الشيبي وابناؤه الشيخ حسن والشيخ عبد الله وآخر ، وكبراء عشائر عتيبة يتقدمهم جابر بن هليل الذئيبي السعدي ــ نسبة الى حليمة بنت ابي ذؤيب ظئر النبي (ص) ــ وهو رئيس عشيرة الثبتة ، ورؤساء عشائر حرب يتقدمهم ابن عسم ، وعشائر هذيل .. كل عشيرة عليها رئيسها ومقدمها .

وبعد السلام أم المسجد الحرام ، فنزل وطاف ثم سعى ، ثم أم دار الامارة وجلس مجلسا عاما قبل ان يضع احرامه . فسلم عليه الخاصة والعامة حتى انتهوا بعد صلاة الظهر .

اما انا فقد انهزمت الى الجناح الذي خصص لي فحللت الاحرام ودخلت الحمام ، ثم اضطجعت وقد غلبني النوم بالرغم من حر مكة شرفها الله ، ولم يوقظني احد ، حتى الغداء تركته يومئذ ؛ وكنت بجوار العم المرحوم الشريف ناصر، وكان يهديني الىما اجهله ويعلمني كل ما يجب ان اعرف .

ولقد كانت تلك الليلة ــ أي أول ليلة امضيناها بمكة بعد الغيبة الطويلة ــ اسعد واشرف ليالي على الاطلاق ، حيث العودة الى الوطن برضا الباري وبالعز وبالرفعة ، شاهدت فيها الاهل والاحبة . ولقد تحسست بأحاسيس غريبة ، وخصوصا لما تشرفت بتقبيل انامل الشريفة فاطمة الكبرى بنت محمد ابن عون وعمة والدي ، وهي آخر ذرية محمد بن عون لصلبه ، حيث قبلتني في جبيني وقربتني وادنتني ، وكانت سيدة طويلة بيضاء سبطة اليدين طويلة الانف عريضة الجبين مهيبة ، ثم تشرفت بالعمة الكريمة زين الشرف بنت علي بن محمد .

وتتالت الايام ، وكل يوم يفد فيه من شتى البلاد رجالات لهم مكانتهم في محالهم وعشائرهم .

هـذا ولا ينبغي ان اغفل ذكر وفد حزب الاتحاد والترقي التركي ، عندما سلم على الامير بجدة ، اذ تكلم رئيس الوفد عبدالله قاسم قائلا :

حزب الاتحاد والترقي

« جئنا نرحب بالامير الدستوري الذي يؤمل من سيادته ان يضرب صفحا عن الاصول الادارية القديمة وعن الظلم الذي كان يرتكبه الشريف عون الرفيق والشريف علي ، تبعا للادارة المستبدة السابقة وارضاء للسلطان . وأن البلاد اذ تحيي سيادة الامير فانها تحيي فيه الامير الذي عرف روح العصر والتجدد المطلوب للعمل ، تحت الدستور الذي هو نبراس السلامة » .

ولقد كان جواب سيدنا الامير :

« لقد حظيت بمقام اسلافي وآبائي على الشريطة التي بايع بها الشريف ابو نمي السلطان سليم الاول . وان هذه بلاد الله لا تقوم فيها غير شريعة الله المشتملة على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهي حريصة على الاحتفاظ بحقها . فليذهب كل منكم ليشتغل بما يخصه، المأمور في وظيفته والتاجر في تجارته والصانع في حرفته، واياكم من قال وقيل وما يقولون ، فهذه بلاد الله ليست بملك لاحد . وان السلطان الآمر بالدستور ، الذي تذكره والذي أمر بأن يعمل في بلاده ، يفتخر هو واسلافه بأنهم خدام الحرمين الشريفين . دستور بلاد الله شريعة الله وسنة نبيه . »

فخرجوا يتعثرون،وكتبوا الى الاستانة والى مراكزهم يقولون: بعث عبد الحميد برجل جلس على مقام اسلافه لا يعبأ بأحد ولا يقر بدستور ولا بتجدد . وقد ابتدأت الحرب بينه وبين الاتحاد والترقي من تلك اللحظة .

الشريف علي بن عبد الله امير مكة السابق

وفي مكة ، وبعد اقامة ثلاثة ايام فيها ، امرت بالسفر الى الطائف ، لاستصحاب الامير السابق الشريف علي بن عبد الله بن محمد بن عون ، وهو خالي شقيق والدتي وابن عم والدي ، والقدوم به الى مكة المكرمة . فتوجهت من مكة اول ذي الحجة عن طريق عقبة كرى ، ومعي الشريف جميل بن ناصر ابن عمي ، وابنا خالي الاصغر محسن بن محمد وعبدالله بن محمد ، فمررنا في طريقنا على منى ثم عرفات ثم وادي المحرم فالحراجل فالكر وقضينا الليل به. والكر هذا موقف بأسفل قرية كرى،وكرى جبل من السراة ارتفاعه عن سطح البحر الف وسبعمائة متر . ولما اصبحنا استانفنا الطريق صعدا ، على البغال ، وكان الطريق يتلوى يمينا ويسارا بانحرافات ضيقة وببعض محلاته درج وعتب ، وهي مخيفة لعلو جبلها ووعورته وميله الشديد ، يمتد ثلاث ساعات ونصفا وينتهي الى المعسل ـ والمعسل ماء ينبع من الجبل خفيف عذب شديد البرودة ـ ثم يصل الراكب الى الهدى ، والهدى قرارة في رأس الجبل ، بها

انواع الاشجار المثمرة والمياه العذبة والقرى الجميلة ، يكون بـه احسن العسل ، وهو لقريش والنمور ـ وقريش هؤلاء بقيـة من قريش الظواهر ـ واذا قام الرجل براس العقبة بعـد الظهر يرى جدة والبحر . فقابلنا هناك اهل الهدى احسن استقبال ، ونزلنا في دار شيخ القرية . وبعد ان سلم علينا اهلها قدموا الينا « اللطف» وهو على لفتهم فكوك الطريق . ولطفهم خبز سميك يرفع بالكلاليب في طست عظيم يوضع في وسط السماط وعلى يمينه ويساره مثله ، يأتي احدهم يطعنه بجنبيته او رمحه فترى البخار يخرج من خلاله، ويأتي آخر وبيده عكة من سمن الشفا المخدوم فيريقه عليه ، والآخر وبيده عكة من العسل المصفى، فيتبع السمن العسل ، ثـم يؤتى بالجبن الابيض في أوان متوسطة ولحم سليق مبرد وشيء من الملح الصخري والفاكهة الموجودة ، إما العنب او ما يكون من فاكهة الموسم وان كان الوقت شتاء جاؤوا بالزبيب الرازقي الذي لا بذور له .. هذا هو اللطف الذي قدم لنا . وبعد ان انتهينا من فطورنا جاؤوا بالقهوة الخفيفة ، ثم دعينا الى الصعود على راس الحبلة ـ والحبلة جبل اسود فوق الهدى ـ فلما صعدناه رأينا في ناحية الفرب البحر تتلألأ فيه الشمس ، ورأينا من ناحية الشرق (حضن) جبل البقوم الذي جاء عنه الحديث الشريف (من رأى حضنا فقد انجد) .

ومررنا في طريقنا على الشريف الحسين بن زيد بن فواز ، وكان في مرض موته فأحزنني منظره . ولقد قال لي : خرجت من الطائف للقاء سيدنا بجدة ، ولكن أعجزني السفر وقعد بي المرض ، وها قد كافاني الله بأن رأيتك . وكانت وفاته بعد ذلك بيوم .

وعدنا الى دارنا التي نزلنا بها ، وجاؤوا بالغداء ، واذا هـو ست ذبائح : ثلاث ندى ـ وهو يصنع بطريقة خـاصة في حفرة جمرية يختم عليه حتى ينضج فاذا أخرج بعد نضوجه وضعت حوله اقراص من الفطير واوان بها العسل واوان بها الطحينة ـ وثلاث ذبائح سليق تحتها الارز المطبوخ بالمرق . وكانت الفاكهة العنب. فتغدينا ثم استأنفنا الطريق بين البساتين النضرة المثمرة تحف بها عرش الاعناب . وبالجبل هذا اشجار السرو والعرعر والعتم

والبشام والقيقب. ثم انحدرت بنا الطريق من النقب الاحمر، ومرت على الدار البيضاء وهي قرية لقريش بها العنب واللوز والخوخ وسائر اشجار الحجاز المثمرة كالعناب والكمثرى والبخارة، فاجتزناها ومررنا بقرى اخرى بوادي المحرم الشرقي، ثم ارتفعت بنا الجبال واذا بالطائف المأنوس في قرارته الفسيحة وواديه الخصب ومروجه وهضابه الحمر ومساكنه البيضاء الضاحكة، وقراه كالمثناة والسلامة وقرواء والعكرمية وشهار وحواية ثم شبرا — وبها القصر الملكي — وقابلنا هناك الشريف جعفر بن ناصر موفدا من الشريف علي ابن عبدالله .

مع الامير السابق

ولقد وصلنا والمؤذن يؤذن لصلاة المغرب، فصلينا جماعة مع حاشية الامير السابق، وبعد الاستراحة وتبديل ثياب السفر دعينا الى حضرته جميعا، فدخلنا عليه وهو بدار النساء وسلمنا وقبلنا يده، فمال الى اليمين بحركة خفيفة وامرنا بالجلوس فجلسنا، فرحب بنا ثم قال :

كيف حال سيدنا ؟

— بخير يقرؤك السلام ويتشوق الى رؤية سموك، وقد بعثني لأكون في الصحبة الى مكة .

فقال : السفر غدا ان شاء الله . ثم أشار الى جميل ومحسن وعبدالله بأن يخرجوا فخرجوا، واستبقاني وقال لي :

ما الذي ستفعلونه بي ؟

قلت : الخير كله ان شاء الله .

قال : هل ترضى يا عبدالله بسفري الى اسطنبول فيفعل بي سفهاء الاتحاد والترقي ما فعلوه بوزرائهم ؟

فأجبت : لا يكون ذلك ان شاء الله .

وسأل : كيف ؟

فقلت : الذي تحب، انرايت البقاء فانت في بلادك بعد ان تتفاهم مع ابن عمك، وان اردت الخروج فابق بمصر ولا تسافر الى اسطنبول من هنا الا بعد ان تطمئن .

فتساءل :تضمن لي هذا ؟
فأجبت : أسعى ان شاء الله .
فقال : ألست خالك ؟
فقلت : بلى والله .
فقال : أترضى لي الاهانة ؟
فقلت : حاشا لله . ولكن علي عهد الله لك في انني ان عجزت عن تنفيذ رغبتك ان لا افارقك حيث تسير . فقال : رضيت الآن .. ودمعت عيناه ثم قبلني .

كان السفر ، كما امر الخال المرحوم ، من الطائف الى مكة ، فتوجه ركابه ومعه عائلته الكريمة الى مكة عن طريق ذات عـرق والزيماء فمكة ، ودخل مكة المكرمة ليلا . وكنت عرضت لسيدنا الوالد في رسالة خاصة كل ما قاله لي . واول ما وصل قصد الوالد، فقابله من باب البهو ، فتسالما ثم تقدما الى المجلس فاجلسه معه على على سريره وخرجنا نحن . وبعد ساعة استـأذن وخرج الى داره بالسبعة أبيار ، فاستدعاني الوالد وقال : لا ارى على خالك اثرا من مرض . فقلت له : انه مريض روحيا .

وفي الصباح استدعاني ، واذا في المجلس العم الشريف ناصر والشريف زيد بن فواز بن ناصر امير الطائف ، فقال : ما رأيكم في علي باشا ، هل يقيم هنا ام يسافر الى اسطنبول ؟ فقال الشريف زيد بن فواز : نحن في خدمة من يتولى الحكم منكم مقام اجداده ، ولم تجر العادة بأن نبدي رأيا في ما يخص سادتنا ، فأرجو اعفائي ، وما يقر عليه رأيكم فلا خلاف منا فيه . فالتفت الى العم المرحوم وقال : كيف ترى ؟ اجابه : ارى لزوم نفيه الى اسطنبول ، لان في بقائه هنا ما لا تحمد عقباه ، وهو غني مثر ، والترك لا تؤمن غوائلهم، تعمل فيهم الرشوة ما لا يتصور . ثم التفت الي وقال : ما رأيك ؟ فقلت : انه يطلب أما البقاء هنا او السفر الى مصر ، وان أحب المقام بمكة فلا ضرر ، وقد بقي الشريف عبد المطلب بن غالب وهو معزول في بيته وعون الرفيق بن محمد امير ، فما الذي حصل ؟ وان هو أحب السفر الى مصر والاقامة فهو الاحسن له ، فيسلم من أذى



صاحب الجلالة المغفور له الملك الحسين بن علي
عندما كان عضواً في مجلس شورى الدولة
في عهد السلطان عبد الحميد



المغفور له صاحب السيادة الشريف ناصر بن علي
شقيق المغفور له الملك الحسين بن علي



مراسم تعيين المغفور له الشريف الحسين بن علي شريفاً على مكه



صاحب الجلالة المغفور له المنقذ الاعظم

الحسين بن علي

الاتراك ونكون قد عملنا على أن يبتعد عن الحجاز بالنسبة لملاحظة العم المحترم ، وانني قد تعهدت له بأنه سيق الى اسطنبول فانني أسافر معه يصيبني ما يصيبه . فقال العم : متى جرت العادة في اخذ رأي من كان في هذه السن ؟ فقال الوالد : انه ميمون الرأي .

انتهى المجلس ، وتقرر سفر الخال الى مصر بعد الحج والحمد لله . ولقد شاهدت في وجه العم المرحوم أثر الاغبرار . ولو سافر الخال الى اسطنبول لأهين او ابتزت امواله . ولو فرض وسلم لكان محل تهديد للوالد ، وفي الوقت نفسه يكون الحائل للعم في ما يصبو اليه من مقام الامارة بعد اخيه .

الحج الى بيت الله الحرام

كانت مكة تفوص بحجاج العالم الاسلامي : القرم، وبخارى، والداغستان، والروم ايلي، والشركس، والقازان، والكرج والاتراك، والمغرب الاقصى، والجزائر، وتونس، ومصر، وجاوه، والهند، وجنوبي افريقيا ، والسودان ، وحجاج بلاد العرب من الشام واليمن والعراق ، وحجاج ايران .. الكل في زيه ومعه الكثير من تحف بلاده وبضائعه ، وكما قال الله تعالى (ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في ايام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام) ، وكلهم يهلل «لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك، ان الحمد لك والملك لك لا شريك لك » .

والحج هو موسم الاسلام ، فريضة تؤدى ، وتعارف يحصل ، واخوة تؤكد . وكان في ذلك العام الوارد من البحر مائة وسبعة وثلاثين الف حاج . وكان أمير الحج الشامي عامئذ عبد الرحمن باشا اليوسف المعروف ، وكان بعد عبوديته ــ وجده سعيد باشا ــ لسلاطين آل عثمان ، انتقل الى انه علم من اعلام حزب الاتحاد والترقي ، وقلب الى سادته ظهر المجن ، فأبى الرجوع بالحج الشامي بطريق البر ، مدعيا عدم الامان ، يريد بهذا اثبات عدم كفاءة الامير الجديد . وأصر الشريف بلزوم رجوع الحج الشامي ومحمله ، على عادته بطريق البر ، فترك عبد الرحمن باشا الحج وسافر بحرا الى مصر فالشام .

وتوجه ركب الحجاج، وعليه العم الشريف ناصر بن علي، ليوصله الى الشام ، وكنت معه . وكان السفر يعتبر كل يوم من أيامه عيدا ، بمراحله ورحيله ونزوله . فزرنا المصطفى صلى الله عليه وسلم . ما أعظم ذلك الموقف ، والمرء مستقبل المواجهة الشريفة يقول « السلام عليك يا رسول الله . . . السلام عليك يا حبيب الله . . . السلام عليك يا خير خلق الله . . جزاك الله عنا خير الجزاء . . لقد بلغت عن ربك الحق وأديت الرسالة ، وجاهدت في الله حق جهاده ، وكنت بالمؤمنين رحيما » . .

وبعد اقامة ثلاثة أيام سافر المحمل ، واميره ناصر بن علي ، بالسكة الحديدية الى الشام . ولقد كنت معه ايضا . وفي صباح الغد من سفرنا ، بلغنا تبوك ، ونزلنا جميعا الى الحجر الصحي الاحتياطي لمدة سبعين ساعة .

اما تبوك ، فتقع في أرض مكسوة بقطع الصوان واحجار متكسرة ، بها عين ونخيل ، والجبال غريبها ، فأقمنا مدة الحجر في الارض المخصصة للحجر ، وهي مربعة محددة بقضبان من حديد ، مجهزة بأسلاك شائكة ، ولها ابواب ، وبها قساطل للماء الجاري لها حنفيات يجري منها الماء ، يخصص كل مربع لعدد معين من الخيام ، ويمنع الاختلاط حتى تتم المدة . وهنالك ثلاثة أجهزة للتعقيم في مبان مخصوصة ، تعقم بها أمتعة الحجاج وملابسهم . وكانت ليالي تبوك باردة ، والموسم أواخر كانون الاول ، والنهار بارد أيضا .

وبينما كنا هناك وردت برقية من ناظم باشا والي الشام الى المرحوم العم ، يقول فيها انه متغيب وانه سيبعث بمدير اوراق الولاية أو سكرتيرها — على لغة اليوم — لاستلام المحمل والركب . فاجابه بأنه هو بذاته الذي سيوصل الحاج الى الشام . ووردت برقية من المرحوم عطا باشا البكري يدعونا بها الى النزول في داره . ولم يبق عين من أعيان الشام الا ودعانا الى النزول عنده ، وكان البكري هو السابق فأجيب بالقبول .

في دمشق

ولما وصل القطار الى محطة القدم ، كان الشام كله هناك ، فخرجنا من القطار واستلم الوالي المحمل ، وهيئت لنا من الخيل آصلها وأفرهها ، فسرنا حتى وصلنا الى مكان به جماعة عظيمة من المستقبلين ، وقد هيأوا خيمة كبيرة ، فترجلنا . وخطب الخطباء مرحبين ، وكانت قصائد ترحيبية يتقدم بها شعراء بلغاء ، فشكرهم العم المرحوم بما يقتضي . ثم امتطينا ركائبنا فزرنا الوالي بدار الحكومة ، ومن هنالك الى دار البكري ، واكرم به من مضيف كريم قام بالواجب وزيادة . وكانت اقامتنا بالشام سبعة أيام ، ندعى فيها من بيت كريم الى بيت كريم ، اما لغداء أو لعشاء .

ومن الغريب تلك النشرات التي وزعها عبد الرحمن باشا اليوسف، واثبت بذلك نفسيته وما في قرارة ذاته. ففي نشرة موجهة للوالد المرحوم فيها ابيات من الشعر منها هذا البيت :

ان كنت تبغي ملك مكة فاعلمن ان المليـك بهـا هو الدستور

وفي اخرى موجهة الى العم المرحوم يقول فيها :

انت يا هـذا ثقيـل وثقيـل وثقيـل
انت في المنظر انسان وفي الميزان فيـل

وفي نشرة موجهة الي ، قال فيهـا : « الى سعـادة الشريف عبدالله بك ـ انك لا تستحق الهجو ولا المدح» .

بهذا لامه الناس ، ونشرت قصائد عديدة في هجوه ، ونصح له بأن لا يخرج لئلا يضربه الناس ، لانه أساء الى ضيوف الشام . ولكنه قتل اخيرا بدرعا مع الوزراء ، بعد خروج المرحوم الملك فيصل من سوريا .

ولقد ابتعت بوساطة المرحوم البسام رمكة من آصل الخيل ، وهي (الكحيلة الجعيثنية) حمراء سمراء لها غرة ، عريضة الحوافر قصيرة مربط اليدين . واهدى هولو باشا الى المرحوم الوالد رمكة سوداء جليلة تنسب (كحيلة عجوز) . وهناك خيول أخرى أهديت.

ثم توجهنا الى المدينة المنورة بالسكة الحديدية ، وكان الوصول بعد الحركة بثلاثة ايام ، فأقمنا بها عشرة ايام ، اصلحنا فيها بعض ما يجب اصلاحه من امور تتعلق بعشيرة حرب . وعند رجوعنا الى

مكة وجدت بالحجاز الاخوين عليا وفيصلا ومن كان بقي من الاهل باسطنبول كما وجدت سيادة الخال قد سافر الى مصر عن طريق البحر ، ومعه ابن اخيه محسن بن محمد . وكان الحجاج ينصرفون كل الى بلاده .

أما والي الحجاز يوم ذاك ، فهو المشير كاظم باشا ، وقد بنى خط السكة من معان الى المدينة ، يوم بناها السلطان عبد الحميد ، وترأس أعمالها في اسطنبول المرحوم احمد عزت باشا العابد . وقد استقال هذا الوالي وسافر . وكان الامير يرى أمور الولاية ايضا .

وفي تلك الاثناء فوجئنا بحركات محمود شوكت باشا . وبخلع السلطان عبد الحميد ، وجلوس ولي العهد رشاد بن عبد المجيد خان الخامس. وكانت تلك الاحداث من ملاعب الصبية من الاتحاديين، فاغتصبوا الملك وتحكموا في السلطان وفي الرعية .

ولقد علمت وانا بالشام ، نفور الناس وخصوصا الشباب ، فانهم كانوا على وثبة لفصم العرى . ولم يقتصر الامر على هذه الفئة من الناس ، بل عم التشويش الاكثر ممن كان يحب السلطنة العثمانية ، لعبث شباب الاتحاد وتحكمهم وسقوط هيبة الحكومة . هذا ما شاهدته في غير الحجاز من بلاد العرب.

وان أعمال المنتدى العربي باسطنبول ، وشعبه في سائر بلاد العرب ، وما كتبته جريدة (اقدام) التركية عن هذا المنتدى وعن العرب وهجوم شباب العرب على مطبعة الجريدة المذكورة وتحطيمها ، كل ذلك من الاشارات البارزة الى ما قد وقع من انقطاع الصلة بين العرب والترك ، لضعف آرائهم في قلب الادارة السلطانية الخليفية الى حاكمية ملية دستورية في زعمهم ، وابدال الهيمنة العربية الاسلامية بالسيطرة الروحية القانونية الغربية . وبعد ان تركز الامر في اسطنبول ، جاء الوالي فؤاد باشا ، بينما سيدنا الوالد في الطائف ، وهو عسكري برتبة فريق ــ كان مستشارا للسر عسكر باسطنبول ــ غبي لا يدري من أين تؤكل الكتف .

وكان قبل الطلوع الى المصيف بالطائف ، صدر امر الامير بغزو بني الحارث ــ بطن من بقايا الحارث الاول ــ وهي عشائر بين بلاد

البقوم بوادي تربة وبين بلاد النفعة من عتيبة شرقي وديان الطائف ، لقطعهم الطريق وعدوانهم على من جاورهم . وكانت هذه العشيرة تنزل شرقي بئر وهضبة سامورة بركبة . فغزونا على ترتيب الغزو المعروف : قوة درك راكبة هجانة ، وفرسان من خاصة الامير ، مع قوات من العشائر الطيعة . فجوزوا بما كانوا يفعلون ، وخضعوا بعد ذلك واطاعوا .

ثم تبع هذا الغزو غزوة هذان (جبل بالحرة) على الطريق الشرقية من مكة الى المدينة المنورة ، وكانوا يخيفون الحجاج ولا يؤدون الزكاة ، فغزوناهم بأمر الامير وهو في مكة المكرمة اذ ذاك ، وكانوا بمحل صعب ، وكان ذلك اليوم يوما عجزت فيه القوة من تأديب تلك العشيرة التأديب الكافي . ولقد اصابتنا اصابات بليغة ، ولكن تراجعنا بعد أن قتل عدد من الشرفاء ، واصيب بجراح عدد ، وقتل من القوة البدوية مشائخ وفرسان . وقد اصبت برمية اخترقت فخذي ، ولكن الله سلم . وعادت القوة الى الطائف . وقد برئت بعناية الله في خمسة وعشرين يوما ، على يد طبيب عربي من ثقيف .

الادارة العثمانية

وبعد رجوعنا من هذا الغزو ، وبعد وصول الوالي الجديد بأسبوع، وفيما انا بعد الظهر في حضرة الامير رحمه الله ، واذا بمذكرة ترد من الوالي ، ففض الامير ختامها وقراها وقال : هذا مجنون .. ثم رمى بالمذكرة الي ، فلما تأملتها وجدته يقول انه تلقى برقية من مدير الجندرمة ووكيل الوالي بمكة ، تفيد ان فئة في مكة يرأسها الشريف زيد بن فواز قائمقام الامارة بالطائف قد عزمت على حركة ثوروية يوم الجمعة ، بهجوم يقومون به ضد سلطات الحكومة ، ولذلك فانه يطلب القاء القبض على الشريف زيد ومن معه ، وسوقهم الى التحقيق والمحاكمة .

ولقد اجابه الامير على الفور بانه متوجه الى مكة المكرمة التحقيق في هذا الامر الذي هو فرية شائنة ، دليلها نسبتها الى الشريف زيد بن فواز وهو المخلص الامين ، وانه اقامه بالطائف

وكيلا للامارة علاوة على وظيفته . وتحرك ركابه للحال بعد الظهر ، فأصبح بمكة بعيد الشروق مع الطريق الطويلة ، وأم « الحميدية » دار الحكومة ، ونزل واستدعى وكيل الوالي مدير الجندرمة ، وقال له : حضرت لتحقيق ما قلت انه ثابت لديك ، من حركة مدبرة في مكة يوم الجمعة ، واني آمر الان بأن تتألف لجنة تحقيق تراسها انت وقومندان العسكرية وقاضي مكة المكرمة ، ويكون فيها باسم الامارة ابني عبدالله . فامتثل وكيل الوالي وجمع اللجنة المذكورة .

وبالطبع ، وحيث ان الخبر نشأ منه ، فقد سألته عن المصدر ، فعجز عن اسناده الى شخص مسؤول ، وقال : « انا لا استطيع بيان اسماء رجالي الذين يعملون ساهرين على الامن العام ».

فقلت : اليست هذه لجنة تحقيق رسمية ؟ واضفت مخاطبا اياه : ان اتهاماتك موجهة لشخصية كبيرة في البلاد ولسكان حرم الله ، وان لم تفعل فلا يسع اللجنة الا ان تعتبر هذه الاخبارية كاذبة تسلب عنك الاعتماد .

عند ذلك قال : ان زوجتي سمعت هذا الخبر من امراة كانت تصلي معها في المسجد الحرام في قفص النساء .

فقلت : حسن ، هذا طرف الحبل ، ولكن من هي المراة ؟

قال : لا نعرفها ولا يمكن العثور عليها . فهيء محضر الجلسة على هذا ، ووقعه اعضاء اللجنة ، وهو منهم ، وقال : هذه وظيفتي، سمعت وكتبت .. ورفعت اللجنة تقريرها للامير ، وارسلت برقية بمضمونه للوالي بالطائف ، واعتبرت المسألة مسألة افتراء ونذالة . وكتب الامير برقية بالواقع الى الصدر الاعظم بالاستانة ، وكان الصدر الاعظم يومئذ سعيد باشا ، ووزير الداخلية رؤوف باشا . ولما وصلنا الطائف بعد ثلاث ، كان امر عزل الوالي ومدير الجندرمة قد وصل ، وكانوا على اهبة السفر .

هذه نبذة من نبذ الادارة العثمانية ، التي جرت الى نفور العرب ، تلك النفرة الهادمة لهذا الشرق الاسلامي ، وكانوا هم السبب .

قائم باعمال الادارة

توجه الوالد الى نجد ، للنظر في مسائل عشائر الحجاز ، التي كانت تتخاطفها رغبات اميري نجد ، ابن سعود وابن رشيد . وتوجه معه كل الامراء والاشراف ، وبقيت وكيلا عنه في مهام امور الامارة. فكان هنالك حادث القبض على الامير سعيد بن عبد الرحمن بن سعود وهو يزكي عشائر عتيبة ، ثم تم اطلاق سراحه ، وعاد الوالد.

وفي اثناء غيابه ، فصلت الحكومة العثمانية المدينة المنورة عن ولاية الحجاز . وكان المحافظ يومئذ علي رضا باشا الركابي ، وكان الوالي كامل بك . فوردت برقيات من وكيل الامير بالمدينة ، تنبىء بأن المحافظ اقام حفلة كبرى وانبأ وكيل الامير بأن لا صفة له بعد الآن . ووردت برقيات من الشرفاء ورؤسا العشائر معترضة على ذلك .

فكتبت الى الباب العالي ـ وكان الصدر الاعظم يومئذ ابراهيم حقي باشا ـ اسأله عن مسؤوليات الامارة عن قوافل الحجاج والزوار ، هل هي كما كانت الى مدائن صالح أم الى محل معين بين الحرمين ؟ . . ثم طلبت الوالي فحضر ، فسألته : هل فصلت محافظة المدينة عن الولاية ، وهل ان مسؤوليات الامارة هناك قد الغيت ؟ فقال لي : هل بلغك ذلك ؟ قلت : نعم ، واطلعته على البرقيات وعلى نسخة برقيتي للصدر الاعظم . فقال : نعم بلغت ذلك رسميا وكان جوابي الاستقالة، لان الاجراء تم دون اخذ رأيي وانا والي الحجاز ، فاكبرت عمله وودعني عائدا الى دائرته .

وبعد خروجه بساعتين ، ورد جواب الصدر الاعظم يقول فيه :

« ان ارتباط المدينة المنورة بمركز السلطنة بخطوط تلغرافية وبالسكة الحديدية ، يضمن السرعة في المخابرات لذلك اعتبرت المدينة المنورة محافظة مستقلة مربوطة بوزارة الداخلية راسا لا بالولاية . واما تبعات الامارة الجليلة وحقوقها فهي كما كانت من مكة المكرمة الى مدائن صالح » . وقد بلغ ذلك الى ولاية الحجاز ومحافظة المدينة ، وانتهت بهذا عملية الركابي باشا غير المشكورة . وكان حين ذاك لا يتكلم الا باللغة التركية ، وكنت ـ وهو محافظ المدينة ـ أوصلت الحج الى طيبة على ساكنها افضل الصلاة

والسلام ، فزارني امير حج ابن رشيد ، وقال ان المحافظ منعه من دخول المدينة المنورة ومعه علم ابن رشيد ، وهو علم اخضر مكتوب عليه (لا اله الا الله محمد رسول الله) فاذا لـم يسمح لـه بذلك فسيعود بالحج ، وانه كلم المحافظ بعزمه فلم يأبه له . فزرت الركابي باشا ، وقصصت عليه ما بلغني ، فقال : لا يدخل هذه البلد ولا يرفع بها الا العلم العثماني .

فقلت : يا حضرة الباشا ، جرت العادة بهذا ، وقد دخل مكة ومعه علمه ، فاذا اصررت على رايك عاد ومن معه قبل ان يزوروا المصطفى صلى الله عليه وسلم، فماذا يكون اذا دخل كالعادة السابقة؟

قال : لا يكون هذا ابدا .

فقلت : الامر خطير ، وانا اسالك كمحافظ ، وسأسأل وزير الداخلية ببرقية ، بصفتي النائب الحجازي في مجلس المبعوثان ، عن حقيقة ابن رشيد : هل هو صاحب امارة مستقلة ، لا ينبغي رفع علمها الا باذن ومراسيم خاصة ، أم هو أمير تابع للدولة يحمل علم الحجاج الاخضر ، لان محافظ المدينة رفض دخول الحج على الطريقة المعتادة ، وقال ان لا علم هنا غير العلم العثماني ، وبهذا يشير الى ان ما بيد أمير الحاج علم غير عثماني ؟ . .

فقال لي : ارجوك لا تفعل ، وانا قد اخطأت .. ثم استدعى امير الحج وسمح له . هـذا هو الركابي باشا ، الذي اصبح في ما بعد عندنا في عمان رئيسا للوزراء مرتين ، رحمه الله .

في ذلك الحج الذي جرى ذكر الركابي باشا فيه ، كان قد حج الخديوي المرحوم عباس حلمي باشا ، وقوبل في الحجاز بما هو أهل له من الاكرام والاحترام بسبب شخصيته ، ثم للعلائق الودية بين البيتين ، منذ محمد علي باشا والشريف محمد بن عون .

عضو في مجلس المبعوثان العثماني

وكنت أصبت في تلك الزيارة ، وانا بالمدينة ، بحمى التيفوئيد، وسافرت وأنا مصاب بها . ولما وصلت الى بئر الماشي ، وهي على مرحلة من وادي الليمون وعلى مرحلتين من مكة ، بشرت بابني طلال ، واخبرت بأنني قد انتخبت مبعوثا عن مكة المكرمة في مجلس

المبعوثان العثماني . ولقد ساءني هذا الخبر ، حيث سئمت الحياة الطويلة بتلك العاصمة . ودخلت مكة وانا في شدة مرضي . وبعد شفائي بعناية الله ، سافرت الى مصر ومنها الى اسطنبول لاقوم بوظيفة المبعوث . لما وصلت الباخرة السويس ، وجدت في انتظاري على رصيف المينا محافظ السويس والشيخ علي يوسف صاحب المؤيد ، وعلي بك شاهين تشريفاتي الخديوي ، وقد اوفدهم الخديوي المرحوم للتحية والدعوة للنزول ضيفا عليه بقصر راس التين بالاسكندرية ، فشكرتهم ورجوتهم ان يبلغوا سموه امتناني وقبول الدعوة الكريمة مع الشكر العميق، ثم ابرقت لسموه بهذا المعنى.

ولقد كان الوالد المرحوم جعلني في رفقة سموه مدة الحج ، فعرفني حق المعرفة ومال الي بكليته ، فسافرنا من السويس في قطار خاص الى الاسكندرية ، وكان الغداء والعشاء في القطار . أما هؤلاء الذوات فبعد ان ادوا واجبهم تخلفوا في القاهرة ، ما عدا علي بك شاهين والشيخ حازم بن مليحم مقوم الحج المصري ، فانهما سافرا معي الى راس التين . وتفضل سموه فقابلني في اليوم الثاني بذلك القصر الفخم الذي كان يزداد بهاء بطلعة سموه المشرقة ، أسكنه الله فسيح الجنان وابدله دارا خيرا من داره ، فانه الغريب الشهيد .

ولما رآني قال مبهوتا : « مالك ؟ دانت خسيت .. جرى ايه ؟ »

فأجبته : ما من شيء يا أفندينا ؟ وانما حمى أصابتني بعد سفر سموك من المدينة ، واستمرت بي أكثر من خمسة وعشرين يوما ثم زالت .

فقال : متى تسافر ؟ فقلت : ان أذن سموك فالسفر غدا ان شاء الله .

فاجاب : « ما يصحش قبل ان يفحصك الدكتور كلوسكي بك فنرى المرض ده هو ايه » .. وبعد المعاينة بأخذ الدم من اصبعي ، قال الطبيب كلوسكي ان مرضي كانت الحمى التيفوئيدية ، ورتب لي علاجا استعمله .

وسافرت بعد اسبوع على الباخرة الرومانية (داجيتا) ، وكانت مثل العروس ، ذات مدخنتين وعلى أحدث طراز ، تسير في الساعة ثلاثة وعشرين ميلا . فامر سموه أن يحجز لي في الباخرة الجناح الممتاز ، وكان معي المرحوم الشريف شاكر بن زيد والشيخ محمد بن غاصب وكان سفرنا من الاسكندرية والشهر اول ايار (مايو) والبحر ليس بالساجي ولا بالهائج . ومن لم يألف البحر من الركاب كان في حجرته . فلما اصبحنا ، كان البحر وكأنه المرآة الصقيلة ، والركاب على ظهر السفينة جلوس هنا وهناك .

ولقد لفت انظار الاجانب لباسنا العربي ــ الصمادة والعقل ــ ولقد تجرات شابة رومانية وطلبت مني ان البسها صمادتي وعقالي ففعلت ، فاخذت تنظر الى نفسها في المرآة وتصفق بيديها ، وكانت جميلة رشيقة فاتنة ، واظنها اغاظت المرحوم شاكر ، فقال بلغته العتيبية « نعن ابو ذا الوجه وراك ما طلبتي عقالي انا وصمادتي ؟ » فضحكت وامرت خادمي أحمد وصفي ، فجاءني بصمادة اخرى وعقال فلبستهما ، وتحيرت المسكينة ماذا عساها تفعل ، فقلت : أتركها لك تذكارا ــ وكانت تتكلم العربية قليلا ــ ثم قلت لها : انا فلان ، النائب في مجلس المبعوثان ، فشكرتني واخبرتني انها كريمة قنصل رومانيا بالاسكندرية . ووصلت بنا الباخرة صباح الغد الى بيريه . ولست انسى زميلي ، الشيخ حسن الشيبي رحمه الله ، العضو الثاني عن مكة في ذلك المجلس ، والشيخ محمد علي طالب المطوف في مكة وكان مسافرا الى القرم لعلاقته مع الحجاج هناك ، ذلك الرجل البشوش الضحوك الذي كان سبب انسنا طول الطريق.

ووصلنا الاستانة ، ورست الباخرة ، فاذا في استقبالنا هناك الشريف جميل بن ناصر ، موفدا من طرف العم ــ وكان في اسطنبول عضوا بمجلس الاعيان ــ ووجدنا هيئة الاستقبال الموفدة من رئيس المجلس ، وكانت مؤلفة من عبد الرحمن باشا اليوسف نائب دمشق وسعيد بك نائب ازمير وحسين جاهد بك نائب اسطنبول . وتوجهنا الى استينيا ، ونزلنا في القصر الذي أعرفه والذي تزوجت فيه ، والذي لم يلحقنا فيه اي كدر ، وبه نال الوالد المرحوم الامارة وبه

كان ولد اخي زيد وشقائقي الثلاث . وبعد اقامة ثلاثة ايام ، وتقديم الشكر للعم المرحوم ، انتقلت الى قصر المصيف بأعلى البوسفور .

ولقد توجهت انا والشيخ حسن الشيبي في معية المرحوم يوم كنا في ضيافته ، الى دار رئيس مجلس النواب احمد رضا بك، فقابلنا بالبشر واللطف الكثير ، ثم قال انه ينتظرنا في دار المجلس بديوان الرئاسة في الساعة الحادية عشرة من ذلك اليوم . ولما جئناه في الساعة المعينة وجدنا عنده مجدي افندي مبعوث بروسا ، ورئيس كتاب ديوان الرئاسة وهو شيخ معمم ضخم طلق المحيا جهوري الصوت . ووجدنا عنده احد مستقبلينا سعيد بك مبعوث ازمير كما وجدنا الكسندر كوندوري باشا عضو الاعيان . فحييناه وصافحنا وأجلسنا ، ولكني لم أجده كما رأيته في داره ، بل رأيته مقطب الوجه . وقال لي مبادرا : وجدت امامي في ديوان الرئاسة بعد أن حضرت، برقيات من مكة تحتج على انتخابكما، قائلة عنك أنت يا عبدالله بك ، انك لم تصل الى السن القانونية ، وتقول عن زميلك الشيخ حسن افندي الشيبي انه لا يقرأ ولا يكتب ، لا التركية ولا العربية . فقلت له : انني لم اشهد يوم ولادتي، ولكن اعتقد ان الهيئة التي فحصت صناديق الانتخاب ، ورئيسها الوالي واعضاؤها القاضي ورجال مجلس الادارة ذكروا ان الانتخاب جرى وفق القانون . فان كان هناك ما يخالف الحقيقة فالتبعة عليهم ولست بالكاذب. واما زميلي فله ان يدافع عن نفسه ، فهو من اكرم بيوت مكة ويجيد اللغة العربية كتابة وقراءة ، واما اللغة التركية فلم يعتن بها هناك . وعلى اي حال فالاوراق في المجلس ، ان قبلها فذلك ، وان رفضها فلست بالذي يخسر اي شيء الا زمالتكم . واسطنبول بلد احبها، وحضرت في موسم الربيع، وفي امكاني الرجوع الى وطني متى سئمت . .

وذهبنا الى المجلس حيث اجلسنا العم المرحوم في الشرفة المخصصة للاعيان بدائرة المبعوثين . ولما عرفنا اهل المجلس اننا مندوبو مكة ، قالوا : لم لا يجلسون في كراسيهم ؟ فقال الرئيس : هنا برقيات اعتراضية ، وردت من الحجاز ، ستقرأ عليكم الآن ،

فان رفضتموها وقبلتموهما نائبين فعند ذلك يجلسان . فقال أحد النواب : ومن تريدون ؟ أتبعث اليكم مكة افضل من ابن الشريف وابن فاتح بيت الله ؟ فصاح المجلس كله : لا اعتراض لا اعتراض . ثم أخذنا باليد واجلسنا وانتهى الامر .

ومن غريب ما اذكره ، انني انتخبت ثلاث مرات دون أن أكلف حلف اليمين ، وكذلك يوم انتخابي وكيلا ثانيا لرئاسة هذا المجلس . وبمناسبة المبعوثية ، أحب ان اتعرض للحكم النيابي . فالحكم النيابي هو حكم من الامة للامة ، ان كان رئيس الدولة موصوفا بالملك أو موصوفا برئاسة الجمهورية ، فهو لا يحكم حكما مباشرا أو حكما استبداديا أو دكتاتوريا ، بل يحكم حكما دستوريا نيابيا ، وعليه أن يختار رئيس الاكثرية الحزبية ، فيكلفه بأن يشكل هيئة الوزارة ، فمتى تم ذلك ، تحكم هذه الحكومة بالقوانين التي اقرها نواب الدولة من قبل ، والتي تسنها بعد ذلك . فالنواب في المجلس العثماني ، كانوا ينتخبون من كل الملل العثمانية ، وكان حزب الاتحاد والترقي يشير الى من يريد ، فينتخب بتدخلات حكومية يقوم الولاة والمتصرفون بها ، اللهم الا في الحجاز ، فانهم لم يستطيعوا ان يؤثروا في انتخاباته أي تأثير . واما اليمن وعسير فالولاة يعينون الى هذه النيابة اشخاصا ، بشرط ان يكونوا اتحاديين . واذا قلنا يعينون ، نقول ان الظاهر انتخاب والباطن تعيين . لقد رأيت ان القوانين التي كانت تسن مجددا انما كانت على شكلها القديم . فالاموال التي تجبى ، والمدارس التي تشيد وتبنى ، والطرق التي تفتح ، كل هذه من الاموال العمومية التي تجري عليها القوانين العثمانية ، في ما قرب من العاصمة وبعد من الولايات .. نقول انه كان يصرف منها ثمانون بالمئة على البلاد التي هي تركية محضة ، وما في هذا من الحيف مشاهد معروف . ثم ان اكثرية الوزارة كانت تختار من العنصر الحاكم ، وللعرب وزير واحد هو وزير الاوقاف ، ومن الاقليات الاخرى يختار الصدر من اراد بالمناوبة . وفي هذا ما فيه من حكم الناس حكما استبداديا تقوم به وزارة عنصرية . وهكذا فاصول الادارة النيابية ، في دولة

مركبة من ملل كثيرة ، تدفع بتلك الدولة الى التفرقة والشتات والبغضاء ، ثم السقوط ، كما وقع في الدولة العثمانية .

العودة الى الحجاز

وكانت تلك الفترة في اسطنبول لطيفة شيقة . ومن ذكرياتي في تلك الفترة ، أن رجلا من علماء الفلك قال عن نجم هللي المذنب انه سيصطدم بالارض فيحرقها ومن عليها في اليوم الثامن عشر من ايار من تلك السنة ، فارتج على الناس . وقبل الموعد بيوم ، والمجلس منتظم ، ونحن فيه ، واذا بصوت فظيع ولمعة ، ففر كل من بالمجلس ، وعلمت انا انه رعد وبرق ، فأمسكت بحسن الشيبي واجلسته . وخرج الناس يركب بعضهم بعضا ، ثم عادوا ولقد غاظهم جلوسنا ، فقالوا : رعد وبرق ، ما من شيء .. ثم قال لي أحدهم : كيف بقيت انت وزميلك ؟ قلت : انا لا أؤمن بما تقولون ، ولو فرضنا صحة ذلك ، فما يجدي الخروج والارض ومن عليها في خطر الانذار ؟ ! فسكت .

ولقد عدنا الى الحجاز في شهر تموز بعد أن علق الاجتماع الى تشرين الثاني ، فوصلنا الوطن وكانت وجهتنا الطائف ، فمررنا على مكة المكرمة وطفنا وسعينا وتحللنا من احرامنا . وبعد استراحة يوم ، توجهنا الى الطائف عن طريق كر العقبة ، فوجدنا الاهل بذلك المصيف اللطيف على خير حال . ووجدت الوالد المرحوم غير راض عن تصرف وكيل الوالي،امين بك الشاعر اذ ذاك ، ولقد نقل بعد مدة وجيزة ، وتوجهت وكالة الولاية الى المشير عبدالله باشا الشركسي ، قومندان القوة العثمانية بالحجاز .

الفصل الرابع

في الميدان

غزوة عسير

كان أهم ما حدث ابان امارة والدي ، من انقلاب فكري جعله يترك التمسك بمحض عثمانيته التركية ، هو غزوة عسير ، عندما امره السلطان بان يتوجه الى متصرفية عسير فينقذ حاميتها من حصار السيد الادريسي . وكان حصار ابهى – مركز المتصرفية – وقت حركة الامام يحيى وحصاره صنعاء اليمن قبل ان يتفاهم مع الدولة العثمانية بوساطة عزت باشا الصدر الاعظم . فتوجه بالقوة العثمانية الموجودة بالحجاز ، مستصحبا معه الجندرمة الراكبة وقوة هجانة المدينة ، والف قوة اسماها (القوة المعاونة) على أن يأتيه المدد العسكري بالقنفذة. وكنت يومئذ في المجلس النيابي، فطلبني، واجازني المجلس ، لالتحق بالامير في الحجاز .

قال لي الصدر الاعظم ابراهيم حقي باشا : الامير يطلبك ولا بد انه سيكلفك بمامورية معه . وقال لي رئيس مجلس النواب احمد رضا بك : ولماذا تستعين الدولة بنفوذ والدك ؟ الم يات الوقت الذي ينبغي ان تتخلص فيه الدولة من النفوذ الشخصي ؟ فقلت له : انك نائب ، ويمكنك أن تترك الرئاسة لوكيلك وتنزل الى كرسي النيابة كعضو فتوجه سؤالا الى الحكومة أو استيضاحا ، واما الدولة فستظل في حاجة ملحة الى نفوذ المخلصين من بلاد العرب اجيالا اخرى ، ان بقيت وبقوا .

وفي طريقي الى مكة ، مررت بسمو المرحوم الخديوي وكان يميل رحمه الله الى السيد محمد بن ادريس ولعله كان يعضده . وكان بلغني ان الدولة العثمانية طلبت اليه أن ينصح السيد فنصحه، وبقيت هذه النصيحة عند ذلك الحد . فلما رآني الخديوي قال : السفر لتأديب الادريسي ؟ قلت : نعم . فقال : الوقت صيف ،

وتهامة حارة ، فلو أخرت الحركات الى أن يعتدل الموسم ؟ قلت : لا أدري ولكن ربما توجه الجيش من طريق الشرق ، والتأخير فيه امكان سقوط أبهى ، لذلك فالحركة واجبة .

فقال : بلغني ان الافكار العربية ممتعضه من هذا العزم . فأجبته بان الافكار هذه لا تصل الى بعض الاخطار الممكنة ، ان حصل تفكك في القسم الجنوبي من البلاد العربية يجعلها تحت أيد جاهلة ، تمكن الاجانب من وضع ايديهم عليها . فقال : وفقكم الله ، ولكن مهما امكن ، التمسوا الاسباب الواقية للصحة من الاوبئة والشمس . وفي الحقيقة انه لما دبت الكوليرا في العساكر ذكرت ذلك التنبيه من الخديوي .

واقعة قوز ابا العير

وتحرك الركب الهاشمي من الحجاز في فصل الاسد في حمارة القيظ ، فوصلنا القنفذة والانسان لا يستطيع أن يطأ الارض الملتهبة كالنار ، وليس بالقنفذة من عربان البلاد المجاورة أحد سوى أهلها . وكان في الصحبة ثلاثة طوابير نظامية ، يبلغ عددها ثلاثة آلاف جندي .

وبعد أخذ الاهبة ، كانت الحركة نحو (قوز ابا العير) وكان فيه قائد للسيد الادريسي ، اسمه ابن خرشان ، ومعه عشائر تهامة ولقد استصحبت معي مائتي خيال والف هجان ، مع تلك الطوابير والمدفعية ، وكان معي المرحوم اخي فيصل . وحيث ان التدريب العسكري للحركات الليلية كان غير كامل الترتيب ، فلم تتمكن القوى التركية من قطع المسافة في الوقت المناسب ، الا بعد تأخر تسع ساعات .

فوصلنا الى نقطة بساحل البحر جنوبي القنفذة ، بها ماء يستطيع الانسان شربه ، اسمه (أم الدبة) . وبعد استراحة ثلاث ساعات ، توجهنا فادركنا الزوال ونحن على طرف سهل صلب من رمل دمث والبحر بالناحية الفربية وأمامنا وادي (يبا) الكثير الحراج الملتف الاشجار . وسار الجيش يتقدمه الطابور الاول ، ويتبعه الثاني ثم الاثقال ثم الطابور الثالث . وكانت على الجناح

الايسر القوى الهاشمية والخيل، وعليها الامير فيصل وكانت القوتان بامرتي ، وقائد الطوابير الثلاثة هو القائد زكي بك الشركسي .

ولدى قدومنا الى ذلك المحل ، عاد الينا ضيف الله العبود ــ احد الشيوخ وقد أرسل عينا ومعه كوكبة من الخيل ليكشف ما وراء الحرجة وما بها ــ فقال انها محشوة بالرجال وعادت القوة للكشافة مسرعة ، ثم عادت المقدمة من الهجانة وهي منهزمة متوجهة نحو الغرب الى ناحية البحر ، واذا بجحيم من النار يطلق فجأة من تلك الحراج. فأمرت زكي بك بالتوقف ، واشرت عليه بان يسوق الطابور بشكل الصيادة ويكون الطابور الثاني احتياطيه ، وان تقف الاثقال وان تقف ايضا القوى الهاشمية . فاذا دفعناهم وجاء الوقت المناسب ، أمرت القوى الهاشمية بالهجوم ، والتعقيب من ناحيتها. ولقد حرر هذا الامر ووقع منه ومني ، وارسل الى الامير فيصل والي قواد الطوابير ، فسرنا والتحمنا مع القوى الكامنة في الحراج ، فدفعناهم وتوغلنا. وقبل ان يأتي الوقت ويصدر الامر بهجوم القوة المعاونة فوجئنا بهم يهجمون مسرعين ، وليس امامهم الا زرع يحصد . فقلت لزكي بك : مر الطابور الاحتياطي يتقدم الى الميسرة ، حيث كانت القوة المعاونة ، فانني لست آمن عليهم الهزيمة الآن . فقال انه لا يستطيع ترك القوة الآن ، ورجاني ان أبلغ هذا الامر بذاتي . وقبل ان اتم المحاورة ، واذا بالمرافق يقول لي : انظر يا سيدي الى يسارنا ! فاذا بالقوة المعاونة ترتد لا تلوي على شيء . وقد بلغت الى حيث الطابور الثاني ، وكان يقوده اسماعيل بك ، فقلت له : سر بالطابور وخذ موقعا الى يسار الطابور الاول ، أما القافلة فمرها ترجع الى ام الدبة وليكن الطابور الثالث هو الاحتياطي . واذا بالرجل يمسك بعرف جواده واخذ يتقيأ ، ولم يكن في حالة ترضيني ، ورأيت فيه من الجبن ما ازعجني . وكررت عليه الامر فلم يصغ ، ثم التفت واذا بنا نضرب من الميسرة ضربا مروعا . وبعد ثلاثة ارباع الساعة كان الموقف في غاية من الحرج. واذا بفريق من الهجانة فأنخته بين السبخاء والموقع الرملي ، وشرعت ادافع ما استطعت . واذا باناس من المنهزمين يلتحقون بي ، وهم

فرسان عرفوا بالنجدة ، ـ كفاجر ابن شليويح ، وحبيليص الشيباني ، وفهد العرافة بن سعود ، وبعض الاشراف ـ ثم لحق بي الشريف شاكر بن زيد ، ولم يكن لنا منهم الا الثبات لتخليص القوة العثمانية من موقفها القتّال . ولم يسلم من الطوابير الثلاثة الا سبعون نفرا . ولما اعيدت الحملة والمدافع الى الدبة ، كنت آخر من ترك الموقع ، بعد ان قتل ابن خيرة امير الجناح الايمن للقوة الادريسية . ووصلنا القنفذة في اليوم الثاني بخسارة عظيمة . ولو كر الادارسة ليلتها او الليلة الثانية ، لقضوا على الجميع ، ولكن خسائرهم كانت افدح .

كانت هذه الواقعة ، والتراجع الذي وقع من القوة المعاونة العربية ، السبب الاول في سوء الظن الموجه الينا من باقي قوات الحملة التركية ، واولهم الميرالاي نظيف بك . وكأنهم نسوا ما كان يحيق بهم من حركات كهذه ، في اليمن وعسير وفي جبل الدروز والكرك وفي كل محل . وبعد خمسة عشر يوما تكررت الحملة بقوات جديدة وردت . وامر على الجميع الشريف زيد بن فواز ، كما صدر الامر الي بأن اكون احد امراء الحملة . فتوجهنا من القنفذة صباحا ووصلنا ظهرا الى أم الدبة .

وكانت القوة التركية هي هذه : ثلاثة طوابير نظامية ، كل طابور ثمانمائة وخمسون جنديا ، بقيادة القائد زكي بك . وثلاثة طوابير رديف ، بقيادة القائمقام اسماعيل بك . وكان عدد هذه الطوابير الفا ومائتي جندي . وطابور آخر اسمه طابور اليمن ـ لانه جلب من اليمن ـ يقوده قائد اسمه ضياء الدين بك . وعلى المجموعة هذه كلها الاميرالاي نظيف بك . أما القوة المعاونة ، فكانت هي هي ، خيلها وهجانتها .

وتحركنا وقت الظهر . فلما وصلت القوة الى مكان المعركة الاولى ، وكانت الساعة الحادية عشرة غروبية ، وجدنا قوة الادارسة في تلك الحالة الحرجة نفسها ، فقابلونا بنار حامية كسالف عادتهم . فقال نظيف بك للشريف زيد : ماذا تأمر ؟ قال : لا امر لي الا بعد ان تعرض علي ما تراه انت ، فاذا رأيت ما يجب تنبيهكم اليه فعلت .

فالتفت الي وقال : ما رأيك ؟ فقلت : الامر بالمبيت واستئناف الحركة صباحا ، لاني أخشى ان لا تكون الحركات العسكرية ليلا ناجحة ، ونحن في ارض دغل لا نعرف مخارجها ومداخلها . فقال : تقول هذا من اجل ان يرى الناس أن سبعة طوابير عثمانية اوقفتها شرذمة بدوية . فجلا عما كان يكتم فقلت له : هذا رأيي اكتبه كتابة. ثم التفت الى اليوزباشي اركان الحرب بهاء الدين بك فقال له : ماذا تقول ؟ فقال : اقول ان كل شبر تتقدمه الآن في وقت الغروب والليل مقبل ، يسوقك الى الاضمحلال ، واني أضم رأيي الى رأي عبدالله بك . فقال : اكتب الامر بالمبيت : الاي زكي بك الجبهة . الاي سعيد بك الميسرة . الاثقال في الوسط . طابور اليمن في الساقة . القوة الهاشمية المعاونة الميمنة . فلما كتبه عرضه على الشريف زيد ، فوافق عليه وصدق .

ثم امرت بأن اكون مع زكي بك في الجبهة ، والامير فيصل على القوى الهاشمية في اليمين ، وبقي الشريف زيد بن فواز ونظيف بك في مقر القيادة . وتقدمنا تحت وابل من الرصاص ، مقومين الجبهة من طابورين، ومن كل طابور فئة احتياطا له، والطابور الثالث احتياطا للكل . ونظمت الجبهة في شكل مربع : فنحن جبهتنا الجنوب ، والاي سعيد بك جبهته الشرق ، وطابور اليمن جبهته الشمال ، والقوى الهاشمية جبهتها الغرب .

وحمل اهل اليمن علينا من الجبهة حملة صادقة ، استمرت ثلث ساعة ، وقوبلت حملتهم بجحيم من النار ، فتراجعوا . ثم بعد ربع ساعة كرّوا على الجبهة الشرقية ، فقوبلوا بمثلها . على اننا كنا في خطر من نار اتت من جبهة مكشوفة ، فاضطر كل واحد منا ان يعمل له مجثما جنبيا . ولما كف هجومهم علا الصياح في الميمنة ، حيث كانت النوبة على القوى المعاونة ، فترجرجت ثم كرت ، وبعد لأي اوقف الهجوم . ثم كانت الحملة على طابور اليمن ، فأمد من الاحتياطي العام . ولم تدم هذه الحملة كثيرا ، فتراجعوا . وكانت الليلة ليلاء حتى الصباح ، وكانت الطلقة من ناحية اهل اليمن ، تقابل بالالوف من الطلقات من هذه

الناحية ، وكانت تسمع الايعازات حالا من الجبهات بالبوق « اقطع النار .. اقطع النار » ! ..

وطلبت الى مركز القيادة بعيد الساعة الرابعة فحضرت . واذا بالمرحوم الشريف زيد ونظيف بك ، فقالا لي : كانت نجاة القوة هذه نتيجة لرأيك الميمون ، ولو كنا سرنا لوقعنا في خسران عظيم . فقلت : التجربة السالفة هي التي هدت الى ما وقع . فقالا : كيف الجبهة ؟ قلت : على ما يرام ، كل جندي نال قسطه من العشاء وزود بمطرتين من الماء ، فلا خوف ان شاء الله .

ولم نذق تلك الليلة النوم الا غرارا أو نعسة . ولما أصبح الصبح ونادى منادي الصلاة ، بالبوق أولا ثم بالاذان ثانيا ، كبر أهل اليمن من كل ناحية ، فصلت كل فئة في محلها . ثم جلب الحرس الى مصافه وقرأ مفتي الجيش سورة « الصف » . ثم ابتدأت المدفعية تصلي الحرجة نارا حامية فتمسح الارض مسحا . واذا بميسرة اليمن يقودها الشيخ بيطري تتقدم على اعلامها ، فلما خرجت من الادغال وتبينت في أرض صحصح ، باغتتها القوة الهاشمية بهجوم بالخيل من ناحية البحر ، ثم أصلتها المدفعية نارا حامية ، فاهتزت يمنة ويسرة كشجرة في مهب الريح ، ثم ولت الادبار ، فاتبعتها القوة الهاشمية الراكبة .

وتقدم الاي زكي بك ، وانا معه ، فلما وصلنا الحرجة ، لم يرعنا الا وأهل اليمن بمآزرهم ، وليس على ظهورهم من الثياب شيء غير المحازم والخناجر في أواسطهم ، فقابلوا الجيش بطلقة او طلقتين من كل واحد منهم ، ثم استلوا الخناجر ، فاصلتهم القوة التركية نارا حامية ، فوقع الاكثر وهزم من بقي . وعندئذ اخذنا نسمع لعلعة البنادق والمدافع من ناحية الاي سعيد بك، ثم اخذت الاصوات تبتعد كل ما تقدمنا . فقال زكي بك : نحن في خطر ، فقد تمكن هؤلاء من احداث فجوات بين الميمنة والقلب والميسرة . وحين ذاك كان المقر معه فئتان ومدفعان ، وبه الشريف زيد بن فواز والاميرالاي نظيف بك . فقال زكي بك : سآمر بالتوقف ، وهذه الشجرة الكبيرة علامة لك ، فاذهب الى المقر وليكن بيننا وبين قوة سعيد بك التي ينبغي ان

نسرع السير حتى توازينا من يسارنا ، واما القوة الهاشمية فلا سبيل الى اللحاق بها . فلما وصلت وجدت الشريف زيد بن فواز ، ومعه مائة وخمسون هجانا وارباب الاسنان من المشايخ والشرفاء ، فسألته عن نظيف بك ، فقال : تقدم بالفئتين والمدفعين الى العدية — بئر باعلى يبهى — واذا باخي فيصل معه ، فلما سألته عن قواته قال : العهد بها ساعة ان اغارت . فبعثت بمرافقي الى زكي بك ، ومعه من يرشده الى الكعدية ، حيث قائد المفرزة والمقر النظامي . وسرت مع ربعي ، وما هي الا خمس دقائق حتى خرجنا الى ارض جرداء ، فتبينت لنا منها الكعدية ، وبها نظيف بك والفئتان ، تضرب مدافعه بالقذائف الخاصة للرمي من قرب .

ولما برزنا وعلم القيادة معنا ، ترك أهل اليمن نظيف بك وحملوا علينا ، فأنخنا ، ونزلنا ، وكانت ملحمة من افظع ما رايت ، وكان الشريف زيد يصاب أحيانا بالرعاف لشدة الحر ، وهو واقف وعلى راسه المظلة البيضاء ، فأقول له : يا عم « اندرق » هنا . فيقول : لو أحببت « الاندراق » لكنت بالطائف ، اصبروا سينكشفون الآن.

وهرع فيصل الى الاميرالاي نظيف بك ، ونحن في تلك الساعة العصيبة ، واذا بحملة الاثقال ومعها طابور اليمن يتصلون بنا ، فتقدم ذلك الطابور الشجاع ، وانتشر حتى كانت اقسامه اليمنى متصلة بنظيف بك على الكعدية . وامر الشريف زيد الحملة بالتقدم — وكان معه الشيخ جابر بن هليل عظيم الثبتة من عشائر عتيبة — وصاحوا « يا حاملوه يا حاملوه » فحملنا من مرابضنا ، والعلم الهاشمي بيد ابن جنيح — وكان رجلا طويلا اسمر — وكانت الهزيمة على اهل اليمن . ثم اخذنا نسمع أصوات الطلقات من ناحية الشرق ، فتبين انها قوات سعيد بك وقد اقبلت . وعند العصر كنا (بقوز ابا العير) وليس من قوات اليمن احد ، فقد اضمحلوا وتراجع ابن خرشان الى القحبة . وقبيل المغرب ، جاء التقرير الطبي الى مقر القيادة ، بأن الوفيات ذلك اليوم في الجيش بلغت مائتين وثمانين ، وان الوباء هو وباء الكوليرا . وفي اليوم الثالث ، نزلت القوة الى ثلثها ، وقدم المرحوم الى القوز ، ولقد رأيت بعيني رأسي الغفير القائم على خيمتي،

يقع ميتا كأن قد ضرب برصاصة .

وقدم والدي رحمه الله الى(قوز ابا العير) وقد اصبحت القوى المسلحة التركية الفا وسبعمائة نفر ، من سبعة آلاف . فأمر بالحركة نحو ابهى . وكنا كلما تقدمنا تناقص المرض . وكانت وقائع في بارق وفي الثنية ، ثم صعدنا الجبل من عقبة ساقين المشهورة ، ولما اجتزنا بعد ثالث ، ايقنا بالسلامة من شر تهامة واوبائها . ثم كانت واقعة (سدوان) ، ثم واقعة (اثني خريم) . وكانت الهزائم تتالى على اهل اليمن . وكانت الفظاعة من الجند التركي ، باحراق القرى وتقتيل الابرياء ، السبب الاول في التفكير في الانقلاب الاخير ، حيث قال الامير : « ليس من هؤلاء خير للعرب » . ولقد عرضت عليه اربع مرات جثث شويت على النار شيا ، بأن تدخل اعمدة الخيام من ادبارهم حتى تخرج من افواههم . كما عرضت عليه ، في (اثني خريم) ، ست رؤوس قطعت عن اجسادها وقد وضع ذكر كل رجل منهم في فمه . فقال الامير لنظيف بك : هل هذا يليق ؟! .. وكان جواب نظيف بك : أليسوا قد حرقوا قلوبنا ؟ ..

الفصل الخامس

الثورة العربية الكبرى

الرصاصة الاولى

بعد الرجوع الى الحجاز اخذ الامير الوالد يضع اسس النهضة . ولقد كانت الاوبة من عسير بسبب الخلاف الذي قام بينه وبين المتصرف سلميان باشا . فان الباشا المذكور قال انه لا يستطيع الائتمار بما يشير به الامير ، لانه لم يتلق من الباب العالي اي امر بهذا . وقال ان العساكر النظامية التي وصلت مع الشريف (الامير) واللواء مصطفى نشأت باشا ، يجب ان تكون تحت امرته الى ان تأتي الاشارة من الباب العالي موضحة خلاف ذلك . وعليه، ولما راى بعينه من تمثيل في القتلى العرب ، ومن افعال فظيعة وقعت من الجيش العثماني وقواده ، ترك (ابهى) وعاد الى الحجاز بالقوات الهاشمية . فسلك الطريق الشرقية ، مارا بوادي شهران ووادي بيشه ، تاركا رنية الى الشرق ، ثم سار مع اعلى حرة تربة ونزل بوادي كرى . وبناحية الشرق من هذا الوادي تقع قرية تربة ، وبها قصر رمادان الذي ابيدت فيه القوى المصرية في حركة الوهابية الاولى ثم بها وقعت الهزيمة على الجيش الشرقي الهاشمي الذي كنت اقوده يوم تربة . ومن وادي كرى تحرك تاركا ديار غامد الى يساره ، ثم اصحر حتى بلغ جنوبي ركبة في الخمرة ــ وهو ماء على حد سهل من جبل ــ حيث تلتقي حدود بني الحارث وغامد وعتيبة . وهناك جاء المستقبلون من الطائف ومعهم الشريفان عبدالله بن زيد بن فواز وشرف بن راجح بن فواز ، وجاء من الخرمة خالد بن لؤي وغالب بن لؤي ورؤساء العشائر جميعا .

ثم توجه مغربا الى الطائف ، فمر بوادي النفعة ــ وهو واد به النخل الكثير الفاخر ــ ثم مضى في طريقه مارا (بلية) ، حيث قدم المكتوبي ــ اي كاتب الولاية الاول ــ موفدا من الوالي ، والميرالاي

احمد بك موفد من الكومندان منير باشا وقد اسر المكتوبي الى الامير بأن الشريف ناصر بن محسن ــ احد ذوي غالب ــ قد اشاع الهزيمة عن الجيش العثماني وان الشريف قد قتل ، الى غير هذا من الاراجيف. ولما وصل الامير الى الطائف في اليوم الثاني، واذا في مضارب المستقبلين هيئة الحكومة ومعهم ناصر بن محسن هذا . فلما رآه امر باخراجه اخراجا عنيفا فقال الوالي : عفوا يا سيدي فانه قد جاء معي . .

اجابه الامير صادا : وان كان قد جاء معك ؟ !

فقال الوالي: انا ممثل السلطان ، وهذه المعاملة تحقير للسلطان نفسه . .

فاجاب على الفور : هل تركتم ناحية من السلطان لم تحقروها ؟ انا ممثل السلطان هنا لا انتم . . ثم التفت الى قاضي مكة والى القومندان منير باشا ، ثم فتش الجند وركب الى دار الامارة . وقد التفت الينا ، وهو يصعد الدرج ، وقال : ربما ان ما فعلته لم يرقكم . فلم يجب احد بكلمة . فقال : انا عالم بما لا تحبون ، ولا ضير ، فعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم .

وبعد ثلاثة ايام وردت برقية من الصدر الاعظم تقول :

لقد بلغت المسامع السنية المعاملة الشديدة التي وقعت من ذاتكم الهاشمية على الشريف ناصر بن محسن الذي هرع لاستقبالكم مع عطوفة حازم بك والي الحجاز ، وان الرغبة السلطانية منصرفة الى استدعاء الشريف الى مقامكم السامي وتلطيفه وارضائه .

فأجاب الامير :

بما ان الاسباب الموجبة لما نال الشريف ناصر بن محسن من زجر واخراج لا تتعلق بي شخصيا ، فأنا لا ارى ان على اظهار الندم على ما فعلت . وان ما اشاعه المومى اليه من اخبار اضمحلال القوى التي كانت معي لم يقصد منه الا ايجاد حركة ثورية هنا ، فهو يستحق ما لقي مني . وقد بلغني الخبر من مكتوبي الولاية ، ثم جاء به الوالي وهو يعرف ذلك ، وفي هذا من المداهنة والفساد ما ليس من خلقي .

فجاء الرد على الفور من الصدر الاعظم يقول :

ان الباب العالي لا يستطيع غض النظر عن كسر الرغبة السنية التي تبلفتموها بالبرقية السابقة والتي نؤيدها بهذه مؤكدين انتظار جلالة السلطان النتيجة .

فأجاب الامير على الفور :

انني بعد ولي العهد في المكانة : ولا اظن ان الرغبة السنية تقصد الحط من هذا المركز القديم . والباب العالي الذي لا يستطيع غض النظر عن نفوذ الذات السنية ، كيف يوجه هذه التهمة الشائنة الى رجل لم ينفض بعد غبار السفر عن رجله في مجد السلطان ؟ وان الباب العالي حر في ما يجب ان يفعله .

قطيعة واعتذار

وهل شهر رمضان ، وكانت القطيعة بين هيئة الدولة والامارة طول الشهر . وفي ليلة العيد ، جاء قائد الجندرمة عثمان بك الى دائرة الانجال ، وقال لاخي علي : لقد وردت برقية الى الوالي بأن يزور الذات الهاشمية معتذرا ، فهل يقبله سيدنا ؟ فقلنا : لا شك ، ولكن تفضل اعرض عليه ذلك . وبعد الاستئذان ، ولما مثل بين يديه ، قال له عثمان بك : كيف حالك ؟ وما سبب انقطاعك ؟ فقال : اما انا ، فكما تعلم الدولة انني ان عجزت عن المحافظة على حقوقي ، فانني اعجز عن حفظ حقوقها . فتقدم عثمان بك وقبل يده وعرض عليه ما جاء به ، فقال : مرحبا به انه زميلي السابق اذ كنا جميعا في دائرة الداخلية لشورى الدولة ، وليكن الاجتماع غدا في مصلى العيد ، ثم يأتي بمعيتي الى دار الامارة ونزور الولاية والقيادة كالمعتاد ، فان هذا اليق واجمل . فتم ذلك كما اراد . ثم عقبت هذا وثبة ايطاليا على طرابلس الغرب ، فأبدل الصدر الاعظم ابراهيم حقي باشا بالصدر الأعظم سعيد باشا المعروف بشابور سعيد . فأبرق اليه الامير يقول :

ارجو ان تلاحظوا البرقيات المتبادلة بين الصدارة والامارة ، من تاريخ كذا ، الى تاريخ كذا ، وبها تفاصيل الحادث .

فكان ان نقل الوالي حازم بك الى ولاية بيروت ، بعد ثمان وعشرين ساعة . وعندها قال لنا : لو طاطات راسي لما ارادوا لما رفعته بعد ذلك ابدا . وعلى ذكر الوالي حازم بك ، لا بد من ان اذكر ان الصدر السابق ابراهيم حقي باشا كان يلتزمه . وقد قال لي حقي باشا يوم وداعي له ، وانا قاصد الى الحجاز عندما طلبني المرحوم الوالد لاكون بالخدمة في تلك الغزوة : ان سفير بريطانيا العظمى يشتكي من سعود بن عبد العزيز بن سعود وتأييد والدك ، وانه بسبب المساعدات المتوالية له من سيادة الشريف ، يقوم بحركات تخريبية ضد امير نجد عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل الذي له صلة عهد بحكومة الهند ، وانه يطلب كف يد المذكور عن هذه الحركات . فقال الصدر الاعظم : « اقبل ايادي الامير ، وارجوه ان لا يفتح علينا باب اشكال مع بريطانيا ، فانا على غير استعداد لمجاراته ، ومسألة الكويت لا تزال نصب الاعين » . . هكذا كانت مجريات الحال في تلك الايام .

اللورد كيتشنر

لقد كانت الدورتان الاولى والثانية بالنسبة لي في مجلس المبعوثان دورتي تعرف واطلاع . اما الدورة الثالثة فقد عزل في اثنائها والي الحجاز وقائده الفريق منير باشا ، وعين الميرالاي وهيب بك واليا وقائدا في حكومة سعيد حليم باشا ، بعد مقتل الصدر الاعظم محمود شوكت باشا وقد جاء وهيب بك متنمرا ! . . وكنت حين ذاك في طريقي الى اسطنبول لحضور المجلس . فلما وصلت مصر ، علمت انه عبر ترعة السويس الى جدة ، وان معه جنودا كثيرة . وبينما انا في مصر بحضرة الخديوي المرحوم ، دخل رئيس التشريفات واخبر الخديوي بأن اللورد كيتشنر قد حضر ، فقمت مستأذنا ، فقال الخديوي : قد علم انك هنا وليس من اللياقة ان تخرج ، فاصبر لاعرفك به . فدخل اللورد بقامته الطويلة وسلم على الخديوي، فقال له الخديوي: هذا الامير عبدالله بن امير مكة الحسين ابن علي . ثم قال : هذا اللورد كيتشنر قنصل عام بريطانيا بمصر ، فتصافحنا . ثم قال له : هذا يد والده الفعالة ، وقد اصيب بجراح

في احدى غزواته . فاشار اللورد كيتشنر الى عنقه وقال : وهذه اصابة اصابتني في حرب السودان فقلت مازحا : انك يا فخامة اللورد هدف لا يخطأ ، ولكني اقصر منك قامة فكيف اصابني ذلك البدوي ؟ ثم استأذنت وخرجت ، وكانت هذه المقابلة بسراي القبة، وانا نزيل قصر عابدين . وبعد وصولي الى عابدين جاءني التشريفاتي علي بك شاهين وقال : اللورد كيتشنر هنا وقد جاء لزيارتك . وكانت مباغتة خفت عاقبتها على سياسة والدي مع الاتراك .

وبالطبع ما كنت استطيع رفض زيارة تكريمية ، فدخل ومعه السيد رونالد ستورز الكاتب الشرقي بالقنصلية البريطانية . ولما استتب بهما المجلس ، كان الترجمان بيننا سير ستورز الذي قال : انني مغتبط بالتعرف اليك ، وانني بمناسبة هذه الفرصة السانحة ابلغك رضى حكومة جلالته البريطانية عن الحالة الراهنة في الحجاز ، حيث الامن وراحة الحجاج وزيارة النبي ، وانني اطلب تبليغ هذا لصاحب السيادة العظمى الشريف ، وان حكومة جلالته لا ترضى بأي تغيير هناك .

ثم جاءني رسول الخديوي يقول : ان اللورد كيتشنر قد زارك، ومن اللائق المقتضى ان ترد له الزيارة . فاربكني هذا التكليف ، غير اني قلت للرسول اني سأفعل ان شاء الله . وعلى الفور قصدت دار المندوب السامي التركي ، الوزير محمد شريف رؤوف باشا فاخبرته بالزيارة وقلت له : هل تأذن في ان اعيد له واجب زيارته ؟ فقال : لا بد من ذلك ولا بأس .

ورجوت علي بك شاهين أن يرى الوقت الذي لا يكون اللورد كيتشنر فيه بدار القنصلية العامة ، كي اصل فجأة واترك بطاقة زيارة وينتهي واجبي . فقال لي : لا يكون اليوم بعد الظهر هناك . فأخذني اليها : ولما وصلنا الى الباب الخارجي الكبير واذا باللورد يستقبلني عنده ، فدخلت وجلسنا ، ثم اشار لعلي بك شاهين بالخروج فخرج ، وقال لي : اذا حدث اي حادث تحتاج فيه الى اي خدمة اقدمها فاني مستعد .

وبعد ان تناولنا الشاي ، ذكر ملمحا انهم أحاطوا علما بما في

نية تركيا من القيام بتغييرات أساسية في بلاد العرب. ثم سألني انه اذا كان من جملة هذه الاجراءات أي تغيير في مركز الامير فهل سيرضى سموه بذلك ؟

قلت له : ان الشريف في العرف موظف ومن حق السلطان تغييره ، وهو لا يعارض في ذلك ان وقع . ولكن اذا رأى ان الدفاع من منفعة الوطن المقدس ، فهل تساعدون الامير في دفاعه انتم ؟ فاجاب : ان بيننا وبين تركيا صداقة تقليدية لا تبيح لنا التدخل في شؤونها الداخلية .

فقلت له : كم لكم قدرة عجيبة في تكوين الامور على مشيئتكم! فهل يسمح لي اللورد ان أسأله عن الكويت عندما تدخل في شأنها حاكم الهند بطلب قائم مقام الكويت مبارك الصباح ، ألم تكن جزءا متمما من البلاد العثمانية ؟ فقال لي : انت صريح خطر ، وسأبلغ حكومتي ما سمعت . فقلت : ليس هذا يستحق التبليغ ، فان الحديث مجرد ملاحظات . فقال : وان كان ...

الصدر الاعظم سعيد باشا

وسافرت الى اسطنبول ، ولما وصلتها وجدت صحفها ذكرت عن زيارة اللورد كيتشنر لي وردي الزيارة له « ان الشريف عبدالله بك، نجل امير مكة الشريف حسين باشا ، ينزل ضيفا على الخديوي. وفي هذه المرة اقيمت له حفلة غداء رسمية حضرها وزير الخارجية المصرية ، وكانت الموسيقى الخديوية تلحن الحانا معينة اثناء الغداء . وقد زار اللورد كيتشنر الشريف عبدالله بك ، ورد الشريف الزيارة للورد . وقد حج الخديوي كما هو معروف . فيا هل ترى ماذا يجري تحت سمع الحكومة وبصرها » ؟! ..

فذهبت الى الصدر الاعظم سعيد باشا ، وتحدثت اليه عن تقولات الجرائد ، وقلت : لم ارد الزيارة الا بعد ان استاذنت المندوب السامي العثماني بمصر ، محمد رؤوف شريف باشا . فقال : لا تحفل بتقولات الجرائد .

وهذا الرجل له من المقدرة ما يوجب الحيرة . فلقد زرته بطرابلس الغرب اثناء حرب ايطاليا والدولة العثمانية ، فلما سمع

بوجودي في داره طلبني فدخلت عليه ، وهو مصاب بالعنكز ــ جدري الماء ــ وهو في سن الشيخوخة . فلما اقبلت عليه استوقفني ، فوقفت ولا ادري ماذا يريد ، واذا به يضع يديه على ذراعي الكرسي وينهض يرتعد ، حتى قام واقفا ، وحين ذاك اشار الي ان اتقدم ، ودنوت منه فقال : « لولا ما بي لقبلت يدك » وجلس فجلست .

وكان يلبس ثوبا وعليه فرو من الالمي وعلى رأسه طاقية ، اشعث اللحية والشارب داخل بعضهما في بعض ، وقد اخرج من فمه اسنانه الاصطناعية ، وكانت الكلمات تخرج منه اشبه بطبطبة الماء يسقط في الماء . وحدثني قائلا : الحال كما ترى ، ولا معين لي من رفقائي ، وهذه احدى خطيئات الاصول النيابية في جعل الوزراء من الاعضاء المنتخبين الذين لا خبرة لهم في شيء . ثم وضع يده على زر الجرس ، ولما حضر القائم على الخدمة ، طلب رئيس الكتاب ومعه كاتبان آخران ، فلما حضروا امرهم ان يكتبوا ما سيمليه عليهم من برقيات . وابتدأ يملي على الثلاثة ، فأملى على الاول :

ولاية بيروت العلية :

علمت من وزارة الحربية الجليلة بهجوم الاسطول الطلياني على المدفعية العثمانية «عون الله» الراسية في ميناء بيروت ، وضربها بالمدافع قبل ان تتم مدة الانذار المعطاة لها ، وهي نصف ساعة ، وتحطيم المدفعية المشار اليها واغراقها واغراق المدمرة « برق سطوت » معها ، وان المدينة ودار البلدية اصيبتا بخسارة ، وان هناك قتلى وجرحى من الاهلين ، وان الغوغاء هاجمت المخازن العسكرية فنهبت الاسلحة والعتاد ، وان المدينة في فوضى . وعليه ينبغي الاجتماع حالا من طرفكم ، بقناصل الدول المتحابة ، والمخابرة مع قائد المركز ، ليخابر المشيرية بالشام ، لجلب خمسة طوابير من الرديف ، لاعادة الامن حالا ، واسترجاع الاسلحة والعتاد من الاهلين . وان مسؤولية ما وقع عائدة عليكم حتى تتبين حقيقة الحال . ولقد علمت ان لا علم لدى وزارة الداخلية بكل ما جرى ، وفي هذا مزيد الاسف .

وأملى على الثاني :

وزارة الخارجية الجليلة :

لقد هاجم الاسطول الايطالي المدفعية العثمانية الملكية «عون الله» والمدمرة «برق سطوت» داخل ميناء بيروت ، واغرقهما قبل ان تتم مدة الانذار المعطاة لهما ، وهي نصف ساعة ، وقد تضررت مدينة بيروت غير المحصنــة بالقصف الواقــع . وان الحكومة السنيــة تحتج لدى الحكومات المتحابة على هــذه المعاملة القانونية ، مستندة على مقررات مؤتمر لاهاي. وبلغوا هذا الاحتجاج الى السفراء العثمانيين لدى الدول العظمى ، كما يجب ان تبلغوا سفراء الدول العظمى بذلك الاحتجاج هنا.

ثم أملى على الثالث :

وزارة الحربية الجليلة :

اشكركم على سرعة اخباركم بحادث بيروت . بنفوا المشيرية بالشام تهيئة خمسة طوابير من الرديف وسوقها الى بيروت ، لتعيد الامن وتسترد الاسلحــة والعتاد الماخوذة من مخــازن الجيش .

وكان يملي هذه البرقيات الثلاث ، على الكتبة الثلاثة ، في آن واحد ، بحيث انه حينما ينتهي احدهم من الجملة الحقه بتالية ، وهكذا بالتنـــاوب ، وهو في حالة المرض . ثم اخــذ هذه الاوامر الثلاثة ووقعها وقال : خذوا صورا منها .

ثم قيل له : ان عــاصم بك وزير الخارجية هنـــا . فقال : ليدخل . فدخل وجلس وقال : لدي معروضات يا سيدي ــ ونظر الى ناحيتي يشير الى لزوم سرية المحادثة ــ فقال : أقدم اليك يا حضرة الوزير، الشريف عبدالله بك مبعوث مكة المكرمة ونجل الشريف الامير ، فانه يحرس أسرار الدولة مثلي ومثلك ، فقل ما تشاء .

فشكرت الصدر ، وتظاهرت بأنني أحب النظر الى الشارع ، فقمت الى الشباك ، ثم تسللت خارجا الى الصفة ، وتركتهمــا وشأنهما . فلما خرج وزير الخارجية ، ورآني بالصفة احمر وجهه ، ثم قبل يدي وقال : ان شاء الله أزورك ببيوك دره ، بقصركم الجميل.

وخرج ودخلت ، وبعد ان اتممت مهمتي مع الصدر خرجت . هذه لمعة عن رجال ذلك العصر واحواله .

تغيير السياسة العثمانية في الحجاز

عندما وصل الوالي والكومندان وهيب بك الى الحجاز ، كنت انا قد خرجت من الحجاز في طريقي الى مصر فاسطنبول . وقد تصادفت الباخرة التي كنت عليها في البحر الاحمر مع بواخره اذ استصحب معه فيها قوى جديدة الى الحجاز . وقد كان في عزل الوالي والقائد السابق منيف باشا ، الانذار بتغيير السياسة العثمانية في الحجاز ، اذ لم يكن من داع لعزل ذلك الرجل المستقيم الا لأنه لا ينتمي الى حزب الاتحاد والترقي .

ويوم تركت مكة ، كان الشريف زيد بن فواز في مرض موته ، وقد سافر معي ابنه شاكر كعادته . وما كنت اريد سفره معي ، لعلة والده ، ولكنه قال له : سافر فبقاؤك لا ينفعني وسفرك فيه الرفقة لعبدالله . ولما وصلنا السويس وسألنا عنه بالتلغراف ، جاء الجواب السامي بهذا النص «البركة فيكم» فعلمنا بما حدث . وكان الركن الاهم في الحجاز ، فموته ومجيء وهيب في وقت واحد كانا مما يربك الرجل الثقيل . ولقد كان في مجيء وهيب على هذا الشكل ، السبب المعجل في موته .

ولقد قال لي قبل مرضه : بلغني ان الوالي الجديد لا ينوي الخير لنا ، اما أنا فلي خطتي ، وأما سيدنا فلو اخذ من هنا لما عشت دقيقة واحدة ، فماذا تقول ؟ فقلت : لا تتوهم ، انما الترك يتظاهرون ولا يفعلون ، والوقت وقت تفاهم وثبات ، وانا مسافر ، وفي سفري استطلع الامر . فقال : وهل في سفرك نفع ؟ ! لو بقيت هنا ، فخدمت سيدنا برايك ، واذا اقتضى الحال ففي الدفاع بحسن قيادتك ، فذلك كان أولى ، أما انا فلا اعتمد على نفسي ان بقيت في بقية تتحمل اي صدمة . فقلت : الامر دون ذلك ان شاء الله . ثم استحلفني وقال : اقلت ما قلت لتطمئنني ؟! فقلت : لاطمئنك بالحق وهو الذي اعتقده . فخرجت وعلى وجهه اثر البشر .

ولما وصلت مصر ، لبثت أياما في ضيافة الخديوي . وقد زارني اسماعيل حقي بك ، الكاتب الاول للمندوب السامي العثماني

بمصر محمد شريف رؤوف باشا ، وقال لي : تلقت دار المندوب السامي من وزير الخارجية الصدر الاعظم سعيد حليم باشا ، يطلب سرعة قدومك الى اسطنبول . فقلت له : لا يزال بيننا وبين افتتاح المجلس شهر ونصف ، ولي أشغال هنا أريد اتمامها ، وسأسافر بعد ذلك فورا . فخرج من عندي بهذا الجواب .

وفي اليوم الثاني ، وأنا عند الخديوي ، حضر الصدر الاعظم الاسبق فريد باشا ، فلما رآني قال لي : ماذا تصنع هنا ؟ قلت : انا في طريقي الى اسطنبول . فقال : كيف تترك والدك في الحجاز ، وقد حضر وهيب بقوات عظيمة بقصد عزل الامير ؟ ! فقلت : ان الامير من جملة رجال الدولة ، فاذا ارادت الدولة تبديله ، فما من حاجة الى ايجاد عساكر او قوة . فقال لي : ما الفائدة من هذه الرشوة الكلامية ؟ اتظنني استطلع خفاياك ؟ انسيت انني الباني ، وان ما فعله هؤلاء من رجال الدولة قد قضى على آمال بلادي وعثمانيتها وانتم كذلك ؟ ! فقلت له : انني في طريقي الى اسطنبول ، ولا اعتقد ان خلافا يصدر من والدي ضد ما تريده الرسالة . فقال الخديوي للصدر الاعظم : انه لا يسافر قبل حلول وقت المجلس .

ازمة في الحجاز

فخرجت من عندهما وانا في غاية من القلق . وفي المساء وردتني برقية من اخي علي يأمرني فيها ان اسافر الى اسطنبول حالا . ولما كنت شديد الحذر ، وكانت ادارة البرق والبريد تركية ، شككت في أن تكون تلك البرقية صادرة من اخي علي حقا ، فأجبته بأني سأسافر عند انقضاء اشغالي .

وقد علمت أن في الحجاز أزمة شديدة ، لضغط الوالي على العموم وعزمه على تطبيق قانون ادارة الولايات في الحجاز ، وان الراي العام الحجازي قد اعترض على هذا وتجمهرت الامة وانقطعت السابلة بين الساحل والداخل وبين المدينتين وتبدت اشباح المجاعة. وعلمت ان والدي قد زار الوالي في مكتبه بدار الحكومة وقال له منذرا : — « هذا انت ترى رغبة الشعب الحجازي في التمسك بحقوقه القديمة وبالشروط التي بويع بها السلطان سليم الاول

بالخلافة . فان احببت عدم اعتبار هذا ، وكانت في يدك أوامر من الدولة بتطبيق قانون الولايات على هذه البلاد وسلخ امتيازاتها ، فأرنا هذه الاوامر التي لم تأتني عنها من الباب العالي أي اشارة . واذا كان المقصود اجراء تبديل في الامارة ، فهذا أنا سأبقى هنا الى حين تأتي الباخرة التي سأسافر بها من جدة ، لئلا يقع ما تسند تبعاته الي » .

وكانت دار الحكومة من غرفــة الوالي الى الشارع الى دار الامارة الى قشلاق جرول وقلعة جيـاد ، ملأى بالرجال يصيحون بسقوط تغيير امتيازات الحجاز، ويطالبون بعدم مد السكة الحديدية من المدينــة الى مكة ، ويهتفون بالامير « دم دائما » .. فتزلزل الوالي وارتبك واخذ يقول : ليس من هذا شيء .. وكتب برقيــة مستعجلة بالحال الراهنة . وخرج الامير بين الهتاف العالي « دم دائما » .. وبقي وهيب بك وهو يعلم انه قد خذل . وفي مساء ذلك اليوم ، اخذ الدفتردار وقومندان الجندرمة الاميرالاي سعيد بك بالقوات التي كانت معهما ، في طريقهما الى جدة بالحديبية ، فأسر بيد العشـائر ، وحصرت كل النقاط العسكرية بين جــدة ومكة ، وامتنع اهل الاودية من جلب الخضار والفواكه والسمن والاغنام الى مكة .

ولم تفرج الازمة الا بورود البرقية الجوابية من الصدر الاعظم للامير ، بأنه لا اخلال بحقوق الامارة وبامتيازات الحجاز ، وان الدولة في الوقت الحاضر لا تلح في مد الخط الحديدي . وقد تليت البرقية في المسجد الحرام ، وعادت المياه الى مجاريها .

ثم تلقيت برقيــة ثانية من اخي علي بأن اسافر حـالا الى اسطنبول فأجبته ان لا باخرة قبل يوم السبت . وورد البريد من الحجاز بتفصيل ما ذكرت من أزمة ، فجاءني السير رونالد ستورز ، وقد ارسله اللورد كيتشنر ، وبيده كتاب معنون للسفير البريطاني باسطنبول وفيــه انه اذا احتاج الامير عبدالله الباخرة الحربيــة المخصصة للسفير البريطاني فاجعلوها تحت امره . وقــال لي : يرجوك اللورد ان تقبل هذه الخدمة ، وتدفع هذا الكتاب للمستر

فيتس موريس كاتب السفارة ، الذي سيقابلك في الباخرة بإزمير ليتناول هذا الامر . وقال ايضا : لا بد لك من ان تعلم انه اذا دافع سمو الشريف عن حقوقه بالحجاز ، فالحكومة البريطانية ليس لها اي حق في التدخل في شؤون داخلية لدولة صديقة ، لا ترضى أبدا بدوام أي حركات تسببها تركيا ضد السلام الحاضر في بلاد الحج . وعلمت انه يريد ان اكتب بذلك الى مكة ، فقلت له : وكما حملتني هذا الكتاب سأرجوك ان تبعث بكتابي هذا الى القنصل البريطاني بجده كي يتوسط بأرساله الى مكة . وكتبت الكتاب وختمته بالشمع الاحمر ، وهو لا يدري ما فيه . وسافرت وسافر معي رفقائي .. ووصلت اسطنبول ليلا ، فوجدت ابن عمي الامير جميل ينتظرني على الرصيف ، ومعه طاهر افندي – وكيل اشغال والدة اخي الامير زيد – فقال لي « هيا بنا الى الصدر الاعظم » فسألته « ولم الآن ؟ » فأجاب « هو يريد ذلك » .

مع الصدر الاعظم ثم مع طلعت باشا وانور باشا

وركبنا السيارة الى الباب العالي ، فقيل لنا هناك ان الصدر الاعظم خرج الى داره ، فلحقناه في طريقه بعد ان اجتاز الجسر ، ووصلنا منزله قبله . ودخلنا بهو الاستقبال ولم يكن فيه احد ، فقال لي طاهر افندي : ارجوك ان تبلغ سيادة الامير ان لا يتأخر في مصر ، ان هو عزل ، كما فعل الشريف علي باشا . فقلت : دون عزل الامير خرط القتاد . فقال لي : اسكت فان للجدار اسماعا . قلت له : لا اخفي ما اقول .

وصل سعيد باشا ودخل هاشا متضاحكا وقال « مرحبا مرحبا ، ابطأت علينا في مصر ونحن في حاجة اليك » . فقلت « ها انا ذا حضرت ، وما كنت أحسب ان لكم في حضوري رغبة شديدة » . فجلس وقال لي : كيف ذلك ؟ لقد بعثت اليك ببرقية مع اسماعيل حقي بك بعد الخبر الاول ، قلت فيها انني انتظر قدوم الامير عبدالله وارغب تبليغكم اياه ، وان الاشاعات التي راجت عن شخص سمو الامير بمكة لا أصل لها من الحقيقة ، وان رضا الخليفة الاعظم عن سموه لا يتزلزل . . فقلت : هذه البرقية هي التي اخرتني .

قال : ولماذا ؟ .. فقلت له : ذكرت بها برقية محمود شوكت باشا لوالدي قبل خلع السلطان عبد الحميد بيومين ، اذ قال فيها ان جيش الحركة قد توجه الى اسطنبول ونيتــه الاصــلاح وان الحوادث عن الذات الملكية لا اصل لها من الحقيقة . فضحك بصوت عال وقال : لا لا لا ... هذا التفكير غير موافق واني آسف ان يكون اقلقك . فقلت : انني مازح ، وها انا الآن جئت ، وان ابي يقرئك السلام ويقول انه لا ينتظر ان يدافع عن حقوق الشرافة وعن مقام آبائه واجداده في عهد صدارة سعيد حليم باشا حفيد محمد علي باشا الكبير صديق البيت . قال : ان كل الامور سويت وقد رضي الامير عما عرضناه عليه ، وانا ارجو ان تراني غدا في الباب العالي في الساعة الرابعة بعد الظهر ، بعد ان تقابل وزير الداخلية طلعت باشا ووزير الحربية انور باشا قبل الظهر . فقلت : انا لا اذهب اليهما ، وانا مبعوث مكة ولست بالموظف فلا علاقة لي بهما ، وان كانت لكم رغبة في ذلك فأنا انتظر الدعوة منهما بعد تعيين الوقت ، اذ علمت انهما لا يقابلان من يزورهما بدافع من نفسه .. فقال : ستأتيك الدعــوة .

وفي الصباح جاءني من يبلغني أن طلعت باشا وزير الداخليــة ينتظرني في الساعة التاسعة بالباب العالي ، وان أنور باشا وزير الحربية ينتظرني في الساعة العاشرة والنصف . فذهبت في الوقت المحدد . وبينما انا اصعد الدرج الى وزارة الداخلية ، اذا برجل يضع يده على كتفي ويقول : نحن نبحث عنك في مصر وانت هنا .. فاذا هو طلعت باشا . فأخذ بيدي وصعد الدرج اثنتين اثنتــين ، ودخل مكتبه ثم جلس وأجلسني امامه . وبعد المجاملات قال لي : انحلت الازمة بالحجاز ، فأعلمني ماذا جرى ؟ قلت : لا علم لي بما جرى لانني كنت في مصر ، والتفصيلات عندكم ، ولكن الذي اعلمه اجمالا هو ان ما حدث ليس الا نتيجة طبيعية لسياستكم انتم الاتحاد والترقي .

قال : كيف ؟ قلت : انتم تريدون اخراج الحجاز من صبغته

الخاصة الى ولاية عثمانية يجري فيها ما يجري في سواها . وسياسة الشريف سياسة محافظة تريد ابقاء كل شيء على ما كان عليه ، ويظن هو ان غاية ما ترجوه الدولة هو استتباب الامن وسلامة المواصلات وأمن الحجاج . وانتم مع رغبتكم في هذا تريدون جعل الحجاز خاضعا لقانون الولايات . ولو انكم جعلتم الشرافة تخدم الدولة في الحجاز على أساس روابط الاخوة الاسلامية الحقيقية بين العالم الاسلامي وبين دولة الخلافة ، لعلمتم ان مكة هي القلب النابض لهذه السياسة وان الشريف هو المنظم لهذا القلب ، وان فائدة الدولة من مظاهرة الحجاز لها اكثر بكثير مما ترجونه من تطبيق قانون الولايات عليه .

فسألني : ولماذا يمانع والدك في بناء الخط الحديدي ؟ فأجبته : لم يمانع والدي في ذلك ، ولكن نسيتم ان الاسباب الموجبة التي دعت السلطان عبد الحميد الى بناء هذا الخط كانت ترمي الى غير ما تبنون انتم عليه سياستكم . وهو كان يظن ان في تجربة كهذه دعاية عظيمة لشخصه ، وكان يود كما تعلمون ان يومي ايماءة خفيفة الى روسيا بأن الخطوط الحديدية العسكرية هي الاشارة الى نواحي الخطر العدائي ، وان في بناء هذا الخط الى الجنوب مع خط بغداد ــ الذي أعطى امتيازه الى الالمان ــ الاشارة الى أن الخطر متوجه على الدولة العثمانية من ناحية انكلترا لا من ناحية روسيا ، وان اغفال مد السكك الحديدية الى شرقي الاناضول هو الاستخذاء للروس وعدم الرغبة في تهييج عواطفهم . والذي يهم الشريف اليوم يجب ان يهمكم انتم ايضا ، الا وهو بناء سياسة اسلامية مركزها الحجاز والامين عليها الشريف . واتمام هذا الخط يعني ايجاد اشغال تدعو اليها الذين يحيون اليوم بممارسة صناعة النقل على الجمل في الحجاز وتعليم الحجاج الطواف وكيفية زيارة المصطفى صلى الله عليه وسلم . وليست هذه الوسائل معدومة هناك . هذا ما عجز الشريف عن تفهيمكم اياه وعجزتم عن فهمه . فرأيت التأمل يبدو على وجهه ، وقال لي : نجتمع غدا في حضرة الصدر الاعظم في بيته في الساعة الحادية عشرة . وقد شكرني

لهذه الايضاحات .

وذهبت في الوقت المحدد الى انور باشا . ولما وصلت الى الباب الرئيسي بمركز السرعسكر ، طلب الجند مني وثيقة او بطاقة زيارة ، فقلت : لا املك هذه ولا تلك ، ولكن وثيقتي عمامتي ، وقد جئت بطلب . فتنحوا وتقدمت . وفي الباب الداخلي ايضا ، اخذت الى غرفة بها اكثر من عشرة اشخاص يكتبون ، فلما رأوني على الباب ، ظهر لي انهم استثقلوا الجبة والعمامة ، فقالوا لعلك اخطأت وليس هذا بالمكان الذي تريده . فقلت : نعم ليس هذا بالمكان الذي اريده ولم اخطىء ولكني هديت الى هذه الغرفة ، وانا فلان ابن فلان جئت على وعد من وزير الحربية في هذا الوقت ، فكيف الوصول اليه ؟ فقاموا جميعا معتذرين . ثم كلم ضابطهم مرافق الوزير بالهاتف ، فجاء الرد واخذني اليه ، فصعدت الى بهو الانتظار . ورأيت في اقصى البهو اربعة من الذوات ، عليهم الشكل المغربي ، فجلست الى الباب وهم بأعلى مكان من البهو ، فتهامسوا وتذاكروا ثم جاءني احدهم فسلم وقال : ذاك هو عبد العزيز شاويش يبلغك التحية ويدعوك الى حيث هو . فقلت : اقرئه السلام وقل له ليتفضل هو ان كانت له بي حاجة ، اما انا فليست لي به حاجة . فذهب اليه وبلغه فجاء ومن معه ، وبالطبع قمت لهم وتصافحنا ، وبعد ان استقر بنا المجلس اخذ يحدثني قائلا :

ما هذه الحالة بالحجاز ؟ كلما ارادت الدولة ان تقوم بمشروع اصلاح اوجد لها سيادة الامير انواع المعاذير ، مثال ذلك الخط الحديدي وعدم الامان في الطرق . والآن ستنشأ بالمدينة المنورة كلية اسلامية عهد الي برئاستها ، وقد علمت أن الشريف يعارض ايضا في هذا المشروع . وان هذه المعارضات مستوجبة كدر الخليفة الاعظم . فان كان هناك اي سبب معقول ، فانا على استعداد لازالة أي خلاف بين والدك والدولة . وما وقع اخيرا في الحجاز ، من صد الوالي النبيه والقائد المحنك وهيب بك عن القيام باصلاحاته المرسومة ، أمر استوجب استياء اهل الاخلاص .

وعند ذلك ، جاء مرافق الوزير ، وقال : عذرا ، انتظروا عشر

دقائق ، فان المشير فون ساندرس باشا لا يزال عند انور باشا . فقلت : لا بأس . ثم توجهت الى الشيخ عبد العزيز شاويش ، وقلت له :

اشكرك على عزمك في الوساطة ، ان كان هنالك ما يوجبها . اما قولك ان سيادة الشريف يعتذر عند كل اصلاح يراد ، فهو قول بني على الظن ، واما عدم الامان فهل لي ان اسألك عن سبب قيام الادارة العرفية بدار الخلافة . وما قلت من عدم امان السابلة ، وهو مجرد اخبار لا حقيقة لها ، فهل يستطيع الاستاذ ان يذكر وقائع معدودة وحوادث معينة ؟ واما الكلية التي ذكر الشيخ انها على وشك التأسيس ، فمع انني لست أطلع على كل ما تكتبه الدولة الى الشريف الا انني واثق من ان الشريف لا يعارض في وجود مثل هذه الكلية ، واما من جهتك أنت يا استاذ فلم اسمع عنك صفة علم ، بل الشائع عنك انك كاتب صحفي ، وفي الحجاز من العلماء الاعلام من لهم منتهى درجات الاحترام .

وجاء الياور يدعوني ، فتركت عبد العزيز شاويش مبهوتا ودخلت على انور باشا ، فأقبل يحييني . فلما جلست قال : ما هذا ؟ نحن نريد لو استطعنا ان نخلق من الشجر رجالا لنضيفهم على أعدادنا ، والحجاز يقتل فيه رجال الامن ، كما وقع على مدير الجندرمة والدفتردار . ولكن والحمد لله انتهت الازمة ، فنرجو منك السعي لاستبعاد كل اثر سيء في قلب والدك ، فانه في منتهى درجات الاعتماد والحرمة لدى الدولة . فقلت له :

انك تلقب بقهرمان الامة ، ومع ذلك فانا لم استطع الدخول عليك الا بعد ان أخذت الى أكثر من مكان وطلبت مني بطاقات واوراق هوية . ثم انني وجدت هنا في غرفة الانتظار الشيخ عبد العزيز شاويش ، فأخذ يهاجمني بما يقارب اقوال الوزير الآن ، ويعرض وساطته في تسوية الامر بين الدولة والشريف ، وهو عبد العزيز شاويش ، والشريف يرث الصداقة بينه وبين السلاطين العظام من عهد ابي نمي والسلطان سليم الى اليوم . فاذا كانت الامور انقلبت الى هذا الحد ، فلا سبيل الى ما تريد . وبالنسبة لما

وقع في الحجاز ، ما الذي تظنه ان يقع من رجل كوهيب بك ، يرسل الى بلاد مقدسة لها تقاليدها وحقها ، فيريد الاعتداء على تلك التقاليد وذلك الحق ؟ لقد أرسلتم هذا الرجل ليقع ما وقع . وأنا على علم من انه رفض ولاية بالبصرة خوفا من السيد طالب النقيب . فهو كما قال الشاعر :

اسد علي وفي الحروب نعامة ربداء تجفل من صفير الصافر

قال انور باشا وعلائم الدهشة على وجهه :

حسبي الله ونعم الوكيل . ما لهذا الانسان لا يعرف حده ؟ ارجوك ان لا تؤاخذه . واما ما رايت من حراسة وتحوط فالذي حدث للصدر الاعظم محمود شوكت باشا اوجب على المسؤولين عن الامن العام ان يتخذوا هذه الاجراءات فعذرا . واننا دائما نحب ان نعمل بنصائح سيادة الشريف واشارته . اما وهيب بك فانا لم اطلب ان يكون واليا على الحجاز . وانهى حديثه الي بأنه يرغب في لقائي في كل فرصة ممكنة ، فقلت له بأن اجتماعنا يكون مفيدا جدا ، ثم قمت مستأذنا وخرجت .

وفي اليوم التالي كنت عند الصدر الاعظم في داره ، واذا بطلعت باشا هناك ــ وهو وزير الداخلية وقد ولي الصدارة بعد ذلك اثناء الحرب العامة ــ واذا بهما على غير ما رايتهما بالامس ، فقد كانت تبدو على وجهيهما آثار الغضب ورأيتهما ينظران الي شزرا .

وتكلم طلعت باشا يخاطبني قائلا :

اسمع ، انه لا يهمنا تغيير الولاة في كل شهر ، ولكن الذي يهمنا هو انشاء الخط الحديدي من المدينة الى مكة ومن جدة الى مكة ومن ينبع الى المدينة فان قام والدك بمسؤولياته في هذا الباب عملنا له كل ما يريد . وان رفض فلا وداد ولا بقاء . واليك هذه الشروط للشريف :

ثلث دخل الخط يصرفه كما يشاء ، وله الامارة مدى الحياة ومن بعده لاولاده . وستوضع تحت أمره القوة الكافية لتأمين التنفيذ ، وستصغي الدولة الى مشاريعه في هذا الباب ، وستضع

تحت يده ربع مليون ليرة ذهبا ينفقها على العربان . فسافر في اول باخرة بهذه الاقتراحات ، ونحن ننتظر الجواب ، فان رضي وبلغنا بالرضا ، تسافر انت عندئذ الى المدينة المنورة لتجد شيخ الاسلام خيري افندي ينتظرك هناك لتباشرا وضع اساس الخط ، وان رفض فلا عتب .

قلت : هل لي ان اجيب ؟ فقال : هذا قرار الدولة . قلت : سابلغ سيادته وسيرفض ، لانه سيعتبر هذه الاقوال رشوة وحقارة ، وهو لا تهمه الامارة ولا تهمه الدراهم ولا عليه ان يتولى ابناؤه الامر من بعده او غيرهم . ولكن بلفوه ان يكتب اليكم برأيه في اقامة الخط وما ينبغي له ، وسترون انه سيدلي لكم بخير النصائح. وهنا قال انه سيطلب لجنة للتحقيق ، ثم استدرك مستشهدا بقول نابليون « اذا اردت اعاقة امر فأحله الى اللجان » ونهضا واقفين فوقفت ، وسألني سعيد حليم باشا قائلا : متى تسافر ؟ فقلت : في اول باخرة . وكان السفر في اليوم التالي على الباخرة الرومانية «كارول» .

اسفار

وعدت الى الحجاز احمل الشروط المغرية. ولما وصلت جدة علمت ان الوالد بالطائف ، فسافرت اليها على التو ، وعرضت عليه الامر بالتفصيل ، فقال : هل يرشونني ؟ صدق من قال ان المرء ينظر الى غيره بعين نفسه ، وابرق اليهم :

> وصل ابني عبدالله ونقل الي التنسيبات والمقررات العلية من الصدر الاعظم ، بخصوص تمديد الخط الحديدي الحجازي الى مكة المكرمة . ليس هنالك ما يستحق التفكير في ما يخصني ، وانا متنعم بنعم الخلافة . وانني سابعث اليكم مع ابني وفي اول فرصة بما يلوح لي عن امكان اتمام هذا الغرض السامي دون ان يمس ذلك مدار معيشة العشائر وسكان البلاد المقدسة .

ثم خرج الوالد الى مران للنزهة والترويح عن النفس . ومران

هذه الى ناحية المشرق من الطريق الشرقي وسطا بين مكة والمدينة ، وهي على حد سهل من جبل ، جميلة المناخ عذبة الماء .

ومن ثم امر بغزو الدواسر ووجهني على راس الحملة . ولما عدت الى مكة المكرمة وجدت البرقيات من الصدارة تلح في طلبي الى اسطنبول. فسافرت بلا ابطاء.. واستقبلني اخي فيصل على رصيف اسطنبول ــ وكان حين ذاك مبعوث جدة ــ فألفيته غير مرتاح الى الوضع بين الوالد والباب العالي ، وقال لي : ان تأخرك اغضبهم . فقلت له : لا عليك .

وكان البوليس أقتحم الباخرة وفتشها والقى القبض على عدة رجال من الارمن كانوا يعملون وقادين في السفينة ، بينما هم فدائيون ارسلهم حزب الحرية والائتلاف من مصر للفتك بأنور باشا وطلعت باشا وجمال باشا . ولقد ساورني القلق اذ ذاك ، لما كان لي من يد مع هذا الحزب في هذه المسألة .

وفي اليوم التالي ذهبت الى الصدر الاعظم وقلت له ان والدي يقرئكم السلام ويقول انه خادم الخليفة ولا يعارض في ما يراه جلالته من مشاريع ، وانه مستعد للتنفيذ حالا ، ولكن اذا كان اتمام بناء الخط وتأمين ولاء العشائر ومعاشهم هو ما يريده جلالته وتريده الحكومة ، فلذلك وسائل لا تقتضي ربع النفقات التي بينتموها لي . غير ان والدي يرى من المناسب ان تؤلف لذلك لجنة يراسها هو ويكون فيها صاحب السماحة شيخ الاسلام واي وزير من الوزراء . وان كانت الرغبة منصرفة الى اقامة الانشاء تحت اي شرط يكون ، فينبغي توظيف فرقة عسكرية بكاملها على طريق السكة واشغال المياه والقرى بين المدينتين ، ثم بعد ذلك تكون البداية في العمل . فقال الصدر سعيد حليم باشا : « ليس بعد هذا ما يقال ، وسأستدعيك لنجتمع مع طلعت باشا في هذين اليومين » .

الحرب العالمية الاولى

وكان قبل وصولي بيوم ، قتل ولي عهد النمسا وزوجته بسراجيفو ، وتوترت الحال بين روسيا والنمسا ، واضطر الامبراطور غليوم الثاني ان يعود الى برلين من رحلته البحرية في البلطيق .

في تلك الاثناء زرت الصدر الاعظم لاتلقى الجواب ، فقال انه مسافر الى لاهاي ليجتمع هناك بالمسيو فنزيلوس رئيس وزراء اليونان لحل بعض المسائل المعلقة بين الدولتين ، وامرني بأن انتظر اوبته . فقلت : يسر الله لفخامتك كل عسير ، ولكن هل تسافر الى اوروبا وهي في هذه الظروف ؟ فقال : ما اظن ان الشعوب الاوروبية تشهر الحرب من اجل رجل وامرأة ، فتسفك الدماء وتخرب الديار .. فاستأذنت وانصرفت .

وفي اليوم التالي تبودلت الانذارات النهائية بين روسيا والنمسا، واشتعلت الحرب العظمى . وزرته في الباب العالي فقال لي : صدق ظنك فقد تأخرت بسبب الحرب . فقلت له : اريد النتيجة لما جئت من الحجاز لاجله . فكلم وزير الداخلية بالهاتف وذهبت اليه. وقابلت طلعت باشا وسألته عن المقتضى فأجابني : «وهل هذا وقت تفكير في انشاء خطوط حديدية ؟ ومن اين القضبان والساحبات ومواد البناء والحرب قد شهرت ؟ ولكن نريدك ان تسافر حالا الى الحجاز لجلب المتطوعة، اذ من الممكن دخول الدولة الحرب مضطرة. وهذه سيارتي اذهب بها الى انور باشا لتتذاكر معه في هذا الشأن» .

فذهبت الى انور باشا وقلت له : يظهر أن الحرب قد تشمل الدولة العلية وان مشروع الخط الحديدي قد يؤخر الى ما بعد انتهاء الحرب . قال : بالطبع ولكن نريد متطوعة من العرب ليشتركوا في الجهاد . قلت : اين والعدو من الجهتين ؟ قال الا تريد ان نسترد ما اضعناه في القفقاس ؟ ثم الا تريد ان نسترد مصر ؟ قلت : اريد دفع الاعداء الى ما وراء ادرنة ، والقفقاس شاقة حربها بعيدة عن حاجة الامداد لمن يقاتل فيها ، ومصر كيف تستردها وهي لها صفة خاصة؟ قال : باخراج الانكليز منها. قلت:هذا هو التعبير الصحيح . فقال : كم يمكن ان يكون عدد المتطوعة من اهل الحجاز ؟ قلت : والله لا ادري . فقال : قل بالقدر الذي يمكنكم ان تكسوه وتطعموه . فقلت : وهو كذلك ، ولكن في الجبهات ؟ قال : سنجعل القوة المنظمة في جبهة الروم ايلي وجبهة مصر ، اما جبهة قفقاسيا فسنخصص لها علاوة على الجيش الذي بارض روم كافة المتطوعين.

قلت : متطوعة العرب يجب ان يقاتلوا في جبهة مصر ، واما المنطقة الباردة فمهلكة لهم ، ولا أدري من عدو للدولة في الروم ايلي ما دامت بلغاريا والنمسا والمانيا حلفاء الدولة . قال : الصرب ورومانيا . قلت : انا افهم من هذا انكم تريدون امداد حلفائكم بالقوات المنظمة. فاحمر وجهه وقال : يجب ان تسافر باي وسيلة من اجل التطوع والسعي لايجاد من يقوم بهذه الخدمة المقدسة . فخرجت من عنده والطبول تدق والمنادي ينادي بالتعبئة العامة ، وانه يجب على كل انسان أن يذهب الى دائرة اخذ العسكر فيقيد نفسه وسنة ولادته وصنفه .

ولما رجعت الى الباب العالي ودخلت على الصدر الاعظم واخبرته بما سمعت ، دهش وقال : وهل قالوا سيتاخر أمر الشمندفير ؟ فقلت : نعم ويطلبون سفري من أجل المتطوعة . فقال : على بركة الله وقبل أيادي الشريف وقل له قد تأخر ما كان فيه تعبه .

الاعتداء على الخديوي عباس

وخرجت عائدا ، واذا بنبأ الاعتداء على الخديوي عباس وهو خارج من الباب العالي ، فذهبت الى قصره (بجيبقلي) ورأيته بعد ان اسعف. وفي اليوم الثالث زرته فكتب على لوح حجر: ما تظن في هذا الاعتداء ومن يكون المحرض ؟ قلت : صاحب السمو اعلم باهل مصر والمعتدي مصري . فكتب : الا تظن ان التحريض من هنا ؟ فقلت : أتظن ان هذا من ابن عمك الصدر الاعظم ؟ فكتب : انا اسألك . فقلت : لا انفي ولا اثبت اذ ما فائدته من هذا وولي عهد مصر موجود؟ واضفت : متى تسافر سموك الى مصر ؟ بعد يومين او ثلاثة . قلت له : بل سافر اليوم . فكتب : لماذا ؟ قلت : سيشهر هؤلاء الحرب على انكلترا وروسيا ، وفي بقائك هنا ما يشوش الانكليز من ناحيتك ، ووجودك في بلدك الآن من مصلحتك ومصلحة مصر . فكتب : الطبيب لا يرضى . قلت له : ان في باخرتك كل اسباب الراحة وانصحك بلزوم مغادرتك اسطنبول هذه الليلة . فامتلأت عيناه بالدموع وكتب يقول : كل شيء بارادة الله . . وكانت اجوبته

بالكتابة ، لأن الاصابة في فمه ولسانه ، وكان قد منع عن الكلام ، فودعته وخرجت .

وسافرت في اليوم التالي على الباخرة الخديوية (اسماعيلية) ومعي الاخ فيصل والشيخ حسن الشيبي ورفاقنا الآخرون . فلما وصلنا الى الدردنيل اشارت المدمرات التركية الى باخرتنا بالوقوف ، ثم اشارت اليها ان تدير مقدمة السفينة الى ناحية اسطنبول منتظرة الامر . وبعد حوالى ربع ساعة اشارت بالحركة وبلزوم اتباعها ، فكانت سفينتنا تتبعها من بين حقول الالغام ، حتى خرجنا الى عرض البحر من وراء الدردنيل ، فوصلنا ازمير في الصباح الثاني. وجاء القنصل البريطاني فبلغ القبطان بأن يبقى بازمير حتى يصدر اليه الامر بالحركة . وبعد مضي اكثر النهار صدر الامر بالحركة ، فاتجهت الباخرة الى بيريه – وكانت تعج بالمصريين ممن حضر للمصيف وممن حضر بسبب الاعتداء على الخديوي – فوصلناها قبل ظهر اليوم التالي .

وقد حجزت الباخرة هناك بسبب وجود الباخرة الالمانية الحربية (غوبان) بالبحر الابيض ومعها الطراد (بريسلاو) . وانذرتنا الشركة الخديوية بانه يجب علينا مغادرة الباخرة لأن الوقت الذي كان معينا لوصولها للاسكندرية قد مضى . وبعد المذاكرة مع الركاب المصريين إستأجرنا جميعا سفينة يونانية انتقلنا اليها ، وعندما تحركت بنا واذا بالباخرة (اسماعيلية) تسافر تسبقنا الى الاسكندرية .

ووصلنا الاسكندرية ، ومنها سافرنا الى مصر – وكان موعد الباخرة من السويس الى جدة بعد مضي اربعة ايام – ونزلنا كالعادة بقصر عابدين . فزارني أول ما زارني حسين رشدي باشا رئيس الوزراء ، وسألني عن الخديوي وموعد قدومه وعن صحته ، فقلت : « هو بخير ولكنه متأخر حتى يبرأ الجرح ، وقد نصحته بان يسافر حالا فرأيته قد آثر البقاء هناك ، فلو استعجلتموه لكان من خيركم وخير مصر» . قال : فعلت ذلك ولم اتلق أي جواب، وقد ادهشني ما بلغني من الخاصة الخديوية أن الجناب العالي قد طلب ببرقية خفية المجوهرات الخاصة والاواني الذهبية والكثير من الصناديق الحديدية

المرقمة ، وهذا لا يدل على نية القدوم ، جعل الله العاقبة خيرا » .

وقد علمت مؤخرا من سموه ، عندما زارني في عمان ، ان السفير البريطاني باسطنبول زاره وهو جريح ، وبلغه ان الحكومة البريطانية تشير عليه بالسفر حالا الى روما وان لا يرجع الى مصر ، وانه قال للسفير بانه يفضل ان يسافر الى لندن ، فأجابه السفير بأن خير ما يفعل هو ان ينفذ ما طلب اليه . قال لي سموه : قلت للسفير ان لا شأن لي بايطاليا فاذا كان الرجوع الى وطني غير متيسر فأنا حيث انا في اسطنبول . فكرر السفير النصح الذي ذكره .

قلت لسموه في عمان : لو أخبرتموني اذ ذاك بتلك المانعة لكان في امكاني ان اتحمل مسئولية اصلاح ذات البين حال وصولكم الى روما ، فانهم كانوا يظنون انكم تميلون الى ناحية الترك والالمان ، وروما بلد محايد ان لم يكن حليف المانيا ، فلو سافرتم الى روما لراقبوكم حتى يطمئنوا من عدم دخول تركيا الحرب ضدهم ، أو في حالة دخولها ينتظرون الى ان تنكسر شوكة تركيا ثم يدعونكم الى ملككم بعد ان تحبطوا بحكمتكم وساوس وزير الحربية لورد كيتشنر خصمكم القديم . فقال: «هذا قدر الله، ولست بآسف. لقد مللت الحكم خمسة وعشرين عاما، وهذا عمي يقاسي مما كنت اقاسيه، ومن كان في ذلك المركز يستحيل عليه ارضاء الوطن وانهاء الاحتلال ، لتفوق اولئك ولعدم القدرة على تغيير الحال بالقوة . ولم يكن لي ما آسف له الا البعد عن ديار الاسلام والنظر الى المآذن والاستماع الى ذكر الله . ولكن ها قد تيسر الآن لي ان أزور تركيا وهذه الاقطار ، ولو عرف عمي العزيز ـ الملك فؤاد ـ نياتي لما تخوفني ، فانني قد اجفلت من الماضي ولا اريد ان يعود علي» . وكان صادقا مخلصا في ما قال . . . ولقد مات ودفن في اوروبا رحمه الله .

رسالة الى السلطان محمد رشاد

عدت الى الحجاز واطلعت الوالد على حقائق الامور ، فكتب رسالة الى السلطان محمد رشاد وبعث بها الى (المابين همايون) أي البلاط الملكي ، ذكر فيها حالة اوروبا وصور الاتفاق الثنائي بين روسيا وفرنسا ، والمعاهدة الثلاثية بين المانيا والنمسا وايطاليا ،

والتفاهم الثلاثي بعد دخول انكلترا الحرب الى جانب الفرنسيين والروس بسبب اجتياح الالمان لبلجيكا . قال شريف مكة في رسالته الى السلطان محمد رشاد :

> **تعلمون جلالتكم ان الحرب البلقانية قد انتهت على ما انتهت عليه ، وان الدولة الان في حاجة الى تجهيزات واستكمالات حربية لم تتم الى الان ، وانه في الدخول الى جانب المانيا الخطر العظيم ، حيث اسلحة الدولة كلها من المانيا وكذلك عتاد هذه الاسلحة ، وان المعامل العثمانية لا تكفي لامداد الجيوش بالعتاد اللازم ، ولا تستطيع امداده بما يمكن ان تخسره من مدافع وانواع الاسلحة الاخرى . ثم ان الاقطار المترامية الى الجنوب من جسم الدولة كالبصرة واليمن والحجاز ، محوطة من كل ناحية بقوات مستعدة من الدول المعادية البحرية ، وستصبح في احرج المواقف . وربما اتكلت الدولة في الدفاع على حمية اهلها وهم ليسوا منظمين ولا مسلحين بالشكل الذي يستطيعون معه مقابلة جيوش اوروبا المنظمة .**
>
> **وعليه فانني استحلف جلالتكم بالله ان لا تدخلوا الحرب، وان تعلموا بانني اعتقد في كل من يرى الحرب الى جانب الالمان عدم التمييز او الخيانة الكبرى .**

وقد وصل هذا الكتاب قبل اعلان الحرب . وفي شهر رمضان زار الوالي وهيب بك الامير بالطائف ، وقال له : وردني برقيا من وزارة الداخلية ووزارة الحربية بأن استطلع رأيكم في اعلان الحرب على روسيا وانكلترا .

فرد عليه الامير قائلا : أنا لا ارى ان اجيب عن هذا بشيء بل ليرد الي السؤال برقيا فيسجل ويسجل جوابي عنه ، ولكني اقول لك كجندي شريف اني لست بالخائن حتى أشير على الدولة بأن تدخل هذه الحرب التي لا ناقة لها فيها ولا جمل . فنحن محاطون هنا بالدول العظمى البحرية ، وانتم ستشغلكم جيوش روسيا

وجيوش الانكليز بمصر ، مع انكم غير متصلين بحليفتكم المانيا من البر ، وصربيا معادية ورومانيا معادية . فقال الوالي بعد ان مس لحيته بيده ــ وكان ملتحيا ــ « هي ورقة نريد ان نقذف بها على مائدة الميسر » .. فقال الامير : عجيب .. ابالامة تقامرون ؟!..

وبعد اربع وعشرين ساعة وردت برقية من الصدر الاعظم وبرقية من وزير الحربية انور باشا بالسؤال نفسه . فاجابهم رحمه الله بانه قد قدم رايه ونصيحته الى جلالة السلطان بعريضة خاصة مفصلة وانه يكرر النصح بعدم دخول الحرب ضد روسيا وفرنسا وانكلترا ، ويعتبر الدخول في الحرب خيانة للامانة على الامة ، وانهم ان كانوا عزموا على هذا ، فقبل نشوب الحرب يجب عليهم ان يزودوا الجيش الخامس باليمن بما يكفيه لثلاث سنوات وباحتياطي لما يطلب من مجاهدين ، وكذلك يجب ان يفعلوا للفرقة العسكرية بعسير وبالحجاز . وانه يجب الاسراع في هذه المدة بخزن المؤن في هذه الولايات لمدة لاتقل عن خمس سنوات ، وإنهم ان لم يفعلوا فانهم يضعون هذه البلاد فيأحرج مركز قد يفضيبهم الى ما لا تحمد عقباه. فجاءت برقيات جوابية بأن الدولة قد فكرت في كل شيء وانها تشكر لسيادته نصائحه .

اعتداء على روسيا من الجانب التركي

ثم توجه الوالد في أواخر ذي القعدة الى مكة . وفي اول ايام التشريق وردت البرقيات بأن روسيا قد اعتدت على الحدود العثمانية في الاناضول ، وان الاسطول العثماني قد ضرب السواحل الروسية ، وان الحرب قد اعلنت ضد روسيا وحلفائها . وفي الحقيقة ان الاعتداء وقع من الجانب التركي بحرا ، وكان يقود الاسطول العثماني الاميرال سوخون الالماني في البارجتين (كوبان) و (بريسلاو) اللتين التحقتا بتركيا هدية لها من المانيا كي تدخل الحرب . وكان لا علم للسلطان ولا للصدر الاعظم ولا لأي شخص من الوزارة بذلك ، سوى طلعت وانور . وقد استقال يومئذ اربعة وزراء منهم الفريق محود باشا جوروك صولي وزير النافعة ، كما استقال الصدر الاعظم سعيد حليم باشا،ولكن استقالته لم تقبل .

ولم يحصل بعد ذلك من حكومة الاتحاد والترقي اي اهتمام بالولايات العربية ، بل كان جل همها حجز قسم من الجيوش الانكليزية بمصر ، وقسم آخر بالعراق لئلا تتفرغ هذه الجيوش الى الحرب في الميدان الغربي ، الذي كان اساسا تدور فيه رحى الحرب ، والمنتصر فيه هو الغالب ..

ومضى الشتاء والاتراك في استعداد لحملة مصر ، وقد ساقوا جيوشا كثيرة الى جبهة القوقاز ، واخلوا العراق من الجيوش النظامية ، واعتمدوا هناك على عساكر الرديف . فلما نزلت الحملة الانكليزية الى البصرة لم تجد من يناوئها فسقطت البصرة ، واخذ الجيش الانكليزي يتقدم نحو القرنة ، والعرب في حيرة ، وقد شعروا بأن الجيش النظامي من ابناء العراق قد اخذ للدفاع عن الولايات التركية ، وكانوا يرون لو انهم ظلوا في وطنهم للدفاع عنه .

وجاء الصيف وخرج الامير الى الطائف كعادته ، ونزلت الجيوش الانكليزية تلو الجيوش بالعراق . وكانت الحملة المصرية بقيادة احمد جمال باشا ، وكان ما كان من خذلان الجيش العثماني واندحاره .

مراسلات مكماهون

وفي تلك الاثناء جاء الى الطائف علي افندي البزار ـ مصري الاصل ـ واحب ان يقابلني فقابلته ، واذا به يحمل كتابا من سير ستورز ـ الكاتب الشرقي في القنصلية البريطانية بمصر ـ يقول فيه:

الى الشريف عبدالله بك :

بما ان الدولة العثمانية قد ضربت عرض الحائط بصداقتها التقليدية مع بريطانيا العظمى وانضمت الى صفوف الالمان ، فان بريطانيا العظمى ترى نفسها في حل من تلك التقاليد التي كانت تربطها بتركيا منذ القديم .

فهل انكم وسمو والدكم ما زلتم على رايكم الاول في القيام بما يجر الى استقلال العرب استقلالا تاما ؟ فان كنتم وسموه على ذلك الراي الى الان ، فان بريطانيا العظمى على استعداد لامدد الحركة العربية بكل ما هي في حاجة اليه .

وبالطبع لم ابتهج بهذه الرسالة ، للخطر المحقق الذي كانت تجر اليه ، لو عرف عنها أو سقطت في يد غير أمينة أو تفوه ناقلها بشيء أو باع نفسه . واخذت الرسالة الى الوالد وعرضتها عليه ، فابتسم وقال : اكتب اليهم بوصول الرسالة وقل « بأنا على غير استعداد البتة في الوقت الحاضر للمطالبة بحق العرب » واصرف الرسول امينا مكرما . ففعلت .

وبعد شهر عاد علي البزار برسالة اخرى من سير ستورز الي ، وفيها رسالة من سير هنري مكماهون الى سمو الشريف . أما كتاب ستورز الي فقد اقتصر على رجائه الي في ان اقدم الرسالة الى الشريف وقدمتها ، وكان فيها صيغ من التعرف والاكرام وبيان حسن نية بريطانيا نحو العرب ، وانها قد انفكت من تقاليدها الودية مع تركيا . فبعث بوساطتي الى ستورز متمثلا «في الصيف ضيعت اللبن » . . ثم تتابعت مراسلات مكماهون المعروفة . وخلاصتها ان بريطانيا العظمى ستساعد العرب في حربهم التحررية ، بكل ما سيحتاجون اليه ، حتى يتم جلاء الاتراك والالمان عن البلاد العربية ، التي حددها وفق ما جاء من الهيئة المركزية لحزب الفتاة العربية في سوريا من حدود وهي : من اسكندرونة جنوبا الى الحدود المصرية برفح ثم التبة فالبحر الاحمر غربا حتى باب المندب ، ثم يشرق مارا بمسقط وعمان وينحرف الى الشمال محترفا حدود البحرين والكويت ، ثم يشرق مع حدود ولاية البصرة فحدود ايران، ثم يشمل الى التقاء البلاد العربية ببلاد الكرد ، ثم يغرب فيدخل الجزيرة والموصل ويترك ولاية حلب الى الجنوب فينتهي عند الاسكندرونة .

وقد قال مكماهون في احدى رسائله عن حكومته ، انها ستثابر على الحرب والمساعدة حتى يتم تحرير هذه الاقطار . وان انكلترا لا تستثني أي منطقة عربية لها فيها نفوذ ، ما عدا الامارات الواقعة على خليج فارس والبحر الهندي ، تلك البلدان التي لها صلات عهد بحكومة الهند من القديم ، وهي امارة الامير عبد العزيز العبد الرحمن الفيصل آل سعود وامارة الكويت وامارة البحرين وسلطنة مسقط وعمان ومشيخات حضرموت وسلطنة لحج . ثم انها لا تقول

بمحض عروبة اضنه ومرسين وغربي ولاية الشام — وقد عنت بذلك لبنان الصغير بالطبع — وقال : ان لحليفتنا فرنسا فيها حقوقا .

ثم سأل في احدى رسائله عن الكيفية التي ستدار بها البلاد المقدسة : — فلسطين — متى صارت في الحوزة العربية ، فأجيب بأن النية منصرفة الى ادارتها على حرية الديانات الثلاث . فجاء الرد بالشكر على ذلك ، وان بريطانيا العظمى ترحب بالخلافة الاسلامية ان هي عادت الى الدوحة الهاشمية مرة اخرى .

مقدمات الثورة

وأخذت تجري المخابرات مع الاحزاب العربية بالشام بوساطة المرحوم الاخ فيصل . وجاء الصيف وتحرك الركاب الاميري الى الطائف ، وحضر اليها الامير فيصل من الشام ، والامير علي من المدينة ، وتقرر زمن الثورة بعد مضي الصيف والشتاء . وعاد الامير فيصل الى الشام والامير علي الى المدينة .

وفي تلك الاثناء استعدت الافكار العربية للحركة ، بسبب انقطاع موارد البحر والفلاء وتبين ان ليس للعرب في متابعة هذه الحرب الا نتيجة واحدة وهي انهم سيبقون تحت ربقة الحكم ان انتصر الترك والالمان . وكان لا بد من أعلان الحركة العربية والتخلص بالحرب من عواقب الاستكانة لتحكم الفير . ولم تجب اسطنبول مطالب والي اليمن ومتصرف عسير بما طلباه من نقود . وكذلك فعلت بالحجاز . وتفلغلت الجيوش الانكليزية في العراق ، وتجاوزت حدود ولاية البصرة في طريقها الى بغداد . ثم هزم احمد جمال باشا بالترعة المصرية .

على انه قبل اتخاذ أي عمل او قرار مع الانكليز ، طلب والدي — بوساطة الامير فيصل — الى احمد جمال باشا ، ان لا تكون البلاد العربية مضغوطا عليها ، وان تبر الدولة بوعدها للسوريين في منحهم الادارة اللامركزية التي طلبوها . وقد صادف هذا الطلب اشمئزازا من احمد جمال باشا ، فألح في ارسال المجاهدين من الحجاز . ثم بعد ذلك ، وفي اثناء وجود الامير فيصل بالشام ، زار انور باشا وزير الحربية ومعه وكيل القائد العام سوريا وفلسطين ،

وزار المدينة المنورة . وقد أهدى الاخ فيصل لكل واحد منهما سيفا مرصعا منقوشا عليه اسم والدي واسم المهدى اليه .

ثم اقبل الصيف ، وجاء الطلب مرة اخرى بارسال المجاهدين ، كما جاء الطلب باعلان الجهاد المقدس في اقطار الاسلام ، من مكة باسم الخليفة ، على روسيا وانكلترا وفرنسا . فأجاب والدي برقيا ، بأنه لاجل اعلان الجهاد وارسال المجاهدين ينبغي ارضاء العرب بما تتوق اليه نفوسهم من الوصول الى حقوقهم ، وان اول ذلك اعلان العفو العام عن المحكومين السياسيين ومنح سورية ادارة لا مركزية وكذلك العراق ، واعتبار الشرافة بمكة معترفا لها بحقها الموروث والمتفق عليه من عهد السلطان سليم وان تكون وراثية . فمقابل هذا تقوم الامة العربية بواجبها باخلاص . وذكر انه سيبعث بالمجاهدين الى الامير فيصل بالشام ، وانه سيرسل احد بنيه الى الجبهة الاخرى بالعراق ، بعد ان يقضي على اي زعامة غير موالية بشرقي الحجاز ، وان على الدولة التأثير على ابن رشيد بأن ينضم الى الجهاد . وانه بدون هذا لا يستطيع التقدم بالامة العربية في حرب نصح بأن لا تثار وان لا تشهر ، بل سيكتفي بوظيفة الدعاء للدولة بالنصر والظفر .

وجاء الرد من الصدر الاعظم في برقية يقول فيها :

> **ان التحدث في مثل ما بينتموه عن الحرب والعرب ليس من حقوقكم ، وان من بالشام من المجرمين سينالون الجزاء العادل ، وان ما بينتموه لا تكون نتيجته بحقكم سارة ، وعليه فسوف لا ترون نجلكم فيصل مرة اخرى قبل ان تبعثوا بالمجاهدين الى الجبهة كما وعدتم ، وان لم تنفذوا هذا فالنتيجة بحقكم لا تكون خيرا .**

وجئت بهذه البرقية لوالدي بعد ان حللت رموزها ، وكان الوقت ليلا وهو في الخارجية بمكة، وقدمتها اليه وانا حامل الشمعة ، فقال اقرأها .. قلت : لا اقرؤها .. فتناولها ووضع المنظرة على عينيه ، وبعد أن تلاها نظر الي وقال : أيهددني !! وذكر بيت الشعر :

سوف ترى اذا انجلى الغبار   افرس تحتك ام حمار

ثم قال اكتب الجواب التالي الى الصدر الاعظم :

ليس ما اقوله سوى النصيحة الاخيرة في برقيتي وبها ضمان انحياز العرب الى صفوفكم بقلوبهم . اما ابني فيصل فلم ابعثه اليكم وانا اعتقد اني اراه مرة اخرى فافعلوا ما شئتم .

وبعد يومين وردت البرقية التالية من الصدر الاعظم :

بعد التامل راينا شكر سيادتكم على اجوبتكم ، فاذا بعثتم بالمجاهدين الى الشام فقد اشعرنا جمال باشا ليذاكر نجلكم الشريف فيصل بك فيما يتعلق بالمجرمين السياسيين .

فاجابه والدي :

انني ممتن على تلطفكم بالجواب . اما المجاهدون فقد اصروا على عدم السفر الا اذا حضر فيصل لياخذهم ، فان كانت الرغبة حقيقية فابعثوا به ليستصحبهم .

فجاء الرد على الفور :

سيتوجه الشريف فيصل بك الى المدينة ليستصحب المجاهدين ويعود بهم الى الشام ، ونرجو انتسترجعوا نجلكم الشريف علي بك من المدينة المنورة الى مكة المكرمة لعدم انسجامه مع المحافظ .

فأجابه والدي على الفور :

عند وصول الشريف فيصل بك سيترك الشريف علي بك المدينة المنورة .

ولما وصل الاخ فيصل الى المدينة ، وكان فخرالدين باشا قائد القوى السفرية قد حضر اليها بقواته ، وكانت القوى العربية مهيأة بالمدينة ، تقرر استدعاء الاخ علي الى مكة ، فودع فخرالدين باشا والمحافظ وخرج الى بئر الماشي — وهي على طريق مكة — وخرج معه فيصل لوداعه . ولما وصل الى بئر الماشي ، وكان ذلك اليوم الثامن من شعبان ، كتب الى جمال باشا الانذار التالي :

ان المطالب العربية المعتدلة قد رفضتها الدولة العثمانية، وبما ان الجند الذي تهياللجهاد سوف لا يرى عليه ان يضحي

لغير مسالة العرب والاسلام ، فاذا لم تنفذ الشروط المعروضة من شريف مكة حالا فلا لزوم لبيان قطع اي علاقة بين الامة العربية والامة التركية ، وانه بعد وصول هذا الكتاب باربع وعشرين ساعة ستكون حالة الحرب قائمة بين الامتين .

وبعد مضي ساعات كان الخط الحديدي بين الشام والمدينة يقلع ويهاجم .

اطلاق الرصاصة الاولى ٩ شعبان

وفي اليوم التاسع من شعبان ١٣٣٤ الموافق ١٠ حزيران ١٩١٦ اعلنت الثورة العربية في مكة والطائف وجدة وينبع والوجه وسائر مدن الحجاز ، وصدر البيان بذلك من لدن صاحب السيادة العظمى الشريف حسين بن علي .

وابتدأت الامة العربية تتحمل مسؤولياتها بنفسها وتسعى لانقاذ حريتها واستقلالها بسلاحها وجهاد بنيها . وكانت في ذلك الوقت قادرة على ذلك، فان بلاد الشام بأجمعها وكذلك البلاد العراقية كانت واعية عسكريا واداريا وعدليا . وكان رجالات العرب في ذلك الحين يمارسون المناصب والمأموريات على اختلاف انواعها ودرجاتها كالترك انفسهم ، ما عدا الوزارة فان الاغلبية كانت فيها تركية دائما. وكان الجيش العثماني الخامس في مركزه بدمشق ، وكان الجيش الرابع في مركزه ببغداد وقوامه العرب . فالعرب سلكوا هذا المسلك في هذين البلدين وقبلوا التوظف لا التطوع فيهما .

اما من حيث الثقافة ، فقد كان الانفتاح في التعليم بسوريا ولبنان يفوق ما كان في تركيا العثمانية نفسها ، وسببه ان المدارس العثمانية في بلاد الترك كانت ملكية وعسكرية لتخريج الموظفين ، وكذلك مدرسة الحقوق والمدرسة الطبية . ولكن العرب في سوريا ولبنان كانوا يحصلون العلوم في مدارس اجنبية ، وكان يرحل بعضهم الى اوروبا او الى امريكا . لذا فنسبة التعليم في العرب بمدنهم وقراهم كانت بنسبة عشرة بالمائة زيادة على التحصيل التركي في مدن الاناضول وقراه ، ومدن الروم ايلي وقراه ايضا .

هذه ملحوظة لتقرير الفرق في ذلك الزمن . فان التحصيل الرسمي على الطراز العثماني ـ مضافا اليه التحصيل الذاتي في ما ذكرنا من جهات ـ ضمن للعرب حين ذاك افضلية الحال في الثقافة .

اما الحركات في الحجاز ، فقد استولى العرب على الحاميات التركية بمكة المكرمة في اول يوم ، وبقي الجيش العثماني محصورا في ثكنة جرول وقلعة جياد ، وكان من بهذه القلعة من الجنود العثمانيين يضربون مكة بمدافعهم . وقد أصابت قنبلة البيت الشريف من فوق الحجر الاسود واشتعلت النار في الستار المبارك ولكنها اطفئت في الحال . واصابت قنبلة اخرى احد عقود الاروقة ، ومن غريب الصدف انها وقعت على اسم عثمان بن عفان فأزالته ، وكانت هذه الاصابة من الادلة على زوال دولة آل عثمان .

وقد سقطت جدة في اليوم الثالث من الثورة ، وسقطت قلعة جرول في اليوم التاسع وأسر فيها الف ومائتا جندي وضابط . واما قلعة جياد فقد هوجمت وأخذت عنوة بعد تجرؤ قائدها اليوزباشي كامل افندي على ضربه البيت الحرام . وفي جدة كان الاسطول البريطاني يساعد من البحر على ضرب الثكنات العسكرية بضربات تخويفية . واما الطائف ففيه كانت الفرقة العثمانية النظامية التي يقودها الوالي والكومندان الفريق غالب باشا ، وكان يقود القوات العربية المحاصرة صاحب هذه المذكرات .

وهنا نرجع قليلا الى ما قبل اندلاع الثورة لنقول انه لما تقرر ان يكون اليوم التاسع من شعبان هو يوم النهضة ، أمرت بالسفر الى الطائف كي اقوم بأهم واجب في تلك الحركة ، وهو حصر فرقة عسكرية ، كانت اقرب القوات العثمانية الى مكة المكرمة مركز الحركة ومقر الشرافة وعاصمة الاسلام . فوصلت الى الطائف في اول شعبان وليس معي سوى سبعين هجانا ، اذ ان كل القوات الهاشمية كانت أرسلت الى المدينة المنورة مع الاميرين علي وفيصل. وقد قابلني الوالي مقابلة معتادة . واخبرته انني سأخرج لتأديب قبيلة البقوم ، وان الشريف لم يتعين بعد وقت طلوعه الى الطائف حسب المعتاد . وكان الامير على الطائف يوم ذاك شرف بن راجح بن

فواز بن ناصر ، يساعده الشريف حسين الجودي احد شرفاء ذوي جود الله .

وكنت استند في حركة حصر الفرقة واخذها ، على العشائر المحلية كعتيبة بني سعد ــ وكان الرئيس على هذه القبيلة وعلى من ينتسب اليها من الثبتة الشيخ تركي بن هليل ــ وعلى الفخيذة الثانية من هذهالعشيرة ــ عشيرة البطنين ــ وعلى هذيل ، وعلى ثقيف آل ساعد وآل منصور ، وعلى عشيرة النمور ، وعلى عشائر الرقعة اهل الحرة ، ثم على من بقي ممن لم يلتحق بالقوات الهاشمية بالمدينة من عشيرة عتيبة من الكثمة ، والجوازي من الثبتة ، والصرمة اهل ركبة والنفعة منهم ايضا ، ثم على عشيرتي وقدان وثمالة ، وعشيرتي البقوم بن الحارث ، ثم على سبيع اهل الخرما وسبيع اهل رنية واشرافهم .

وفي الاجتماع الذي وقع قبل الثورة بليال ، وحضره كبار الاشراف والشيوخ بعد تمهيد قام به الشريف شرف ، لم يتعبني سوى الشريف حمزة الفعر وآخر هو شيخ آل بطنين من آل سعد ، فإنهما اظهرا اشد النفور والخوف من نتائج هذه الحركة . ولقد كدت آمر بالقبض عليهما لولا خشية شيوع ما ينبغي كتمانه . وكان الوالي يسكن بقرواء خارج سور الطائف ، وكان يشتكي من مرض الكلية ، فزرته مرتين . وكان قائد الفرقة الميرالاي احمد بك يزورني الليلة بعد الليلة . وكان اشد الرجال العسكريين البكباشي سليمان بك ، الكثير الاختلاط بالناس والقديم في الحجاز ــ ولعله شعر بشيء مما سيقع ــ وقد قيل لي ان احمد بك قائد الفرقة وسليمان بك هذا يقولان : نكاد نأخذ اسلحتنا بأيدينا حتى نرى الشريف عبدالله فيذهب عنا كل شك كان يساورنا .

وفي اليوم الثامن من شعبان،وقد ازمعت الخروج فيه بدعوى غزوة البقوم استدعاني الوالي ، وكان لدي الشريف شرف بن راجح والشيخ عبدالله سراج مفتي مكة المكرمة . فقالا : لا تذهب فإنا نخشى ان يلقي عليك القبض ، فقلت : بل سأذهب . ففي عدم الذهاب ما يخشى عقباه ، وميعاد الثورة لم يحن بعد . فركبت اليه

ومعي اربعة : الشيخ فاجر بن شليويح احد فرسان الروقـة ، والشيخ هوصان بن عصاي وهو ايضا من شيوخ تلك العشيرة واحد الرجال الذين اثق بهم ، واحد خواصي هوصان بن عفار القاطي ، وفرج حامل المظلة الملكية ، وتوجهت الى دار الوالي بقروواء،وتعمدت الدخول من الثكنة بالطائف ، مما ادهش الترك والعرب معا ، حيث قالوا : لو كانت الشوائع حقيقة لما مر بنا على هـذا الشكل . ولما اقبلت على دار الوالي ، قلت لفرج : ابق عند الخيل ، وقلت لهوصان ابن عفار : كن على راس الدرج ، وقلت للشيخين فاجر وهوصان : قوما على باب الغرفة التي انا بداخلها . فان اراد الاتراك ان يلقوا القبض علينا ، فعلي انا القضاء على الوالي في الغرفة وعليكم انتم القضاء على من يأتيكم من الدرج حتى نخرج . فقالا : اتكل على الله.

ودخلت . . وبعد ان رحب بي قال : الى اين تذهب ؟ قلت . . كما تعلم أمرت بأن أؤدب البقوم . فقال ليس هذا بالوقت المناسب، فلو اخرت خروجك الى حين لكان انسب . وفي البلاد شائعات لا بد انها لم تخف عليك ، فالناس يقولون ان ثورة ستقع ، وهذا انت ترى اهل الطائف يرحلون بأمتعتهم واطفالهم . فقلت : وماذا عليك من رحيلهم ؟ انني ان اخرت الغزو بعد شيوعه لتأكدت المخاوف ، وفي السفر تهدئة الخواطر وسيرجع الناس الى محلاتهم . اما سبب هذه الحوادث فقال الناس عن مصادر تركية انه سيقع تبديل في الشرافة وان الشريف حيدر بن جابر قادم الى المدينة ، وقد تقوّل بهذا رجال ، منهم سليمان بك ، فقال مسائلا نفسه : لم تركت مكة وطلعت الى الطائف ؟ ليتني لم افعل !.. فقلت : لا عليك .

ثم تناول مصحفا شريفا عنده ، وقال لي : هل تعرف هذا ؟ قلت : نعم كتاب الله ، كوفي الخط ، وهو مهدى الى والدي مني وقد اهداه الى دولتك . فقال : هل تشك في اسلامي ؟ قلت : معاذ الله . اما الظاهر فانك من خيار المسلمين ولا يعلم السرائر الا الله . فوضع يده على الكتاب وقال : والله اني لمعكم ولست عليكم . فأصدقني الخبر عن هذه الشوائع . فقلت : شوائع الثورة ؟ قال : نعم . قلت : هي لا تعدو ثلاثة احتمالات : إما انها مكذوبة ، او انها عليكم

وعلينا ، او انها عليكم من الشرافة والناس .. ولو كان هذا الاخير لما حضرت الآن بين يديك وقد تفعل بي ما تشاء . وعندئذ دخل احمد بك قائد الفرقة وسليمان بك فارتخيا عليه وقالا ما لم اسمعه فانتهرهما فخرجا ــ ولقد علمت بعد أن وقعوا جميعا بأسري انهما طلبا اليه ان يأمر بالقبض علي ــ فقمت مودعا فودعني وقال : لا تقطع الاتصال بي ، فقلت : الست على اتصال بمكة بالتلفون ؟ قال بلى . قلت له : في هذا الكفاية وسآمر قائمقام الطائف بأن ينادي بالامان للناس حتى يرجع كل واحد الى بيته ، وفي هذا التكذيب ما يكفي . فقال : هذا حسن وسأفعل انا ايضا .

وخرجت من عنده فوجدت احمد بك وسليمان بك في الصفة ومعهما الاميرالاي حيدر بك متصرف عسير السابق ، فلم يحتفلوا بي ولم احتفل بهم . وبعد ان استوينا على ظهور خيلنا يممنا قصر شبرا ، وبها العلم الهاشمي والقوات . ووجدت الشريف حسين الجندي على وعد مني عند العكرمية ، فقلت له : اذهب الآن الى الوالي وقل انك تلقيت مني امرا بالمناداة بالامان ، ثم عد وابعث من يقطع اسلاك التلغراف من مركز معشي الى الكر ، وامنع كل من يسافر الى مكة منع قتل وابادة . ثم تحركت بالقوة الى المركز الهاشمي للحركة ، وهو عند سفح جبل سوافة على يسار الطريق الذاهب الى مكة عن ناحية العرفية . وفي تلك الليلة تلقيت المذكرة التالية من الوالي غالب باشا :

الى صاحب السعادة الشريف عبدالله بك

بعد توجهكم انقطعت الخطوط التلغرافية بين مكة والطائف وانالموظفين الذين ارسلوا لاصلاحه لم يعودوا ، وقد شاعت الشوائع بان المعتدين على الخطوط التلغرافية قد سجنوهم ، ولذلك اطلب اليكم الرجوع حالا الى الطائف ، فان تاديب عشيرة البقوم ليست من الاهمية بشيء ازاء الحالة الراهنة .

فأجبته بالآتي :

حضرة صاحب السعادة الوالي والكومندان بالطائف

لقد تلقيت مذكرتكم ليلا ولم يبلغني خبر ما حصل على الخطوط التلغرافية . وان وكيل قائمقام الطائف تحت امركم لتنفيذ رغائبكم . اما انا فساكون بطرفكم بعد غد السبت ان شاء الله .

وفي ٩ شعبان كانت الثورة في البلاد الحجازية ، ما عدا الطائف فان الهجوم قد وقع عليه في الحادي عشر من شعبان بسبب بعض النواقص . وفي ليلة السبت الحادي عشر من شعبان ، في نصف الليل ، ابتدأ الهجوم من الجبهة الشمالية التي كنت ادير حركتها بذاتي . وكان الاتراك قد احكموا سور البلدة ، وحفروا خندقا من بستان الرياض متجها من الشرق الى ناحية الغرب الى مكان يسمى (معشي) ، ثم انحرف الى الجنوب من هضبة (ام السكارى) وبها احد مراكزهم القوية ومدفعان ، ثم انحرف مشرقا مرة اخرى الى ان حاذى (برج غلفة) ثم مال الى الشمال وخالط (وادي وج)[١] ، ثم انحرف مشرقا الى الجنوب حتى اتصل بصفاة تسمى (دقاق اللوز) ، ثم مال الى الغرب مرة اخرى واتصل بالخندق الاساسي ، وقد وصل هذا الخندق بخنادق فرعية تربط نواحيه الاربع بالمركز في خطوط متعرجة تحجب السائر فيها . اما الهجوم فقد وقع بعنف شديد،وفي الجبهة الشمالية بالقلب. وكانت تتقدم الحملة البواردية الخواص وهم الرماة ، يتقدمهم راقي بن عفار ثم من كان من الحملة من الثبتة الجوازي ومن الكثمة الفشاشمة والروانية ثم بنو سعد ، عليهم جميعا الشريف سلطان بن راجح ، فعاد الهاجمون ببعض الاسرى والاسلاب .

وعند بزوغ الشمس ابتدات المدفعية التركية ترمي بشدة على المهاجمين ، ولم ادر لماذا لم يعزز القائد التركي المدفعية بهجوم من المشاة . هذا ، ولم يتمكن بنو سعد من الوصول الى اهدافهم ، واضطروا الى التراجع الى نواحي شبرا ، ثم انصرفوا بشيء من عدم الطاعة الى بلادهم . وقد جاءني من قائدهم الشريف سلطان ما يفيد بذلك فأمرته ان يتركهم . وانصرف همي الى انقاذ الرماة الخاصة الذين حجزوا في العكرمية وفي اسفل شرقرق ــ وهو جبل بين مسرة

وشبرا ــ وفي تلك الاثناء كان الى جانبي الشيخ فاجر بن شليويح والشريف حمزة الفعر ، واذا بالاتراك يحرقون قصور الامارة السبعة ، فقلت لمن معي : لا ترهبوهم فانما ارادوا بهذا اخافتكم ، ولو كانوا كما يقال لهاجمونا هجوما معاكسا ، وهذه البيوت تبنى ان شاء الله بأسرع ما يمكن .

وطال الاشتباك وقل العتاد فلم يؤذن لاحد بأن يرمي الا هدفا معينا مرئيا . وعند الظهيرة وقد اشتد الظمأ ، ابتدأ الهجوم من الشريف فهد بن شاكر من الناحية الغربية والجنوبية ، بعشائر النمور وهذيل وبني سفيان ، وكنا نسمع تكبيرهم وصياحهم . واتجه ضرب المدفعية الى تلك الناحية ؛ فتمكن عندها رجالي الخاصة من التراجع سالمين . فأمرت بتحصين جبل شرقرق ، واقمت بقصر شبرا قوة كافية ، وانسحبت بالقوى العمومية الى (سواقة) ، وكان العتاد قد نفد بأجمعه . ثم بعثت بأوامر مستعجلة الى الشريف فهد بأن يكف قواته وان يميل الى طريق (عقبة كرى) ، لئلا تخرج القوة من الطائف عامدة مكة . واصبح همي الاول حجز هذه القوة للتغلب عليها ، ولكن ذلك لم يكن بالمتيسر في مدة وجيزة ولا سيما في قلعة حصينة كالطائف وبها فرقة نظامية . ففعل الشريف فهد ما اردت . ولو خرج الوالي والقائد بتلك القوة لكان وصل الى مكة بسلام لنفاد العتاد الحربي لدينا كليا .

وفي الوقت نفسه بعثت بكتب الى رجال العشائر التي تراجعت، اخبرتهم فيها بأن هجوم عشائر هذيل وثقيف والنمور انقذ الموقف وانا كررنا على الاعداء وحصرناهم ، وطلبت اليهم الرجوع بعد اسبوع لنوزع عليهم السلاح الجديد ونقيد اسماءهم في دفاتر العطاء ، مع تعيين ما يخص الرؤساء ومن يليهم من الافراد . فجاءتني الاجوبة بلبيك لبيك . ثم اوقدت النيران في تلك الليلة على كل جبل مشرف على الطائف ، وكثر الصياح الحماسي ، ودقت الطبول ، واستمر رمي البنادق امهات الفتيل الى الصبح ، مما اوجب الوهم الشديد في قلوب الاتراك عن اجتماعات عشائرية .

ووردت الاسلحة الجديدة ، وكانت بنادق للمشاة شبيهة

ببنادق مصنع (استير) قيل عنها انها يابانية ، وكانت بعيدة المرمى شديدة الاصابة لا يخطىء من يرمي بها ، الا ان بعضها كان ينفجر . ولحسن الحظ بعد ان وزعت هذه الاسلحة، هجم الاتراك على نواحي (دقاق اللوز) ، و (شهار) ، و (حواية) ، لأخذ البيادر التي كانت بها حيث قرروا الدفاع . وصادف ان كانت هذيل وبنو سفيان قد عادوا من المعسكر بالاسلحة الجديدة ، وكان خروج الاتراك انصب على عشيرة وقدان بدقاق اللوز وبقملة ، فنشبت المعركة وردت هذه الهجمة الفاشلة بخسائر فادحة . وفي تلك الليلة هاجمت هذيل وبنو سفيان هضبة (ام السكارى) وقضت على حاميتها واستولت على مدفعين هناك للاتراك . وكان الهجوم بالخناجر والحراب ، ولم ينج من الاتراك احد . ولما حدث هذا تراجع الاتراك من هضبة ام الشيخ ، ومن شرقرق الذي كانوا استولوا عليه ، الى جبل (ابي صحفة) وخنادقهم القديمة ، وتقدمت القوات العربية الى مراكزهم يوم بدء الهجوم .

وقد استولى الحرس الامامي على رسول من القائد التركي بالطائف الى القائد التركي بمكة ، ومعه رسائل موجهة بأوامر الى القواد والى قائد القوة الامدادية بالمدينة . وقد جاء فيها ان الشريف حسين قد اعلن العصيان ، وان قلعة الطائف والفرقة العثمانية تقاتل ببسالة ضد هجمات العرب الذين يقودهم الشريف عبدالله النجل الثاني للشريف حسين ، وان مسؤولية هذه الحركة تقع على الشريف وانجاله . ثم يقول القائد التركي حاضا جنوده : قاتلوا في مراكزكم ببسالة حتى ترد الامدادات من الشام والمدينة المنورة . قاتلوا كما يقاتل هؤلاء العصاة واذكروا اسلافكم من آل عثمان ، ولا تهابوا صولة هؤلاء العرب الذين تقدموا بأكمامهم البيض وسداريهم الحمر مستخفين بالموت في سبيل اميرهم . قاتلوهم في سبيل السلطان والملة ، واذا رايتم راياتهم كروا عليهم واسحقوهم بأقدامكم ولا توفروا منهم احدا .

وظلت الحالة بين الحاصر والمحصور متكافئة ، الى ان جاءت بطاريات جديدة جبلية من مكة وجاءت المفرزة المصرية ومعها اربعة

مدافع جبلية كذلك وعليها الاميرالاي سيد بك علي ، وكانوا في بادىء الامر حيارى كالضائعين ثم الفوا . وبعد ذلك وصلت الى القوة مدافع الهاوزر فحصل الرجحان ، ولكني لم اكن بالمسرف في الضرب حيث كانت النتيجة عندي معروفة ، فكان الابقاء على النفوس من الجانبين ملتزما لدي .

استسلام حامية المدينة

وفي العاشر من ذي القعدة تلقيت كتابا من القائد الوالي هذا نصـــه :

الى الشريف عبدالله بك نجل الشريف حسين باشا

لكي نثبت للغرب مزايا الشرق ، اقترح عليك ان تسمح للقوى المحصورة بالسفر الى المدينة المنورة بجميع اسلحتها وبمن معها من عائلات الضباط ومن يرغب فى السفر من الجالية التركية . فاذا وافقتم على ذلك وهو المعلوم ننتظر الجواب كي نشعركم بوسائط النقل اللازمة وعدد الجمال .

فأجبتـــه :

ان هذا ليس بيدي ، وان الحالة الراهنة لا تكفل سلامة وصول هذه القوى المتراجعة الى المدينة ، وان من خيركم ان تستسلموا جميعا ثم ترحلوا الى المكان المناسب .

ولما كانت قوات فخري باشا قد تمكنت من التضييق على الاميرين علي وفيصل ، فدفعت الاول الى (رابغ) ودفعت الثاني الى (ينبع البحر) ، أخذت الاوامر ترد الي مشددة بلزوم اسقاط الطائف وتصويب نار المدفعية الثقيلة على مركز القيادة . ولم يلبث القائد الوالي ان بعث الي بهذا الكتاب بعد هزيع من الليل :

الى قائد الجيوش العربية الشرقية الشريف عبدالله بن الحسين

انه بالرغم من كثرة العتاد والذخيرة رأيت لزوم حقن الدماء ، ولذلك ارجو قبول هيئة منا لنتذاكر معكم فى معاملة التسليم والتسلم وفق حقوق الحرب الدولية ، او تتكرموا

بارسال هيئة منكم الينا .

الامضاء : كومندان القوة العثمانية المحصورة

(فريق غالب)

فأجبتـه بالقبول وان يبعث بالهيئة التي يريدها . فأرسل القائد سليمان بك ومعه رئيس اركان الحرب ناظم بك وعليهمـا الاميرالاي حيدر بك قائد ومتصرف عسير سابقا . وحضروا الى قصر الشريف فتن بن محسن بالميسـاء ، وكان يرأس الهيئة العربية القائد سعيد المدفعي ومعه الرئيس فؤاد والملازم احمد حلمي . وتقرر التسليم على الآتي :

١ ــ يخرج الوالي والقائد والامراء العسكريون حتى رتبة بكباشي فى تلك الليلة الى قصر شبرا .

٢ ــ الطوابير تترك تحت قيادة الرؤساء اليوزباشية والملازمين الاولين والملازمين الثانين .

٣ ــ تتراجع هذه الطوابير فى منتصف الليل الى الثكنة الكبرى وتترك على الابواب بعض الخفراء ، وفى تلك الساعة تتقدم القوات الراكبة العربية ، بقيادة الشرفـاء فهد بن شاكر وسلطان بن راجح وحسين الجودي ، لتحتل الابواب وتؤمن السلام والامن العام .

٤ ــ مع الفجر يتقدم القائد سعيـد بك ومن معـه ، ليضعوا ايديهم على الاسلحة والمدافع فتـودع فى مخازنها وتمهر بالشمع الاحمر .

٥ ــ تتكفل القيادة العربية بالاعاشة والتموين .

٦ ــ تصرف للهيئة المستسلمة مرتبات ثلاثة اشهر .

٧ ــ تنتظر الاوامر بالتوجه حالا الى الجهة المقتضية .

وقد تم كل هذا بهدوء وسلام ، ومنحنا الكثيرين من العشائر فرصة للراحة ليعودوا بعد مدة .

وفي اليوم التالي جرى انزال العلم العثماني عن القلعة ، ورفع العلم العربي ، بالتحية الرسمية لكلا العلمين ، وكان منظرا مؤثرا .

فان العلم السابق كان العلم بالامس ، والعلم اللاحق هو العلم اليوم ، والامس امسنا واليوم يومنا ، ولكن الذنب على من سعى لترك الصبغة الاسلامية الشرقية والهروع الى الحظيرة الغربية الافرنجية. ومع الاسف فان تلك الحركة الانفصالية لم تحل بيننا وبين ما اصبحنا عليه اليوم من اشكال متعددة ونزعات متفاوتة ، لنا من كل قوم متبوع ، وفي كل بيت مئة لسان .

ونعود الى سقوط الطائف . فبعد اتمام معاملة التسليم والتسلم وفق الشروط الدولية ، قمنا بترحيل القائد والوالي والجنود الى مكة المكرمة مكرمين معززين ؛ وقد صرفت لهم مرتبات ثلاثة اشهر . اما اول ملاقاتي للوالي غالب باشا فكانت غريبة ، اذ لم ارغب في لقائه اول ليلة لصداع شديد الم بي ، فبقيت بالمساء وبعثت سماحة الشيخ عبدالله سراج مفتي مكة المكرمة والشريف شرف بن راجح اليه . فلما لم يجدني ارتبك وظهرت عليه علامات القلق ، فأرسل الي الشيخ عبدالله يرجوني القدوم ، فأتيت ولما رآني استبشر وضحك ، فجلسنا في البهو الكبير بقصر شبرا ومعه خمسة وسبعون ضابطا من مختلف الرتب . وبعد حوالى ثلاث دقائق من صمت ران على المجلس ، تكلم غالب باشا فقال : هذه فاجعة .. بعد ان كنا اخوانا اصبحنا اعداء .

وقد شعرت انه قد زال عني بعض الاستحياء منه والتكريم له، قلت : نعم لكي يعود السيد لسيادته ويتحرر من رق من اخرجهم من الظلمات الى النور ، والشر بالشر ، والبادىء اظلم . فاصفر لونه ثم قال : انني كنت واثقا من ان الامة العربية ستنفصل يوما ما عنا، ولكن ما كنت أؤمل ان يكون الانفصال على هذا الشكل وبهذه السرعة.

فقلت له : صدقت . لقد اسرعنا ومن منفعتنا الاسراع ، اما الشكل فلا دخل له ، فلو انكم ابقيتم سلطة الخلافة المطلقة لما تفرنا عليكم ، ولكن ارادتكم المشروطة هذه التي احببتم بها السيطرة على السلطان وعلى الامة كانت السبب . ثم قلت : ولم هذا البحث الآن؟ تفضلوا تناولوا شيئا من الفاكهة فقد طال عليكم الحصر وحرمتم الكثير منها .. واخذتهم الى غرفة الطعام حيث كانت اعدت لهم

تعتيمة فاخرة فيها انواع اطعمة الليل الشهية : العنب والدراق والكمثرى والرمان ، وانسحبت الى غرفتي معتذرا بصداعي .

وتوجه هو صباح الغد الى مكة ، ولما وصل جدة بعث الي بسيفه ، وكانت تلك الالتفاتة منه جد نبيلة . ثم توجهت الى مكة بعد ان تم تنظيم الاحوال في الطائف وبقي به الشريف حسين الجودي وكيلا عن الشريف شرف . ثم امر سيدنا الوالد ان يتوكل امارة الطائف الشريف حمود بن زيد بن فواز . ووجدت بمكة الساده اهل الشام ولبنان : الشيخ كامل القصاب ، والشيخ فؤاد الخطيب صاحب القصيدة المعروفة « حي الشريف وحي البيت والعلما » والسيد محب الدين الخطيب . والسيد نسيب البكري واخوانه .

اما نوري باشا السعيد وسائر الضباط فقد التحقوا بمعسكر (رابغ) الذي كان يقوده اخي علي ، والبعض الآخر التحق بمعسكر (ينبع البحر) الذي كان يقوده اخي فيصل ومعه اخي زيد حفظه الله .

وكانت وضعية جيش الثورة في غاية الحرج ، حيث ان فخر الدين باشا قائد القوى السفرية التركية قد دفع بالاميرين فيصل وزيد الى ينبع البحر ــ بعد ان هزم زيد في بئر سعيد وهزم فيصل في وادي ينبع النخل ــ ودفع بالامير علي الى رابغ ، وارسل الشيخ حسين بن مبيريك شيخ رابغ الذي خان الثورة الى بلدة حجر ، فأصبحت الطريق من (بئر قاطي) الى (خلص) فعسفان فمكة المكرمة مفتوحة له . وكان فيصل يشكو جدا من تأثير الطيارات الالمانية في العربان . وفي ذلك الوقت كان الشريف علي حيدر باشا ، ابن جابر ابن سيدنا الشريف عبد المطلب بن غالب ، بالمدينة المنورة منصوبا اميرا على مكة من طرف السلطان محمد رشاد ، وقد ركب اليه واستأمن الكثير من شيوخ حرب وجهينة المجاورين للمدينة المنورة . وكان فيصل يصر على امداده بطائرات تقابل ما مع الاتراك والا ــ وعلى حد قوله ــ لا يبقى من العربان احد في ناحيتنا وتحت ايدينا . وكان القلق ظاهرا في برقياته وتقاريره .

اما الامير علي فكان في رابغ ، وكان معه الضباط العرب

والجنود العرب الذين تمرنوا على الاصول العسكرية الجديدة وحاربوا واسروا ثم نقلوا الى المعسكرات الانكليزية وطلبوا الالتحاق بالثورة العربية ، وجاء الكثير منهم فتكونت في رابغ قوة نظامية لا بأس بها : مشاة ومدفعية ورشاشات ومهندسون وقسم استحكامات ؛ واما من حيث الخيالة النظامية فالقوات الراكبة العربية كانت كافية لهذه المهمة . اما عدد هذه المجموعة فكان بين الثلاثة والاربعة آلاف ، هذا غير القسم الذي بينبع ، فكانت القوتان كالشوكتين الى يمين أي قوة تريد النزول الى مكة المكرمة ، فاذا صمم فخر الدين باشا على الاقدام على مكة المكرمة كان من واجبه تخصيص قسم مهم من قواته لحصر هاتين المدينتين والنزول بالاقسام الباقية الى مكة ، وفي هذا من الصعاب ما لا يجهله احد .

مع ستورز ولورنس وبريمون

وصل جدة سير ستورز والكابتن لورنس ، فأمرني الوالد ان اذهب للاجتماع بهما هناك وان اقدم لهما الطلبات العسكرية التي كان هيأها رئيس الاركان عزيز علي بك المصري . فعرضت على سيدي الوالد ان اسافر الى مصر اولا ، لتنظيم المخابرات والكتب التي كانت وردت من سير هنري مكماهون ووضعها في شكل اتفاق وعهد قائم ، وبعد عودتي من مصر — في حالة موافقته على سفري اليها — يكون توجهي مع القوات التي كنت احاصر بها الطائف حسب الخطة التالية وهي : من الناحية الشرقية الى الحناكية — وهي موقع مهم شمالي شرقي المدينة المنورة — ثم العبور من وراء الخط الحجازي الى وادي العيص ، وبذلك ننقل الثورة مما بين الحرمين الى ما بين المدينة والشام . فوافق رحمه الله .

وعندئذ كتبت الى علي وفيصل بأن لا خوف من تقدم فخري باشا الى مكة ما دامت قواتهما سليمة ، لانه لا شك يخشى ان تقطع قواتهما الطريق بينه وبين المدينة . وقد ذكرت لهما انني متوجه عن الطريق الشرقي ، وان هذه الخطة انكى للعدو واوفق للثورة ، حيث ستنضم اليها العشائر الشرقية كلها . ثم توجهت الى جدة لمقابلة ستورز ولورنس ، وخيمت بين الكندرة والسبيل ، فزاراني

ومعهما قائمقام جدة الشيخ عبدالله الشيبي ورئيس البلدية الشيخ سليمان القابل ، فأجري لهم الاكرام اللازم . ثم زارني في اليوم نفسه الكولونيل بريمون رئيس البعثة العسكرية الفرنسية ومعه الكولونيل قاضي وهو من مسلمي الجزائر .

وفي الصباح التالي زرت سير ستورز والكابتن لورنس بدار المعتمد البريطاني بجدة ــ وكان الكولونيل ولسن ــ ومعي عزيز علي بك المصري ، وكان الذي يترجم لهم ترجمان دار الاعتماد حسين روحي افندي . ولما استقر بنا المكان قال ستورز : لقد حضرت انا ورفيقي الكابتن لورنس لنقوم بأقصى ما يمكن من الخدمات ، ولكن لسوء الحظ تلقينا امس هذه البرقية وكانت لنا منها صدمة شديدة، وقد ترجمت الى العربية وستقرأ على سموك الآن ، فاذا تكرمت واصغيت اليها علمت مقدار جزعنا منها .

وكانت برقية مطولة ؛ خلاصتها ان اخبار النهضة العربية قوبلت في الهند بالسخط،وان وكلاء الالمان والاتراك اتخذوها وسيلة، وزعموا ان الحلفاء احتلوا البلاد الاسلامية المقدسة . ولذلك ولان الحكومة لا ترغب في متاعب لها في الهند ، فقد قررت ان تسحب كل البعثات المرسلة من لدنها من المسلمين وكذلك البعثات العسكرية الفرنسية ، وستستمر في تقديم المساعدات الاخرى من اسلحة وعتاد ونقود . وترى الحكومة ايضا ان نهوض العرب بأنفسهم وبغير مساعدة قوات اجنبية هو خير لمستقبلهم .

وكانت هذه البرقية صدمة شديدة لي ولعزيز علي بك ، فقد كنا في حاجة الى قوات من طيارات ومدفعية ورشاشات ومهندسين . وتأملت قليلا ثم قلت لهم : ارجوكم ان تتلوا البرقية مرة اخرى لانني احب ان اتفهمها جيداً . . وكانت فرصة للتفكير ، وقررت قراري . . ولما انتهى قلت : فهمت ما تقولون تماما ، وقمت مودعا ، فبهتوا ، وودعوني بكل احترام والارتباك ظاهر عليهم .

ويممت دار الكولونيل بريمون ، فاستقبلني لدى الباب ، وهو رجل الى الطول اقرب ، عريض الصدر طويل اللحية اشيبها . وبعد ان جلست قال لي : ما هذا ! ان الاتراك قد وصلوا الى (بير قاظي) !

... فقلت : بل ما هذا ؟ الموفدون البريطانيون اخبروني الآن بقرارهم ان يسحبوا بعثاتهم العسكرية بما فيها انتم ، وانهم سيساعدون النهضة فقط بالاسلحة والعتاد والمال ، وانا في حاجة الى طائرات ومدفعية وغير هذا مما لا يتقنه الجنود العرب اليوم . فقال : لم يبلغني ذلك وان الامر لخطير ، فماذا انتم فاعلون ؟ قلت : لا شيء غير الصلح ، فان الاتراك عرضوا علينا قبولهم ما نطلبه بكفالة امبراطور المانيا ، وانني سأعود الآن وستستقيل الحكومة التي انا وزير خارجيتها وتأتي حكومة اخرى من الحزب الجانح للصلح فننتهي على خير ، وقد نلنا ما اردناه ؛ وليس علينا من حلفائنا في هذا اي لوم لأنهم يعرفون ما طلبناه وما قبلوه .. فتغير لونه . وبعد ان شربنا القهوة خرجت الى المخيم .

وبعد وصولي الى المخيم بنصف ساعة تقريبا ، جاءني قائد الجندرمة ومعه مذكرة من المعتمد البريطاني يقول فيها انه والسير ستورز والكابتن لورنس يحبون ان يتناولوا الشاي في المخيم الساعة الرابعة ، فأجبته بالقبول . وجاءوا في الوقت المناسب ، وقالوا لي : ماذا قلت سموك للكولونيل بريمون ؟ قلت لهم : الذي سمعتموه منه ، فاني بعد تبليغكم قرار حكومتكم ، صممت على العودة لعرض الامر على ولي الامر ثم الاستعفاء انا والحكومة ، لتأتي حكومة جديدة من الحزب المائل للصلح مع تركيا فتقبل ما عرضه الاتراك علينا بكفالة الامبراطور الالماني ، ونتخلص من مشاق الحرب ، ولا لوم علينا في هذا . فقالوا : انك لم تبق عندنا حتى نعرض عليك ما كتبناه لحكومتنا ، واننا ننتظر ايقافنا على ما تريدونه من مطالب ، فقلت : بعد تصميمكم على سحب بعثاتكم تقولون انكم كتبتم ، وماذا تعني كتابتكم ؟ فالحوا علي الحاحا شديدا في تغيير رايي ، فقلت : لا احيد عن رايي قيد شعرة ، ولكن سأتاخر في الطريق اثنتي عشرة ساعة ، فان سبقتني الموافقة على ما تتطلبه الحالة الراهنة من ابقاء البعثا تـوارسال الطائرات التي يطلبها الامير فيصل ، بقينا على ما نحن عليه .. فرضوا وخرجوا بعد ان تناولوا الشاي .

وسافرت الى مكة عن طريق (الفيج) ، تاركا على يميني جبلي

(ظاف) و (مكسر) ، وقضيت الليلة بقرب منازل (الحيان) ، وكانت ليلة جميلة ضيفتنا فيها العشيرة خير ضيافة . ثم استأنفنا السير صباحا ، وسلكنا طريقا تنخرط بنا على (الحميمة) وبها اقلنا ثم روحنا بعد الظهر فأصبحنا امام مكة المكرمة ودخلناها من طريق (الحجون) لا من طريق اجياد . واذا بحاد يقول (يا شاري العبد المليك ، عبد يجمل من شراه) واذا به الشيخ فاجر بن شليويح ، وقد جاء على وعد مني للسفر الى الجبهة . فدخلت مكة وتشرفت بالمثول بين يدي والدي فبادرني بقوله : لقد نجحت يا عبدالله في مهمتك ، فقد وردتني برقية من المعتمد البريطاني يقول فيها « ان جميع مطالب الجبهات سوف تأتي بدون اي تأخير » فعلمت ان السهم قد اصاب وان القوم قد فضلوا دوام الثورة على ما زعمت لهم من صلح مع الاتراك .

اعلان الاستقلال ومبايعة الحسين بن علي

كان لا بد من اعلان استقلال البلاد العربية بأجمعها والبيعة للحسين بن علي ملكا على العرب . فالاتراك كانوا يعتبروننا عصاة خارجين ، واعداؤهم كانوا ينظرون الينا كثوار لا اكثر ، وفي هذا ما فيه من الخطر على مستقبل الامة . فذاكرت زملائي الوزراء — ما عدا الاميرين عليا وفيصلا فانهما كانا في الجبهة — ذاكرت الشيخ عبد الله سراج قاضي القضاة ونائب رئيس الوزراء ، والشيخ يوسف قطان وزير النافعة ، وحافظ محمد امين افندي ناظر الاوقاف ، وعزيز بك علي المصري رئيس اركان الجيش العربي ، وعلماء مكة ومفتيها ، ومن حضر من رجالات الشام والعراق الذين منهم : الشيخ كامل القصاب والسيد محب الدين الخطيب وآل البكري والشيخ فؤاد الخطيب — وكان معاونا للخارجية — وآل الداعوق وحضرات الضباط العراقيين ... فوافقوا جميعهم على الرأي والحوا في سرعة التنفيذ .

فدخلت وعرضت الامر على سيدي الوالد فرفض بشدة قائلا : انا لا اعمل للملك ولا اقبل هذا الامر الذي تعرضونه علي . فتقدمت ولثمت ركبته وقلت : هذه العريضة مقدمة من عظماء الحجاز ومن

حضر من سائر بلاد العرب وهم يلتمسون قبول عرضهم . فقال : ليس عندي سوى ما قلته لك . فقلت : لسنا جميعا على استعداد لخدمة الثورة الا على شرط قبول ما عرضناه ، فاعمل ما تشاء مع سوانا . فقال : هل بلغت بكم الحال الى هذه الدرجة ؟ فقلت نعم . فقال : قف ، فوقفت ، ثم امر بحضورهم جميعا . فلما جاءوا سألهم : اصحيح ما يقول ؟ قالوا : لا يجرؤ احد على ان يعرض على سيدنا ما لا صحة له . قال : هل عزمتم على عدم الاستمرار في الثورة ان لم اقبل ما عرضتموه ؟ قالوا : نعم سننسحب كلنا . فقال : افعلوا ما شئتم والتبعة عليكم ، فانني اقبل ما عرضتموه منفذا لرغبتكم لا موافقا عليها . قالوا : اذن وفقك الله ، وستكون البيعة يوم الاثنين اول محرم سنة ١٣٣٥ في المسجد الحرام ، فقال : على بركة الله .

وكانت البيعة عامة . وقف الناس يبايعونه من ضحوة النهار الى ان أذن المؤذن الظهر ، اربع ساعات تامة . وبعد ان عاد الى القصر الملكي ودخل الحجرة الخاصة ، تقدمت مهنئا فقلت : هذه هي البيعة العلنية ، اما البيعة السرية فكانت والاتراك في البلاد ، وقد اخذتها من احد عشر الف رجل بمكة ، كلهم بايعني على ان اختار لهم ملكا هاشميا يسير بهم على ما امر الله ورسوله وكانت باذن جلالتك . فقال : تذكرت تذكرت ، فقلت : وانا الآن ذكرت ابا مسلم الخراساني ، ولكن ارجو الله ان لا تكون عاقبتك عاقبته . فقال : خسىء الاعجمي . ثم ابرقت بصفتي وزيرا للخارجية لكل وزراء الخارجية من دول الحلفاء والدول المحايدة ، واستمر العمل ذلك اليوم من بعد الظهر الى ما بعد نصف الليل . وكان يعمل معي الشيخ فؤاد الخطيب عمل المخلص المتفاني ولا نكران لذلك .

وفي اليوم الثاني طلب الي المعتمد البريطاني الكولونيل ولسن والمعتمد الفرنسي الكولونيل بريمون مقابلتي فظننت انهما سيقدمان التهنئة على ما وقع ، واذا بهما على عكس ذلك يقولان : لم فعلتم هذا الامر قبل الرجوع الى راي حلفائكم ؟ فقلت لهما : عجيب ما تقولانه .. اننا نقاتل بسيوفنا في سبيل الله واعلاء كلمته وارجاع حقنا القومي

الى نصابه ، فمن ساعدنا وأيدنا فهو صديقنا ، ومن نكص عنا ، واحب ان يفت في عزائمنا فهو لا يريد بنا الخير ، ونحن لا نسفك الدماء الا في حقها ، فاذأ رايتم اننا على خطأ فانتم تضمرون لنا غير ما تعلنون . وانني لانتظر رد حكوماتكم ، لا ردودكم الشخصية ، وانا اعتقد ان الترك وحلفاءهم اليوم سيقرون ما فعلناه ويقبلون الصلح وهذا امر نحبه .. فقالوا : هل تشك سموك في اخلاصنا ؟ قلت : لا ، ولكن نحن اعلم بما ينبغي لنا ان نفعله من اجل انفسنا .

وفي اليوم الثاني جاءني الرد من المستر ستورمر وزير خارجية روسيا القيصرية ، وقد اعترف باستقلال البلاد العربية وبملكية صاحب الجلالة الهاشمية الحسين بن علي ملكا على الامة العربية ، مقدما تحيات جلالة القيصر نيقولا الثاني الى جلالته وتحياته هو الي والى الحكومة . فبلغت هذه البرقية الى دول الحلفاء قراءة . فقال الكولونيل ولسن : أتعد هذا اعترافا منه يا سمو الامير ؟ فقلت: وكيف يكون الاعتراف اذن ؟ فقال تكرم اذن بقبول تهاني الشخصية على ان اقدم التهاني الرسمية بعد تلقي الاعتراف من حكومتي .

استئناف الجهاد

وبعد هذا اخذت في الاعداد للسفر ، وقلدت قيادة الجيش الشرقي العربي مرة اخرى . وكان عماد هذا الجيش فئتين من الهجانة المدربين ، وفئة الخيالة ومعها بطارية جبلية ، ثم عشائر عتيبة وعشائر مطير وعشائر حرب وعشائر هتيم . ولدى الوصول الى بلاد جهينة وبعد اتمام التجهيزات توجهنا في عشرين من شهر صفر الخير ، ونزلنا وادي الليمون . وكانت قوات الاميرين في رابغ وينبع تحت ضغط شديد من فخر الدين باشا . وكان الشيخ حسين بن مبيريك شيخ رابغ قد التحق بالقوى التركية وقام ببعض عشائره في حجر ـ موضع بأرض وعرة شرقي رابغ وعلى طريق خلص فعسفان ـ وبهذا كانت الطريق مفتوحة لقوات فخر الدين باشا . فأسرعنا المسير ، ولما وصلنا الى البركة ـ منزل للحجاج في الطريق الشرقي ـ تلقيت امرا من القائد العام الامير علي بن الحسين يخبرني فيه ان الامير فيصل في مضايقة

شديدة بينبع ، وانه يتوقع هجوم فخري باشا عليه في اية لحظة او مروره على طريق خلص الى مكة ، ولهذا يشير آمرا اياي بالرجوع الى مكة ، ومنها يأمرني ان اغذ السير الى عسفان لتشكيل جبهة جديدة تدافع عن مكة ، ويقول ان لم افعل هذا فربما قطعت عليه خط الرجعة ، فيضمحل الجيش بدون اي خدمة .

ولما كنت اعلم جيدا ان في تنفيذ هذا الامر انفراط امر العشائر فقد قمت بما يلي : بعثت الشريف فوزان الحارث بالف وخمسمئة هجان مردوفة ، وامرته بأن لا يصبح الا وهو قد احتل حجر واستأصل حسين بن مبيريك . وبعثت بجواب الى الامير علي مع رسول الى رابغ اعلمه فيه بأن لا حجر ولا ابن مبيريك بيد الترك بعد اليوم . وبعثت الشريف عبدالله بن ثواب الحارثي بمثل تلك القوة الى المدينة المنورة وامرته بأن يشن الغارة على مخافر الترك بجبل (وعيرة) وجبل (احد) ، وان يوقد نيرانا كثيرة بالجبال والمرتفعات ويكثر الصياح وان يأسر كل محتطب او ذا حاجة او تاجر من تجار نجد ممن يخرج من المدينة او يدخل اليها ، وان يطلق سراح الراجعين الى المدينة بعد ان يتحقق عن هوياتهم ، وان يزودهم بكتب الى العشائر بغربي المدينة ممن التحق بالاتراك والشريف حيدر ، ويهددهم بالصياح اذا هم لم يتراجعوا الى الاميرين بينبع ورابغ ، ويقول انه في مقدمة الجيش الشرقي وقد نفذ ما عليه ، كان حجر قد احتلت في الوقت المعين .

وتوجهت بالقوة الاصلية الى ناحية (الحناكية) ، واقمت بها ثلاثة ايام فالتحقت بي هناك كل عشائر هتيم وحرب ، واصبحت القوى عشرين الف راكب .

اسر القائد التركي الاميرالاي اشرف بك

توجهت بهذه القوى نحو الغرب لأعبر السكة الحجازية ما بين محطتي (ابا النعم) و (هدية) . وفي طريقنا بالحرة ، ولشدة الحر يومئذ وللتخلص من وعورة الحرة ، تقدمت ومعي هجانان ، واذا بقاع صحصح فيه دوحة عظيمة وغدير افيح ، فانخت وامرت بشيء من القهوة في انتظار قدوم عيون القوة، فكان كل من رآني هناك ينيخ.

ولتأخر القوة قررت ان تكون تلك الدوحة منزلة الظهيرة. وكان عندي حينذاك الشريف شاكر بن زيد وخالد بن لؤي والشيخ ناهس الذويبي شيخ مشائخ حرب . وبينما انا جالس معهم دخل رئيس عشيرة (ولد) ، محمد رجا بن خلوي ، واشا رالي فقمت اليه ، فأشار الى تل لا يبعد عنا بأكثر من خمسمئة متر وقال: هل ترى هذا التل؟ قلت : اراه . قال : ان به قوة تركية . قلت : كيف ؟ قال : اسمع من هذا الفلام .. واذا بفلام تتقد عيناه يقول لي : يا سيدي عان الترك عانهم ــ أي انظر الى الترك انظر اليهم ــ قلت : كيف ؟

قال الفتى : « انني واخي زمالان للشيخ رجا بن خلوي ، ذهبنا في مقدمة القوم نحتش حشيشا فألقى الترك القبض علينا ، وقال كبيرهم لنا من انتما ومن هؤلاء القوم ؟ فقلت انا مبادرا : هؤلاء هتيم وشيخهم سمران بن سمرة ونحن منهم قد بلغه ان الشريف عبدالله نزل الحناكية فرحل عن طريقه لاجئا الى خيبر . فقال : لا تكذب ، فقلت : ولم الكذب اطلقني ان اردت واحتبس اخي وانا آتيك بسمران بن سمرة ، فاحتبس اخي واطلقني . ولكن عان يا سيدي الترك عانهم » !. فقلت : هل رايت كثرتهم ؟ قال : هم كثير ولكن نحن اكثر ، أبعث بي ادل القوم .

فانتحيت ناحية وقسمت الخيل الى ثلاثة اقسام : القسم الاوسط وعليه الشيخ هوصان بن عفار ، والايمن وعليه اخوه الشيخ راقي بن عفار ، والايسر وعليه الشيخ عبدالله بن مسفر ، وامرتهم ان يحيطوا بهذه القوة وان يوغلوا الى ما وراءها حتى يقفوا على حقيقة الحال .. هل لهؤلاء من مدد او قوة كاملة ؟!. فتوجهت الخيل ، ثم بعثت بمشاة العشائر من اليمين بقيادة الشريف خالد ابن منصور ، وبعشائر هذيل بقيادة الشريف فائز الحارث ، وبعثت بعشائر ثقيف وابن الحارث وهذيل الشام بقيادة الشريف شاكر بن زيد من الميسرة ، فتبعوا الخيل . ولم تمض الا دقائق حتى كان الاشتباك الشديد ، واذا برشاشاتهم تلعلع ومتفجراتهم ترعد فينعكس صوتها بين وديان الحرة وهضابها ، فلم يقف انسان بمحله بل حملوا حملة صادقة فأبادوا القوة التركية بأجمعها ، واتوا بقائدها

الاميرالاي اشرف بك ، وبالمدافع والرشاشات ، وبغنائم لا تحصى ، وبهدايا الى الامير ابن رشيد والى الامير ابن سعود والى امام اليمن ، وكان من جملة الغنائم ثمانية وثلاثون الف جنيه ذهبا عثمانيا ، والاطعمة المجففة وسائر البسكوتات مما اغنانا اياما عن الزاد ، ولقد كنا في حاجة شديدة حتى الى الملح .

وسرنا لنعبر السكة قبل ان تأتي قوة تركية تمنع العبور ونحن في مفازة قتالة . ثم احتلت قواتنا ما بين (هدية) و (ابا النعم) ، الخط الى آبار (ابا الحلو) غربي السكة . واستمر العبور اربع ساعات ونصفا على ثمانية خطوط ، ثم اقتلعت اعمدة البرق وانتزعت قضبان السكة . وقد كتب اشرف بك مصيره في تقرير علق على قضبان البرق. وكتبت انا كتابا الى فخر الدين باشا ابلغته فيه اسفنا لما وقع على اشرف بك وحملته . وعجبنا من ارساله تلك القوة بهذه الاموال في بلاد ثائرة وذكرت له ان الثورة قد انتقلت الى ما بين الشام والمدينة . وتراجع فخر الدين باشا من (ينبع النخل) ومن (وادي الصفراء) ومن (بئر سعيد) الى (بير درويش) . وجناحه الايمن الذي كان يعمل ضد الامير فيصل رجع من (بير قاظي) و (سطح الغاير) ومن (برام) و (عبود) الى (غدير ومجز ومجزان) و (آبار علي) . وجناحه الايسر الذي كان يعمل ضد الامير علي تراجع ايضا .

النزوال بوادي العيص

وتقدمت فنزلت بوادي العيص بربيعان ، وكررت على الخط الحديدي أهاجمه ليل نهار ، فتحررت قوة الامير فيصل واتجهت عن طريق الساحل الى الوجه ، وقد كان بيد الاتراك . وكان قائمقام القضاء في الوجه صديقنا العزيز عبد السلام بك كمال احد افراد دار كمال المعروفين بالقدس ، وكان عثماني المذهب شديد التمسك بالترك . وكان معه الاميرالاي احمد بك على قوة نظامية عثمانية مؤلفة من مدفعية ساحلية وبطارية جبل وطابور ، افراده الف ومئتا جندي غير الجندرمة . كما كان في الوجه هجانة من عقيل اهل نجد مؤلفة من ثمانمئة هجان .

ولدى نزولي بوادي العيص كتبت الى هؤلاء العرب انصحهم بالانضمام الىالثورة العربية قبل ان ينالهم التنكيل،فوردت اجوبتهم بالموافقة . وبعد ان استلموا معاشاتهم تركوا الاسلحة حيث هي وخرجوا ثم التحقوا بالثورة .

وتقدم الامير فيصل من الساحل فاستولى على (أملج) . ثم ضرب الاسطول البريطاني (الوجه) . وعند وصول طلائع قوى الامير فيصل ، تراجع القائم مقام والاميرالاي بقواتهما الى (العلا) ، ودخل جيش الامير فيصل (الوجه) بدون مقاومة تذكر . أما ابن رفادة ، شيخ الوجه وأحد رؤساء (بلي) ، فقد فر والتحق بأحمد جمال باشا في الشمال . وكتبت الى شيوخ عشائر عنزة :

> **من عبدالله بن الحسين بن علي الى الشيخ فرحان الايدي والى الشيخ شهاب الفقير**
>
> **اما بعد فقد بلغكم عبورنا السكة الحجازية بعد ان ظفرنا باشرف بك في الجنبلة بالحرة ونزلنا بالمربع بوادي العيص . وكتابنا هذا كتاب دعوة لكم للالتحاق بالثورة العربية في مهلة لا تتجاوز العشرة ايام ، تقدمون البت قبل مضيها مقدمين الطاعة مع البرهان بان تهاجموا خط السكة وتاتوا باسرى وغنائم . فان لم تفعلوا ومضت المدة فلا لوم علينا ان نحن استعنا بالله عليكم وصبحناكم .**

فجاء الشيخ فرحان الأيدي سامعا مطيعا ، بعد ان هجم على محطة من محطات سكة الحديد تسمى (البغلة) وظفر بمن فيها ، وجاء ومعه مدفعان جبليان اغتنمهما . وقد عينته قائدا في اراضي عنزة من الجهينة الى حدود الفقير .

واما شهاب الفقير فكان غائبا عند وصول كتابنا ، فحضر اخوه الشيخ متعب الفقير بالنيابة عنه سامعا مطيعا ، وقد وعد بأن تبتدىء الحركات في جبهة الفقرة عند وصول الشيخ شهاب من الشام . فلم اقبل منه ذلك وقلت له : « لا بأس على شهاب ما دام لدى الاتراك ، ولا لوم عليكم انتم بعد التهديد » . وبينما هو يتجهز للرجوع واذا بخبر عودة شهاب الى عشيرته وانه قد سمع واطاع

وباشر في الحركات . وهكذا ابتدأ الجيش الشرقي يعمل وقد لفت اليه الانظار ، وكان لأسر اشرف بك صدى عظيم في مكة وفي المعسكرات العربية برابغ وينبع ولدى المحافل البريطانية ، لشهرة اشرف هذا وفرقته اذ هو الذي كان صبح فرقة البرنس موريس البلغاري اثناء حرب البلقان واوقع فيها وشتتها .

ثم اننا قطعنا الخط الحديدي بين محطة (أبا النعم) و (هدية) ، وهيأنا القوة الكافية للكمائن بطرف (بئر عروة) بالمدينة المنورة في ايام الجمعة ، لاختطاف الامير الشريف حيدر الذي اعتاد ان يتنزه هناك بعد ظهر كل جمعة . وقد وصلت تلك القوة بالفعل الى مكمنها، ولكن الشريف كان قد اخرج من المدينة الى لبنان خوفا من وقوعه في الاسر اذا حوصرت المدينة . وكان رحمه الله يخدم القضية العربية بان يقول لكل شيخ يجيئه : اذهبوا وساقابلكم بمكة متى وصلتم . وقد اسر لمن يثق به منهم بان اعينوا أمراءكم فان حصل أي فشل فانني ساجتهد للتخفيف عنكم .

وهكذا فان الحركة العربية أخذت تلاقي نجاحا بعد سلوكي الطريق الشرقية ، واستكملت اسباب حصار المدينة بعد ذلك رويدا رويدا . وقد تحركت القوى الاصلية الهاشمية من رابغ يقودها الامير علي وأمراؤها من النظاميين : نوري باشا السعيد وعلي جودت بك الايوبي وحامد باشا الوادي وابراهيم بك الراوي. وأما العشائر فحرب وبنو سعد وسليم وهذيل والانراف ، وقد قصدوا قوى الترك الاصلية ببئر درويش وبمجز ومجزان . وكان سمو الامير زيد يقود الجناح الايمن . واستمر القتال بين القوتين ثلاثة ايام ظفر فيها الجيش العربي الهاشمي ببئر درويش وبمجز ومجزان ، وتراجع فخري باشا الى الجفر والى آبار علي . وقد قال في تقريره لجنوده « انكم تقاتلون الآن قوة منظمة هي كفء لكم وليست المجادلة الآن شقاوة او حرب عصابات » . وقصر فخري باشا خط دفاعه وخندق واستحكم . وكانت بالمدينة القوى السفرية تدافع الى حد (تبوك) بفرقة ونصف . وكان الجيش الشرقي الذي اقوده بالعيص يداب على قطع مواصلات القوى السفرية قطعا مستمرا

بتدمير سكة الحديد الحجازية . ثم تقدم الامير فيصل من الوجه الى جيدة ــ موقع العلا بأرض بلي ــ متخذا المركز العام له مدينة الوجه الساحلية . واخذت هجمات الجيش الشمالي بقيادة فيصل تتسع الى ذات حاج .

لورانس !..

بعد اسبوع من نزولي بالعيص ، وصلت قوة من الجيش الشمالي مؤلفة من سبعة وعشرين هجانا ومعهم الكابتن لورنس ، وقد ارسله الامير فيصل ليدير التخريبات الفنية للسكة الحديدية. ولم اكن بالمسرور لقدومه ، لاعتقادي بتأثيره المعاكس في العشائر المتعصبة ، ولقد قال لي ابن لؤي الوهابي العقيدة : « انكم تقاتلون الترك بسبب ان الالمان استحوذوا على الترك ، وهذا من يكون ؟ اذا كان الالمان اصحاب الاتراك ، فهؤلاء اصحابكم . فعلام القتال اذن ؟!.. » . وقال لي ناهس الذويبي : من هذا الاحمر القادم وماذا يريد ؟! .. فافهمتهم بانه جاء لتهديم الخط وانه مهندس ، وانه يمثل انكلترا حليفتنا وصديقتنا ، وان الامر ليس كما تظنون بل انا وهؤلاء اتفقنا على عدو لهم وعدو لنا ، اما اعداؤهم فالالمان واما اعداؤنا فهم الاتراك . وقلت لهم : اتظنون ان يدفعوا اسلحتهم وذخائرهم واموالهم اليكم دون ان يروا ما نوقعه في اعدائنا ؟!

ومع ان كلامي كان له تأثيره ، غير ان التبرم من وجود لورنس بينهم كان جليا ظاهرا . ولقد حاول الاتصال بالعشائر ولكنه لم يستطع بسبب الحرس الذي اقيم عليه ، خشية ان يدس له الترك بيننا من يعتدي عليه بقصد إفساد ذات البين . ولقد سلمت العشائر الجنوبية من الكثير مما لحق بعشائر الشمال ، يوم اطلقت للورنس الحرية في جيش الامير فيصل ، فأصبح بما بذل من مال وما قال من اقوال (ملك العرب غير المتوج) وما الى ذلك من مبالغة ومغالاة في الدعاية له .

والحقيقة انه كان مزهوا بنفسه غريب الطباع ... ولقد دس الي من يغريني بالملك على الحجاز ، بحجة ان ابي عنود في فكره متمسك برأيه . فقلت لرسوله ــ وهو الآن حي يرزق ــ (قل

لصاحبك هذا ان ابي سيدي وملكي وبعده الاخ الاكبر وبعده نجله، وسأكتفي انا بلقبي الى آخر ايامي ، وأما هو فقد خدمني وخدم العرب بقوله ان والدي عنود متمسك برايه ، فقد دل على انهم يطلبون من لا راي له من الناس كي يعمل لورنس وامثاله ما يشاءون).

وقد راينا ما آلت اليه الشام .. فان فكرة ازالة صاحب الثورة والدي المرحوم كانت قديمة ، وكانت الطريقة البريطانية في التمكين لابن سعود غاية في الاتقان . فقد سبق وتعهدت بريطانيا بأن لا تدع ابن سعود ولا سواه من الامراء العرب الذين لهم صلات بحكومة الهند ان يقفوا ضد الثورة العربية حتى تتم ،وانه لا ينبغي لصاحب الثورة ان يضمهم او يلحقهم بالحركة العربية لأنهم تابعون لحكومة الهند . غير ان بريطانيا اعلنت حيادها عندما صال ابن سعود في ما بعد على الحجاز ، والزمت العراق وشرقي الاردن بذلك الحياد الزاما . وفي هذا ، الاشارة اليسيرة لميول لورنس وما تكشفت عنه.

وقد وجهنا قوة للتخريب وطرد الاتراك من محطة (أبا النعم) و (جداعة) و (الوقر) و (هوية) ، وكان لورنس من جملة الذين ساروا مع القوة ويقول انه كان في الامكان القيام بما هو اشد تأثيرا ، ولكنهم استعجلوا الرجعة . وفي ذلك اليوم تم نسف قاطرة وتخريب قطار بأجمعه وتدمير حوالي احد عشر كيلومترا من الخط الحديدي. ومع ذلك فان كل هذا العمل لم يرق لورنس ، لأن الامر لم يكن يجري كما كان يريد !

ولقد سافر الشريف حيدر بن جابر من المدينة الى لبنان بعد ذلك بأسبوع وقبل ان نظفر به . اما لورنس فقد نفرت في جسده دمامل وخراجات فاستأذن وعاد . ولقد كنت معه لطيفا معترفا بثمين مساعداته ، غير اني لم أكن بالذي يرضى عن تدخلاته في ما لا يعنيه .

ثم ألحقت بالجيش الشرقي الذي كنت أقوده ، مفرزة تخريب فنية يقودها ضابط بريطاني برتبة ميجر اسمه « دافنبورت » وكان دمثا خلوقا لا يهمه سوى عمله ، طويلا عريض المنكب احمر اللون كستنائي الشعر ازرق العينين ، اطلق لحيته بسبب الحرب . وممن

كان في معيته من الانكليز الكابتن « غارلند » وكان من محبي العرب فعلا ، مخلصا شديد الاخلاص ، ولقد سعى للعمل مع المخلصين من العرب للعرب . ثم كان من الرجال الانكليز الذين عرفتهم بطيبة النفس الكابتن « غولدي » وهو رجل نحيف طويل معروق الوجه اخضر العينين بشوش هشوش ، ولقد كان مخلصا طيب القلب . وعرفت من الانكليز عام ١٩١٦ وعام ١٩١٧ الكولونيل « نيوكمب » وكان ممن يتظاهرون بمحبة العرب في كل زمان ومكان . كما عرفت منهم الميجر « جويس » وكان من اخلص الناس للانكليز وللقضية العربية ، وقد خدم اكثر من لورنس ، وبصمت وفعالية ، وقاسى انواع الشدائد من حرارة مواسم الحجاز وصمد لها صمود المؤمن.

التجهيزات العربية

وكان السبب الاكبر في دوام محافظة الاتراك على الخط ، هو قدرتهم على الدفاع من جهة ، وعدم وجود قوات مدربة نظامية معنا من جهة اخرى . اما التجهيزات فلم يكن يقدم منها للجيش الشرقي أي شيء سوى سلاح المحارب الراجل ، اما المدافع وما الى ذلك مما يستعمل ضد القلاع والاستحكامات فلم اظفر منها بشيء . وكان يتألف الجيش الشرقي من الفارين العرب من الجيش التركي ، من جنود وضباط برتب صغيرة . وكان لدى جيش الامير علي ـ الجيش الجنوبي ـ من مدافع الصحراء ومدافع الهاوزر ما تفوق به على الاتراك . وأما العناية بالتجهيزات فكانت مصروفة للجيش الشمالي الذي كان يقوده الامير فيصل ، فلقد كانت معه سيارات مدرعة ومدافع كثيرة جبلية وصحراوية ومدافع حصار ، وكان كل الجنود المتطوعين من العرب والضباط يرسلون الى ذلك الجيش ، كجعفر باشا ونوري باشا وأمثالهما .

وكان من رأيي الاستيلاء على الخط ثم الاستيلاء على المدينة المنورة بالجيوش العربية الثلاثة : الجنوبي والشرقي والشمالي . ولكن لسوء حظ العرب انتشر الضغط على الاتراك على طول الخط الحديدي ، ثم تقدم جيش الامير فيصل واحتل العقبة ومنها أخذ يضيق على معان . فلو سقطت المدينة المنورة في عام ١٩١٧ لكانت

الجيوش العربية الثلاثة تفرغت بمجموعها لفتح سوريا والاشتراك في محاربات العراق ، ولكن مال الاخرون الى هذه الخطة . ولما هزم جيش اللورد اللنبي الاتراك في الناصرة ، تقدمت مفارز من الجيش العربي الشمالي الى الازرق ودرعا ودخلت الشام . وعلى الشام رفعت الرايات العربية بوساطة الايوبي باشا وموافقة احمد جمال باشا القائد التركي المعروف ، وبادارة سلطانية تعلن الاعتراف باستقلال البلاد ألعربية . وكانت القوى العثمانية المدافعة عن معان لا تزال فيها لم تمس بسوء ، اشبه ما تكون بالجيوش الالمانية في فرنسا عند غزو الحلفاء القارة الاوروبية في الحرب العالمية الثانية .

التحصن بالحجرة النبوية

بقي فخري باشا في المدينة يدافع عنها باصرار ، لذلك لم يكن ضروريا ان يظل الجيش الشرقي بوادي العيص وبلاد جهينة ، وبعد المخابرة مع الامير علي تحركت بالجيش الشرقي الى الجفر ــ وهو موقع شمالي المدينة المنورة بفرب يبعد حوالى عشرين كيلومترا عنها ــ وبعد التضييق عليه ابتدات الحركات الدالة على عدم الطاقة في المحصورين .

وورد كتاب من السير وينجت ــ المندوب السامي بمصر اذ ذاك ــ الى فخري باشا ، يخبره فيه ان الاتراك قد هزموا ، وان الشام قد احتلت ، وان مسؤولية الدماء من بعد ذلك ستقع على فخري باشا شخصيا ان لم يسلم . فأجابه فخري باشا بالتركية : « الى جناب الجنرال ريجلاند وينجت بمصر:انا عثماني انا محمدي، وانا ابن بالي بك ، وانا جندي ، وأرخ » . . ثم بعث فخري باشا بعد ذلك بكتاب الى الامير علي ، يقول له فيه انه بعد هذا الجدال الطويل لم يبق اي سبب للدفاع ، وانه قد ارسل الميرالاي علي نجيب بك والميرالاي صبري بك والاركان حرب اليوزباشي كمال بك لاجل التذاكر في كيفية تخليه عن المدينة وكيفية اجلاء الجنود الذين يمتد خطهم من تبوك الى المدينة على سكة الحجاز .

فبعث الامير علي الي اشارة تلفونية يطلبني من الجفر ، فحضرت اليه حالا .

ولما ترجلت عن فرسي عند باب خيمة القيادة ، خيمة الامير علي ، تلقاني وهو يقول : أشهد أن لا اله الا الله واشهد أن محمدا رسول الله . فقلت : أعلم انك من اهل الاسلام . ثم دخلنا وطلب علي نجيب بك سرية المذاكرة ، فلما ابتدانا فيها طلب ان نسمح للقوات التركية بأن تخرج بأسلحتها الى ينبع البحر والى الوجه ، فتقرر رد طلبه ثم تقرر ما يلي :

أولا — يسلم فخري باشا نفسه .

ثانيا — يسلم كل الاي في الجبهات حيث هو ومن ثم يؤخذون الى الساحل بقوافل محروسة من الجيش العربي .

ثالثا — كذلك القوات التي بالمدينة المنورة تسلم كل قوة في مركزها وتخرج .

رابعا — والقوات التي في العلا وتبوك تسلم هناك وتؤخذ بقوافل الى الوجه والى ظبا ، واما الامتعة الخاصة بالضباط فتكون تحت تصرفهم اذا ارادوا بيعها او اخذها معهم .

خامسا — يجري تسليم الاسلحة العسكرية الخفيفة والثقيلة بموجب الدفاتر والسجلات المحفوظة .

سادسا — يجري التسليم فورا .

وبعد تنظيم هذه المواد ، جرى التوقيع منا ومنهم ، وعادوا الى المدينة المنورة . وفي الصباح التالي امر الامير علي نوري بك الكويري والشريف أحمد بن منصور أمير حرب ، بان يذهبا لتسلم فخري باشا حسب الشروط فذهبا ، وبقينا في انتظاره معهما حتى المساء ، فلم يأتيا . وبعد غروب الشمس بنحو نصف ساعة ، دعاني الامير علي الى خيمته وقال لي : لقد عاد أحمد بن منصور ونوري الكويري وحدهما ، اما فخري باشا فانه لما علم بالشرط الاول دخل الحجرة النبوية وهدد قائلا : ان اردتم اخراجي عنوة فسأشعل النار في كل العتاد الذي في المسجد — وكان الاتراك قد وضعوا المتفجرات في المسجد خشية الطيارات — وانه في الحالة هذه لا يمكن اخذه عنوة ، وانهم على استعداد لتنفيذ سائر الشروط . وكان سموه

مرتبكا ، فقلت : لنتركه في محله ، فقال : انه لا يؤمن وانه ما دام هناك فالخطر منه قائم .

وفي الحقيقة كانت الحالة مربكة ، وتجلى علينا الصمت الى وقت العشاء ، فلما دعينا الى العشاء وانتصف الاكل واذا بنا نسمع دمدمة ، كأن شيئا قد ثار او انهدم ، فقام رحمه الله واقفا وقال : لقد أشعل الخبيث النار في المسجد ! اركب الآن الى جليجلة وافهم الحقيقة ، واعمل على أخذه مهما كلف الامر .

ركبت العشاء ، الى جليجلة ، وبها مركز الآلاي الاول التركي ، وتقع في ارض جبلية ، وكنا سبعة عشر خيالا ، وكان معي الشريف ابن راجح وعبد الله المضايفي والشيخ هوصان بن عفار أمير الخيالة بالجيش الشرقي وأمير اللواء السيد حلمي قائد الفرقة النظامية للجيش الشرقي .

وبعد ان سرنا مدة ثلاث ساعات ، بلغنا المكان ، واذا ضوء على باب محل محكم ، واذا الغفير يصيح : من هذا ؟ فدفعت فرسي واندفع من معي نحوه ، فارتبك فأخذناه وسألناه أين مركز الآلاي ؟ فقال : هو هذا وفيه الامير الاي اسماعيل شكري بك . فخرج واذا هو ، فقلت له انا الامير عبد الله . فدهش .. فقلت : لا عليك ان لزمت السكينة .. اين التلفون ؟ واطلب به علي نجيب بك فقال : تفضل .

فدخلت واحضر علي نجيب بك على التلفون ، فقال : من المتكلم ؟ قلت : الامير عبد الله بن الحسين ، قال : كيف ومن أين تكلمني ؟ قلت : من جليجلة طبعا . قال : والآلاي ؟ قلت الالاي وقع بيدي . فقال : سبحان الله ! فقلت : هذا بفضل الله ، ولكن اين فخري باشا ؟ اليوم موعد تسليمه حسب الشروط ! قال : انه كما اخبركم الشريف أحمد بن منصور ونوري بك الكويري ، دخل الحجرة وهدد بأن ينسفها ان نحن حاولنا اخذه عنوة . قلت : لا أعتقد ذلك . فقال: اتريد ان تقع نكبة في الحجرة ؟ قلت : لا بالطبع، ولكن اريد تنفيذ الشروط ، أليست لديكم حرمة لتواقيعكم ؟ فقال: اتريد أن يقتل من يدخل عليه في ذلك المحل ؟ قلت : الذنب عليه



صاحب الجلالة المغفور له - الملك علي بن الحسين

ملك الحجاز



صاحب الجلالة المغفور له - الملك عبدالله بن الحسين

مؤسس المملكة الأردنية الهاشمية



صاحب الجلالة المغفور له الملك فيصل الاول

ملك العراق



صاحب السمو الملكي المغفور له
الامير زيد بن الحسين



صاحب السمو الملكي المغفور له

الامير طلال بن عبد الله



صاحب الجلالة المغفور له - الملك طلال الاول



صاحب الجلالة المغفور له - الملك غازي الاول

ملك العراق



ابطال الثورة العربية الكبرى

وقد قتل عمر بن الخطاب بين المنبر والقبر . فقال : أتريد أن ينسف المسجد ؟ فأجبته : قد احترق المسجد النبوي في التاريخ مرتين ، وإن وقع شيء من هذا فسيكون لنا حجة عليكم أنتم الأتراك . والآن انت تكلم خصمك ، فان لم تنفذ الشروط فسيكون الموقف جد حرج ، حيث تقرر استئصال كل من بالمدينة منكم . فقال : امهلني نصف ساعة .

وبعد نصف ساعة اتصل بي وقال : بعد المذاكرة تقرر اخراج فخري باشا بأية صورة كانت صباحا الساعة الحادية عشرة . فانتظرنا الى الصباح ، وفي الساعة المحددة خاطبني بالتلفون يقول : بعون الله ومدد من روحانية رسول الله وبعزم رفاقي الكرام ، تم اخراج فخري باشا من الحجرة بدون حادث ، وسيق اليكم مع الاميرالاي صبري بك في سيارة محروسة ، وسيصل اليكم بعد ساعة وربع .

استسلام فخري باشا

وبعد ساعة وربع ، وصل فخري باشا الى جليجلة وكنت في مركز القيادة ، فقابله حلمي باشا ومعه الشريف شرف لدى سيارته واخذاه الي . فقال له صبري بك — بعد ان قدمه لي — هذا الامير عبدالله . فحياني رافعا يده الى صدره تحية الدراويش ، فحييته بمثلها ، واخذته الى الغرفة فجلس جلسة المغيظ المحنق ،فبادرته قائلا : لقد عهدناك شجاعا في الحرب واثناء الحصار ، وانه ليسرنا أن نراك صبورا في مصيبة الأسر . ففرك بيديه وقال : لا أعارض وان تشكلت حكومة عربية . قلت : لقد عارضت وانتهت المعارضة ، والآن فان سمو ولي العهد الامير علي في انتظارنا ، فاذا سمحت نركب اليه بعد ان تتناول الشاي وترتاح قليلا .

ثم خرجت من عنده وتركت القائد ابراهيم الراوي معه ، فقال له : هل كنت معنا ؟ اجابه : كنت معكم الى أن أعلن استقلال البلاد العربية فالتحقت بأمتي . ثم رجعت واذا به قد اتم تناول الشاي ، وهو كالنمر الهائج ينظر ما حوله فلا يرى مخرجا . فقلت: لنركب ، فقام معي فنزلنا واذا بسيارته هناك ، فقلت : اركب —

وعمدت الى فرسي ــ فقال : بل تركب معي . فركبت معه ، ثم اكتنفت الخيل السيارة التي توجهت بنا نحو المدينة المنورة . فلما اجتزنا جليجلة واذا باستحكامات ، فقلت له : هل هذه الخطوط الامامية لكم ؟ فقال : لقد نسيت . فاستحمقت نفسي واستثقلت سؤالي وهو صامت ، ثم قلت مازحا : لقد أتحفتم الاميرين عليا وفيصلا بناطورين عندما قدمتم المدينة المنورة ، فأين حصتي ؟ فضرب يدا بيد ثم مد يده الى معطفه وراءه وتناول ناظوره فقدمه الي ، فخجلت جدا وقبلت الناظور على شرط أن يأخذ هو ساعتي تذكارا ، فشكر ذلك مني ، فدفعت اليه الساعة وكانت ثمينة ظريفة . اما كونها ثمينة فلأنها من اخي علي انعم علي بها ، واما ظرافتها فلكونها رقيقة مذهبة وغطاؤها مفلف بالميناء الازرق ، وفي طرفها الاعلى لون وردي كأشعة الشمس عند الغروب ، مكتوب على أحد وجهيها بخط النسخ الجميل وبذهب مطعم (لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين) وعلى الطرف الآخر :

لي خمسة اطفي بها حر الجحيم الحاطمة المصطفى والمرتضى وابناهما وفاطمة

فسر غاية السرور . وهو على ما علمت فيما بعد بكتاشي الطريقة ، والبكتاشيون شيعيون .. ثم تبسط معي ، وسري عنه ما كان عليه من غم .

ثم انفجرت احدى اطارات السيارة فوقفنا لتعميرها ، واذا ببدويين يمران ومعهما بعض ما اشتريناه من السوق ببئر درويش ، فقال احدهما للآخر : من هؤلاء ؟ فقال الثاني : هذا عبد الله بن سيدنا ، والآخر لعله فخري باشا . ثم تقدما مسرعين نحونا ، وبعد ان حيياني قالا عن فم واحد : هذا فخري باشا ؟ فقلت : انه هو . فالتفت اليه احدهما وقال : اانت فخري باشا ؟ قال : نعم . قال : امدد يدك اصافحك ، فأنت الشجاع الباسل الذي صدنا عن المدينة المنورة شهورا عديدة . فصافحهما ، ثم قال لي : ان هذه لأكبر مكافأة لي من رجلين لا يؤملان مني أي صلة أو جاه ، فاذا هي الحقيقة وبها الشرف لي ، وامتلأت عيناه بالدمع فقلت : انهما من العرب ، والعرب أمة شريفة تقدر الرجال حق قدرهم .

وتم اصلاح السيارة ، فتابعنا المسير ، واذا بقوة عربية نظامية من راكبي البغال عددها مئتان وخمسون بغالا ، يقودها القائد شكري بك الشويحي ، مصطفة للتحية ؛ وقد جاءت للاستقبال من بئر درويش بأمر من سمو الامير علي وقد علم بقدومنا من الشيخ عبد الله بن مسفر المضايفي الذي كنت بعثته حين وصول فخري باشا ليخبر سموه بأن المشار اليه قد اصبح في يدي ، فالتفت وقال: هذه القوة عربية ؟ قلت : نعم . فوازن نفسه وزرر معطفه ثم قابل التحية بتحية عسكرية وقال : « هرشي اولمش بتمش » أي ان كل شيء حصل وانتهى . وبدا عليه السرور مما رأى ، وفي هذا نكاية ، فانه كان يظن أن العرب لا يحسنون تنظيم أنفسهم .

واستمرت بنا الطريق ، ووصلنا الى المضرب الهاشمي في بئر درويش في الساعة الخامسة ؛ أي قبل الظهر بساعة — وكانت الساعة حين ذاك عربية — فترجلنا . وكانت جموع الناس مجتمعة لترى فخري باشا ، فدخل بعد أن صافحني قائلا : انني سعيد لقبولي في ضيافتكم . واتجه نحو اخي الامير علي ، وكان قد عرفه قبلا، اما لقاؤهما فكان مزيجا من العتب والعداء والبرود. فانسحبت من الباب الى خيمتي المعدة لي هناك ، وقبل أن أغسل وجهي طلبت للمثول بين يدي سمو الامير علي ، فلما حضرت قال : سعادة الباشا لا يسره فراقك .

وجاءت القوة ، وكان في المضرب كبار الامراء العسكريين والشرفاء ورؤساء البعثات العسكرية المحالفة . ثم جاء المضايفي وقال : ان خيام الضيف معدة . فنهض فخري باشا وهو يقول : لعلها بجوار الامير عبد الله ؟ فقيل له : نعم . فخرج وخرجت معه ، هل يأمر الباشا بأن نحضر اليه من يحب من الضباط الذين كان بألفهم ؟ فقال : اترك هؤلاء الخائنين ، لا أريد منهم أحدا . فافترقنا كل الى خيمته . وبعد قليل طلبني الامير علي فجئته فقبل راسي وقال : ان هذه خدمة لا تنسى لك . . فقبلت يده .

ورغب فخري باشا في السفر عاجلا ؛ وسافر في اليوم الثاني الى ينبع بسيارته ومنها بطرادة خاصة الى المعتقل بمصر . اما

انا فعدت الى معسكري بالجفر ، واخذت معاملات التسليم تتم وفق الشروط . ثم استدعاني سمو الامير علي وامرني بالذهاب الى المدينة المنورة لاتولى حفظ الامن الذي اختل هناك . فجئت الى بئر درويش ، وبعد مبيت ليلة سافرت منها الى المدينة ومعي العدد الكافي من الجيش الشرقي لاحتلال الاماكن المقتضية لحفظ الامن . فدخلت المدينة المنورة صباحا واممت المسجد النبوي ، وكان شعوري الروحي في درجة اعجز عن وصفها .

ثم نزلت في مركز القيادة العثمانية ، وكان الحرس من الاتراك، فكنت اجلس معهم للفطور والغداء والعشاء ، واصبحت قائدا مسؤولا عن الجبهتين المسلمة والمتسلمة ، وكأنه لم يحدث بيننا وبينهم اي شيء . فجرى التسليم وفق الترتيب المقرر ، وكان ترحيل افواج القوى السفرية العثمانية من الداخل الى الساحل يجري في الاوقات المعينة بالدقة التامة ، ولقد سافرت براحة وشكران .

وجدير بالذكر انني حاولت استبقاء العساكر في الخدمة العسكرية بالحجاز، ولكن الشوق في العودة الى اوطانهم غلب عليهم، ولما قلت لهم : لا سبيل لكم الى الذهاب لأوطانكم فورا الا بالانضمام الى الجيش العربي الهاشمي ، وان انتم لم تفعلوا هذا فستنقلون الى المعتقلات ، ومتى تتيسر لكم العودة منها عدتم ، وهذا مجهول التاريخ ، نكص كل واحد منهم عن السفر ، وطلبوا الرجوع الى اوطانهم ، فأعيدوا مكرمين عن طريق السكة الى معان فالشام .

ولم يقع من الحوادث المخلة بالامن شيء مهم ، غير ان بعض اللصوص القي القبض عليهم وهم متلبسون بجريمتهم ، فحوكموا للحال وكان قصاصهم الموت ، فانتهت كل مفسدة . ثم نظم امر الادارة وعادت المياه الى مجاريها ، وعين سمو الامير علي بن الحسين اميرا للمدينة المنورة وشيخا للحرم النبوي الشريف وقائدا عاما لها.

معركة تربة

وتلقيت امرا بالقدوم بالجيش الشرقي الى الطائف ، للعمل على تأديب الشيخ خالد بن لؤي بوادي الخرما . وكان خالد هذا

قد اعتنق المذهب الوهابي وطرد قاضي الخرما الشرعي وقتل الابرياء ، كما قتل الشريف بعيجان ــ وهو أخوه من امه وابيه ــ لانه لم يطعه على فساده ، ثم اخذ يُغير على من لم يدخل في هذا المذهب من العشائر التابعة للمملكة الهاشمية الحجازية .

وكان والدي قد وجه الشريف حمود بن زيد على راس قوة الى الخرما ، فلم يفلح في مهمته ، ثم بعثه مرة اخرى فعاد جريحا مغلوبا. فأمددته وانا بواديالعيص بقوة كافية بقيادة الشريف شاكر بن زيد، فذهب بها ، وبعد تلكؤ بمران توجه الى الخرما ونزل بشرقيها في الوادي نفسه ، فهوجم وهو في منزله وغلب ايضا . فجهز والدي قوة اخرى ، وبعث بها مع الشريف شاكر والشريف عبدالله باشا بن محمد بن عبدالله بن عون ، فبقيت هذه القوة بحضن ولم تنجز شيئا . والواقع انني كنت ارى عدم الدخول في معركة من هذا النوع في ذلك الوقت . فالناس سئموا الحرب ، والجنود المستأجرون امتلأت جيوبهم ولم تعد لديهم رغبة في جلاد . فاستأذنت بأني احب القدوم الى عشيرة ــ وهي ماء شمالي الطائف ــ لأبعث بالاثقال وما لا لزوم له من اسلحة ثقيلة الى الطائف واتشرف بلثم اليد الملكية . فوافق رحمه الله على ذلك . ولما وصلنا الى عشيرة وجدناه بها . فأقمنا ثلاث ليال حاولت فيها صرف جلالته عن متابعة هذه الخطة وان يسمح باستدعاء الاميرين عبدالله بن محمد وشاكر بن زيد .

وقد جاء الى عشيرة في معية جلالته حسين افندي روحي ، كاتم سر المعتمد البريطاني بجدة . فاختلى بي وقال لي : ان بريطانيا نصحت بعدم متابعة الحرب ضد الوهابيين ، وانها ترى مقابلة الدعاية بمثلها . وانها تعلم ان بيد الوهابيين قوى نشيطة متعصبة ينبغي اخماد نارها بالحكمة . وان ما وقع على الشريف حمود في المرتين السابقتين وعلى الشريف شاكر في المرة الاخيرة فيه الكفاية ؛ وان جلالة الملك له من المسائل في البلاد العربية كالشام والعراق ما ينبغي ان ينصرف لها دون غيرها .

ولقد كنت اعرف مغزى تبليغاته . وتذكرت ما كان قاله لي

الصدر الاعظم ابراهيم حقي باشا من ان ارجو والدي ــ وهو يوم إذن شريف مكة ــ ان يترك المسالة الوهابية وان لا يساعد سعود بن عبد العزيز بن سعود العرافة على ابن عمه عبد العزيز بن سعود ، لأن الحكومة البريطانية احتجت لدى الباب العالي في هذا الشأن .
وكتبت كتابا الى امير نجد عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ــ جلالة الملك عبد العزيز فيما بعد ــ أخبرته فيه بما تم من نصر في المدينة المنورة بانقضاء حكم الاتراك على البلاد . واخبرتــه بانني أمرت بالسفر حالا الى الحجاز لتأديب الشريف لؤي الذي خرج عن الطاعة ، وانه ليس من قصد سوى هذا . واكدت له في كتابي صدق سعيي لتوطيد الصداقة بينه وبين والدي ، وان ليس للعرب من فائدة في التنافر والتناحر .

ولكنني وفي الوقت نفسه صارحت جلالة الملك والدي بلزوم تأخير هذه الحركة زيادة في التبصر وتمحيص الامر ، فأجابني رحمه الله بجواب عرفت منه عزمه ، اذ قال لي : « يجب عليك ان تتوجه الى الخرما للقضاء على هذه الحركة المفسدة ، وان معك من القوة ما لو قاتلت بها كل العرب لتغلبت عليهم » . ولو علم جلالته حقيقة ما اعرف لكان من الرأي على غير هذا ، فان قتال العرب ليس كقتال الترك ، لأن الاتراك اهل ثقل في الحركات وابطاء ، ولا وسائل نقلية لهم ، فكنا نهاجمهم متى شئنا وننجو منهم متى خفنا ، لسعة حركاتنا ولكوننا في بلادنا ، والجندي الوهابي حريص على الجنــة حسب عقيدته انه اذا قتل دخلها .

ثم انني في محاولة ثانية ، وكأني انظر الى مصارع القــوم ، اختليت به رحمه الله وعرضت عليه رايي في العدول عــن امره ، فغضب غضبا شديدا وقال : هذا راي ام عصيان ؟ فقلت : اعوذ بالله من المعصية والعصيان ، ولكنها النصيحة ، فانني عالم بروحيــة الفريقين . فقال : اذن ان لم تفعل ما آمرك به فأنا متخل عن الملك . فاستعذت بالله وقلت : انني فداء لكم ولرغبتكم ، وانــي ذاهب حسب ارادتكم . واضفت : سأصدع بالامر واسأل الله لجندكم الظفر ولنفسي الشهادة . فعاد رحمه الله الى مكة وتوجهت بالقوة

التي معي الى البديع—وهو ماء عذب في سفح جبل البقوم—وبعثت الى الاميرين عبدالله بن محمد وشاكر بن زيد بأن يتركا محلهما وينزلا بالبديـــع .

وبعد يومين نزلت البديع ، ولكم احببت لقاء العدو به ، لأنه مركز منيع لا يؤتى الا من وجه واحد ، وانني متى تحصنت به وبثثت السرايا وقطعت النخيل واخذت المعاويد — وهي دواب للسقايا — اضطررت الاعداء الى الجلاء او التسليم ، وانه اذا اجتمع الوهابيون وقصدوني به فإن الدفاع يكون به اهون وانا متحصن وعلى الماء ، ومهاجمونا يمنعهم من البقاء الظمأ . وفي ما انا هناك اتحقق عن حالة العدو ، واذا بأمر سام يردني وفيه انه اذا لم ننفـــذ ما أمرنا به فستكون التبعة علينا ، وانه لن ترسل ذخيرة للعسكر بعد وصول الامر بثمانية ايام . فعلمت الرغبة الاكيدة وقررت تنفيذ الامر .

وبعد التشاور مع من اعتقد اخلاصه من الرؤساء رجحت الاستيلاء على مدينة (تربة) وحصنها المعروف برمادان وهو الذي ضربت فيه القوة المصرية في حركة الوهابيين الاولين واتي على آخرها. وتحركت بالجيش صباحا وامسيت بالقرب منها ، وفي اليوم التالي تلقيت كتابا من الامير عبد العزيز آل سعود يقول فيه :

« بلغني انك جئت تجر الاطواب والعساكر تريدنا بنجد وحنا ما عندنا بنجد الا الرمث نتظلل به حنا وعولاتنا . فانت اعلم ان اهل نجد كافة جاؤك يمشون ، مرتهم تسبق رجالهـــم من اقصاهم فى الشمال وادناهم فى الجنوب . وانا خرجت ونزلت الصخة ، وعليه فانت انكف لديرتك فان فعلت فانـــا امنـــع الاخوان ، وان لم تفعل فبصرك بنفسك . »

فبعثت أليه بالجواب التالي مع رسوله :

انني تلقيت كتابك واستغربت ما رأيت من تفاوت بينه وبين كتابك الاول ، فالتهديدات فى الكتاب الاخير لا تتناسب مـــع ايمان الصداقة والمحبة فى كتابك الاول . وأما ما ذكـــرت من ناس جاؤوا يقصدونني المرأة تسبق الرجل ، فمن هم هؤلاء ؟ فان كانوا عتيبة فنحن وهم من عهد محمد رسول الله (ص)

وعهد ظئره حليمة السعدية الى اليوم ، من ذلك العهد وهم جيراننا ورعايانا ، فان صدقت في ما قلت واصابونا فلا فضل لك في ذلك فالغالب هم ، وان قدرنا الله عليهم واصبناهم فوالله لا تجد عليهم ولا تحزن ولا ينقصونك . واما طلبك مني الرجوع فهذا لا يليق بان يكتب الي به ، وانا لا يقعقع لي بالشنان . فخابر ان شئت ولي الامر بمكة ، وانا مستمر في عملي متوكل على الله .

ثم مضت أيام واذا بجموع الوهابية تصل الى الخرما وتجتازها الينا ، وقد اغارت خيلهم على سرحنا وتقابل الخيلان وقدر الله فطردوا . وبعد ليال ثلاث جاؤوا بمجموعهم يجرون الحجر والشوك ـ عشائر مطير الدويش ومن معه ، وعشائر حرب أهل نجد ، وعشائر عتيبة وعلى راسها سلطان بن‌بجاد الملقب بسلطان الدين ، وعشائر الدواسر ، وعشائر قحطان ، وكافة سبيع اهل نجد والسهول ، وسبيع أهل الوديان ـ يزاحمون الخمسة والعشرين الفا . وكانت القوى التي معي ، من حيث قوة النار ، لا بأس بها ، واما العدد فكان الجند النظامي خمسمائة والجند من أهل الحجاز والارهاط المكتوبة ثمانمائة وخمسين .

فصبحونا بالخرما وكانت الملحمة،حيث استشهد من الاشراف ثلاثة وخمسون في صفنا ، ولم ينج من النظاميين الا ثلاثة ضباط هم الاميرالاي صبري بك والقائد ابراهيم الراوي والقائد حامد الوادي ، والذي سلم من القوة العربية الحجازية مائة وخمسون رجلا . اما هم فلم يبلغوا منا ما ارادوا إلا بعد ان حصدوا حصدا . وكان قتلاهم فوق السبعة آلاف . وكانت نجاتي منهم معجزة من المعجزات .

قلق

ولقد عدت بعد الهزيمة في (تربة) ، وبعد القتل المريع الذي أردى الالوف ، وانا ارى ما سينجم من استفحال الامر على بلادنا . وكنت نصحت لوالدي في ان يترك امر شرقي الحجاز الى فرصة يكون استعد فيها بجند نظامي مسلح تسليحا جيدا فلم افلح في نصائحي ، وكان مما اراده الله .

وكانت الفترة بين واقعة تربة وقدومي الى شرقي الاردن فترة اضطراب وقلق على الوطن ومصيره ، وعلى النهضة واتعابنا فيها ، وعلى الوالد نفسه . فلقد وجدته بعد رجوعي الى المركز كثير الصلف، كثير النسيان ، كثير التردد ، قليل الاعتماد على من كان يعتمد عليه .. وللمسألة خطورتها .

كان جلالته يظن ان في توقيف بيع مواد الاعاشة الى القبائل او تحديدها ما يزجرهم عن الدخول في مذهب الوهابيين ، فكان يمنعهم عن اخذ ما يريدون ، مع ان للبدو مواسم يبيعون فيها اغنامهم ويبتاعون لوازمهم السنوية حال بيع ما عندهم ، ويعودون بهذه اللوازم على ابلهم . فاذا لم يأخذ الرجل منهم ما يلزمه دفعة واحدة اضطر الى أن يأتي مرارا على بعد المسافات ، وفي هذا ما فيه من التعب والارهاق . وكان اذا جاءه اي خبرمن اية ناحية ، اخذت به الظنون ، ولهذا حف به الكثير من أرباب الفساد وصارت لهم كلمة . فحججت كسير القلب ، وقد انعم علي بقبضة من سيف مرصع كان لوالده المرحوم ، واحب ان يمنحني هذا السيف بعد الظفر في (تربة) ولم تمنعه الهزيمة عن تنفيذ هذه الرغبة .

وبعد انتهاء الحج ، امرني بأن اتوجه بالقوات التي جاءت من المدينة المنورة بمعية الامير علي ، الى الخرمـا ، ولم اكن اثق بتلك القوات بعد ان رايت ما حل بالجيش الشرقي الذي نشأ على يدي ، مع علمي بأن انكلترا سوف لا تصد ابن سعود مرة اخرى لو قصد الحجاز . فاعتذرت ، فغضب واسمعني في حضرة الامير علي ما لم آلف منه من كلمات قاسية ، فتحملت وسكت .

ثم عزم الامير علي على تبديل الهواء بالطائف ،وخرج معه مجموع ما جاء به من المدينة المنورة من قوات ، واستأذن لي بالخروج معه ، ولما وصلنا الى (ذات عرق) جاءنا من جلالته الأمر بلزوم توجه علي بخاصته الى الطائف ، ولزوم توجهي بالقوات الى الخرمـا . فكتبت معتذرا ومصرا بأن لا افعل ، وانني انصح بترك اي تقدم على نجد قبل الاستعداد الذي يضمن النتيجة ، وبعد بناء قوات احتياطية لامداد القوات المحاربة عند الاقتضاء . واضفت الى هـذا قولي :

انني ذاهب كجندي بقيادة اي شخص كان ، اذا أصر ولي الامر على الا أعود حيا ، ولكني لا اتحمل مسؤولية القيادة ثم اغلب وأهزم ، فأجر على الحجاز رجال نجد وليس في الحجاز قوة احتياطية ، فغضب رحمه الله غضبا شديدا . وبعد مدة استدعي الامير علي الى مكة ، وبقيت بالطائف ، فأمرت بتشييد سور الطائف وتشييد بروجه وبناء القلعة المعروفة ، وتم كل ذلك على نفقتي ، واصبح الطائف حصنا حصينا لا يمكن للقوات البدوية التغلب عليه ، ولم ينقصه الا الحامية والارزاق الكافية لها ولأهل الطائف في ما اذا حوصر .

مع اللنبي وكاترو

ثم كانت زيارة اللورد اللنبي لجلالته بجدة ، فطلبت الى مكة المكرمة ووجدت علامات عدم الرضا عني ما تزال تلوح على محيا جلالته . وسافرنا الى جدة ، وكانت المباحثات مع اللورد اللنبي التي لم ينتج عنها سوى ازدياد عدم التفاهم وموضوعها الشام وفلسطين والعراق .

وطلب الامير فيصل بعض البطاريات احتياطا لديه للاستعداد ضد فرنسا ، فأرسلت اربع بطاريات صحراء ، مدافع ميدان واربعة مدافع من تلك التي يسميها الاتراك (ذات القدرة) وهي مدافع نمسوية سريعة الطلقات تجمع بين عمل مدفعية الجبل ومدفعية الصحراء . وذات ليلة في جدة ، وفي ساعة متأخرة ، زارني الكولونيل كاترو ـ الجنرال فيما بعد ـ وكان يمثل جمهورية فرنسا بجدة ، وكان ذكيا وعلى جانب كبير من الادب والثقافة ، فسألني عن سبب ارسال هذه البطاريات الى الشام ، فقلت : لا علم لي بذلك . فقال : قد وقع الامر فعلا . فقلت : وماذا عليكم ؟ ان الجيش الانكليزي على وشك الانسحاب ، وعلينا ان نواجه تركيا وحدنا ، وربما كانت هذه البطاريات لهذه الناحية . فأقتنع بأن لا علم لي بذلك وقال : يجب عليكم ان تستندوا بالشام على فرنسا وان لا تظنوا ان هناك غير فرنسا . فقلت : اننا لا نحب ان نكلف فرنسا شيئا في ما يتعلق بوطننا ، ونحن لم ندع للاستقلال لنقع من يد دولة بيد دولة . ورأيت في وجهه علامات العداء فقال : ان لفرنسا من الحقوق القديمة

مالاينبغي تناسيه. فقلت : ربما كانت هذه الدعوة رائجة ايام تركيا ، اما اليوم فالبلاد للعرب وهم اهلها ، ومن الممكن اقامة الوداد على التساوي بيننا وبينكم .. والآن نحن بليل وساقابلك غدا في الساعة العاشرة ، بعد ان أسال عما ذكرت من أمر المدافع المطلوبة من الشام.

ولما اصبحت قابلت الامير علي واستوضحته أمر المدافع للامير فيصل ، فقال : وقع ذلك ، فقلت : ولماذا لم تخبروني ؟ فقال : هذه مسائل داخلية صرفة ، والجيش الشمالي يحتاج اليها ، والمقصود هو الاستعداد للطوارىء ، ويمكنك ان تطمئن الكولونيل عند المقابلة بان الحكومة الهاشمية لا تؤمل في اي جزء من اجزائها الا الوفاء من الدول الصديقة ، واذا جد منه شيء فلا تجب اجابة صريحة ، ولكن ارجىء الامر لراي مجلس الوزراء .

ثم عرضت الامر بعد ساعة على جلالة الوالد فقال : وكيف علم ؟ فقلت : بعثات عسكرية وضباط ارتباط في كل يوم يتلصصون على الدوائر ، ولهم عيون ايضا في محطة السكة الحديدية بالمدينة المنورة . فقال جلالته : هذا صحيح ، فافعل كما اشار عليك اخوك علي .

وبعد رحيل اللنبي الى مصر ، أمرت بأن ارد له الزيارة فزرته هناك ، وكانت أعلنت الملكية في سوريا بالرغم من النصائح التي اسداها الوالد المرحوم في تأخير ذلك الى ما بعد عقد الصلح وتنازل تركيا عن حقها في هذه الاقطار لأهلها العرب . وكنت احمل امرا بتعييني رئيسا للوفد العربي في مؤتمر الصلح . فقال لي اللورد اللنبي : ان رئيس الوفد هو الامير فيصل . فقلت له : هو الان ملك سوريا . فأجابني : ان الحلفاء لم يعترفوا بهذا . فقلت له : ان الذي ولاه على هذه الرئاسة في مؤتمر الصلح قد اعتبر الامر الواقع وعين رئيسا اخر هو انا . فقال : هذا الامر لا يقبله الحلفاء . فقلت: وما للحلفاء وتعيين موظف في وظيفته . فقال : هو ما سمعت . وكان الموقف من اسوا ما رايت . فعرضت الامر على مكة برقيا ، ثم بعدها رجعت الى الحجاز . وقد حدث هناك ما أوجب استقالتي من وزارة الخارجية .

الفصل السادس
تأسيس امارة شرقي الاردن

نداء من معان

ثم حدثت حوادث الشام وخرقت فرنسا حرمة الحق والعهد بهجومها على سوريا ، وبالتسبب بخروج الملك فيصل منها . ثم حدث ما حدث للوزراء السوريين الموالين لفرنسا في درعا . وطلب اهل الاخلاص من المشتغلين في القضية العربية في سوريا ارسال من ينوب عن الملك فيصل من الشخصيات الملكية في البيت الهاشمي.

فاستأذنت والدي وطلبت اليه ان يحملني تبعات هذه الحركة شخصيا ، فأذن لي وتوجهت من مكة المكرمة الى المدينة المنورة ، ومنها بالخط الحديدي الى معان فوصلناها بعد شهر ، وبعد مشقة شديدة بسبب خراب خط السكة . وكان الوصول في ١١ ربيع الاول ١٣٣٩ الموافق ٢١ تشرين الثاني ١٩٢٠ . واستقبلني أهل معان وباديتها بكل محبة وحماسة . ووجدت هناك الاميرالاي غالب الشعلان ، وكان في ما يقود فرقة الهجانة العثمانية في المدينة المنورة، ولطالما اصطدمت قواته بالمفارز العربية الهاشمية ، ثم ترك المدينة الى تركيا وعاد وثبت اخلاصه ، وترقى الى ان صار في رتبة أمير لواء في الجيش العربي رحمه الله . ووجدت هناك الرئيس عبدالقادر الجندي والرئيس محمد علي العجلوني ، وخلف بك التل ، واحمد التل وغيرهم . وفي ٥٢ ربيع الاول سنة ١٣٣٩ اصدرت المنشور التالي :

الى اخواننا السوريين

لا اجد في نفسي ادنى ريب او اقل شبهة ، في ان ابناء الوطن السوري سيتلقون بياناتنا بقلوب ملؤها التصديق والاخلاص . فليعلم ابناء سوريا ان ما اصابهم من الضياع المحزن ، من اعتداء رجال الاستعمار الفرنسي على وطنهم ومبادرتهم بسرعة فظيعة غريبة لهدم عرشهم في اول سعيهم

لتشكيل حكومتهم التي وضعت اساسها على سياسة الولاء والصداقة لكل الامم على الاطلاق ، قد اثر على حواس كل عربي على وجه الارض . وفي الوقت نفسه نعلم علما يقينا ان ابناء سوريا الكرام هم من جملة المفاخر العربية وركن من الجامعة القحطانية والعدنانية ، لا يرضون بالذل ولا ينقادون الى من جاء لاهانتهم في عقر دارهم ، وانهم لا يعذرون ابناء جنسهم اذا منعوا عنهم يد المعاونة والمدد في مثل هذه الآونة الخطيرة .

كل عربي يعلم انكم يا ابناء سوريا تستنصرونه وتستثيرون حميته ، ليأتيكم مسرعا ملبيا مقبلا غير مدبر . ومن حيث قد توالت علينا الدعوات وصمت آذاننا الصرخات ، فها انا قد اتيت مع اول من لباكم نشاركم في شرف دفاعكم ، لطرد المعتدين على اوطانكم بقلوب ذات حمية وسيوف عدنانية هاشمية .

ليعلم من اراد اهانتكم وابتزاز اموالكم واهانة علمكم واستصغار كبرائكم ، ان العرب كالجسم الواحد اذا شكا طرف منه اشتكى كل الجسم . وان الله سبحانه وتعالى لم يترك الامة سدى ، متفرقة مفتونة بالباطل مغرورة بالكذب وواهن القول .

ليعلم ابناء سوريا ان هؤلاء المعتدين قد عدوكم من جملة من ادخلوه تحت عار استعمارهم ووضعوهم في مصاف الزنوج والبرابرة . وظنوا انكم لستم من ذوي الغيرات واصحاب الحميات . كيف ترضون بان تكون العاصمة الاموية مستعمرة فرنسية ؟!.. ان رضيتم بذلك فالجزيرة لا ترضى ، وستاتيكم غضبى . وان غايتنا الوحيدة هي ، كما يعلم الله ، نصرتكم واجلاء المعتدين عنكم .

وها انا ذا اقول ، ولا حرج ، بانني قد قبلت تجديد بيعة مليككم فيصل الاول عن الاكثرية الغالبة التي جددت تلك البيعة على يدي ، وانني ساعود ان ابقاني الله حيا الى

وطني يوم نزوح عدوكم عن بلادكم ، وعلى هذا ، اليمين بالشرف . وامركم حينئذ لكم وبلادكم بين ايديكم ، متعكم الله فيها بالعز والسؤدد والرفاهية والمجد .

اتينا لبذل المهج دونكم ، لالتخريب البلاد كما يفترى علينا. وكفانا دليلا صدق بلائنا في الله والجنسية والوطن ، وتعريض النفس للاخطار والمحن ، وما وضعه عليكم ذلك المستعمر من الضمانات المثقلة اثر اعتدائه عليكم لدليل لايحتاج الى دليل.

أتاكم ذلك المستعمر ليسلبكم النعم الثلاث : الايمان والحرية والذكورية . اتاكم ليسترقكم فتكونوا غير احرار .

اتاكم ذلك المستعمر لياخذ منكم اسلحتكم فتكونوا غير ذكور .

أتاكم ليخيفكم بقوته وينسيكم ان الله بالمرصاد فتكونوا غير مؤمنين .

لذا ندعوكم للحياة والاجتماع والذب عن الوطن ، وعدم الاصغاء لكل دسيسة تفل من عزمكم أو تبدد حميتكم .

واستعين الله لي ولكم في ما نحن بصدده .

(عبد الله بن الحسين)

ثم كتبت للنواحي بأنني نائب ملك سوريا ، ودعوت أعضاء المؤتمر السوري للحضور الى معان . وكذلك كل ضباط الجيش السوري ومجنديه طلبتهم للحضور الى معان للقيام بالواجب . وتلقيت أجوبة من مشايخ البدو في الشمال غير مشجعة . كما وردتني أجوبة من بعض كبار الضباط العرب يشترطون نقل حقوقهم التقاعدية على الحكومة الهاشمية بالحجاز ، فيما اذا اخفقت الحركات ضد فرنسا في سوريا ، وقالوا انه اذا قبلت الحكومة الهاشمية هذا يحضرون ، وانه اذا لم تقبل الحكومة في الحجاز هذا الرجاء فان عذرهم قد وضح .

والتحق بي في معان من الذوات المعروفين عوني بك عبدالهادي وكامل البديري . وكان غيرهم يفدون ويرجعون . ولقد طلب مني كامل البديري ثمانين الف جنيه ليؤسس دائرة استخبارات ودعاية، وكذلك طلب نبيه العظمة مائة وعشرين الف جنيه للغرض نفسه ،

وكنت لا املك شيئا مما يطلبون وكان مركزي المالي في غايةالصعوبة.

اما عامة الشعب في سوريا فكانوا في حماسة عظيمة . غير انه وضح لي ان الحركة ان لم تكن مؤيدة بالمال فانها لا تقوم لها قائمة ، وكان ظني ان الوطنية الحقة ستسوق الناس الى دفع ما يملكون لحفظ اوطانهم وعزتهم القومية . ولكن الامر كان على خلاف ذلك في شرقي الاردن ، فقد هرع الناس الـي يدعونني الى عمان ، وكنت أجيبهم بأنني فاعل ان شاء الله . وكان البرد في ذلك العام في غاية الشدة فأصبت باليرقان .

اما المخابرة بيننا وبين الحجاز ، فكانت تجري لاسلكيا . واذكر ذات ليلة عندما كانت محطة لاسلكي معان تطلب جدة ، اذ بها تتلقى جوابا على الموجة نفسها من ديار بكر ، فحيت هذه تلك وتعارفتا وجعلتا الساعة العاشرة مساء موعدا للتحية بينهما . وفي الليلة التالية تلقيت رسالة برقية من صديق لي يسمى عبدالله بك — وكان نائبا عثمانيا عن ديار بكر يعرفني وانا نائب عن مكة — يحييني فيها ويتمنى لي التوفيق ، فشكرته . وكان الناس هناك يظنون ان ديار بكر ستلحق بالعراق ، وكنت المسمى لملك العراق والمبايع له حين ذاك .

وقال لي غالب بك الشعلان انه يعرف مصطفى كمال باشا شخصيا يوم كانا معا ضابطين في طابور عثماني بيافا ، واستأذنني في تحيته وابلاغه سلامي وتكليفه بأن تتعاون الحركة العربية مع الحركة التركية لنجاة الجهتين ، فأذنت له ففعل . وقد تلقى الجواب من مصطفى كمال باشا بالشكر والامتنان وان التعليمات اللازمة قد أعطيت الى كاظم قره باشا المتوجه الى الجنوب مع مجرى الفرات، وان رموزا شفرية للمخابرات سترسل بصورة خاصة ا.

وبعد هذا بليال علمت ان اخي الامير فيصل قد طلب الى لندن ، وقد كان حين ذاك في كومو بايطاليا . ثم تلقيت برقية من جلالة والدي يخبرني فيها بأن حكومة فلسطين تشكو من امتناع الاهلين في شرقي الاردن من دفع الضرائب ، ويأمرني بأن لا اربك الحكومات المحلية في ما لها وعليها .

ثم تلقيت برقية من الاخ فيصل من لندن يقول لي فيها انه قد قابل جلالة الملك جورج الخامس وانه ذكرني له فقال له انه يعرف الكثير عني ، وقال ان الملك وعد بأن تطرح القضية العربية على بساط البحث مجددا ، وانه لا ينبغي العمل على ما يهيج الفرنسيين لذلك . وبعد هذا الشرح رجاني الاخ بلزوم الاعتدال وانه سيوافيني بما يجد . وقد حضر اخيرا صبحي بك الخضرا ومعه رجال من حزب الاستقلال عملوا على تثبيط الهمم وان لا تكون حركات ضد الافرنج. فلم يكن لهم اي تأثير في احد ممن كانوا معي .

السفر الى عمان

ومن طريف ما وقع وانا في معان ، ذلك الكتاب الذي تلقيته من مظهر رسلان متصرف السلط ــ من اعيان حمص ، ورئيس الوزراء فيما بعد في الاردن ثم وزير التموين مؤخرا في سوريا ــ يقول لي فيه :

> **انه بلغ الحكومة الوطنية عزمكم على زيارة شرقي الاردن فان كانت هذه الزيارة لمجرد السياحة فان البلاد ستقابلكم بالترحيب ، وان كانت لاغراض سياسية فالحكومة ستتخذ كل الاسباب المانعة لزيارتكم .**

فأجبته :

> **انني سازور شرقي الاردن زيارة احتلالية ، وانا انوب الآن عن جلالة الملك فيصل . فاعلم ان من واجبك تلقي الاوامر من معان والا فسيعين غيرك محلك .**

فركب القطار من عمان وجاءني الى معان معتذرا ومؤيدا ، واصبح في ما بعد من اصدق رجالنا في شرقي الاردن . ثم انه علقت نشرات في عمان والكرك ، جاء فيها انه بلغ الحكومة البريطانية ان شرذمة من الحجاز جاءت لقتال فرنسا بسوريا ، وان الحكومة البريطانية راضية عن هذه الحركة . فالحكومة البريطانية تحذر الناس من الالتحاق بهذه الشرذمة وتعتبر كل من يلتحق بها خارجا على القانون .

وفي يوم الاثنين ٢٠ جمادي الثانية ١٣٣٩ (٢٨ شباط

١٩٢١) غادرت معان في القطار الى عمان . وقبل تحرك القطار من محطة معان ، ألقيت في مودعي كلمة قلت لهم فيها انني لا أود ان ارى بينهم من يعتزي الى اقليمه الجغرافي ، بل أود أن ارى كلا منهم ينتسب الى الجزيرة العربية التي نشأنا فيها جميعا ، فالبلاد العربية كلها هي بلاد كل عربي .

ومما اذكره عن تلك الاثناء ، مقابلة الشيخ يوسف ياسين لنا في الزيزاء — محطة بين معان وعمان — وقوله لي « ارجوكم ان تعودوا الى معان ، فان المعتدين الانكليز في شرقي الاردن قد انسحبوا الى فلسطين ، وأخلوا السبيل لفرنسا كي تخرجكم ان دخلتم » ... وكانت يده ترتجف وهو متعلق بنافذة القطار ، فقلت له : لا بأس عليك ولا خوف علينا .. ثم دفعت يده من ملتزمها فانحط الى الارض . وفي صباح الاربعاء ٢٢ جمادي الثانية ١٣٣٩ (٢ آذار ١٩٢١) بعد ان أمضينا ليلة بالزيزاء تحركنا بالقطار الى عمان نوصلناها قبيل الظهر .

وقد صل الي في عمان كل شيوخ الطفيلة والكرك وشيوخ البادية .. فمن الحويطات حمد بن جازي ومن معه ، ومن شيوخ الشمال مثقال الفايز وعشائر بني صخر ، ثم اهل البلقاء وأهل الشمال ... وأذكر ممن قابلني في عمان يومئذ مستر ألن كركبرايد بلباسه العسكري ، وكان يمثل بريطانيا في عمان . وفي ضحى اليوم التالي تجمع القوم في عمان مهللين مرحبين فألقيت فيهم الكلمة التالية :

« ترحيبكم بنا واجتماعكم علينا امر لا يستغرب ، فانتم لنا ونحن لكم . وانني لم اغفل كلمة مما جاء به خطباؤكم . فوطنيتكم امر لا يخفى ، وضالتكم المنشودة هي حقكم الذي تطلبون . واذا جاء الوقت لاستعمال ما تستعمله الامم من القوة ووجدنا انفسنا ضعفاء في العدد وفي العدة ، فلن يضيرنا ان نموت في سبيل شرف الوطن والامة . فانا لا اريد منكم الا السمع والطاعة . وما جاء بي الى هنا الا حميتي وما تحمله والدي من العبء الثقيل . ولو كان لي سبعون نفسا

وبذلتها في سبيل الامة ، لما عددت نفسي اني فعلت شيئا » .

وبعد ايام جرى احتلال المنطقة الاردنية بكاملها ، وكانت تصدر الاوامر عني في عمان . وكان الناس في فترة لا يزور احد أحدا . فالبلقاء للبلقاء وعجلون ولواءها لعجلون وأهله ، والكرك والطفيلة كذلك . فجمعنا كل هذه النواحي ووحدناها وزال الخلاف بينها .

تشرشل في القدس

وجاءني من جلالة والدي ان وزير المستعمرات البريطانية مستر تشرشل موجود في القدس وقد يطلب ان يزور وادي موسى (البتراء) او قد يدعوني الى القدس لاقابله فيها . وأوصاني جلالته بأن اقوم بالواجب بكل اكرام ورعاية . ثم تلقيت دعوة من السير هربرت صمويل ، المندوب السامي البريطاني بالقدس ، لزيارة القدس ومقابلة وزير المستعمرات ، فقبلت الدعوة وتعين اليوم .

ولما وصلت السلط ، في طريقي الى القدس ، لقيني فيها الكولونيل لورنس ومعه احد ضباط قوة الطيران البريطانية ، لمرافقتي الى القدس . وقد تناولا معي العشاء في مأدبة كبرى اقامها الوجيه يوسف السكر . وفي اثناء الليل اخبرني لورنس بملخص ما يريد مستر تشرشل ان يفاتحني به ، من عدم امكان رجوع الملك فيصل الى سوريا .

وتوجهنا في صباح اليوم التالي الى القدس ، وتغدينا عند المدفع التركي المقذوف في نهير شعيب . وكان لورنس معي في سيارتي ، وهي سيارة عسكرية بريطانية يقودها جاويش بريطاني . وكان معي في الركب رجالات سوريا وفلسطين ، وكان في استقبالنا بالنزل في أريحا موسى كاظم باشا الحسيني وجمع غفير من العلماء والأعيان والمحامين والرؤساء الروحيين ، وكانت خطب حماسية وأجوبة مناسبة .

ثم استأنفنا السير في قطار طويل من السيارات . ولما اقبلنا على العيزرية ، صادفتنا دراجة آلية ، فدارت وقال سائقها لقائد السيارة ــ وقد حيا لورنس ــ يجب ان لا تقف عند المستقبلين بالعيزرية . واعلمني بذلك لورنس ، فقلت له : ليس من اللياقة ان

لا نقف . فقال : لا استطيع الأمر على سيرجنت . ومرت بنا السيارة مسرعة وكنت واقفا فيها أحيي الجموع ، فامتعض الناس وحق لهم ان يمتعضوا ، ولكن لم يكن في الامكان الا ذلك او ان يقذف الانسان بنفسه .

ووصلنا الى دار الحكومة بالقدس ، وكانت بالعمارة الالمانية على جبل الطور ، حيث كانت ثلة عسكرية بعلمها وموسيقاها فحيتني وفتشتها . واستقبلني السير هربرت صمويل لدى الباب الخارجي، ودخلنا واذا الشاي قد أعدت موائده وعائلة المندوب في الانتظار . وبعد تناول الشاي ذهبت الى حجرتي في الجناح الخاص فوجدت مرافقي محمد بك العسبلي كما كانت حقائبي هناك .

اما السير هربرت صمويل فلا بد لي هنا من ذكر دماثةاخلاقه وجم أدبه وكماله ، فهو سياسي محترم كامل . ولقد كان له ذلك الموقف الذي لا انساه له . وهو موقفه عندما ابلغني ان المطلوب من والدي المرحوم ترك العقبة والسفر الى قبرص ، فقد كانت الدموع ملء عينيه وهو يفضي الي بالنبأ برقة حاشية وتأثر عميق ، وكان معه عند ذاك الكولونيل كوكس المعتمد البريطاني السابق في عمان . . وقد اتبع السير هربرت كلامه ذاك بأن قال لي : أرجوك ان تفضي الي بكل ما يجيش في صدرك فانني مقدر الموقف . فقلت : لا بأس عليك وانني شاكر لك عواطفك ، وهذه الدنيا كثيرة المحن وسنصبر ونحتسب . ثم أنه عند انقضاء مدته في فلسطين ورجوعه الىانكلترا عرج على قبرص وزار الوالد المرحوم الذي عرفه بعمان يوم ان زار شرقي الاردن .

ولنعد الى ما نحن في صدده .. فانه لما حان وقت العشاء اجتمع الكل في البهو الكبير وكان فيه المستر ونستون تشرشل ، فحصل التعارف وجلسنا الى مائدة العشاء ، فكان الثاني عن يمين المندوب السامي وكنت الاول عن يسار الليدي صمويل . وعلى المائدة قال لي مستر تشرشل : ماذا حدث في « الشجرة » ؟ لقد تلقيت من الحكومة برقيات تفيد ان عصابة هناك قامت تعتدي وتفتك ، كما تشير هذه البرقيات الى ان الحادث يعزى وقوعه الى

تأثيرك . واضاف مستر تشرشل قائلا : ولكن لي منكبين ضخمين يحتملان عنك احتجاج الحكومة .

فقلت لمستر تشرشل وانا ابتسم : لم يبلغني خبر هذا الحادث الا الان من فخامتك وانا لم اتعهد لأحد بأي تعهد يمنع الناس عن الدفاع عن اوطانهم . والتفت الي غالب بك الشعلان ، ثم قام عن مقعده وضرب كعبا بكعب وحياني تحية عسكرية وقال : لعلها حركة لصوص ، غير مقصودة ، اما الهيئات الوطنية ففي انتظار اوامرك في ما ستفعل . وقد ترجمت هذه العبارات لمن كان على المائدة ، وقد دهش لتصرف غالب بك بوجه خاص مستر تشرشل نفسه .

وانتهى العشاء وأديرت السجاير والسيجار على من يدخن . وكنت حين ذاك أتنشق ، فأخرجت علبة سعوطي ، وهي علبة ذهبية منمقة بالميناء الاخضر وعلى سطحها أشعة شمس غاربة في شفق احمر غاية في الظرف ، فطلب مستر تشرشل العلبة فقدمتها له وبها نشوق يسمى « رندة » فتناول ضمة وتنشقها فعطس واخذ يضحك واخذنا نضحك معه . ثم قمنا عن المائدة على وعد الاجتماع به صباح الغد في الساعة التاسعة والنصف .

وانعقد الاجتماع في الساعة المعينة ، واحتوى من الانكليز وزير المستعمرات مستر ونستون تشرشل ، والمندوب السامي السير هربرت صمويل ، والسكرتير العام لفلسطين سير وندهام‌ديدس ، والكولونيل لورنس . ومن الجانب العربي أنا وعوني بك عبد الهادي . وافتتح مستر تشرشل الحديث بذكر المقاصد الطيبة التي جمعت بين بريطانيا والعرب في الحرب الكبرى ، وبالآمال المنوطة بتلك الروح ، وبذكر التعاون الذي تم في الحرب ، ثم بذكر جهود بريطانيا في الحيلولة دون ما حدث بين فرنسا والعرب . ثم قال مستر تشرشل : لذلك ولأن الحكومة البريطانية محايدة في القضية بين العرب والفرنسيين الذين هم حلفاؤها ، فانها تنصح بلزوم انصراف الامير فيصل بن الحسين عن سوريا وسفره الى العراق ليرشح نفسه لملك العراق . واوضح مستر تشرشل بأن الحكومة البريطانية متأكدة

من ان فرنسا لا تتعاون بوجه من الوجوه مع الملك فيصل او الامير زيد ، وانها لا تريد ان ترى على عرش العراق الا الشخص الذي تأمن جانبه . واشار الى ان طلاب عرش العراق كثيرون ، منهم ابن النقيب وابن سعود وخزعل خان . واضاف مستر تشرشل بأنه يجب علي ان أساعد على ذلك وان اؤثر على والدي بأن يقبل به ، وان اؤثر كذلك على اهل العراق ان يرضوا بفيصل ملكا عليهم ثم ان ابقى انا في شرقي الاردن على تفاهم مع الفرنسيين فأسير بالناس سيرة تبتعد عن تحديهم ، وانه اذا تم هذا فيؤمل ان تعيد فرنسا النظر في الامر ، وبالنتيجة فانه يعتقد أن بالأستطاعة بعد ستة اشهر ان يهنئنا برجوع الشام الى ايدينا .

ثم نوه مستر تشرشل بوعد بلفور قائلا ان البحث بشأنه متروك للمندوب السامي يبحث معه في ما بعد . قلت : ان كنتم ترغبون في ترشيح الامير فيصل لعرش العراق لانكم تعتمدونه ، فهذا مما يسرني وان اخي فيصل كفء لذلك ، وسأحض والدي على مباركة هذا المنهج ، واما اهل العراق فلا استطيع ان اكتب اليهم او اؤثر فيهم من هذه الجهة . فقال مستر تشرشل : انكم ان لم تفعلوا هذا فستضيعون كل شيء ، اذ ان في امكان ابن سعود ان يصل الى مكة في ثلاثة ايام ، وان انكلترا عملت ما تستطيع . فقلت له : اما في ما يختص بابن سعود وفي ما ذكرتموه من امكان دخوله مكة في ثلاثة ايام فذلك ممكن ، واذا اراد العرب استبدال بيت ببيت فذلك من حق العرب . واما في ما ينبغي ان اقوم به هنا فانني اوافق على وجاهة الراي ، ولكن لا بد من عرضه على زعماء البلاد واحزابهم ، وهم هنا معي ، ومن غاب فله من يمثله ، واجيبكم غدا في مثل هذه الساعة . واما اهل فلسطين فهم يرفضون وعد بلفور ويصرون على عروبة فلسطين ، ونحن لا نستطيع ان نرضى بفناء اهل فلسطين من اجل يهود العالم ، وليسوا هم كالنبات كلما قلم نبت ، ولهذا شأن يطول . وانفض الاجتماع على انتظار جواب منا في اليوم التالي .

وقد اجتمعت بمن كان معي من اهل البلاد وتداولنا في الموضوع وكانت الموافقة على الرأي بالاجماع . وفي الوقت المعين من اليوم

التالي ، كان الاجتماع وتقرر ان يزور المندوب السامي عمان للاتفاق على تشكيل الادارة العامة في البلاد .

اول حكومة في شرقي الاردن

وفي اوائل نيسان ١٩٢١ تألفت اول حكومة في شرقي الاردن، وسمي رئيسها « الكاتب الاداري » وهو يرأس «مجلس المشاورين» ، وصدر المرسوم الاميري بها كما يلي :

رشيد بك طليع الكاتب الاداري ورئيس مجلس المشاورين ومشاور الداخلية . الامير شاكر بن زيد ، نائب العشائر . الشيخ محمد الخضر الشنقيطي ، قاضي القضاة . مظهر بك رسلان ، مشاور العدلية والصحة والمعارف . علي خلقي بك ، مشاور الامن والانضباط . حسن بك الحكيم ، مشاور المالية. احمد بك مريود ، معاون نائب العشائر .

وفي ١٧ نيسان ١٩٢١حضر لزيارتنا في عمان السير هربرت صمويل المندوب السامي لفلسطين ، يصحبه وندهام ديدس السكرتير الاداري والكولونيل لورنس ، واللورد ادوارد هاي . وفي اليوم التالي القى المندوب السامي خطابا قال فيه :

« كان من دواعي شرفي انني حظيت بمقابلة صاحب السمو الامير عبد الله بدار الحكومة في القدس ، بمناسبة زيارته لفسلطين ، كما حظيت بمقابلة مستر ونستون تشرشل احد اعضاء الوزارة البريطانية .

ان الحكومة البريطانية ترحب بالفرصة السانحة للتعاون في شرقي الاردن مع سمو الامير عبد الله ، الذي لها في حسن نيته وصداقته كل ثقة ، وهي تقدر قيمة الصداقة وحسن النية التي تجلت في خلال الحرب الضروس التي دارت رحاها مدة طويلة . والحكومة البريطانية كما تقدر الخدمات التي قدمتها جيوش العرب في ذلك الكفاح ، ترغب في ان توطد في زمن السلم دعائم التحالف الذي بني في خلال الحرب » .

فأجبته قائلا :

« انني اشكر فخامتكم على خطتكم القومية ، واقول

بالاصالة عن نفسي وبالنيابة عن الحاضرين ان الامة العربية ستبرهن على انها قادرة على تحقيق الآمال التي وضعت فيها وانها جديرة بكل مساعدة تقدمها لها حليفتها الكبرى » .

وفي ٥ تموز ١٩٢١ جرى تبديل مجلس المشاورين ، على اثر استقالة رشيد بك طليع واعادة تاليفه المجلس ، وكان هذا التبدل ليكون مظهر بك رسلان مشاورا للمالية بدلا من حسن بك الحكيم ، وتعيين رشدي بك الصفدي مشاورا للامن والانضباط بدلا من علي خلقي بك ، وادخال غالب بك الشعلان في المجلس بلقب « مشاور القيادة العامة » .

الحكومة الثانية

وفي منتصف آب ١٩٢١ استقال رشيد بك طليع ، وتالفت الحكومة على الوجه الآتي ، وقد ابدل اسم المجلس فأصبح مجلس المستشارين :

مظهر بك رسلان ، رئيس المستشارين والمستشار المالي .
الامير شاكر بن زيد ، نائب العشائر . الشيخ محمد الخضر الشنقيطي ، مستشار الامور الشرعية . رشدي بك الصفدي مستشار الامن والانضباط . غالب بك الشعلان ، مستشار القيادة العامة . احمد بك مريود ، معاون نائب العشائر .

وفي تشرين الثاني ١٩٢١ الغيت مستشارية الامور الشرعية ، واضاف رئيس المستشارين الى نفسه لقب المستشار الملكي ، وعين شكري بك شعشاعة وكيلا للمستشار المالي . وفي اول شباط ١٩٢٢ حضر من دمشق احمد حلمي بك وعين مستشارا للمالية .

حكومة الركابي الاولى

وفي اوائل آذار ١٩٢٢ وصل رضا باشا الركابي ، والف حكومته الاولى في ١٢ من الشهر المذكور . وعين الرئيس السابق مظهر بك رسلان مستشارا ملكيا ، وبقي كل من نائب العشائر والمستشار المالي في منصبه . وفي اوائل ايار ١٩٢٢ وصل ابراهيم بك هاشم وعين مستشارا للعدلية ، ثم جاء الشيخ سعيد افندي الكرمي في آب ١٩٢٢ وعين قاضيا للقضاة .

ويجدر بي ان اذكر حادثين هامين حصلا في زمن الركابي : اولهما تأديب الكورة في صيف سنة ١٩٢٢ ورضوخ كليب الشريدة وجماعته . وثانيهما اعتداء الوهابيين على قبائل بني صخر في ١٣ آب ١٩٢٢ وقد دام القتال من فجر ذلك اليوم الى ضحى اليوم الثاني ، وكان عدد المغيرين نحو الف وخمسمائة فقتل منهم ثلاثمائة.

في ٣ تشرين الاول ١٩٢٢ سافرت وبمعيتي الركابي باشا الى اوروبا ، وقد عدت وتركته هناك ، فوصلت عمان في اوائل كانون الثاني ١٩٢٣ وفي اليوم التالي لوصولي القيت على الوفود هذا البيان :

بيان للشعب الاردني

« لا شك فى انكم تتطلعون الى ما ستسمعونه عن رحلتي المعلومة ، وانتم محقون فى ذلك وعليه اقول : اعلموا ان هذه الرحلة كانت لصالحكم وانها والحمد لله فيها كل ما هو مطابق لمصالحكم ورغائبكم ، خصوصا امر استقلال منطقتكم فانه الجزء المهم من سلسلة التشبثات التي ستطلعون على تفاصيلها ان شاء الله تعالى ، بعد قدوم دولة رئيس المستشارين المتخلف لانهاء هذه الاغراض . وعلاوة على هذا اقول لكم انني رجعت وكلي رجاء فى الوصول بمشيئة الله الى النتيجة الحسنةفيما رمت اليه النهضة العربية المستندة الى الآمال القومية . وانني كما قلت للجموع فى موقفي هذا عند قدومي الى هذه المنطقة كما تتذكرون ، انه لو كانت لي سبعون نفسا وضحيتها كلها فى سبيل القومية والوطن لما رايتني قمت بالواجب .

ولكن لخدمة الوطن وجوها ولكل وجه سبب ، وافضل تلك الوجوه الآن وفى كل آن ، اسلمها عاقبة واقلها ضررا . ومع انني عالم بثقل لوازم الوطن ومقتضياته ومتاعب الوصول الى غاياته ، اقول ان كل هذه الصعاب ستذلل ان شاء الله بالحكمة القومية والتعقل العبقري اللذين ورثتموهما عن اباتكم مع الاتكال على الله تعالى فى كل الاحوال .

ويحسن بي ان اؤكد هنا انني عدت من هذه الرحلة وقد لمست آثار المودة البريطانية التي سنجني باستمرارها حقائق المنافع المرموقة ، كما انني عظيم الرجاء في ان حكومة الجمهورية الفرنسية الفخيمة الموجودة الان على الوجه المعلوم في القسم الشمالي من وطننا المحبوب ، لا تحمل حقدا على قوميتنا وقضيتنا ، واننا بمشيئة الله سنصل قريبا الى اسعاد الوطن كله بتعضيدولتي التحالف الكبيرتين وانكشاف الامال الشريفة القومية على الوجه المطلوب .

هذا وقبل ان اختم كلامي اريد ان اثني على رجال حكومتنا الذين قاموا في غيابنا بما اودع اليهم من الامور حق القيام ، كما انني اشكر للاهلين جميعا حميتهم الوطنية والتمارهم باوامر الحكومة وانصرافهم الى اعمالهم التي تعود عليهم وعلى وطنهم بالخير والسلام . واود ان اعلن بلسان الصرامة تاكيد عزمي السابق من جعل هذه البلاد بلاد دعة وامان ، ترتاح لحسن ادارتها اقطار محبيها ، خالية من وجود شكاوى قاطنيها ومجاوريها . واتعشم انني اصبت بهذه الصورة ما يرتايه محبو الوطن وطالبوا الخير له . والله الموفق لما فيه النجاح والمصوب لما فيه السداد . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته » .

اما الركابي باشا فقد عاد من اوروبا في ١٦ كانون الثاني ١٩٢٣ ولكنه استقال في نهاية الشهر المذكور .

حكومة مظهر ارسلان الثانية

وفي ١ شباط ١٩٢٢ الف مظاهر باشا رسلان الحكومة للمرة الثانية على الوجه الآتي :

مظهر باشا رسلان ، رئيس المستشارين . الامير شاكر بن زيد ، نائب العشائر . الشيخ سعيد افندي الكرمي ، قاضي القضاة . احمد حلمي بك ، المستشار المالي . ابراهيم بك هاشم ، المستشار القضائي .

الفصل السابع

الاستقلال

اعلان استقلال شرقي الاردن

وفي ١٥ ايار ١٩٢٣ تم اعلان استقلال شرقي الاردن في حفل رسمي حضره رجال الحكومة ، ووفود من فلسطين كان في مقدمتها المندوب السامي السير هربرت صمويل والجنرال كلايتون . وقد القيت في الحفل الخطاب التالي :

ايها الشعب الكريم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله . وبعد فان الله سبحانه وتعالى قد بعث محمدا والعرب منكمشون في جاهليتهم المظلمة وماضون في حروبهم الداخلية والاحقاد مستحكمة في افئدتهم ، فوحد كلمتهم والف بين قلوبهم وجمع بين أهوائهم وقادهم الى ما فيه طريق رشادهم واخرجهم من الضلال الى الهدى وملكهم الدنيا وهم آبون كارهون ، ورب قوم يقادون بالسلاسل الى الجنة . وتركهم على خير ما ترك نبي امته فجزاه الله عن العرب خيرا صلى الله عليه وسلم . ثم خلف من بعده الخلف الصالح وهم الخلفاء الراشدون ، فاتبعوا سننه وفتحوا الفتوح وأسسوا دعائم الدولة العربية وشادوا لهم من المدينة صرحا . فبه صلى الله عليه وسلم وبهم،رضي الله عنهم،كان للعرب ما كان من المفاخر المادية والمعنوية حتى اصبحوا مصابيح الوجود ونباريس الكائنات . وكلكم تعلمون ماضي دولكم من امويين وعباسيين واندلسيين وفاطميين ، كل ذلك كان بالاقتداء بتعاليمه صلى الله عليه وسلم بالاعتصام بالوحدة في الراي والعمل وبالائتمار باوامر من كانت بيده مقاليد الامور وبني عليه الامل .

ثم شاءت الاقدار الصمدانية للحكمة الازلية أن يقلب

الدهر للعرب ظهر مجنه ، ويصحبهم بكوارثه ومحنه ، فاصابهم ما اصاب غيرهم من الامم وضرب التخاذل بينهم بجرانه ، وعمت التفرقة وانتشرت الفوضى وتسلطت الاعاجم على اهم امورهم ومراكز ادارتهم وشؤونهم ، فوقع على الدولة العباسية ما وقع واضاع العرب ما اكتسبوه بالانفس والنفائس ، وظلوا بعدها كما تعلمون الى ان اذن الله بالحرب العامة في أثناء انتباه الافكار العربية وسعيها لاعادة مجدها السابق وعزها الغابر ، فوقعت النهضة العربية المباركة على يد من اختاره الله سبحانه وتعالى قواما لها وقائدا لامورها، فنادى الى الحق فايقظ الهاجد في عماه ونبه الغافل في كراه،وخاض الحرب العامة في اشد اوقاتها خطرا متكلا على الله وعلى قومه ، والنصر من عند الله ، فكلل جميع اعماله بالنجاح لائتمار العرب أثناء الحرب بامر واحد واتباعهم مركزا واحدا .

ثم اني لا ارى هنا حاجة لذكر ما عقب الهدنة من الاستعجال المشمومة منه رائحة الانقسام،والذي ادى لمصابنا في أهم اجزاء وطننا واحبه ، والذي اخر النتيجة المطلوبة مما يجب ان يكون محلا للانتباه والحذر من الآن فصاعدا ، ويوجب الاستمساك بوحدة الراي والعمل ، كل ذلك من الاقدار الالهية ، حرسنا الله مما فيه غضبه ووفقنا لما فيه رضاه .

وانني في هذا الموقف بعد الشكر لله سبحانه وتعالى ، اخبركم بما تم على يد صاحب الجلالة الهاشمية وصاحب الامبراطورية البريطانية من العهد الضامن ان شاء الله لكل الرغائب ، واشترك معكم بكل سرور في هذه الحفلة بما كان قد تم في اثناء وجودي في لندن من اعتراف الحكومة البريطانية باستقلال هذا القسم من المملكة العربية . ولا شك بان ذلك من نتائج السياسة الحكيمة التي اتبعت هنا ومعاضدة الحكومة البريطانية العظمى .

ويسرني جدا ان اعلن شكري لحضرات المستشارين والذوات الذين ساعدوني على السير فى هذه الخطة الحكيمة، وللشعب المتمسك بحبال وطنيته الصادقة وامانيه الحقة وسيره الحكيم والطاعة لاولي الامر والثقة بأعمالهم المعقولة التي تكللت بالنجاح . وانني لا اشك فى انه سيثابر على سيره بعد الآن كما سار بالامس ، واننا نبشره بان حكومتنا ستشرع فى اعداد القانون الاساسي للمنطقة وتعديل قانون الانتخابات بما يوافق روح البلاد وطبقتها وبيئتها .

وبهذه المناسبة لا يمكننا ان نغفل عن الشكر للحكومة البريطانية العظمى حليفة العرب وعضدهم القوي فى السياسة العربية منذ النهضة العربية المباركة حتى الآن . ولا ريب ان اثبتوا فى جميع الظروف والاحوال حسن ولائهم وصداقتهم لحليفتهم العظمى ، كما انه لا يسعهم الا ان يكونوا مدينين لها بالشكر الجزيل لاعترافها لهم باستقلال البلاد العربية كافة وتعضيد العرب على تاليف وحدتهم وفاء بعهودها . واني ان يكون موقف الدولة الفرنسية الفخيمة تجاه قضيتنا العربية المقدسة وتجاه القسم الشمالي الباقي من وطننا المحبوب آخذا بها الى عهد جديد كاف للدلالة على احترام ابناء الثورة الفرنسية لحرية الاقوام واستقلالها .

وان المساعدات التي قام بها شخصيا كل من فخامة المندوب السامي المحترم وسعادة كبير المعتمدين المستر فلبي الموقر نحو هذه المنطقة ، لجديرة بالاطراء . واننا ننوه هنا بذكر الهيئات الوطنية والشيوخ والوجوه كافة والرجال العاملين الذين عضدونا فى السير الى هذه الخطوة المحمودة ، وآزرونا فى السعي خلال عامين فى هذه المنطقة ، مؤآزرة اعترف البعيد والقريب بصلاح نتائجها وشهد آثارها الجميع.

واني لآمل ان يكون هذا اليوم يوما سعيدا للامة تتخذه عيدا تظهر فيه سرورها وحبورها . ومنه تعالى نستمد العون ونساله ان يطيل بقاء وتوفيق جلالة امير المؤمنين مولانا الحسين

ابن علي بن محمد بن عون . والله ولي التوفيق .
وبعد ذلك القى فخامة المندوب السامي الخطاب التالي :

خطاب المندوب السامي

اني ارغب بالنيابة عن جلالة الملك جورج الخامس وحكومته ، ان اقدم اصدق التهاني لسمو الامير عبد الله واهالي شرقي الاردن ، وبالحقيقة الى جميع العرب بمناسبة هذا العيد السعيد .

اننا ندخل اليوم في طور عظيم الاهمية في تاريخ الامم الكبير . فبعد ان كان للعرب عصر مجيد اشتهر بالادارة والآداب والفنون والعلوم تقهقروا تحت اضطهاد دولة دخيلة غير راقية ، ولكن الحرب الكبرى منحتهم فرصة لتحرير انفسهم ، فقد اشتركت جيوش بريطانيا العظمى تساعدها الجيوش العربية بقيادة انجال شريف مكة المكرمة مع القوات العثمانية في حرب طال امدها ، وتكللت الثورة العربية ضد تركيا بالتعاون مع حملة الحلفاء بنجاح تام وقد مهدت السبل الآن لنهضة عربية يتوقف انتشارها واهميتها على العرب انفسهم .

ان فصل هذه البلاد عن المملكة العثمانية وضع على عاتق بريطانيا العظمى مسؤولية تجاه عصبة الامم ، الجمعية الجليلة القدر التي تمثل رأي القسم الاكبر من العالم المتمدن ، وستنجز الوعود التي اعطيت لجلالة الملك حسين في اثناء الحرب ، ووفقا لهذه الخطط اعترف بشريف مكة ملكا مستقلا . وقد نصب جلالة الملك فيصل ملكا على العراق واعطي سلطات فعلية . وقد عقدت معاهدة مع الملك حسين حديثا وستعلن نصوصها قريبا ، وهي تدل على ان النهضة العربية قد دخلت في طور جديد .

وها نحن نحتفل الآن بالاتفاق الذي عقد مع سمو الامير في اثناء زيارته لجلالة الملك جورج والحكومة البريطانية ، ولا يخفى عليكم ان الاتفاق ينص على اعتراف حكومة جلالة الملك بوجود حكومة مستقلة في شرقي الاردن برئاسة صاحب السمو

الامير عبدالله بن الحسين،شرط ان توافق جمعية الامم على ذلك ، وان تكون حكومة شرقي الاردن دستورية تمكن حكومة جلالة الملك من القيام بتعهداتها الدولية فيما يتعلق بتلك البلاد ، وذلك بوساطة اتفاق يعقد بين الحكومتين .

ولم تنقض سنتان على استلام الامير ادارة شرقي الاردن ، حتى خرجت من طور التشويش واختلال النظام الى دور سلام وتقدم متزايد . فاستفاد من هذا التحسين جميع الاهالي على اختلاف طبقاتهم سواء فى المدن والقرى او بين الفلاحين والبدو . والامل وطيد بأن التقدم سيثمر بدرجة متزايدة . والفضل فى ذلك يعود ايضا الى المستشارين الذين اختارهم سمو الامير ، واخص بالذكر منهم مظهر باشا رسلان الذي ارغب ان اقدم له التهاني الخالصة لنيله هذه الرتبة الجديدة.

ان الحكومة البريطانية تفتخر انها استطاعت الاشتراك فى ذلك التقدم باذلة لحكومة الامير مساعدة فعلية معنوية . وقد تمتعت هذه الحكومة بمساعدة مالية ايضا مما سهل ايجاد قوة سيارة منظمة ووحدات اركان الامن العام فى هذه البلاد . وقد وضعت طيارات وسيارات مصفحة تحت تصرفها اذا دعت الحاجة اليها،وقدم لها مستشارون سياسيون وعسكريون عند الاقتضاء . وسعت حكومة جلالة الملك فى الوقت نفسه ان لا تتدخل فى الاخلال فى ادارة الامير ، وقد اصبح استقلال ادارة الامير امرا حقيقيا .

واسمحوا لي ان اذكر فى هذا المقام عظيم تقديري لاسباب شخصية للصداقة التي استحكمت حلقاتها بيني وبين سمو الامير ، ويسرني اني تمكنت بالفعل من تعضيد التطورات التي جرت مؤخرا ، سواء اكان فى ما يتعلق باستقلال شرقي الاردن او التقدم الناشىء عن المعاهدة مع الحجاز .

واني آمل من صميم الفؤاد ان الحزم السياسي وروح التساهل وحسن تدبير الامور الادارية التي امتازت بها حكومة الامير ستدوم طويلا بعناية الله تعالى ، لتعكس ضياء جديدا

على سموه وتؤدي الى دوام خير ونجاح الاهالي الذين تحت سلطته .

وبتاريخ ١١ حزيران ١٩٢٣ اصدرت ارادة بتبديل لقب رئيس المستشارين بلقب رئيس مجلس الوكلاء ، ولقب قاضي القضاة بوكيل الامور الشرعية ، والمستشار المالي بوكيل الامور المالية ، والمستشار القضائي بوكيل الامور العدلية .

مجلس النظار

وعلى أثر حادث العدوان استقالت حكومة مظهر باشا رسلان وعهدت بتأليف الحكومة الى حسن خالد باشا ابو الهدى الصيادي فألفها في ٥ ايلول ١٩٢٣ على الوجه التالي :

حسن خالد باشا ابو الهدى ، رئيسا للنظار . الامير شاكر بن زيد ، نائبا للعشائر. الشيخ سعيد افندي الكرمي، قاضيا للقضاة . احمد حلمي باشا ، ناظرا للمالية. ابراهيم بك هاشم ، ناظرا للعدلية . علي خلقي بك، ناظرا للمعارف.

اول برنامج وزاري في شرقي الاردن

وقد كانت الظروف آنئذ تستدعي وضع برنامج حسب اشارة ابدیناها . فاتخذ مجلس النظار قرارا بالبرنامج التالي :

– تأييد العلائق الودية والروابط الاقتصادية الحسنة بين حكومة شرقي الاردن وانكلترا وفرنسا .

٢ – تعزيز الامن العام والضرب على كل يد عابثة بالسكينة وفقا لموجبات المصلحة وما يقضي به العدل .

٣ – رعاية الحال الاقتصادية وتخفيض الرواتب والنفقات جهد الاستطاعة والاستغناء عن الوظائف الزائدة .

٤ – اصلاح طرق توزيع الضرائب وجبايتها بصورة تكفل مصلحتي الخزينة والاهلين معا .

٥ – ترجيح تعيين الاكفاء من ابناء المنطقة على غيرهم في الوظائف .

٦ – السعي وراء نشر المعارف وتسهيل المواصلات بتزييد المدارس وانشاء الطرق وتعميرها الى غير ذلك من أمور الاصلاح .

مبايعة الحسين ابن علي بالخلافة

وفي ١٨ كانون الثاني ١٩٢٤ شرف والدي مدينة عمان بزيارة كريمة . وفي ١١ آذار ١٩٢٤ بويع جلالته بالخلافة ، وفي ٢٠ آذار ١٩٢٤ غادر جلالة امير المؤمنين الحسين بن علي شرقي الاردن عائدا الى مكة مقر ملكه .

حكومة الركابي الثانية

وفي اوائل نيسان ١٩٢٤ وصل الى عمان المعتمد البريطاني الكولونيل كوكس وباشر عمله . وفي ٣ ايار ١٩٢٤ الف الركابي وزارته الثانية كما يلي :

رضا باشا الركابي ، رئيسا للنظار. الامير شاكر بن زيد، نائبا للعشائر . حسن خالد باشا ابو الهدى ، ناظرا للمالية. الشيخ سعيد افندي الكرمي ، قاضيا للقضاة . ابراهيم بك هاشم ، ناظرا للعدلية .

وقد ذكر الركابي باشا في برنامج وزارته انه سيتبع الصدق والاخلاص في القول والعمل ، والعزم والحزم في الامور ، وتوزيع العدل بين افراد الشعب ، والمراعاة التامة للقواعد الاقتصادية ، والكفاآت في الوظائف والموظفين والنفقات ، وقمع بذور الفساد وما يسيء الى السمعة بكل شدة ، وعدم التحزب والتحيز ، والتعاضد والتكاتف في جميع امور الاصلاح ، وصيانة المنطقة من الاحوال المخلة بالامن ، والسعي وراء انعقاد المجلس النيابي تدريبا للامة على الحكم الدستوري .

وغادرنا البلاد قاصدين الحجاز في ٢٤ ذي القعدة ١٣٤٢ الموافق ٢٧ حزيران ١٩٢٤ ، وعدنا الى عمان يوم ١٩ محرم ١٣٤٢ الموافق ١٩ آب ١٩٢٤ . وبينما كنا في طريق العودة ، وكان يوم الخميس في ١٤ آب ١٩٢٤ ، اعتدى الوهابيون مرة اخرى على شرقي الاردن ، فهزموا شر هزيمة مخلفين وراءهم خمسمائة قتيل وعددا عديدا من الجرحى .

وكانت قد حصلت في غيابي حوادث تخل بالامن في جهة سوريا ، مما ادى لأن توجه الحكومة البريطانية انذارا طلبت فيه بسط المراقبة المالية دون قيد ولا شرط ، كما طلبت اخراج المتهمين

بالتحريض في حوادث الحدود والغاء نيابة العشائر ؛ الى غير ذلك من شروط أخرى .

وفي اليوم التالي لوصولي البلاد ألقيت على أركان الحكومة ورجالات البلاد الخطاب الآتي :

بمناسبة رجوعنا من الحج واظهار الامة عواطف اخلاصها ، احمد الله الذي من علي برؤيتكم ، واشكر الامة على عواطف حبها واخلاصها .

لقد وقع ابان سفرنا حادثان فى هذه المنطقة : الاول حادث الوهابيين الذي تم دفعه بالتنكيل الشديد بهمة الاهلين والقبائل وقوة الحق ، واننا لا ننسى فى هذا الشان مساعدة المصفحات والطيارات البريطانية . والثاني حادث العصابات فى جنوبي سوريا الذي ادى الى دخول قسم من الدرك البريطاني الى هذه المنطقة .

انكم تعلمون اننا قدمنا الى هذه الديار ونحن لانالو جهدا فى خدمتها وتحسين شؤونها،وغرضنا الوحيد من كل ما نسعى اليه هو الوصول الى الغاية التي نتطلبها كلنا وهي تحرير بلادنا جميعها تحريرا تاما بالحكمة والنظام .

ومما لا ريب فيه ان الامم لا تصل الى غاياتها الا بالعقل ، والعقل يكون بالنظام ، والنظام هو الذي يوصل الى الغاية المنشودة . اما الذين ينصاعون الى الفوضى ولا يدخلون البيوت من ابوابها ، فيسلكون غير طريق الحق والنظام ، هؤلاء ليسوا الا خطرا على بلادهم مهما حاولوا تبرير اعمالهم.

نعم نحن خرجنا من الحرب العامة لنكون اصحاب بلادنا، ولكن من هو الذي يقول اننا على اهبة فى وسائلنا واوضاعنا لمقاومة الامم ؟!.. ان المقاومة التي تجلب الشر ليست سوى جريمة ، والشجاعة الحقيقية هي فى معرفة الانسان نفسه وسلوكه مسلك الحق والحكمة وان يسعى قبل كل شيء فى اعداد نفسه ليكون رجلا او امة .

انا لا اخون الله والامانة التي أودعت الي، بل اجهر بالحق

ليسمع الجميع . ان كل من يعبث بالامن فى سوريا وفلسطين من دعاة الفتنة نعتبره خارجا علينا ، اذا ما سولت له نفسه استخدام هذه المنطقة الآمنة فى مناحي هواه ، لاننا لا نريد ان تجني هذه البلاد ذلا بسوء تصرفات اولئك العابثين . واني لاقول لكم اسمعوا واطيعوا فان الطاعة لا بد منها فى محافظة الكيان .

لقد سالت بعد وصولي عن سبب ورود سرية الخيالة البريطانية والاربع مصفحات الى عمان ، فاخبرت بانها جلبت بسبب حادث الوهابيين تعزيزا لقوة الطيران . وبناء على ايضاحاتنا الكافية كتب سعادة المعتمد البريطاني الى مرجعه بعدم لزوم بقائها . اما القوة الثانية التي دخلت اربد فسوف لا يعود لها لزوم ايضا حينما يتضح الامر بانقطاع الاسباب الموجبة لقدومها .

انكم لتعلمون ان الامم التي انتدبت لمساعدة العرب هما انكلترا وفرنسا ، ونحن لا نستطيع التعاون مع هذه الامم الا بالاخلاص والدربة والحكمة ،حتى اذا وثقتم بانفسكم وسلكتم مسالك الامم وتمسكتم بالمبادىء المشروعة وصلتم الى كامل حقوقكم ونلتم ما تصبو اليه نفوسكم .

انا لست بالجبان، واذا وقعت مصيبة فلا بد لي من الموت. غير انني فى الاربعين وباستطاعتي ان اخدم امتي، فلا اريد ان اضحي بنفسي من غير روية واؤلب على العرب دولتين عظيمتين . وحسبي ان اقول لكم ان اليقظة العامة والتيار الذي اوصل الامم الى حقوقها سيوصلكم الى حقوقكم،والامم كلها سائرة فى طريق التقدم .

ان الذين يشجعون رجال العصابات او يقبلون حمايتهم فى هذه المنطقة انما يخونون انفسهم وبلادهم . ونحن لا نريد ان نكون خطرا على غيرنا . والدنيا اليوم بيت واحد ، والامم المتمدنة قد توحدت مصالحها حتى اصبحت كعائلة واحدة ، فاذا اختل النظام هنا اختل هنالك .

نحن نريد الحياة عن طريقها المشروع،وانا لامصلحة خاصة لي في هذا الجزء المحبوب من اجزاء الوطن العربي ، والقضية بصفتها قضية محلية هيقضيتكم ولكنها فيالوقت نفسه قضية الوطن وقضية امتكم .

نعم انا رجل للحجاز وسوريا وفلسطين واليمن ونجد وكل بلد عربي ، وسابقى عربيا اعيش للامة العربية كلها ، واشهد الله انني لاتالم لكل كارثة تقع على العرب . لذلك فاني اود ان لا تحمل نصائحي على غير اليقين بان الحقيقة يجب ان تقال وان تسطع كالشمس ليراها الجميع .

انا شخصيا اريد ان اسعى لازالة كلما يجول براسالحكومة الفرنسية الفخيمة نحو هذه المنطقة من الريب ، وسنبرهن للجميع على اننا امة تريد ان تعيش بشرف وبحق الحياة ليس الا . وانني لم ار حتى الآن من بدو هذه البلاد وحضرها الا كل ما يسر والحمد لله، ولي معكم مجالس اخرىساتحدث بها اليكم باشياء تتعلق بمصالح الوطن .

وبعد فان جلالة مولانا امير المؤمنين يقرئكم السلام . وقد قضى الحج في هذا العام بالصحة التامة والحمد لله . واخواننا الحجاج من سائر الاقطار الاسلامية قد اقبلوا على البيعة بكل ثقة . وجلالة الملك المعظم ما زال عاملا على توثيق علائق الود مع حلفائه . فنسال الله دوام التوفيق وان يجنبنا العثرات ويمدنا بروح من عنده .

الحسين بن علي الى قبرص

وفي منتصف شهر صفر سنة ١٣٤٣ الموافق اذ ذاك لمنتصف شهر ايلول سنة ١٩٢٤ ، هجم الوهابيون على مدينة الطائف ، وعقب ذلك نشوب الحرب بين الحجاز ونجد .

وبتاريخ ٥ ربيع الاول ١٣٤٣ تنازل جلالة المنقذ الاعظم عن العرش وبويع بالملك صاحب الجلالة الملك علي بن الحسين .

وفي الثلث الاخير من الشهر المذكور ، وصل جلالة الملك حسين الى العقبة حيث بقي فيها ما يقارب الثمانية أشهر ، ثم غادرها في

٢٦ ذي القعدة ١٣٤٣ الموافق ١٧ حزيران ١٩٢٥ الى قبرص .
وفي ٢٤ حزيران ١٩٢٥ اصدرنا الارادة التالية :

ضم معان والعقبة الى شرقي الاردن

« نظرا لتنسيب صاحب الجلالة الهاشمية الملك علي المعظم ، ملك البلاد المقدسة الحجازية ، ضم ولاية معان والعقبة الى امارتنا ، اقتضى اصدار ارادتنا اليكم اعلاما بذلك ، مع الشكر الدائم لجلالته الملوكية الهاشمية منا ومن شعبنا وحكومتنا » .

وفي اليوم التالي وصلنا معان ، وكان معي رئيس النظار ، وجرت مراسيم الانضمام الرسمية ، ورفع علم شرقي الاردن ، واعتبر يوم ٢٥ حزيران ١٩٢٥ التاريخ الرسمي للالحاق .

حسن خالد ابو الهدى رئيسا لاول مجلس تنفيذي

وبتاريخ ١٦ ذي الحجة سنة ١٣٤٤ الموافق ٢٦ حزيران ١٩٢٦ الف حسن خالد باشا ابو الهدى حكومته الثانية . وقد عرض ، في العريضة التي ضمنها أسماء زملائه الذين اختارهم ، انه ينسب تشكيل مجلس تنفيذي برئاسته وان يحل هذا المجلس محل مجلس النظار وتودع اليه صلاحياته . وقد وافقنا على ذلك ، وتألف المجلس التنفيذي ممن يلي :

رئيس النظار وناظر الداخلية حسن خالد باشا . قاضي القضاة وناظر العدلية الشيخ حسام الدين افندي جار الله. السكرتير العام عارف بك العارف . محافظ الآثار الدكتور رضا بك توفيق . مدير النافعة عبد الرحمن بك غريب . مستشار المالية كركبرايد بك .

وقد جاء في برنامج هذه الحكومة انها تسعى قبل كل شيء الى ان يخضع كل فرد للقانون كما تحترمه هي ، وان ذلك الضمان الكافي لايجاد الثقة بين الامة والحكومة ، وانها ستتبع الصدق والصراحة والاخلاص في جميع تصرفاتها وتضمن العناية بشؤون « المدافعين » ورعاية مصالحم ، وتطلب اليهم الابتعاد عن التدخل في الشؤون السياسية وهي عازمة على وضع نظام خاص يعين حقوقهم وواجباتهم ، وانها ستولي الامن العام والشؤون المالية

والاقتصادية والمعارف والصحة جل اهتمامها ، وانها ستنمي علائقها الودية مع حكومات المناطق المجاورة وتقويها ، وستصرف عنايتها الخاصة لتأسيس مجلس تشريعي يمثل طبقات الشعب كافة فيشرف على التشريع ويعاون الحكومة في الامور الداخلية في اختصاصه الذي سيبينه الدستور .

على ان وجود مستشار المالية في المجلس التنفيذي لم يدم طويلا ، ففي ١١ أيلول ١٩٢٦ خرج منه بناء على تشبثات جرت مع الجانب البريطاني ، وحل محله مدير المعارف السيد أديب وهبه . وفي ١٧ نيسان ١٩٢٧ أخرج من المجلس مدير النافعة وهو موظف مستعار من حكومة فلسطين ، وحل محله ابراهيم بك هاشم الذي عين آنئذ مديرا للخزينة . وبعد مدة ادخل في المجلس التنفيذي توفيق ابو الهدى بدلا من الدكتور رضا توفيق ، وبعد ذلك بسنة اصبح سكرتيرا عاما وحل محل السكرتير العام الذي كان مستعارا من حكومة فلسطين .

اول مجلس تشريعي

وفي ٢٦ آذار سنة ١٩٢٨ نشر نص المعاهدة الاردنية البريطانية، الموقع عليها في القدس بتاريخ ٢٠ شباط ١٩٢٨ من قبل اللورد بلومر وحسن خالد باشا . وفي ١٩ نيسان ١٩٢٨ نشر القانون الاساسي لشرقي الاردن ، ثم صدر قانون انتخاب اعضاء المجلس التشريعي .

واجتمع اول مجلس تشريعي في ٢ نيسان ١٩٢٩ ونظر في المعاهدة الاردنية البريطانية ، واستمر في درسها ومناقشتها مدة شهرين ، ثم صادق عليها في ٤ حزيران ١٩٢٩ .

وزارة حسن خالد ابوالهدى الثانية

وقبل ان يعقد المجلس التشريعي دورته الاعتيادية في شهر تشرين الثاني ١٩٢٩، رأى حسن خالد باشا الذي صار يلقب برئيس الوزراء ــ بحكم القانون الاساسي ــ ان لا يظل في المجلس احد من المستعارين ــ وكان لا يزال فيه الشيخ حسام الدين افندي جار الله والدكتور حليم ابو رحمة ــ وان يدخل في المجلس اثنان من

اعضاء المجلس التشريعي المنتخبين ، فاستقال ليؤلف وزارة جديدة على هذا الاساس ، والفها فعلا . الا ان تجربة الاستفادة في الوزارة من اعضاء منتخبين من المجلس التشريعي لم تنجح . واستمرت حكومة حسن خالد باشا في الحكم مدة تقارب الخمس سنوات ، ثم استقالت بعد ان حلت المجلس التشريعي الاول لرفضه النظر في قانون الميزانية وعدم تلبيته طلبات الحكومة .

وزارة الشيخ عبدالله سراج

وفي ٢٢ شباط ١٩٣١ الف الشيخ عبد الله سراج حكومته ، فاحتفظ لنفسه اضافة للرئاسة بمنصب قاضي القضاة ووزارتي الداخلية والمالية ، واختار معه في المجلس التنفيذي السكرتير العام توفيق بك ابو الهدى ، ووزير العدلية عمر حكمت بك ، ومدير الخزينة شكري بك شعشاعة ، ومدير الاثار اديب بك الكايد ، والنائب العام عودة بك القسوس .

ولقد اعلنت هذه الحكومة منهاجا مفصلا كان اهم ما جاء فيه:

١ ــ شعورها بالمسؤولية المشتركة الملقاة على عاتقها بمدلول القانون الاساسي تجاه امير البلاد .

٢ ــ وعدها بالسعي لتعديل المعاهدة ضمن حدود الامكان والاعتدال .

٣ ــ تعهدها بأن تترك امر انتخاب اعضاء المجلس التشريعي حرا وان يكون في منجاة من اي تدخل غير مشروع .

٤ ــ حرصها على استعمال الحقوق المعينةفيالقانون الاساسي والقوانين الاخرى كاملة غير منقوصة مع مراعاة القيود التي نصت عليها المعاهدة .

وزارةابراهيم هاشم الاولى

وفي ١٨ تشرين الثاني ١٩٣٣ الف ابرهيم باشا هاشم وزارته الاولى ، فاحتفظ اضافة الى الرئاسة بوزارة العدلية ومنصب قاضي القضاة ، والف المجلس التنفيذي ممن يلي :

رئيس رئيسالوزراء ووزير العدلية وقاضيالقضاة ابراهيم باشا هاشم . مدير الخزينة شكري بك شعشاعة . النائب

العام عودة بك القسوس . المفتش الاداري سعيد بك المفتي . مدير الآثار هاشم بك خير . عضو المجلس التشريعي قاسم بك الهنداوي .

وقد كان منهاج الحكومة مختصرا ، يتضمن العزم على انتهاج كل خطة للاضطلاع بأعباء المسؤولية وفق رغبتنا بما يحقق أماني البلاد ومصالحها ، مع العناية بالشؤون الاقتصادية والعمرانية والحزم في محافظة الامن والنظام ، وتحقيق مطاليب البلاد الدستورية بجميع الوسائل المشروعة .

وفي ٢ حزيران ١٩٣٤ غادرنا البلاد في زيارة الى انكلترا وعدنا الى عمان في ٢٠ تموز ١٩٣٤ . وبتاريخ ٢٢ تموز ١٩٣٤ أعلن نص الاتفاق المعقود بيننا وبين صاحب الجلالة البريطانية ملحقا للاتفاقية المؤرخة في ٢٠ شباط ١٩٢٨ ومعدلا بعض موادها لمصلحة شرقي الاردن . وفي آخر شهر نيسان ١٩٣٧ غادرنا البلاد مرة اخرى لحضور حفلات التتويج ، وعدنا من انكلترا يوم ١٣ حزيران ١٩٣٧ .

حكومة جديدة ومنهاج نحو الوحدة

وفي ٢٨ أيلول ١٩٣٨ تألفت وزارة توفيق باشا ابو الهدى الاولى ، وكانت على النحو التالي :

رئيس الوزارة ووزير الخارجية توفيق باشا ابو الهدى . قاضي القضاة السيد احمد السقاف . مدير الخزينة عبد الله بك الحمود . مفتش الادارة خلف بك التل . النائب العام نقولا بك غنما . مدير الآثار هاشم بك خير .

ولقد كان المنهاج في هذه المرة مختصرا ايضا ، تضمن اشد الارتباط بنا والعزم على السعي لان تكون للبلاد مكانة في المجموع العربي من وجود وكرامة مع التمسك بمبادىء القضية العربية التي ارسى كيانها المنقذ الاعظم رضي الله عنه ، حتى يتيسر الوصول الى غاية العرب المنشودة وهي الوحدة القومية . وكذلك اشير الى ما يشار اليه عادة من الحرص على الامن العام والعناية بالمصالح الاقتصادية وتخفيف العبء عن المكلف في الاوقات العسيرة والاهتمام

بالمعارف وجميع الشؤون النافعة واتباع النظام الكامل في دوائر الحكومة .

وفي مستهل سنة ١٩٣٩ انتدبنا رئيس وزرائنا للسفر الى لندن ممثلا عنا ، لحضور المؤتمر الذي عقد من اجل قضية فلسطين ولقد انتدبناه للقيام بايصال طلباتنا بشأن تعديل الاتفاقية الاردنية ـ البريطانية والمفاوضة في هذا الشأن . ولقد اسفرت النتيجة عن اجراء تعديلات اخرى لمصلحة شرقي الاردن ، وتم الاتفاق كذلك على تعديل القانون الاساسي في امور كثيرة ، ولقب المجلس التنفيذي بمجلس الوزراء اسوة بالبلاد الدستورية على ان يظل مسؤولا تجاه امير البلاد .

وبتاريخ ٦ آب ١٩٣٩ تم تعديل القانون الاساسي ، واعتبر الامير بمقتضى هذا التعديل « القائد الاعلى للقوات العسكرية » ، ونص على تأليف مجلس الوزراء وصلاحياته ومسؤولياته . ثم استقال الرئيس وفق التقاليد الدستورية والفت اول وزارة في هذا العهد الجديد كما يلي :

توفيق باشا ابو الهدى ، رئيسا للوزارة ووزيرا للخارجية والعدلية . السيد احمد علوي السقاف ، قاضيا للقضاة ووزيرا للمعارف . رشيد باشا المدفعي ، وزيرا للداخلية والدفاع . عبد الله بك النمر ، وزيرا للشؤون المالية والاقتصادية،نقولا بك غنما ،وزيرا للتجارة والزراعة . علي باشا الكايد ، وزيرا للمواصلات .

واعلنت الوزارة في منهاجها عزمها على التمسك بمبادىء النهضة العربية والتآزر مع المخلصين لها ، حتى تصل الامة الى ضالتها ووحدتها باذن الله ، وعلى حفظ روابط الاخاء والتعاون الوثيق مع الاجزاء الاخرى من الوطن العربي لكل ما فيه المصلحة . ونوهت ان البلاد خطت خطوة طيبة بفضل الخطة المثلى والحكمة البالغة اللتين ابداهما امير البلاد وما اظهره شعبه الكريم من الاخلاص والطاعة .

وقد عهدنا الى توفيق باشا ابو الهدى بتأليف الوزارة عدة

مرات ، فظل رئيسا للوزارة طيلة سنوات الحرب العالمية الثانية وفي اخطر ادوارها. وكلن موضع الرضا التام عندي لحرصه الشديد على ضمان الاستقرار السعيد لهذه البلاد في تلك الايام المدلهمة الآفاق . على ان المطالبة بتحسين الوضع السياسي ، سواء بتعديل المعاهدة الاردنية البريطانية او بغير ذلك من الوسائل ، كانت من اهم ما تطلعنا اليه في سبيل مستقبل افضل للاردن . ولعل في الرد البريطاني التالي المبلغ الينا بكتاب المعتمد البريطاني بعمان في ١٦ حزيران ١٩٤٤ ما يشير الى طبيعة الجهود المبذولة والشؤون المطروقة :

نص الرد البريطاني

« ان حكومة جلالته البريطانية قد اولت مذكرة مجلس الوزراء المؤرخة في ٤ تشرين الثاني ١٩٤٣ في وضع شرقي الاردن في المستقبل اعتبارا جديا وعطفا. فهي تقدر اسمى تقدير صداقة الحكومة والاهالي ومعاضدتهما غير الملتويتين بزعامة سمو الامير الرشيدة ، وهي تدرك شاكرة ممتنة انها استطاعت في كثير من الفترات العصيبة في العشرين سنة الاخيرة ، ولا سيما ابان اشد ايام الحرب الحالية ، الاعتماد دون ما تردد على ادارة جميع طبقات الامة في شرقي الاردن وعلى تعاونها تعاونا فعالا الى مدى ما اوتيت من قوة ومورد .

ان حكومة جلالته البريطانية تقدر تقديرا تاما ان رغبة الشعب الاردني تتجه الى وجوب وضعه على قدم المساواة مع شعوب الاقطار العربية المجاورة ، ولهذه الغاية ترحب حكومة جلالته بعقد معاهدة مع شرقي الاردن تتلاءم الى حد اقرب مع ظروف الاحوال مما هي عليه اتفاقية سنة ١٩٢٨ .

انه لاسباب فنية يجب ان ينظر للمفاوضة في معاهدة كهذه الى نهاية الحرب ، ولكنه بالرغم من ان العلائق الرسمية بين حكومة جلالته وبين حكومة شرقي الاردن ينبغي في الوقت ذاته ان تستمر على ما هي عليه في الوقت الحاضر ، فانه سيكون غرض حكومة جلالته ان تفسر هذه العلائق تفسيرا فيه

المراعاة لقصدها هذا .

وتعرب حكومة جلالته عما يخامرها من الاسف لما حدث من التاخير في هذه المسالة ، فان هذا التاخير لا ينطوي على شيء من عدم المجاملة نحو حكومة شرق الاردن ، وانما هو انهماك حكومة جلالته انهماكا كبيرا » .

وزارة سمير الرفاعي الاولى

واستقال توفيق باشا ابو الهدى في ١٤ تشرين الاول ١٩٤٤ وخلفه في منصبه سمير باشا الرفاعي الذي كان احد اعضاء الوزارة السابقة المستقيلة ، والف وزارته كما يلي :

سمير باشا الرفاعي ، رئيسا للوزراء ووزيرا للخارجية والدفاع . الشيخ فهمي هاشم ، قاضيا للقضاة ووزيرا للمعارف . سعيد بك المفتي ، وزيرا للداخلية . مسلم بك العطار ، وزيرا للمالية والعدلية . هاشم باشا خير ، وزيرا للمواصلات . نقولا بك غنما ، وزيرا للتجارة والزراعة .

وذكرت الحكومة في منهاجها ان المنهاج الاساسي الذي وضعته الوزارة السابقة انما هو بنفسه منهاج الوزارة الجديدة .

وزارة ابراهيم هاشم

وفي ١٨ ايار ١٩٤٥ استقال سمير باشا ، وفي اليوم التالي الف ابراهيم باشا هاشم وزارته من اعضاء الوزارة السابقة باستثناء هاشم باشا خير ، الذي حل محله في مجلس الوزراء توفيق باشا ابو الهدى وتولى وزارة الخارجية .

واشار منهاج هذه الوزارة الى الحرب . وانها وإن تكن قد انتهت في اوروبا الا ان ايام السلم تتطلب الكثير من الجهد والبذل وتدعو الى التساند والتعاون التامين للخلوص نهائيا مما خلفته الحرب من مشاكل وارزاء ، ولانجاز ما ارتكنته من مشاريع اصلاحية، وللحصول على ما تترقبه الامة من استكمال استقلالها وتحقيق آمالها وامانيها في الوحدة القومية المنشودة. وذكر في المنهاج ان الحكومة لا ترى ان تعلن عما تعتزمه من اعمال انشائية ، اذ ان من الخير ان تعلن الاعمال عن نفسها بنفسها . وذكرت ان سياستها

ستكون الحرص على التعاون الكلي مع دول الجامعة العربية والسعي لاتمام الاهداف التي رسمتها الثورة العربية الكبرى .

ومما هو جدير بالذكر في صدد تكليف ابراهيم باشا تأليف الوزارة ، انه قبل ان عهد اليه بتأليف وزارته الاولى ، بعد اقالة الشيخ عبدالله سراج ، سألني المعتمد السابق السير هنري كوكس عن خلف الشيخ ، فذكرت له اسم المرحوم حسن خالد باشا فقال لي : ارجوك ارجوك . لا استطيع التعاون معه ..

وانا لم اقل له حسن خالد باشا ، الا لئلا يظهر عدم ارتياحه من ابراهيم باشا ، لانني كنت سمعت منه عن فلان وفلان انهما اصلح من يكون لهذه الرئاسة ، وقد صار احدهما وزيرا للداخلية ووزيرا للدفاع في وزارة توفيق باشا ابو الهدى ، واما الآخر فلم يكن الا نسخة ثانية عن الاول الذي المحت اليه .

ولم يعترض على ترئيس ابراهيم باشا هاشم ، فجاء للوزارة بنشاطهالمعروف ، وصرف جهود الجبابرة ، واستمر الى ان تغلب عليه اليأس ، حيث ضيق عليه الميدان القيد الاجنبي الممل . ولم تكن الحكومة الانكليزية تعرف هذا ، مع انني لم اخف متاعب رؤساء الوزارات من تدخل المعتمد السابق في ما ليس له فيه اي حق . وقد اخبرت بذلك المندوب السامي سيرتشانسيلور،واعلمت السير آرثر واكهوب . واخيرا انتهت وظيفة السير هنري كوكس في عهد السير مكمايكل ، ولعلها كانت خير خدمة اداها مندوب سام لشرقي الاردن. وانا لا اقصد من هذا الحط من قدر السير هنري كوكس ، فانه كان يحبني كثيرا ويخلص في عمله لاعتقاده انه يسدي الخير للناس رغم انوفهم .

ثم استقال ابراهيم باشا وجاء الى الرئاسة توفيق باشا ابو الهدى ــ كما مر ــ وكنت اعتقد ان المعتمد كوكس يرضى بالتعاون معه ، واذا الامر بالعكس . فانني لما اردت تعيينه للسفر الى لندن يوم تعديل المعاهدة ، اعترض ورجح ان اعين ابراهيم باشا لهذه المهمة ، فاصررت على رايي ، ثم توسط لدى السير مكمايكل ان يأتي ليحاول ان اغير رايي ، فجاء وحدثني فلم اوافق .

وبين يدي سفر توفيق باشا ابو الهدى قال لي المعتمد : ان الباشا اصبح لا يعتمد عليه ، فقلت : انه لدي في منتهى درجات الاعتماد . وفي اليوم التالي حضر توفيق باشا مع المعتمد ، فقلت له : سافر يا باشا وثق بأنني معتمد عليك في كل امر كل الاعتماد . وبعد خروجهما زار المعتمد توفيق باشا واعتذر اليه وقال انه يحبه ويعده بالمعاونة النزيهة . وعند سفر رئيس الوزراء كنت بالغور وكان المعتمد عندي فقال لي : اتسمح يا سمو الامير لي بأن التقط صورة لتوفيق باشا فربما لا يعود من انكلترا ؟ فقال له توفيق باشا : التقط صورتي ولكن من الممكن ان اعود فلا اجدك هنا . ولقد حدث ذلك فعلا اذ عاد توفيق باشا بالتوفيق وسافر المعتمد . وجاءت الحرب ومضت ، وقد تعب فيها توفيق باشا كثيرا . وقد برهن على انه من خيرة رجال العرب ، ومن الاشخاص الذين اذا صادقوا صدقوا واذا عادوا لا يتسترون .

ثم استقال توفيق باشا ، واعتذر ابراهيم باشا عن تأليف الوزارة ، فأحببنا توجيهها الى حامد باشا الوادي ، فحالت بعض الظروف دون ذلك ، فأولينا ثقتنا سمير باشا الرفاعي الذي تمرن وتقلب من عهد الركابي باشا الى ان نا ل الرئاسة وهو بالقرب من الرؤساء وليس بالبعيد منا . وانا لنرجو من الوزارة الحاضرة ، المتحلية برئيسين سابقين ، التوفيق في كل الامور ، وبالاخص في امر الوحدة السورية التي بها يتم استقرار بلاد العرب ودوام امرها وسلامتها من الاخطار السياسية وما في التجزئة من وهن وضعف .

المعتمدون البريطانيون

بعد ان تألفت الادارة في شرقي الاردن على شكلها المعلوم برئاسة رشيد بك طليع : عين مستر برامسون معتمدا بريطانيا في عمان ، وكان في العقد الخامس من عمره ، محترما وقورا، فمكث في المعتمدية نيفا وستة اشهر .

ولما حضر الكولونيل لورنس الى عمان ومعه حداد باشا للنظر في المعاهدة الحجازية الانكليزية ، بقي وكيلا للمعتمد الى ان تهيأت الاسباب فعين مستر فلبي معتمدا بشرقي الاردن . وهو

معروف لدى العرب ، على شيء كثير من الاخلاص في البلاد التي يعمل فيها . ومما اذكره في احدى الليالي ، وقد كان في المجلس شخص طلب ان يكتب كل من حضر المجلس جملة ادبية في دفتره ، فكتب مستر فلبي البيت المشهور لعبيد بن الابرص :

ساعد بارض ما دمت فيها   ولا تقل انني غريب

وهذا شاهد على ما قلت . وان اخلاصه للملك عبد العزيز بن سعود يكاد يفوق اخلاصه لملكه وبلده . وقد سافر معي الى لندن في السفرة الاولى ، ولم يأل هناك جهدا في القيام بواجبه وان كان بيننا احيانا ما يكدر صفو الوداد لصلف يبدو منه . واني لأذكر له يوم شرف الوالد المرحوم شرقي الاردن وحين البيعة للخلافة حضه الناس عيلها بكثير من الحماسة والاخلاص .

ثم جاء الكولونيل كوكس ، وكانت له شخصية ادارية ، وكان لا يحب ان يعمل مع اشخاص لا يرتاح اليهم ، ولقد مكث مدة طويلة. ولولا الصبر والحكمة التي منّ الله بها علينا لكان الامتزاج معه من المستحيلات .

ثم عين اخيرا وبين يدي الحرب العالمية الثانية ، المعتمد الحالي مستر كركبرايد ، وهو من اصدقاء العرب القدماء ، حيث شهد الحرب السابقة في الجيش الشمالي برفقة الاخ الملك فيصل . وانه من اعز الاصدقاء لنا شخصيا ، فقد تحقق في خلال خدمته عندنا الشيء الكثير من التوفيق ، وارتاح الى التعاون معه توفيق باشا ابو الهدى بمجموع وزاراته ، كما تعاون مع سمير باشا على تلك الوتيرة ، وهو الآن مع ابراهيم باشا صديقه القديم على تعاون ونزاهة .

تشكيل الجيش العربي

حين تشكلت ادارة شرقي الاردن ، جرى الحديث بين رشيد بك طليع والسير وندهام ديدس السكرتير العام لحكومة فلسطين حين ذاك ، حول ايجاد قوة لتأمين الامن الداخلي في البلاد وعلى حدودها ، وذلك على اثر ما كان دار من حديث بيننا وبين مستر ونستون تشرشل . وكنت رأيت لزوم تشكيل فرقة نظامية بما

تحتاج من الصنوف العسكرية المقبولة حين ذاك ، من مشاة ومدفعية وخيالة ، وان تكون مركبة من ثلاث كتائب ، كل كتيبة من ثلاثة افواج ، وكل فوج من ثمانمائة نفر ، مع ما يتبع هذه الكتائب من مدفعية جبلية ومدافع ميدان ورشاشات ، وان يكون فوج فرسان من الف وخمسمائة مسلح ببنادق صغيرة .

ولما جرى البحث بين رشيد بك طليع والسير وندهام ديدس ، لم ترغب الحكومة البريطانية في تأييد المشروع ، معتلة بفداحة المصاريف ، ولكن رضيت بأن تضم القوة التي جاءت معي من معان — وهي مؤلفة من متطوعين نظاميين — الى القوة السيارة — وهي قوة فرسان كانت موجودة في شرقي الاردن بقيادة الكابتن بيك « الفريق بيك باشا اخيرا » — ورضوا بأن تكون معها بطارية جبلية وان تتألف من قوة درك في المناطق الثلاث : عجلون والبلقاء والكرك ، هذا عدا قوة البوليس .

فبدأها الكابتن بيك بصفته مفتش الجيش ، وساعده فؤاد بك سليم وعبد القادر بك الجندي ومحمد علي بك العجلوني وغيرهم من الضباط العرب ، وكانت هذه القوة جديرة بالاعجاب في سرعة تنظيمها وتدريبها وفي لباسها وسائر مقتضياتها . ولقد قامت بواجبها اثناء حركة الكورة ، بسير جبري من الكرك الى عجلون ، فوصلت سيرا على الاقدام في اربعين ساعة، وتمكنت من ارضاخ كليب الشريدة ومن معه وانصياعهم الى القانون . ثم كانت موفقة ايضا اثناء حركة البلقاء المعروفة وبعدها .

وفي عهد الكولونيل كوكس ، يوم ان كان لورد بلومر مندوبا ساميا وكان المستر سايمس سكرتيرا عاما ، وبين يدي المعاهدة الاردنية الانجليزية ، اختصر من قوة الجيش العربي قسم المدفعية وانشئت قوة الحدود ، وكانت هذه عملية غير متناسبة مع القرارات الاولى . ثم تعين كلوب بك قائدا لقوة البادية ، بعد ان تحقق عدم اقتدار قوة الحدود على القيام بما يوكل اليها من مهام في نواحي البادية . وبنشاط كلوب بك وبالقابلية الحربية في البدو ظهرت قوة البادية بالشكل الموجب للفخر .

وبعد ان اسندت قيادة الجيش لكلوب باشا واندلعت الحرب العالمية الثانية ،وثبتت صداقة شرقي الاردن كما ثبت اخلاصنا لقولنا وعهدنا ، توسع الجيش العربي فأصبح مفخرة للبلاد ، واصبح لا ينقصه من الاسلحة الجديدة سوى قسم الطيران والمدفعية الثقيلة. وان للفريق كلوب باشا الهمة والجهد المخلص في هذا الباب . فقد قام هذا الجيش ابان مضاعفات الحرب بعملية مهمة في العراق وبمساعدات قيمة اثناء طرد فرنسا الفيشية من سوريا .

وانا نثبت فيما يلي البرقيات الواردة من القادة الانكليز في هذا الصدد :

يا صاحب السمو المعظم

الآن وقد رجع الفريق كلوب باشا وفرقة جيشكم العربي الى عمان ، بعد قضائهم ذلك الامد القصير المظفر في العراق، اجد لزاما علي ان اسجل الشرف العظيم الذي تولاني بانضمامي الى رجالكم البواسل في المعركة . وليس ذلك فحسب وانما تقديري الشديد لعملهم الباهر كجنود .

ان اعمال قوة الجيش العربي الناجحة في اجتياز الصحراء في مقدمة خطوطنا الميكانيكية ، وتدميرها لمواصلات العدو وقطعها السكك الحديدية ، وصيانتها لمواصلات احد خطوطنا المستقلة من الهجوم الخلفي ، كل ذلك جعلني اقدر اياديها العسكرية العديدة حق التقدير . ان تقدم تلك القوة وعزمها وبشاشة رجالها في شتى الاحوال بعثت في النفس اعظم السرور للانضمام اليها في ميدان المعركة .

فاسمحوا لي يا صاحب السمو ان اهنىء سموكم على الفعالية التي قامت بها هذه القوة الممتازة ، واملي الوحيد ان يسعدني الحظ فانضم اليها والى قائدها الشهير ، في الاعمال الحربية المقبلة .

ولي الشرف ان ابقى خادم سموكم المطيع .

الميجر جنرال

عن قيادة قوات الحبانية : ١ حزيران ١٩٤١ جورج كلارك

صاحب السمو الملكي الامير عبد الله بن الحسين أمير شرقي الاردن :

يا صاحب السمو

بمناسبة الانتهاء الظافر للحرب فى أوروبا ، أشعر بانه من واجبي أن اقدم الى سموكم بالاصالة عن نفسي وبالنيابة عن الجيش البريطاني فى الشرق الاوسط تشكراتي الخالصة على الخدمات الجلى التي قدمتها شرقي الاردن والجيش العربي للقضية المشتركة .

ان البسالة والثبات اللذين ابديتموها سموكم فى السراء والضراء طيلة سني هذه الحرب الطويلة ، كانتا محل اعجاب القادة البريطانيين فى الشرق الاوسط . ان موقف سموكم كان بدون ريب الملهم لجنودكم،وعندما كانت بريطانيا فى سنة ١٩٤١ فى موقفها الحرج ، وقف الجيش العربي وقفة صادقة بجانب حلفائه البريطانيين . وقد قام جنود سموكم بدور هام فى عمليات العراق وسوريا ، ولولا مساعدتهم فى عمليات العراق لكان من الممكن ان تتخذ هذه العمليات شكلا آخر . وانه لما يؤسفني ويؤسف سموكم أيضا كما انا متأكد بان الفرصة لم تتح لجنود سموكم بالاشتراك فى العمليات الحربية فى أوروبا . ان بقاء قواعد الشرق الاوسط فى قبضة الحلفاء كان على كل حال عاملا رئيسيا فى كسب الحرب ، وان جنود سموكم فى هذه السنوات الخمس قد لعبت دورها الهام فى هذا الواجب الحيوي .

ان نظام الجيش العربي قد استوجب احترام القادة البريطانيين الذين كان هذا الجيش يعمل تحت امرتهم . وقد كانت علاقاتهم بالجيوش البريطانية دائما علاقات الزمالة العسكرية المخلصة . واني اود بان ابين تقديري لموقف الصداقة والمساعدة الذي وقفته حكومة سموكم والشعب الاردني تجاه القوات البريطانية التي كانت فى البلاد . واني على يقين بان روابط العطف والزمالة التي وجدت فى وقت



الامير الثائر عبدالله بن الحسين

بين رجال الرعيل الاول



صاحب الجلالة المغفور له - القائد الاعلى
يقلد احد الضباط وساماً



صاحب الجلالة المغفور له ـ الملك طلال الاول
مع بعض اعضاء الحكومة الأردنية



دولة المرحوم رشيد بك طليع
(رئيس وزراء الأردن عام ١٩٢١)



دولة المرحوم مظهر بك ارسلان
(رئيس وزراء الأردن عام ١٩٢٢)



دولة المرحوم رضا باشا الركابي
(رئيس وزراء الأردن عام ١٩٢٣)

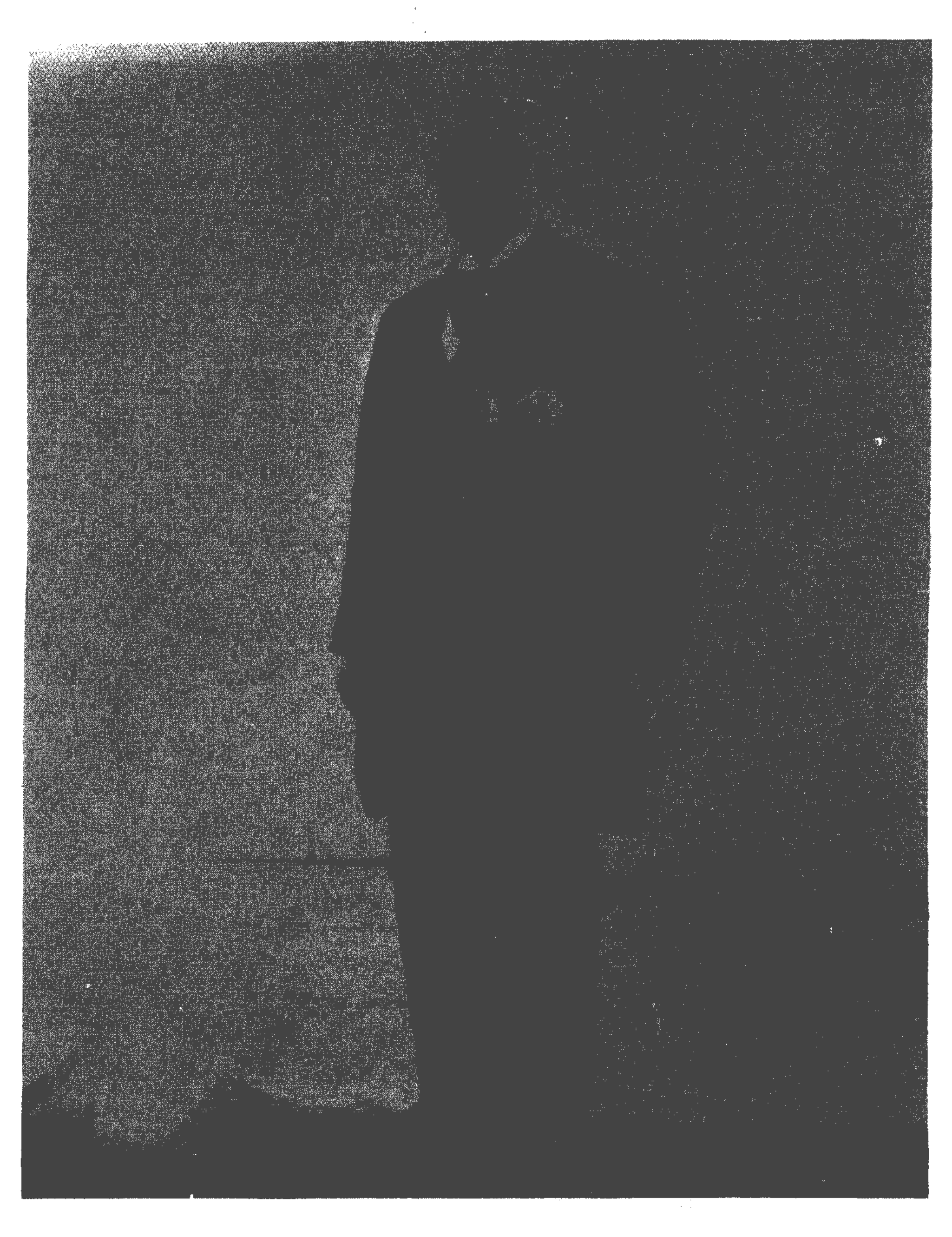


دولة المرحوم حسن خالد باشا ابو الهدى
(رئيس وزراء الأردن عام ١٩٢٨)



سماحة المرحوم الشيخ عبدالله سراج

(رئيس وزراء الأردن عام ١٩٣٠)



دولة المرحوم ابراهيم باشا هاشم
(رئيس وزراء الأردن عام ١٩٣٥)



دولة المرحوم توفيق باشا ابو الهدى
(رئيس وزراء الأردن عام ١٩٢٩)



دولة المرحوم سمير باشا الرفاعي

(رئيس وزراء الأردن عام ١٩٤٥)



دولة رئيس مجلس الاعيان - سعيد باشا المفتي
(تولى رئاسة الوزراء عام ١٩٥٠)

الحرب بين الجيش البريطاني والشعب الاردني ستستمران اثناء سنوات السلام التي نامل أنها امامنا .

لي الشرف ان اكون خادم سموكم المطيع .

٨ آيار ١٩٤٥ — باجت

الفصل الثامن

الشؤون العربية

فتنة العراق

لمناسبة ذكر فتنة العراق سنة ١٩٤١ ، أود ان اثبت هنا البيان الذي كنت أذعته في شعبي الاردني العزيز ، في ذلك الظرف العصيب:

بيان الى الشعب الاردني الكريم :

لقد علمتم بما يجري فى هذه الآونة فى بلاد العراق الشقيقة من حوادث مؤسفة ، نشات عن أن فئة اغتصبت سلطة الحكم فى هذا القطر العزيز قد رغبت فى اتباع سياسة خاطئة ترمي الى تعريض هذا البلد العربي الكريم الى القلاقل والفتن وسلامته واطمئنانه الى الفوضى والاضطراب .

ولقد كنت اول من انتابه الحزن والأسى لوقوع هذه الحوادث المؤسفة فى قطر كانت الامة العربية باجمعها ولا تزال تعتبره المثل الحي للاستقلال الكامل الذي ما برح امنية البلدان العربية الاخرى تسعى اليه بجهود قومية موفقة ان شاء الله . ولكن الغموض الذي رافق هذه الحوادث فى بدايتها وما تغذيها به الدعايات الخبيثة المغرضة من افكار السوء والدس والفتنة ، كل ذلك لم يساعد الراي العام على الوقوف على حقيقة هذا الموقف الطارىء الذي ارادت تلك الدعايات السامة أن تروج به مقاصدها الهادمة لاستقلال العراق وحريته وتسميم الافكار العربية جمعاء .

وانني بالنسبة لما اشعر به نحو العراق الشقيق من عواطف الحب والولاء الشخصية فضلا عن روابط الاخاء الصادق التي تربط هذه الامارة به وفضلا عن خدمة البيت المالك فى البلدين ، قد رايت من واجبي أن اذيع على شعبي الكريم بياني هذا ، لأعلن لهم فيه أن الحركة القائمة هناك

ادت الى نزوح حضرة صاحب السمو الملكي الوصي على عرش العراق ، تبرؤا مما جرته هذه الفتنة على العراق من ويلات ومصائب كما جاء في بيان سموه الذي اذيع على الشعب العراقي بعزمه الصادق على العودة ان شاء الله مرجعا لتلك البلاد استقلالها وسيادتها وطمانينتها ان شاء الله . وكما علمنا من تصريحات وزير خارجية بريطانيا العظمى المستر ايدن فانه ليس في نية الحكومة البريطانية الانتقاص من حقوق العراق الاستقلالية وسيادته باي صورة من الصور وليس بينها وبين الشعب العراقي اي خلاف او عداء . هذا وان العزم منصرف الى اعادة الحالة الطبيعية والود الحقيقي بين الامتين الحليفتين ، واني موقن بذلك كل الايقان ان شاء الله تعالى . فلايضاح الحال وتنوير الاذهان اعلن هذا لشعبي الكريم .

عمان في ١٩ ربيع الآخر ١٣٦٠

الموافق ١٦ ايار ١٩٤١ « عبد الله »

مذكرة الى الجنرال ولسن

وفي ١٨ ايار ١٩٤١ ، وانا في اربد ، ارسلت الملاحظات التالية في مذكرة الى الجنرال ويلسون :

١ ــ مساعي الالمان الافسادية في بلاد العرب وكيف نستطيع احباطها .

٢ ــ تجلى للعيان ان الالمان قد توفقوا في مساعيهم في العراق.

٣ ــ تبذل هذه المساعي بكل قوة في المدارس والكليات بسوريا ومصر وفلسطين وشرقي الاردن .

٤ ــ تبذل هذه المساعي بين العمال في كل محل يوجدون به .

٥ ــ ان اذاعات الراديو في فلسطين ومصر تساعد على تلك المساعي باذاعة ما يظنون انه لهم واذا به عليهم مثال ذلك ذكر نزول الطائرات المعادية بسوريا والعراق ، فهذا يجعل الناس يظنون ان الالمان يستطيعون عمل كل شيء .

٦ ــ يجب سرعة ضرب الاعداء في العراق بأسرع ما يمكن .

٧ ـ بقاء الجيش البريطاني بالصحراء بين الرطبة والفلوجة وبالبصرة دون تقدم ، امر لا ارضـاه ، وارى انـه يقوي الخصوم ودعايتهم .

٨ ـ الحالة في سوريا تأتي بالدرجة الثانية بعـد العراق . وانني ارى الحكمة في سياسة حكومة جلالته بالنسبة الى حليفتها السابقة فرنسا ، ولكن اعتقد جازما بأن العملية التي قامت بها ضد اسطول فرنسا في وهران يجب ان تطبق حالا في سوريا . لذلـك ارى انه اولا يجب طلب كل دبابة وكل سيارة مصفحة في سوريا وكل طائرة ، وتسليمها لجيش جلالته او حجزها تحت ضغط قوات بريطانية ، او نقلها الى بلد محايد كتركيا مثلا ، على ان تبقى الادارة في سوريا في ايديهم ـ ايدي الفرنسيـين ـ واذا لم يقبلوا فيجب الدخول الى سوريا حالا ، حيث مـن المقرر اعلان وحـدة العراق وسوريا بتعضيد من الالمان . وانـه من المقرر جلب جنود المـان بالطائرات وتسليم كل الاسلحة الفرنسية من آلية وغيرها اليهم ، وحينئذ ينبغي على حكومة جلالته ان تعاني متاعب ايجاد قوة عظيمة هنا وفي فلسطين مثل قواتها على حدود ليبيا .

٩ ـ يجب اعادة روح الصداقـة في العراق وسوريا بـين العرب والانكليز حالا ، بالقضاء على المتمردين وفق ما شرح اعلاه .

١٠ ـ انني منزعج لعدم وقـوفي على الحالة السياسيـة والحركات العسكرية في حينها، ومنزعج لإمكان تغلغل الدعاية المعادية الى بلادي اذا طال المدى . انني في وضع عادي ، اي كأنه وليس في الدنيا عاطل غير عامل لخير بلادي واصدقائي . وربما يلاحظ ان شيوع مساعداتي تغضب ملكا من ملوك العرب ، ولكن ارى انه قد لا تكون هذه الملاحظة مفيدة في هذه الاوقات الحرجة . وانني اطلب ان اكون سيد بلادي الامين لحلفائي والقائم بوظيفتي قبل فوات الفرص .

١١ ـ ليس لي ما اقوله في مسألة التحكيمات المقامة مـن اربد الى سال ، والاخرى في ناحية المفرق ، غير ملاحظتي بأن المسافة بينهما عظيمة جدا ومن الممكن للعدو المفروض اجتياز ما بينهما ليلا .

١٢ ـ الاحظ ان هذه التحكيمات لا تكون ضامنة النتيجة الا اذا كان جبل الدروز في يد الجيش البريطاني ، فانه اذا كان هـذا الجبل على حاله في ايديهم، ففي امكان الاعداء دخول البلاد من شرقي المفرق فالزرقاء فوادي الاردن فضفاف الشريعة ـ ان شاءوا ـ او من وادي الزرقاء ومنحدرات جبل عجلون .

الامير عبدالاله يبرق

ولما اخمدت فتنة العراق ، وانهزم مثيروها الهوج ، وعاد الملك والوصي الى مقرهما تلقيت من سمو الوصي البرقية التالية :

حضرة صاحب السمو الملكي سيدي الامير عبد الله المعظم ـ عمان .

بحمد الله ورعايتكم انتهينا هذا اليوم من حل مشاكلنا وقد تالفت الوزارة برئاسة فخامة جميل المدفعي ، وما اخرنا عن ارسال برقية الا انتظارا لتصفية جميع الامور لتكون البشرى التي ارفعها لسيدي كاملة ، لاني اعلم كما يعلم غيري ان ما يعنينا يعنيكم اكثر من اي انسان ، وما ذلك الا لحنوكم الابوي وكونكم الاساس المتين الذي ترتكز عليه عائلتنا عند الشدائد والمحن ، وليس من المستبعد ان نستنير بهدى من عركته الايام وصقلته التجارب . وبالختام اتمنى لمولاي وللعرب جميعا اياما كلها عز وسؤدد .

٣ حزايرن ١٩٤١ عبد الاله

الوضع سنة ١٩٤٢

لقد اخذت تظهر في الجو العربي العام في تلك الآونة ، احاديث ومحاولات اشبه ما تكون بسياسة مجهولة تبتغي الحيلولة دون استكمال السير العربي مراحله الطبيعية . فرأيت من واجب الامانة القومية علي ان ابعث بمذكرة الى الامير عبد الاله الوصي على عرش العرا ق، والى رئيس وزرائه ووزير خارجيته ، اضمنها مبادىء الثورة العربية الكبرى ونشأتها ومراميها ، كي يلتزمها العراق ويستلهم روحها في خط سيره ، وليظل منسجما مع شرقي الاردن

في الحفاظ على الملامح الاصيلة لجهادنا الطويل في سبيل عزة الامة العربية .

ومهدت للمذكرة ببيان موجز مشتق من راسخ التاريخ ، ثم خلصت منه الى استعراض للوضع الراهن وانا اسائل نفسي : هل هذا الوضع هو ابن شرعي لجهاد النهضة العربية !؟..

وفيما يلي نص المذكرة :

مذكرة الى الحكومة العراقية

الامة العربية ذات التاريخ وصاحبة الماضي المجيد ، والتي نزل على نبيها القرآن ، والتي فتحت المشرق والمغرب في اقل من ربع قرن وجاءت بالاصلاحات الدينية والمدنية وبما يقتضيه الاخاء الانساني ، امة لا يجوز ان تكون مستعمرة مستعبدة ، بل هي امة قائمة مستقلة هادية . اما بقاؤها في ظل حكومات غير عربية ولكن مسلمة ، فقد جاء عن رضوخ تلك الامم للتعاليم الاسلامية والاخاء المحمدي . فاذا سادت تعاليم القرآن وعمل بالسنة ، فالعربي حينئذ سواء عنده اكان سلطانه عربيا ام كان ينتمي الى غير العرب من المسلمين . لذلك كانت الامة العربية تنظر الى سلاطين الاسلام بما اعطاها الله من شرف خص به النبي العربي عليه الصلاة والسلام .

على انه لما جاء العصر الاخير والذي قبله ، حدث شيء من التحور زلزل تلك الرابطة الجامعة بين العربي والاعجمي . فمنشور التنظيمات الخيرية الصادر في عهد السلطان محمود الثاني كان اول مرقاة للخروج على التعاليم العربية المستمدة من قرآنها وسنة نبيها ، الى الشكل الغربي الغريب الذي لم يفهمه منتحلوه انفسهم؛ فكانت النكسات والاختلافات والتعثر في السير والتلكؤ في العمل . ومن ذلك تحوير شكل الجيش والادارة فجأة ، والقضاء على العسكرية الينيشارية ، وايجاد الجند المسمى «بالنظام الجديد» وحوادث (مورة) التياستخدم فيها الجيش المصريبأمر من السلطان الى والي مصر محمد علي باشا آنذاك ؛ وما كان هناك وفي كريت من فواجع ، وخاصة على الاسطول التركي المصري في (ناوارين) ، ثم صدور الامر السلطاني الى والي مصر بالتوجه الى الجزيرة العربية ايام محمد بن عبد الوهاب ، وتكلل الجهد المصري بالنجاح في الحجاز

ونجد وعسير حتى صنعاء .

بعد ذلك بدا لوالي مصر الوهن في الجسم العثماني ، فاقتحم سوريا والاناضول وكانت هزيمة الجيش العثماني المشهورة امام الجيش المصري ، ثم كان تدخل روسيا وانكلترا في الامر وارجاع الجيوش المصرية الى مصر مخلية الاناضول وبلاد العرب بأجمعها ، وكان ارضاء والي مصر بأن تكون ولايته فيه وفي اعقابه باسم والي مصر وبفرمان سلطاني ، ومشى به الامر كذلك حتى زمن الخديوي اسماعيل الذي حصر الارث في نسله على اصول الوراثة الاوروبية وسمي « الخديوي » .

وكانت هذه الظاهرة اول صبغة عربية استقلالية ، عقبتها محاولة الشريف عبد المطلب بن غالب ـ الذي كان اميرا على مكة بعد الشريف محمد بن عون رأس الاسرة الهاشمية الحاضرة ، والصديق الحميم لمحمد عليباشا والي مصر ـ فقد انتهز ذلكالشريف الفرصة السانحة بسبب الحرب الروسية العثمانية المعروفة بحرب القرم ، فحاول اعادة استقلال الحجاز اليه الا انه لم يكتب له التوفيق في ذلك .

وعند الانقلاب العثمانيالاخير الذي اعيد بسببه الدستور العثماني لسنة ١٢٩٣ تحولت الحاكمية السلطانية الى حاكمية ملية محصورة في العنصر الذي منه السلطان ، وغدت سائر العناصر والاقاليم تبعا للعنصر الحاكم ، وشرع في تتريك العناصر الاخرى لتغيير صبغتها القومية ودفع الخطر عن السلطنة الدستورية التركية ، الشاعرة بوجود اجناس اخرى في الامبراطورية هي اكثر عددا وتدين بالاسلام . وبدات الاحزاب المختلفة والاندية المتعددة لكل امة تتشكل وتتكيف وتطالب بحقها وتناضل عنه . واحس بالضغط حزب الاتحاد والترقي فحاول جهده في الانتخابات للبرلمان العثماني ان لا ينجح في عضوية البرلمان الا من كان تركيا او اتحاديا. عند ذلك شعر العرب ، وشعر معهم بقية الاقوام الاخرى ممن تتكون منهم الامبراطورية ، انهم على خطر الزوال ، فحدثت الثورات في بلاد الارناؤوط ، وفي جبل الدروز ، وفي الكرك . وتولى اخماد الثورة

العربية سامي باشا الفاروقي المعروف . ثم كانت الثورة في عسير فأخمدها امير مكة الشريف الحسين بن علي ، وثورة اليمن وقد اخمدها المشير عبدالله باشا واتم امرها المشير عزت باشا .

وكان الشريف متمسكا حينذاك بالرابطة العثمانية ، يفضلها ويرى بقاءها ويؤثرها على انهيار وتصدع لا يعرف مداه ولا تؤمن عاقبته . الى ان بلغ الصلف الاتحادي ذراه وشوهد ان امر انفصال العرب عن الاتراك الذين تعادوا وتهوروا وازدروا كل ما سواهم امر لا بد منه . فطالبت سوريا بادارة لا مركزية ، واستولى ابن سعود على الاحساء ، واتفق الامام في اليمن مع الاتحاديين على شكل معين، وسوي الامر بين السيد الادريسي والترك بطريقة خاصة . وكانت هذه اول مرقاة ايضا الى الانفصال ، والقلوب مفعمة بالعداء ، ورجال الدولة من الاتحاديين يحرّقون الارّم على كل عربي نابه .

ثم ترامت الوفود الى الحجاز من القطر الشامي ، وعرضوا على الشريف في مكة ما الناس فيه من سوء حال ومستقبل مظلم ، مع الظلم والاضطهاد والنفي والابعاد . حتى جاءت الحرب العالمية الاولى وجاء جمال باشا بسلطانه وعدوانه الى دمشق ، فضاقت الارض بما رحبت ، وخاف بأسه كل عزيز وذليل . وفي غضون ذلك كانت مذكرات القضية العربية بين الشريف وبين رجال الاتحاد والترقي تجري بالمخابرة احيانا ، واحيانا بوساطة الامير فيصل بن الحسين ملك سوريا ثم ملك العراق فيما بعد ذلك . وكانت المكاتبات تدور من الناحية الاخرى مع بريطانيا العظمى لايجاد الحلول الموصلة العرب الى حقهم الاكبر فيما اذا اخفق العرب والترك في الاتفاق .

وقبلت بريطانيا العظمى مساعدة العرب بقيادة شريف مكة ليصلوا الى استقلالهم وتحريرهم من نير الاتراك والالمان في كافة البلاد العربية ، ما عدا الساحل الغربي من ولاية الشام ــ جبل لبنان ــ فقد كان الراي المتقرر في مكة عدم اكراه لبنان على ما لا يرتضيه ، وان له الحرية التامة في ان يسعى لنفسه الى ما يشتهيه . وما لبنان في البلاد العربية الا عون لها مع اية صبغة يكتسبها .

ويدل التحديد المتقدم على ان ساحل حلب والساحل الفلسطيني

معترف بهما للناحية العربية ، واستثنت بريطانيا الامارات العربية التي لها صلات عهدية مع حكومة الهند ، وهي امارة آل سعود في نجد ، وامارة الكويت ، وامارة البحرين ، وسلطنة مسقط وعمان ، وسلطان حضرموت ، ولحج ، ومستعمرة عدن والنواحي الست التي على حدها .

ولم يستثن من الحركة العربية اي بلد سوى ما ذكر ، فاليمن وعسير وامارة حائل في عهد ابن رشيد ، والعراق كله وسوريا ، هذه تعهدت بريطانيا العظمى ان لا تعقد اي صلح مع تركيا والمانيا قبل ان يتم تحريرها .

وعلى هذا بنيت الثورة العربية لايجاد دولة عربية واحدة يراسها ملك واحد وترمي الى هدف واحد . وكانت الامة حينذاك مستكملة الشروط الضامنة لقيامها على قدمها ، اذ كانت لها متصرفية فلسطين ، وولاية بيروت ، وولاية حلب ، وولاية سوريا ، وولاية بغداد والموصل ، وولاية البصرة ، وولاية الحجاز .. تلك المجموعة من الولايات الغنية بشبابها ورجالها من ملكيين اداريين وعدليين ومن قضاة شرعيين وأمراء عسكريين من أعلى الرتب الى اصغرها . وكانت الجيوش العثمانية العربية مركز احدها دمشق ومركز الثاني بغداد ، وكان في الحجاز الرجال الذين حملوا عبء هذه المسؤولية العظمى متكلين على الله وعلى الاخلاص والامانة في الامة وعلى الوفاء من حليفتهم بريطانيا .

وما ان القت الحرب اوزارها حتى عاد اناس من العرب ، كانوا يخدمون الاتراك بالاتفاق مع حزب الاتحاد والترقي ، واختلطوا برجال الثورة العربية في هذه الانحاء واختطفوا منهم زمام التوجيه فعملوا على استقلال سوريا والعراق ، وكان عهد سايكس بيكو ، وجاءت الانتدابات على موجبه فكافحوها واوجدوا الميثاق القومي ، الذي نص على حدود سوريا من اولها الى آخرها ، ميثاقا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . ثم جاءت الضربة الفرنسية وأخرج الملك فيصل ونكست الاعلام فتخبطت سوريا بعد ان اضاعت مركزها العالي الرفيع ، وتقسمت كما هو معروف الى سوريا ولبنان الخاضعين

للانتداب الفرنسي ، وفلسطين وشرقي الاردن الخاضعين للانتداب البريطاني ، وجاء التحديد الحاضر بين اجزاء هذا البلد الواحد على هذه الكيفية ولهذا السبب ولقيام الانتدابين .

وبعد ذلك كانت الحركة الوهابية الاخيرة التي ادت الى خروج العائلة الهاشمية من الحجاز ، بعد جهاد وجلاد أدى فيه البيت حقه لبلاده المقدسة ، وحرص على ان لا تصبح الامة العربية متحيرة لا راس لها يجمع كل اجزائها ، ليتابع مسؤولياته في الاحتفاظ بحقوقها. ومن المعلوم ان بريطانيا العظمى كانت متعهدة بأن لا تسمح لأي واحدة من الامارات والسلطنات العربية التي لها صلات عهد بحكومة الهند في ان تعرقل مساعي الثورة العربية او تقف معاكسة لها ، حتى تتمم واجباتها القومية . وقد اوقفت الحكومة البريطانية اعتداءات الوهابيين على المملكة الهاشمية في الحجاز اكثر من مرة ، واخيرا في مؤتمر الكويت ، ولما لم يوصل الى اتفاق حينذاك ، كان ما كان مما حصل فسقط الحجاز ، وبسقوطه اصبحت القضية العربية منقسمة الى قضايا مشتتة بين يمن ونجد وعراق وامارة وجمهوريات في سوريا وبلاد منتدب عليها في فلسطين .

نلقي هذه الالماعة بين ايديكم ليتبين انه من الخسران العظيم على الامة العربية ان تظل التجزئة فيها تحت استقلالات واهنة تجعل كل جزء من هذه الاجزاء غير قادر فعلا واقتصادا على حفظ كيانه ، ان لم يعد بمجموعه الى كيان واحد ، واضعين امام الامة هذه الحقائق خشية فوات الوقت ومخافة العمل على دوام هذا الشكل بهذه الاسماء التي لا تلبث ان تعصف بها اعاصير السياسة فيأتي الندم حين لا ينفع الندم . واي خسران على رجال الثورة افدح من ان يروا ان عملهم الانفصالي لم تكن له نتيجة سوى تجزؤات ، وان الامة لم تظفر بما كانت ترمي اليه من مجد موحد وحق تاريخي .

وعليه ، وبعد هذا البيان الموجز فيما يتعلق بمبادىء الثورة ونشأتها ومراميها ، نرى ان ايجاد هذه الدويلات في الشام ، من حدود مصر الى العراق الى تركيا هو تقسيم ضار بمصلحة العرب ، وانه

هو التحديد الذي أقامه سلطان الانتدابيين ، وانه هو الذي كافحه الوطن ووقف في وجهه . فإن قبلنا هذا التقسيم وأقررناه فكأننا رضخنا لما كانت الامة رفضته ، وستكون حجتنا واهية واهنة ازاء مطامع اليهود وانصارهم ان طلبوا مثل ذلك في فلسطين .

من هذا كله يتبين ان البلاد العربية التي لا تزال في يد ورثاء الثورة من رجال البيت الهاشمي واشياعه هم العراق وشرقي الاردن ، وان عليهما واجبات وتبعات من المقتضى ان ينظروا اليها بحقيقتها والاعتراف بها بالنظر الى الحقائق الآتية وهي :

أ ـ الاقرار بان سياسة اعلان استقلال سوريا والعراق عند انتهاء الحرب السابقة ، وفصلهما عن الحجاز قبل ان يتم الصلح بين تركيا واعدائها ، وقبل ان تتنازل الحكومة التركية عن حقوقها في هذه البلاد لهذه الامة ، كان من اكبر الاخطاء .

ب ـ الاعتراف بان استقلال سوريا والعراق وانفصالهما عن الثورة العربية والملك الواحد ، الذي جر الانتدابات على هذه البلدان .

ج ـ الاعتراف بان اقرار التغيير في البيت المالك للحجاز هو ازالة الرئاسة الواحدة للبلاد الواحدة ، وان كل هذا ليس في مصلحة الامة العربية باجمعها .

وعليه فخلاصة ما واقع الآن من دعوة الى وحدة ، امر لا يعرف منشؤه والغاية منه ، الا ان هنالك مساعي خفية يجب البحث عنها والعثور عليها . فمسألة ايجاد وحدة عربية او اتحاد عربي مسألة موهومة خطيرة . ففلسطين لا تزال محل اصرار لتحقيق آمال اليهود فيها ، وانها لا تزال تحكم حكما مباشرا من انكلترا . وسوريا ولبنان وان كان يقال انهما قد استقلا استقلالا ذا سيادة ، وان لديهما وزراء مفوضين من دول كبرى ، فانه مع هذا يقال عنهما انهما لم يزل عنهما الانتداب الفرنسي بشكل كامل . وهذه نقاط ارتكاز ان دلت على شيء فعلى التشكيك . وكذلك فان شرقي الاردن الموعودة بالوصول الى مصاف اخواتها مرجأ امر تحقيق ما طلبت الى

ما بعد الحرب ، وما تزال مقيدة الحرية .

ثم انا على جهل تام من درجة تحقيق اماني الوحدة او الاتحاد وما يملكه رئيس وزراء مصر من وعود سرية يعلمها هو من لدن انكلترا وامريكا الى أي حد هي . فاذا وقع اي اشكال بين الدول الغالبة التي لها من الحرب السابقة يد قوية على البلاد العربية ، فهل سيسمح للمؤتمرين ان ينفذوا ما سيقررونه ام لا !

ولذلك فمن واجب بغداد وعمان السعي للسير على سياسة هاشمية موحدة مع صرف المساعي للقضاء على من يريد اخراج القضية العربية عن مبادىء النهضة الاولى ، وبالاخص في القطر السوري . كما ان من واجب بغداد وعمان لفت نظر النحاس باشا الى ان يطلب باسم المؤتمر من الحكومة العربية السعوديةايجاد ادارة دستورية وحكومة مسؤولة بالحجاز قائمة على هذا الاساس ، لتأمين الرقي واستكمال اسباب الدفاع ، حتى تتمكن الحكومة هناك من اكتساب ثقة العالم الاسلامي .

وكذلك فان من واجب الساعين للاتحاد او الوحدة ، اظهار الرغبة في ان تحوز المملكة اليمنية شيئا من الاصلاح العصري ، مع شكر جلالة الامام على انه احتفظ بهذه القطعة المباركة بشكلها الحاضر سالمة نقية ، وانه ينبغي تدريبها لكي تستعد لتنظيم خطاها فيما بعد مع اخواتها . ولذلك ولئلا يقع اي فشل في هذا الجهد ، فمن الممكن عقد اتفاقات ترمي الى وحدة عسكرية في نظامها ، ووحدة مالية من حيث النقد وقيمته ، ووحدة ثقافية ووحدة اشتراعية في غير الحجاز ، ثم ايجاد عهد دفاعي لدرء اي خطر قد يقع على أي قسم من هذه الاقسام ، وان تتم هذه في سنين معينة . ومع هذا فلا ينبغي منع هذه الاقسام من ان تنضم متحدة او موحدة كلها او بعضها متى شاءت وفي اي لحظة ارادت .

وانه ينبغي وحدة العمل ، وبناء وحدة عقيدة يدافع عنها الجميع اثناء الخروج من الحرب الحاضرة الى حالة السلم ، وما يمكن ان ينجم من وراء هذا من اضرار تلحق بالبعض او الكل ، مع الدعوات الطيبة وتمنيات الخير للشعوب العربية وملوكها وزعمائها الكرام

شؤون الوحدة

كانت مساعي المتنورين في سوريا في عهد الدستور العثماني طلب ادارة لامركزية . وقد جعل دعاتهم مركز دعايتهم في أوروبا باريس وفي الشرق مصر . ونظرا للضغط التركي فقد كان العطف على هذه الدعوة في كل بلد عربي مرئيا ظاهرا . ولما نشبت الحرب العالمية الاولى ، كانت الدعوة الى اللامركزية من عداد الاسس التي قامت عليها الثورة العربية .

ولما تبين ان الحركة العربية ثابتة ، جاء سايكس وبيكو الى جدة ومعهما اخي فيصل ، فكان ما تذاكروا فيه ــ مما خفي علي الى الآن ــ غير ما كتب الي الوالد عنه وانا بوادي العيص اذ قال : « حضروا فأبدوا لنا ما ارادوا فأجبناهم بما الهمنا الله وقد عادوا وعاد اخوك » .

فمنذ ذلك الحين والجيش الشمالي العربي بقيادة فيصل ، كان ينال كل مساعدة وتأييد من الانكليز والفرنسيين ، بينما باقي جيوش الثورة في الحجاز كان لا ينالها من المطر الا الرشاش . وتبين ان هذه الجهود كانت تنصرف لايجاد قوة تسند جيش اللنبي من يمينه ، كما تبين ان المحادثة كانت لايجاد سوريا مستقلة عن الحجاز ، وعراق مستقل عن الحجاز أيضا .

وبعد ان جلت الجيوش العثمانية عن بلاد الشام الى ما وراء حلب ، ظهر عيانا أن سفر الامير فيصل الى اوروبا باسم رئيس الهيئة العربية في مؤتمر الصلح كانت حقيقته ان يعمل رحمه الله بين لندن وباريس للاتفاق على ايجاد مملكة سورية مستقلة عن الحجاز . وان الامر لظاهر ، فان في انزال الراية العربية عن بيروت في اول أيام الهزائم التركية ما يشير الى صحة ما ذهبنا اليه .

الامة العربية

فهذه السياسة هي التي مزقت وحدة العرب وملك العرب . فلما تم ذلك وكانت البلاد ترغب شيئا ، والذين يريدون الرئاسة والحكم يعجزون عن الحصول على ذلك الشيء وهو استقلال البلاد الحقيقي ، جاء التبلبل والتردد مع عدم الاستعداد ، وعملت العصابات ما أشير اليها .

ثم لما وقعت الواقعة دخلت فرنسا وفر المترئسون ، وهكذا سقطت سوريا وجاء الرجال الذين تراسوها تحت إمرة المفوضين السامين الفرنسيين من رؤساء الحكومة ورؤساء الجمهوريات الىأن حلت الحرب الاخيرة . فهزمت فرنسا واستسلمت ، وجاءت حكومة فيشي وسيطرت ، وجاءت ، اللجان الالمانية الايطالية ، واضطرت انكلترا الى التدخل لسلامة نفسها قبل كل اعتبار ، فأدخلت معها ديفول ومن معه ، فكان للانكليز فرنسا وللالمان فرنسا اخرى . أما العرب فأخذوا ينتظرون مصيرهم مستسلمين ، ولقد كان ما خفنا ان يكون .

وبعد ان تم اخراج فرنسا الفيشية ، قيل ان ميدان الحرب ابتعد عن الشرق الاوسط وان لا مانع من اعادة الحياة الدستورية الى سوريا ولبنان مع الاعتراف باستقلالهما . وقد جرى ذلك بضمانة بريطانيا كما هو معروف .

وكانت الانتخابات وجاء البرلمان السوري وجاءت الجمهورية الحاضرة . ثم حصل ما حصل بين هذه الجمهورية وفرنسا ، وتدخلت انكلترا لتأمين الامن فكبلت ايدي الفرنسيين وارخت الحبل بيد الحكومة السورية ، على ان يكون في لندن مؤتمر لحل المشكلة .

فلسطين

اما فلسطين فلا تزال تتخبط تحت شهوات أحزابها . فالعرب في تأخر واليهود كل يوم يستزيدون ارضا يملكونها . ولقد أدهشني ما رأيت بينما انا في طريقي من جنين الى اللد . من مستعمرات اليهود . فالساحل كله من حيفا الى يافا أصبح في أيديهم ، وقد عمروا تلك الرمال واستخرجوا مياهها وأحيوا مواتها وجعلوها جنات عدن والجأوا العرب الى الجبال القاحلة . ولا تزال الاحزاب العربية تناضل عن الشخصيات الذين على أيديهم خربت البلاد ، بعد ان كان لمساعي هؤلاء التأثير الكبير في سقوط الدولة الهاشمية في الحجاز . لأن الدفاع السلبي غير المتقن الذي اتبعه جلالته تحت تضييقهم قد ادى الى سقوط الحجاز . وفي كل هذه الامور العبر .

الجامعة العربية

أما الجامعة العربية ومركزها بمصر ، فهو أمر خطير للغاية : اسم كبير ، ودعاية عريضة طويلة ، واجتماع ممثلين ليس لهم من الاتصال بالرغائب القومية وسيلة من الوسائل ، وكل دولة من دول الجامعة مرتبطة بدول اجنبية كبيرة لا تمكنها من التصرف خارج الالتزامات المتعهدة بها ، والامم العربية وملوكها في منعزل عن ذلك ! . .

وفيما يلي ما كنا اوصينا به توفيق باشا أبو الهدى ثم سمير باشا الرفاعي لدى سفرهما الى مصر للمشاورة في مسألة الوحدة العربية .

١ ـ قد أطلعكم فخامة نوري باشا على ما يجب مما كان أساسا للمذاكرة بين الرئيسين المصري والعراقي بصدد الوحدة .

٢ ـ ان ما اطلعنا عليه مما جرى بين رفعته وفخامته هو غاية ما يمكن ضمن تلك الدائرة .

٣ ـ شرقي الاردن يؤيد هذه المساعي المحمودة بكل تصميم .

٤ ـ عني المرحوم الملك حسين بن علي بالبلاد العربية ، تلك البلاد التي تحدها من الغرب الحدود المصرية والبحران الابيض والاحمر ، ومن الشمال الولايات التركية ، ومن الشرق الحدود الايرانية مستثنية الامارات والسلطنات التي لها صلات عهدية بحكومة الهند .

٥ ـ لقد جاء في التحفظات البريطانية ذكر الساحل الغربي من بلاد الشام كمرسين وأضنة ، وقد رضي المرحوم باعتبار مرسين واضنة ليستا بعربيتين محضا .

٦ ـ وبما أن البلاد الفلسطينية والسورية ، ساحلا وداخلا ، كانت الهدف من الثورة ، فهي التي ينبغي اذن الخروج منها بوحدة شاملة او باتحاد تعاهدي . فبالمعنى الاول جعل المجموع حكومة واحدة بصبغة واحدة وفق ما جاء في قرار المؤتمر السوري في ٢ تموز ١٩١٩ والمبلغ للدول ذات العلاقة يومئذ من لدن الحكومة الفيصلية، وبالمعنى الثاني اتحاد تعاهدي يبقي الحكومات الاقليمية كما هي

ويضمها في امور تتعين لربط أجزائها بعضها ببعض تحت رئاسة واحدة .

٧ ــ ان الاتحاد المعمول به اليوم والمرتكز على مصر والعراق لا يكون محكما قبل ان تتحد البلاد الشامية (سوريا الكبرى) او ان توحد ، واذا بقيت هذه البلاد منقوصة السيادة تحت انتدابات اجنبية او تشتت محلي ، فأمر تمشيها مع مصر والعراق يكون من الضعف وعدم التماسك بصورة تجعلها تعجز عن القيام بما يجب عليها في هذا المضمار .

٨ ــ من المعتقد ان بريطانيا العظمى والامم المتحدة على اثر عهد الاطلنطي وبنتيجة ما اثبتته الحرب الحاضرة ، لا بد وان تكون قد عزمت هي ومن معها على تصحيح غلطات الحرب السابقة وعلى بناء الديمقراطية بناء صحيحا يجعل الامم الشرقية في منزلة الاستقلال والشرف القومي والاستعداد ، واصلة الى الكفاءة الجديرة بالاعتماد عليها لحفظ السلام العام على طول الساحل الشمالي لافريقيا والساحل الغربي لفلسطين وسوريا . ولذلك فالمعتقد ان امر الوحدة متى عولج بطريقة صحيحة متساندة من العراق ومصر ، بعد الاصرار الكلي على وحدة سوريا او اتحادها ، سوف لا يجعل هناك مصاعب يواجهها العاملون على الاتحاد العربي ازاء انكلترا او اميركا . اما الانتداب الفرنسي ، فموقف فرنسا الحاضر هو بنفسه يقرر ان قيام فرنسا بعبء كهذا مرة اخرى ليس من الممكنات ، وان عرب سوريا الكبرى مصممون على وصولهم الى حقوقهم في بلادهم ، وتلك الحقوق هي الاستقلال والوحدة والاتحاد ، وان هذه النتيجة ضرورة حيوية عسكرية للعراق ولتركيا ولمصر في آن واحد .

٩ ــ اما القضية الفلسطينية فقد اعلنت بريطانيا العظمى سياستها فيها في الكتاب الابيض الذي لم تنقضه الى اليوم ، وليس بد من ادخال فلسطين في الاتحاد او الوحدة ، وان هذا الادخال لا يتنافى مع اي حل كان قد قدم من أية لجنة بريطانية او فدت لهذا ، او من اي مؤتمر عربي قدم اقتراحاته في هذا الصدد . ومن الممكن الاعتماد على قرارات مؤتمر لندن بهذا الشأن او على مقررات المؤتمر

البرلماني العربي الذي عقد بمصر .

١٠ ـ واما لبنان فلا مانع من جعل الخيار له في الوحدة او الاتحاد مع كل هذه البلاد العربية ، واحتفاظه بما يريد من شكل وكيفية ، على أن مسألة لبنان الكبير هي من جملة الحقوق السورية التي لا ينبغي اغفالها ، واما السودان فكما هو معروف مصري بريطاني . واما شمالي افريقيا فمن المستحسن التوسل للتفاهم مع جلالة سلطان مراكش ومع عظمة باي تونس . اما ليبيا وطرابلس فأمرهما حتى يحين الحين ، وان الامل في ان يكون لليبيا كيان عربي فمشكوك فيه . واما مصر فمع كون اسمها مصر ، فهي من امهات البلاد العربية وهي الكنانة ، وهي التي لها من الصلات القديمة والروابط القومية ما لا يمكن التبرؤ منه والعياذ بالله. فالبلاد العربية ترحب بالاتحاد بهذا القطر العزيز بكل قواها ، وتشيد بذكر الساعين اليه وعلى الاخص زعيمها المحترم .

ان امير شرقي الاردن يؤيد بكل جهده مساعي مصر والعراق ويصر على ان على مصر والعراق السعي لوحدة سوريا او اتحادها قبل أي اتحاد عربي آخر . فلتكن مذاكرات فخامتكم مع رفعته على هذا الاساس ، واننا نثيركم بهذه التعليمات ونترك مسألة ما يمكن ان يتجدد من ابحاث الى فطنتكم ورويتكم المعروفتين .

رغدان في ٢٣ شعبان ١٣٦٣
الموافق ٢٤ آب ١٩٤٣ (عبد الله)

توجيهات الى رئيس الوزراء سمير باشا الرفاعي

هذه تعليمات لفخامتكم فيما يتعلق بمهمتكم في مؤتمر وزراء الخارجية العرب بمصر :

١ ـ اقرئوا السلام دولة ماهر باشا والنقراشي باشا وليعلما انني محتفظ لدولته ولمعاليه بأرق شعور المودة واحاسيس الاخوة.

٢ ـ أقدر تمام التقدير الشعور العام العربي بخصوص الوحدة العربية ، وقد نظرت باهتمام الى البروتوكول الذي هيأه مؤتمر الاسكندرية . ومن المعلوم ان الوحدة العربية اذا حصلت تكون الاساس المتين للعرب في آسيا وافريقيا وفي البلاد الاسلامية كتركيا

وايران والافغان . ان هذه الوحدة متى اقترنت بالحرية والسيادة والعسكرية غير المقيدة كانت خير عون للديمقراطيات في كل موقف وفي كل ازمة ، واذا قلنا الديمقراطيات فنحن نعني بها اي دولة قديمة ديمقراطية لها اغلبيةكبرىمن التبعة المسلمين،تلك الحكومات التي مشت مع التاريخ الاسلامي من القرن المسيحي السابع الى اليوم .

٣ ـ من المعلوم ان النهضة العربية عند نجومها ، كانت البلاد العربية موحدة بمجموعها بالنظر لسلطة السلطان العثماني ، وليست هناك حواجز جمركية او موانع تتعلق بجوازات السفر ، وقد كانت وحدة تعليمية .

٤ ـ انه لما جاء الدستور العثماني وتسلطت فرقة الاتحاد والترقي على الدولة العثمانية ومشت نحو تتريك العناصر واخراجها عن صبغتها القومية وعدم الاعتداد بمرامي الشريعة السمحة المحمدية ، والثورات في اليمن وعسير ، والمطالبة في سوريا بادارة لا مركزية ، كل هذه الدوافع ساقت العرب الى الرغبة في الانفصال عن هذا الجسم العتيق الواهي ، وكانت النهضة وهي الحركة العربية الثانية التي تلت حركة محمد علي باشا والي مصر الذي وصل بجيوشه الى قونيا لهذا الغرض نفسه .

٥ ـ فان كانت الحركة الاولى جرت الى حيازة مصر العزيزة ما حازته من تخلص من تلك اليد ، فان الحركة الاخيرة العربية ادت الى النتيجة نفسها في البلاد ، ولم يكن يتصور ان هذه الحركة تجر الى تفتت وتفريق يقع على اثر انتهاء الحرب العظمى السابقة ذلك التفرق الذي تسعون جميعا اليوم لجمعه .

٦ ـ ومن هذا يفهم ان الامر دقيق وخطير ، ولكن نعتقد بحسن النيه في الجميع . فالبيت الهاشمي الذي تزعم هذه الحركة التي لها صلة غير منفكة بتاريخ محمد علي باشا الكبير وبتاريخ الشريف محمد ابن عون صديق ورفيق محمد علي باشا ، يضع نصب عيون اعتباركم مسؤولياتها في تحقيق مراميها . ونلفت الانظار الى حالة التقسيمات الحاضرة لتنظروا اليها بعين حقيقتها .

وليست البلاد العربية اليوم حرة بعيدة عن الايدي والانظار التي لها مقاصدها الكبرى اليوم غير ما كانت عليه قبل عصر المطامع في الغاز والمعابر الى البحار الكبرى يجعل هذا الشرق في دقة ورقة مخيفتين . فاذا نظرنا الى ما لمصر من ادارة وتشكيلات وما للعراق كذلك من وحدة وتهيئة لا نرى هذا في الحجاز ونجد ولا في سوريا بأجمعها ، وان لمصر من المعلومات والاخبار عن حالة الامة الحجازية ما يغنينا عن الشرح ، ولديها ايضا من الاخبار والمعلومات عما للقضية الصهيونية والانتداب الفرنسي بسوريا ما يغنينا عن الاشارة الى ذلك . وان لكل بلد من المجموعة الافريقية وآسيا من المسائل المعلقة غيرالمحلولة ما يلفت النظر . والوقت ليس بوقت تشكيك ، بل هو وقت ائتلاف وتضامن نزيه يوجب الاعتراف بما هنا وهناك من ادواء قومية واجنبية واجبة الاصلاح .

لذلك تتقدمون الى المؤتمر وانتم على علم من هذا لنقله الى رئاسة الوزارة ووزارة الخارجية بمصر ، وان الاعتقاد في ان مصر تقف موقف الاخ المحايد الجامع الناس للخير ، وهذه فكرة العراق الشقيق ، والسلام عليكم . (عبد الله)

رغدان : ٢٩ صفر ١٣٦٤ ــ ١٢ شباط ١٩٤٥

سوريا

اليس من العجيب ان ترفض سوريا كل انتداب على اثر انتهاء الحرب العظمى الاولى ، وتعلن وحدتها وتختار ملكها وتصر على مبدئها وتقاتل عنه ، فتهاجم فيقضى عليها وتدار امورها مدة ما بين الحربين بأيد اجنبية وبوحي اجنبي ، فتثور ثورتها المعروفة وتجاهد جهادها القويم ، ثم تأتي اليوم تخالف ذلك المبدأ فترضى بالتجزئة وتسعى لابقاء الحالة الراهنة كما هي ، ضاربة بالشعور الماضي عرض الحائط تاركة ميثاقها القومي ؟ تالله ان هذا لامر عجيب !..

ولشد ما ارقني التفكير في امر هذا الجزء العزيز الحساس من الوطن العربي .. فسوريا في اعتقادي هي سوريا الصحيحة ، سوريا الكبرى ، ديار الشام المعروفة في التاريخ .. وليست سوريا التي تعارف ناس اليوم عليها بمثل ما خطط لها المستعمر وجعلها هذا

الجزء من سوريا ـ جزءها الشمالي فقط !..

ولذلك اطلقت النداءات ، واتصلت بالهيئات الرسمية وبالهيئات الوطنية ، في سبيل اصلاح خطأ تاريخي كتبه الاجنبي بيده ، وما زال السوريون بمعناهم الاصيل الشامل ، راضخين له معترفين به مستسلمين للفرقة فيه .

وهذا بلاغ للناس .. الى الشعب السوري والعالم العربي .. اطلقته لوجه الوطن ولوجه الله والتاريخ :

بيان الى اهل الشام

يا اهل الشام : حاضرة وبادية ومن خليج العقبة الى البحر الابيض المتوسط الى اعالي الفرات .

لقد علم الناس جميعا ان العرب لم يكونوا في نهضتهم المثلى وثورتهم الكبرى دعاة فتنة او طماعية ، بل دعاة حق وحرية وسيادة قومية ، آمنوا بحقهم في الحياة الحرة ، فامتشقوا الحسام ذيادا عن منهج العروبة والاسلام ، وجعل اولو الراي منهم مخطط بلادهم من جزيرة العرب الى اقصى بلاد الشام والعراق هدف الثورة التحررية ومحط الاماني القومية، مؤمنين بأمجادهم وميراث آبائهم واجدادهم، وبما وعد به الحلفاء ، وفي مقدمتهم بريطانيا العظمى ، من تأييد حقهم واحترام ارادتهم ودعم استقلالهم . وقد انتهت الحرب السابقة ، وللعرب حق جلي كتب بدم الشهداء ، تحت اعلام البطولة والوفاء .

ولقد اكبر ساسة الحلفاء وقوادهم اثر الثورة في نتائج الحرب ، فأثنوا على قيادتها الثناء المستطاب . وكان من نتائج هذا ان استقلت المملكة العراقية واستقل الحجاز الشريف ونجد وكذلك اليمن ، ولم يبق على وضع ممزق وشمل مفرق سوى الديار الشامية، تفكر بجمع شملها وراب صدعها وتحقيق مثلها وتجهر ابدا انها ـ بحدودها الطبيعية ـ وطن واحد، تجمعه الوحدة القومية والجغرافية والتاريخية ؛ ويرويه الفرات والعاصي والاردن شرابا سائغا لـذة لأبنائه ونزلائه . وانه اذا كان تباين المصالح الخارجية قد افضى الى تجزئتها وتمزيق وحدتها ، فان مبادىء العدل الدولي وحق الحياة الطبيعي ، وما وعد به السوريون خاصة ، والعرب عامة ، ليحول دون

تجزئة البيت الواحد والارض الواحدة والاسرة الواحدة .

يا اهل الشام : حاضرة وبادية ومن خليج العقبة الى البحر الابيض المتوسط الى اعالي الفرات .

اما الدعوة الى اتحاد الاقطار العربية هي اليوم قول فصل فان من طلب هذه الدعوة المباركة ان تجهر بوجوب اتحاد الاقاليم السورية وان يرد الامر في ذلك الى ارادة الامة المعلنة منذ الحرب الماضية والى مصالحها الحيوية وحقوقها الطبيعية والشرعية .

ها نحن اولاء نذود بالطرق السياسية ولما يبدو من بوارق الرجاء في وعود الحلفاء بحكم جهادنا الماضي وقيامنا الحاضر على امر سوريا الجنوبية عن ارادتكم المعلنة في قرار المؤتمر السوري العام يوم ٨ آذار عام ١٩٢٠ وعما حمل هذا القرار التاريخي ورسائل مكماهون بيتنا الهاشمي من امانة .

لا جرم ان ميثاق الامة العربية السورية هو منذ البدء ميثاقنا ودعوتها الى اتحاد شامل هي منذ البدء دعوتنا ، واذا آلت بنا الظروف العارضة الى التريث في جزء من اجزاء سوريا الكبرى ، فانا لعاملون اليوم في ضوء ميثاق الديمقراطية الجديد ، معززا بالوعود السابقة واللاحقة ، على تنفيذ الارادة القومية في امر اتحادنا مع الاجزاء السورية الاخرى ، مؤمنين بحق بلادنا وتأييد قومنا ، مترسمين في كل ذلك اثر تاريخنا وجهادنا واضواء دموعنا ودمائنا ، غير ناسين صداقة حلفائنا وما لبريطانيا العظمى من أثر بارز في تأييد القضية العربية ، مقدرين مع الشكر ما اعلنه مندوب الفرنسيين الاحرار عام أول ، عملا بالتقاليد الفرنسية المجيدة من انتهاء الانتداب عن سوريا ولبنان ، واعلان استقلالهما وسيادتهما بضمانة الحكومة البريطانية واعتراف دول اخرى .

يا أهل الشام : حاضرة وبادية ومن خليج العقبة الى البحر الابيض المتوسط الى اعالي الفرات .

لقد لبت مصر الشقيقة نداء المبادىء التي اعلنتها الثورة العربية الكبرى ، داعية بلسان رفعة رئيس وزرائها الى عقد مؤتمر عربي رسمي ، يذلل الصعاب ويهيء الاقتراب ، فشكرا لمصر الشقيقة

شكرا ، وان العراق الشقيق لمبـادر ، وهو محيط بوجهـة نظرنا الخاصة ، الى المشاركة في هذه الدعوة الرسمية ، وهي الدعوة التي نحبذها ونتوسم ان تؤيد ميثاق اتحاد بلاد الشام ، لتتمكن سوريا الكبرى من وقوف امثل الى جانب اتحاد عربي عام .

الا واننا لداعون في الوقت نفسه جملة اهل الحل والعقد في بلاد الشام الى مشروع وحدة او اتحاد سوري شامل ، ووطن كامل، يناقشون امره في مؤتمر سوري خاص ، نرحب بعقده في عاصمـة بلادنا عندما يختارون وقته وزمانه ، او يؤيدونه بعد انعام النظر في مراميه هيئات وفئات ؛ زعماء وعلماء .

الا ان الحق ابلج ، وان الامر لجد ، وان المستقبل لمشرئب الى عمل الناطقين بالضاد في استعادة الامجاد ، وتحقيق الاتحاد ، وان لله عبادا اذا ارادوا اراد ، وعليه الاعتماد . وصلى الله على سيـد العرب والعجم وآله وصحبه وسلم .

عمان ٣ ربيع الآخر ١٣٦٢ ـ ٨ نيسان ١٩٤٣ **(عبد الله)**

مذكرة الى الحكومة البريطانية بشان سوريا

ان حتمية الطبيعة وحتمية التاريخ . والوعي لمصلحة الديار الشامية ثم مصلحة البلاد العربية ككل ، هـي التي تؤلف الايمان بضرورة الوحدة السورية . وليس من ينكر حقيقة هذا الوجدان القومي الملموس في شرقي الاردن وفلسطين ـ التي كانت تسمى الى ما قبل الانتداب عليها بسوريا الجنوبية ـ وفي سوريا الصغرى اليوم ، وفي لبنان الذي لا يشذ ، وان كان يجب النظر الى وضعـه الخاص بعين الرعاية والاعتبار .

ولما كان مركز الاقتدار الدولي في هذه المنطقة هو الآن لبريطانيا اولا ولفرنسا ثانيا ، وكان في استطاعة بريطانيا لو تشاء ، ان تساعد على تحقيق هذا المطلب الوطني الصميم الذي لا يمس مصالح الحلفاء بضرر ، والذي هو في الوقت نفسه مبدأ جوهري من مبادىء الوحدة العربية ، فيه رضا العرب الخلص اجمعين . فقد وجهت المذكرة التالية الى الحكومة البريطانية بوساطة المندوب السامي لفلسطين وشرقي الاردن ، ضمنتها اماني سوريا مع بعض مقترحات هامة ،

محاولا اقناع بريطانيا بوجهة النظر الحيوية هذه :

عزيزي فخامة المندوب السامي :

اهنئكم بسلامة الاوبة بعد فترة الاجازة والاستجمام التي قمتم بهما بايران متمنيا لكم السعادة والسرور انى كنتم .

واحب ان اشير الى الوضع المعقد الراهن في الديار الشامية ، رغبة مني في تسهيل الاتصال الاهلي وتعاون الحكومات المدنية لمصلحة الجميع بين المناطق السورية المختلفة ، بعد ان انتهى امر هذه المناطق الى وحدة القيادة العسكرية العامة بيد بريطانية .

ونظرا ، لما لوجهة النظر هذه من صلة بمركز الفرنسيين الاحرار واماني سوريا الوطنية ، ولاستقبالي يوم ١٧ أيار ١٩٤٣ ممثل فرنسا المحاربة ، تلك الفئة المناضلة في سبيل تحرير فرنسا ، استقبالا وديا ، ارجو أن يكون ما ابديه الآن وسيلة حسنة للتقريب بين وجهات النظر المختلفة ، توصلا الى نتائج عملية نافعة ، هي في مصلحة العرب والحلفاء على السواء ، آملا رفع كل هذا الى حكومة جلالته ببريطانيا العظمى عن اسرع وافعل وسائلكم .

تعلمون يا صاحب الفخامة ان جلالة والدي المغفور له الملك حسين ، عندما اعلن الثورة العربية التحريرية وكنت من دعاتها وقوادها ، كانت سوريا بحدودها الطبيعية هدفا اصليا من اهداف تلك الثورة القومية التي اعترف الحلفاء جميعا بأحقيتها ، واعلنوا تأييدهم لها ولمبادئها . وكانت ثقتنا عظيمة بوعود حلفائنا ؛ وقد قام السوريون جميعا بنصيبهم من التضحيات والنضال القومي ، واعلن مؤتمرهم العام الممثل لجميع المناطق السورية استقلال سوريا التام بحدودها الطبيعية في ٨ آذار ١٩٢٠ ، وكان ممثل فرنسا يومئذ (المسيو كوس) قد حضر بالذات اعلان ذلك الاستقلال وهنأ به .

ولكن ما وقع اخيرا من سوء تفاهم اوجده عدم اطمئنان في غير محله من الجانبين العربي والفرنسي ، ادى الى نتائج لم تكن شرعية في نظر العرب ، كما انها لم تكن في مصلحة الجانبين ، لانها انتجت تجزئة البلاد السورية لغير مصلحتها، وافضى ذلك الى عدم الاستقرار وتوالي القلاقل والمتاعب .

وبديهي ان هذا المصير لم يرض سوريا ولا الذين جاهدوا من اجل حرية العرب،كما أنه لم يرض ارباب النظر النافذ من البريطانيين والفرنسيين ، حرصا على استبقاء الثقة وحسن التعاون بين الشرق والغرب . وعدم ارتياح هذه العناصر مجتمعة ، كان هو الامل الذي يدفع سوريا الى المطالبة باستقلالها التام ووحدتها الكاملة،مع مراعاة جميع المصالح ، عملا بميثاقها القومي المعلن في ٨ آذار ١٩٢٠ .

ان امل سوريا بالاستقلال التام والوحدة الكاملة لم يضعف قط ، لانه امل مشروع يستند الى وعود رسمية مقطوعة للعرب ، والى شعور السوريين بحقهم الطبيعي في الحياة الحرة . واذا كانت سياسة بريطانيا العظمى التقليدية ما برحت تستهدف الوحدة العربية الشاملة ، فان سياسة فرنسا التقليدية كانت تلتقي معها دائما في استهداف استقلال سوريا بحدودها الطبيعية . يضاف الى ذلك ، ان مبادىء العدل الدولي وتقاليد الثورة الفرنسية ووعود الحلفاء الرسمية السابقة واللاحقة ، كل ذلك ، كان من بواعث تزايد امل المطالبين عن روية واخلاص بتحقيق الاستقلال مع الوحدة الكاملة لشعب صغير وديع وذي قابليات تمدنية باهرة كالشعب العربي السوري .

ولقد كان من بواعث ذلك الامل ايضا ان الانتداب من درجة (أ) هو بمقتضى المواثيق الدولية وكالة موقتة عن جمعية الامم ، والاصل فيه استقلال البلاد ، مع المساعدة النزيهة لمصلحتها ، الى ان تقف وحدها متمتعة بالاستقلال التام . وقد اعترفت فرنسا في حينه ببلوغ سوريا هذه الدرجة ، عندما دعت سوريا الشمالية الى التعاقد معها عام ١٩٣٦ على هذا الاساس ، اقتداء بما سلكته بريطانيا العظمى في كل من العراق ومصر .

ولا ريب ان موقف الاحرار الفرنسيين بالنسبة لتأييدهم اعلان استقلال سوريا الشمالية بضمانة الحليفة بريطانيا العظمى ، هو موقف مجيد يتناسب مع التقاليد الفرنسية ؛ وقد اثنينا على عملهم في بلاغنا المذاع اخيرا على قومنا ، لان عملهم جاء مؤيداً للاماني العربية وارادة الشعب السوري ووعود الحلفاء ؛ وهو جدير بالشكر ،

لا سيما وقد زالت القانونية للانتدابات بزوال جمعية الامم . ولا ريب ان العرب عامة والسوريين خاصة ، ينظرون الى المصالح الفرنسية التي لا تتعارض واستقلال بلادهم بعين الصيانة والتقدير الصحيح دائما . وما ورد في بلاغنا المذاع اخيرا على قومنا استنادا الى تصريح وزير الخارجية البريطانية الاخير بشأن الوحدة العربية ، والى الوعود الاخرى المقطوعة للعرب والى الاماني السورية الوطنية ، ولما اعلن في سوريا نفسها ، من قبل الفرنسيين الاحرار بموافقة حكومة صاحب الجلالة البريطانية ، قد جاء مؤكدا للصداقة العربية ــ البريطانية ــ الفرنسية .

ولذلك شككنا عندما انبئنا ان السلطات في سوريا الشمالية ولبنان قد صادرت بياننا ومنعت نشره في الصحف المحلية وتعقبت فعلا من وجد لديه ، لا سيما بعد ان كان موقفنا في هذه الحرب موقف المساعدة الفعلية في الساحة السورية ، كما ان رغبتنا دائما كانت هي الحرص على مصالح حلفائنا واصدقائنا حرصنا على حقوقنا ومصالحنا ، واننا نرى من صالح الجميع ان يكون هذا الشعور الاكيد متقابلا .

ان المسألة السورية ليست عويصة الحل، طالما النوايا الحسنة متوفرة لدى الجميع . وحبذا اقتناع ذوي الشأن جميعا بأن عقد معاهدة تضمن المصالح البريطانية ــ الفرنسية والمصالح الاخرى ، على اساس الوحدة السورية الكاملة والاستقلال التام وفق الميثاق القومي السوري المعلن في ٨ آذار ١٩٢٠ ، لا يتعارض مع اية مصلحة من المصالح البريطانية او الفرنسية . بل حبذا الاقتناع بأن تقدير الاماني الوطنية تقديرا تنفيذيا هو التدبير الحكيم الذي يعيد الثقة الى نفس الامة العربية السورية جميعا ، ويضمن التعاون الحقيقي والاستقرار الدائم .

ان الخطوة العملية الاولى في الاعراب عن الاستعداد لتنفيذ خطة نافعة للجميع كهذه تستلزم :

١ ــ اصدار تصريح رسمي مشترك بتاييد استقلال سوريا بحدودها الطبيعية او تاييد اتحاد حكوماتها الوطنية الشرعية

اتحادا مركزيا مــع التحفظـات اللازمــة لضمان المصالــح البريطانية الفرنسية التي لا تتعارض مع استقلال البــلاد التام ووحدتها او اتحادها . ان تصريحا كهذا يصح ان يعتبر نتيجة طبيعية لوضع البلاد الراهن وليس من فرصة مواتية لاصلاح اخطــاء الماضي المتعبة وارضاء امانــي السوريــين المشروعة بوحدة بلادهم دون اجحاف بحقوق احد كالفرصة السانحة في الوقت الحاضر .

٢ ــ ان يقوم تعاون فعلي منذ الآن بين حكومــات المناطق السورية الشمالية والجنوبية يضمن حرية السفر والاتصال وحرية الراي والتبادل، فلا تتعامل هذه المناطق كبلاد اجنبية مختلفة لما بينها من مصالح حيوية مشتركــة وصلات قوميــة وجغرافية وتاريخية ابدية .

٣ ــ ان يكون لنا معتمد او بعثة قنصلية في سوريا ولبنان منذ الآن ، وان نتشاور مع سلطاتهما المسؤولة في التدابــير العامة المشتركــة ذات الاهميــة توثيقــا للتعــاون الواجب والصداقة الضرورية في هذه الظروف الدقيقة .

٤ ــ ان يعتبر نظام الدولة السورية الموحدة او الحكومات السورية المتحدة مسالة سورية محضة تقررها الحكومــات القائمة في الاقاليم السورية والشعب السوري نفسه بحرية تامــــة .

هذه مقترحات اولية املتها المصلحة المشتركة العامة ، رجاء ان تطلع عليها المراجع البريطانية العليا وان تؤول قريبا الى محادثات ومفاوضات رسمية منتجة .

منتهزا هذه الفرصة لتكرار الاعراب عن شعور الصداقــة لشخصكم الكريم وتأكيد التمنيات الحسنة لبريطانيا العظمى صديقة العرب والديمقراطيات المتحالفة في سبيل حقوق الامم وسلام العالم .

عمان : ١٨ أيار ١٩٤٣ (عبد الله)

ملحق
بالمذكرة السابقة

عزيزي فخامة المندوب السامي :

استلمت جوابكم المؤرخ في ٢٢ ايار ١٩٤٣ وسررت لما تضمن من شعور نبيل ، مقدراً وشاكرا اهتمام فخامتكم بعرض ملاحظاتي ومقترحاتي على حكومة صاحب الجلالة البريطانية في اقرب فرصة، آملا ان يجد ما املته الصداقة الاكيدة والمصلحة المشتركة صداه المرتجى في بريطانيا العظمى . ونظرا لما ورد في كتابي السابق من اشارة موجزة الى تدابير المنع التي اتخذت ازاء البيان الذي اذعناه على قومنا بصدد الوحدة العربية والقضية السورية العامة ، بحيث قد حال ذلك دون وصول آرائنا وافكارنا المخلصة وغير المجحفة بحقوق احد الى اسماع قومنا في البلاد المجاورة الصديقة فاني تجلية لهذه الجهة من الموضوع اضيف على ملاحظاتي السابقة الايضاح الآتي ، رجاء اعتبار ما سأبديه الآن ملحقا بمذكرتي تاريخ ١٨ ايار ١٩٤٣ .

ان البيان العام الذي اذعناه على قومنا في ٨ نيسان ١٩٤٣ قد تضمن شكر الحلفاء وفئة الاحرار الفرنسية ، لانتهاجهم سياسة الوحدة العربية والاستقلال السوري ، مع تحبيذ ما دعت اليه الحكومة المصرية من عقد مؤتمر عربي رسمي يتداول امر الوحدة . وقد وجهنا نظر قومنا لهذه المناسبة الى الميثاق السوري المعلن في ٨ آذار ١٩٢٠ من قبل المؤتمر السوري العام الممثل لسوريا بحدودها الطبيعية ، والى وجوب التشاور بشأن الوحدة السورية العامة ــ اي وحدة سوريا بحدودها الطبيعية ــ على اعتبار ان امرا كهذا هو من صلب الوحدة العربية التي اعلن الحلفاء ارتياحهم الى تحقيقها من قبل العرب انفسهم ، وعلى اعتبار انه اذا جاز لسوريا الشمالية ان تتحد والعراق او مصر مثلا ، كان من حقها الذي لا ريب فيه ، ان تتحد واجزاء سوريا الجنوبية لانها منها واليها ، ولان الساسة الذين يعرفون مرامي القضية العربية يدركون جميعا انه ليس من منطق الدعوة الى الوحدة العربية اغلاق الباب على السوريين ان لا يتحدوا في وطنهم الخاص ، لا سيما اذا كانت الحكومات السورية الشرعية نفسها والشعب السوري نفسه يرون مصلحتهم المشتركة

في وحدة بلادهم .

ولقد لفت نظرنا بعد ذلك ان السلطات المسؤولة في سوريا الشمالية وفلسطين ومصر ، لم تسمح لمحطاتها وصحفها باذاعة بلاغنا او نشره ، مع العلم انه ليس في دعوتنا ما يناقض سياسة الوحدة العربية او ينافي ما جهر به رئيس وزراء بريطانيا العظمى ، او وزير خارجيتها ، او اعلنته فئة الاحرار الفرنسية ، او دعا اليه رئيس الوزارة المصرية .

لذلك ونظرا لثقتنا بحلفائنا وبأنهم لا يضمرون مقاومة شعور العرب القومي وحرية رايهم السياسي المؤتلف مع الحقوق الطبيعية والتصريحات الرسمية ، ولاعتقادنا بحسن مقاصد الحكومة المصرية في دعوتها الى عقد مؤتمر عربي رسمي ينظر في امر الوحدة العربية ، كل ذلك لما يوجب علينا بحكم مهمتنا القومية والرسمية ، ان نرجو الاحاطة والاطلاع على اسباب المنع الواقع ، لنكون على بينة من ظروف ذلك المنع . لا سيما ونحن على ثقة ان دعوتنا المخلصة قد جاءت مؤيدة لدعوة رفعة مصطفى النحاس باشا رئيس الوزارة المصرية في الوقت المناسب، وانها كانت ولا تزال جديرة بعطف وتأييد حكومة صاحب الجلالة البريطانية ، وهذا ما يجعلنا نرجو الآن بالاضافة الى رجاء تسهيل دعوتنا المشروعة من قبل حكومة صاحب الجلالة البريطانية ، ان تتكرم حكومة جلالته ايضا بالوساطة الودية لدى الحكومة المصرية والسلطات المسؤولة في سوريا ، رجاء تعديل موقفهما بهذا الشأن ، وايضاح وجهة نظرهما عن اسباب وظروف المنع الواقع ؛ وعما اذا كان كل منهما يعتبر الدعوة من قبل احدى الحكومات السورية الاقليمية المستقلة كحكومة شرقي الاردن ، الى مناقشة مشروع وحدة او اتحاد سوري عام بالطرق المشروعة ، امرا مناقضا لمبدأ الوحدة العربية الذي ترى حكومة جلالة الملك ان العمل لتحقيقه منوط بتبصر العرب انفسهم .

ولهذه المناسبة ارجو ان تحاط حكومة جلالته علما بانه ليس بصفتنا ورثاء حقوق الثورة العربية والامناء على مبادئها القومية فحسب ، بل بما لنا من صفة رئيس دولة سورية اقليمية مستقلة

ايضا ، نتعشم ان يكون رأينا محمولا على منتهى حسن النية وعلى المصلحة المشتركة ، عندما نرى ان الوحدة السورية العامة هي مبدأ جوهري من مبادىء الوحدة العربية ، ومطلب قومي اساسي يتعلق بمصالح سوريا نفسها ، وكذلك عندما نرى انه من حق السوريين انفسهم ، ما داموا متمتعين بحقوق السيادة القومية ، ومن حق الحكومات السورية الاقليمية المستقلة كحكومة شرقي الاردن ان تجهر بهذا المبدأ ، وان تدعو اليه بجميع الطرق المشروعة دون ان يقام في سبيل دعوتها اية عقبة من قبل الحكومات الحليفة او الصديقة .

اما اذا كان الغرض من هذا المنع ارضاء جهة معينة ، فان مصلحة العرب السوريين في مثل هذه الحال ، تتطلب ان تكون هي الراجحة لدى المناضلين في سبيل الحرية وحقوق الامم الصغيرة والكبيرة ، لان قضية الوحدة السورية العامة هي قضية امة تطالب بحق طبيعي وشرعي . ونحن على ثقة ان الحكومات الصديقة جميعا ستقتنع معنا ، عندما تعيد النظر في موقفها ، بأنه ليس من المصلحة المشتركة ، او المبادىء الديمقراطية المعلنة ، او مقتضيات الوعود الرسمية المقطوعة للعرب عامة ، والسوريين خاصة ، ان تقاوم دعوة نزيهة كهذه لاي اعتبار خاص ، ما دام مرد الدعوة الى حقوق السيادة السورية ومصالح سوريا الحيوية المشتركة وارادة السوريين انفسهم ، دون أي مساس بمصالح الحلفاء .

واني في انتظار الردود المرجوة على هذه الملاحظات المخلصة من الحكومات الصديقة المشار اليها ، اشكر لحكومة جلالة الملك وساطتها المرجوة ايضا لما هي في سبيله من توثيق صلات الود والتعاون ، وحسن العلائق بين المناضلين ، جنبا لجنب في سبيل تحقيق المثل العليا للمبادىء الديمقراطية السامية .

مقدما لفخامتكم محبتي واخلص تمنياتي عزيزي ..

عمان : ٣١ أيار ١٩٤٣ **(عبد الله)**

وكان الاتصال بالهيئات الوطنية والمجاهدين القدماء والزعماء

السياسيين في سوريا لتوحيد الجبهة القومية ، فكتبت الى دولة فارس بك الخوري الرسالة التالية :

رسالة الى فارس بك الخوري

عزيزي فارس بك :

جزى الله الاسباب خيرا ، ولا بأس أن انا كتبت اليك مبتدئا في ما اراه من الواجب الوطني ، ولم اتأخر عن هذا الى الآن الا لعدم حصول التعارف الشخصي بيننا . وقد ظفر بهذا الكتاب الصديق الذي تعرفه ، فسلامي عليك وشكراً له .

الموقف السوري اليوم هو موقف قومي وليس بموقف شخصي ، وهو مع هذا يخص المجموعة السورية دون غيرها . والمجموعة السورية هي فلسطين وشرقي الاردن ، ولبنان وسوريا . فاذا لا سمح الله تغلبت الاثرة وحب الجاه على التضحية الشخصية من اجل البلاد ، فالعفا على كل مسعى والى أجل بعيد . وهنا يجب علي ان ابدي حزني لعقيدة البعض في انني اسعى من اجل نفسي ، وهذا ليس بصحيح ، وانه ليعلم هذه الحقيقة مني امثالكم .

الموقف اليوم موقف تسجيل ثم قبول . وعدت فرنسا الحرة البلاد باستقلالها وسيادتها ، وجعلت خيارها في يدها ، والغت الانتداب ، واشارت الى ان الموقف سيبقى هكذا حتى تنتهي الاجراءات المقتضية للوصول الى المرحلة الاخيرة من هذا الوعد ، وانه الى حين ذلك ستكون فرنسا الحرة مع سوريا ولبنان كند لند ، وحليف مع حليف ، على ان تربط علائق فرنسا وسوريا بمعاهدة خاصة ، وقد كفلت هذا بريطانيا العظمى .

انه عند اعلان هذا قالت شرقي الاردن كلمتها ورغبتها في الانضمام الى سوريا او ضم سوريا اليها . وقد اجزت هذا الطلب لاساس سلامة الوطن ووحدته ، وانا لا ادري عن الشكل في المستقبل يتكيف بصفة جمهورية او ملكية ، وهذه مني تضحية .

وعليه فعلى سوريا اليوم ان تثبت انها في الكفاءة والندادة كفرنسا الحرة ، تفهم الواقع وتقبله وتطالب في تحقيقه واعلانه . والمتبادر الى الذهن وجوب ايجاد مجلس تأسيسي يعمل على اتمام

الفرض ، فاذا كان البرلمان الحاضر ، تعتقد الامة انه سيقوم بالغاء الدستور السابق الذي جعل الدولة خاضعة لانتداب فرنسا وانه سيقوم بايجاد دستور جديد لدولة مستقلة ذات سيادة لا يخضع لانتداب ، وان يجعل شكل الدولة وفق مرامي الامة وتقاليدها السابقة ، فلا مانع من اجتماعه في محل ما بسوريا ، وتبليغ امانيه الى المفوض السامي ، مع التأكيد لفخامته بأنه سيعمل بحرية المجلس المستقل للدولة المستقلة ذات السيادة ، الشاكر لفرنسا الحرة الغاء الانتداب والوعد بالاستقلال ، وانه سيعمل على ربط علاقات البلاد بفرنسا ضمن اطار شرف الطرفين .

هذا الذي اراه ، وامثالكم من الرجال يعرفون من اين تؤكل الكتف . وفقنا الله جميعا لخدمة اوطاننا والوصول بها الى ساحل السلامة عزيزي .

(عبد الله)

جواب
فارس بك الخوري

سيدي صاحب السمو الامير المعظم .

اتشرف بأن ارفع الى مقام الامير السامي وجانب التعظيم والاجلال واسجل عندي له يدا ما كان ليمن بها الا عميد الفضل وسليل الكرامة والنبل ؛ فقد تلطف سيدي بالسبق الى العطف ، والتحلي بالنبالة واللطف ، وهو الذي جمع القلوب على حبه ، وتمزى بالحمد في قومه وصحبه ، فله مني الشكر الجزيل ، وعرفان الجميل .

اما بعد فانني اشكر لسيدي صاحب السمو تفضله بالنصائح القيمة التي ابداها في كتابه الطلي ، مدفوعا بحبه الصميم لهذا الوطن المهضومة حقوقه ، والمحال بينه وبين امانيه العادلة ؛ وأخلق بالامير الجليل ان يكون شديد الغيرة على عروبته ، كثير الحرص على انتشال ابناء قومه من الوهدة التي ما زالوا يعانون ضيقها، ويتألمون بمآزقها، وهو المعروف بجهاده الدائم في هذا السبيل المبرور ، وبتضحياته الغالية حيال التغلب والعدوان .

اعلن البريطانيون والفرنسيون الاحرار انهم يلغون الانتداب

المفروض على سوريا ويمنحونها استقلالها حالما يتم لهم احتلال البلاد كلها ، واخلاؤها من خصومهم . وها قد تم ذلك ، ولم يبق امامهم ما يعوق تنفيذ هذا الوعد الذي ما زالت الامة تطالب به وتنتظره منذ قمتم بحركتكم المباركة سنة ١٩١٦ ، فأخذوا منذ ايام يشاوروننا بالامر لنتفق معهم على الاسلوب الصالح لممارسة الاستقلال ، فقلنا لهم ان الدستور السوري ــ ما عدا المادة الاخيرة منه ــ يحتوي جميع عناصر الاستقلال ، وقد عطله المفوض الاسبق، وحل مجلس النواب منذ تموز سنة ١٩٣٩ ؛ وعمد الى الحكم المباشر ، غير عابىء بحقوق الشعب وبالاستياء العام من هذا العمل الجائر المحظور عليه اتيانه ، حتى بنفس صك الانتداب .

وبما ان المادة الاخيرة من الدستور قد الحقت به يوم نشره سنة ١٩٣٠ بمثابة تحفظات يعمل بها ما دام الانتداب قائما ، فهي اليوم تسقط حتما بسقوط الانتداب ، ويبقى الدستور سليما من قيود الاستقلال . فما عليهم الا ان يعيدوا هذا الدستور الى النفوذ بقرار واحد ، يبطلون به قرار التعطيل ، وعندها يعود رئيس الجمهورية الى مقامه ، وان ابى ينتخب غيره ويؤلف وزارة قومية تمارس الاستقلال ، وتعمل ضمن اطار الدستور ، وتدعو الشعب الى انتخاب نوابه بالحرية التامة ؛ فيقوم مجلس النواب عند الاقتضاء بتعديل الدستور ، وبسائر الامور الداخلة في اختصاصه ، وتعرض عليه المعاهدة التي قد تتفق عليها الوزارة مع الدولة الحليفة لاجل تصديقها . وهذه الوزارة الحاصلة على الثقة من البرلمان تسعى بالطرق السياسية مع الاقطار الاخرى التي تؤلف المجموعة السورية، لاجل توحيدها او اتحادها ، فيكون لنا حكومة شعبية دستورية مشتقة من الشعب ، ومعتمدة على تأييده . واذا استصعبوا اجراء الانتخاب لايجاد مجلس نواب جديد بسبب حالة الحرب ، فلهم ان يسمحوا للمجلس السابق بالانعقاد وفاقا لاحكام المادة ٧٧ من الدستور الناصة على انه اذا انقضت اربعة اشهر على حل مجلس النواب ولم يجتمع المجلس الجديد ، فالمجلس المنحل يجتمع حكما ، ويقوم بنيابته الى ان ينتخب المجلس الجديد .

وهكذا تتألف دولة سورية بكيان سياسي دستوري ديمقراطي؛ وعندها تستطيع ان تعدل الدستور الحالي او تضع دستورا جديدا بعد اتفاقها مع المناطق الاخرى من المجموعة السورية ، تبدل فيه شكل الحكم اذا وجدت ذلك اوفق لمصلحة البلاد والاحتفاظ بتقاليدها . لا ريب ان المخلصين كافة في هذه البلاد يعرفون مناقبكم اهل البيت ، وانفرادكم بين امراء العرب بالتضحيات الثمينة لخدمة العرب ، ويعقدون الامل المحبوب على مثابرتكم في هذه الخطة النبيلة التي اصبحت مثلكم الاعلى وشعاركم الاسمى .

وتلحظون مما تقدم اننا نرمي في اقتراحنا هذا لرجال السلطة الى انشاء وضعية شرعية قانونية تبقى بنجوة عن اعتراض المعترضين. فاذا لجأنا الى طريقة التعيين لمناصب قوتي الاجراء والاشتراع ، نفقد قوة التمثيل الشعبي وتضيع قيمة المقررات والعقود التي يتخذها المنصوبون نصبا لهذه الآمال الخطيرة ، فلا يستقيم امر الدولة امام الناقدين في داخل البلاد وخارجها . فاذا حظيت آراؤنا هذه بالقبول لدى سيدي صاحب السمو لا يعدم الوسيلة الناجعة لدعمها عند المراجع ذات القدرة على وضع الامور في مواضعها ، ورد الاحكام الى نصابها .

واما وجود من يعتقد ان السيد الامير يسعى لنفسه، فلا تخلو الارض من الاغبياء وسيئي الظنون ، ولكن سيدي الشريف يأخذ بالعفو ويأمر بالمعروف ويعرض عن الجاهلين .

ويجدر بي ان اشير هنا الى ان وجود الانتداب كان من اهم العوامل لاختيار الشكل الجمهوري يوم وضع الدستور سنة ١٩٢٨ لان الواضعين ارادوا ان يربأوا بعرش سوريا وينزهوه عن الوجود تحت سلطة اجنبية ؛ اما الآن وقد صحت عزيمة اولي الامر على الغاء الانتداب ومنح الاستقلال ، فلم يعد مانع من اعادة النظر بالموضوع واختيار الحكم الملكي الذي ارجو له النجاح بما له من المزايا العالية في هذا القطر ، وله بيننا كثيرون من المناصرين الاوفياء .

واما ما يحذوه سيدي الامير من تغلب الاثرة وحب الجاه على التضحية الشخصية ، فأستطيع ان اؤكد ان رفقائي بالرأي المسرود

آنفا يشاطرون سموكم خلوص النية ، وتوطين النفس على التضحية البريئة وراء الهدف الاعلى الذي تسعون اليه ؛ وكل الذين اطلعتهم على كتابكم المحكم اكبروا ما فيه من سمو المرمى ونبل السجية ودعوا معي لسموكم بالتوفيق في رعاية المولى عز وجل ، لتبلغوا ساحل السلامة سفينة الوطن التائهة ؛ وفقكم الله وايانا الى انتهاج سبل السداد في ما يرضاه لنا من الخير ويسبغه علينا من الرحمة .

(فارس الخوري)

رد على رد

عزيزي فارس بك

سبحان الله فانه يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا . وجزى الله الوسيط فقد قادني الى من له محل الرضى لدى كل من يعمل لخير بلاده في سوريا .

اما جوابكم فجواب حول قلب ، رمى فأصاب ونادى ليجاب ، وانعم بك واجمل بتطوافك بالكتاب السابق على من شكر ودعا بالتوفيق وذكر . وملاحظاتكم فقد حلت لدينا محل الاعتبار ، ولدينا من يريد دعم كتابكم الكريم بجواب على كتابنا هذا اليكم يحوي ما يدل على رضى الرهط اجمعين .

ولقد اطلعتم على البيان المذاع بعد مقابلة وزير الدولة البريطاني لرئيس الوزراء هنا وبعد مقابلتهما لنا ، وانني لاشعر بأن رأس العقدة اصبح في اليد والامر بيد العرب فقد تأكدت ذلك . واني نظرت في موقفي فرايت انه لا يسعني الا ان اكون للكل ، اسمع الراي فأسعى لجمع امر الناس على خير مستقبلهم .

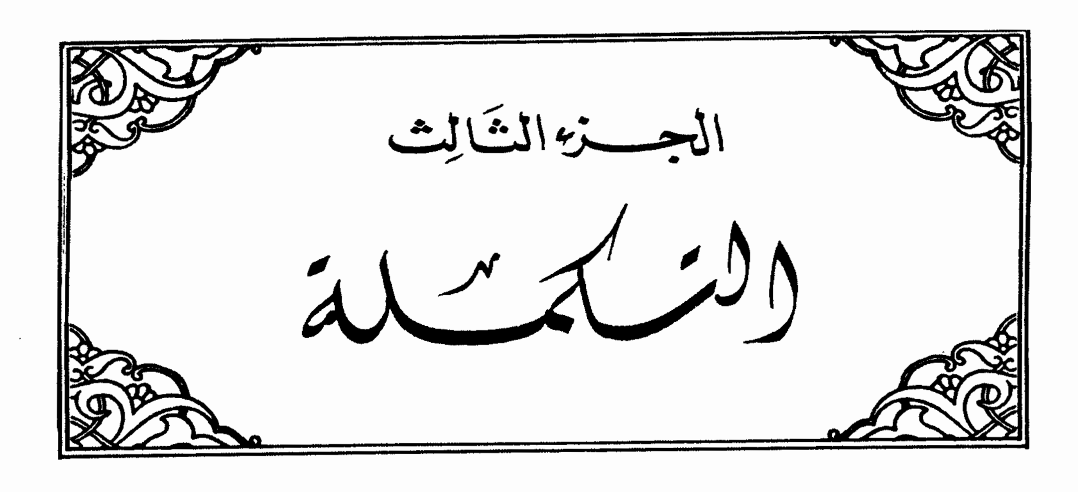
وكخطوة اولى ارى ان تتفق الاحزاب في هذا الخصوص وان يجمعوا على ما سيتقدمون به الى الجهات المعلومة هناك وهنا ، ثم يعرض ذلك على ما يبقى من المجموعة السورية ــ الاردن وفلسطين ولبنان ــ كي يجري الامر ويصدر عن رغبة فعلية غير متجزئة . اما شرقي الاردن فتعلمون انها قد خطت الخطوة الاولى غير وجلة ولا هيابة ، وقد كان لخطوتها اثرها لدى الجانب الاهم .

ويا حبذا لو رأيتكم او من تعتمدون ، كي اتمكن من ان اسمع

فأصفي فأحيط فأجيب . وانني جاعل نفسي قربان القضية العربية والقطر السوري المجموع ، راضيا بذلك كل الرضى . وانني اعتقد ان ما رأيته في كتابكم عن اصحابكم هو حقيقة لا مرية فيها ، تلزمني نسيان ما قبلها وتلزمكم الضمانة على الجهتين ، واني أقرئهم السلام جميعا عزيزي .

(عبد الله)




الجزء الثالث
التكملة

الأمة العربية كجسم بلا رأس

او كجسم له رؤوس كثيرة

فأما الجسم ألذي بلا رأس فهو

حائر لا يهتدي

واما الجسم الذي له رؤوس كثيرة

فهو حائر لا يدري ايها يتبع

عبد الله بن الحسين

الفصل الأول

الأمة العربية

المقدمة

لا ينبغي لعاقل ان يكتب شيئا لا يعرفه ولا يعيه ، ولا ان يتكلم في ما لا يعنيه . فكتاب المذكرات الذي امليته على كاتبي الخاص هو سوانح لزمن مضى ، كنت اسعى فيه الى خير امتي بقلمي ولساني وسناني جهد المستطاع ، ولي في ذلك مرام ، اولها القومية والسمو بها الى مرتبة الاستقلال الشعبي ؛ وثانيهما المحافظة على الصبغة التي بها يسود العرب وبغيرها لا يفلحون ؛ وثالثها تصفية العرب من الذين لا يعرفون العرب ولا يحسنون ادارتهم من ارباب المطامع الشخصية والأهواء التحكمية من العرب انفسهم ، فلا اخال العرب في وضعهم الحاضر الا كالرجل المفلوج فلجا عاما ، فهو يشعر ولا يقدر على استعادة حركات أعضائه ، ومع ذلك لا يتألم لأن خدر الفلج جعله ولا الم في أعضائه . وفالج العرب اخلاقهم الحاضرة ، يرضون بالقليل ولا يسعون الى الكثير ، دابهم التقليد وهمهم المتعة والتظاهر بالوطنية الخطابية ، واذا سألت احدهم عن العروبة وتاريخها ، وعن البلاد وحدودها ، وقف حمار الشيخ في العقبة ، وهذا من سوء طالع الأمة ، وعجلة الزمان تسير دون توقف ، والعرب قد سبقهم غيرهم أشواطا غير قصيرة . ولربما يجد القارىء في هذه الجمل قسوة ومرارة ، ويستغرب كيف اني اكتبها وأسجلها ، غير اني لم يدفعني الى هذا القول الا بقية من امل في قومي البائسين ، تلك البقية هي صفة الأنفة الموروثة فيهم ، فاذا عير أحدهم بما يستوجب انفته ويحرك كبرياءه نفض عنه غبار الذل والطمع والجبن والبخل ، وسار الى الأمام محمر الوجه صادق العزيمة ، مشرق الجبين ، وهذا ما ارجو أن اراه فيهم ان شاء الله .

هذا هو اول ما أمليته على كاتبي الخاص غازي بن راجي الذي

اذكره بالرضى لاستيعابه افكاري وحسن اصغائه الي ، مما شجعني على الاسترسال في سرداقوالي دون هوادة او توقف . وكذلك فمن المقتضي ذكر المحب الاعز رالصديق الوفي السيد عبد المنعم الرفاعي وزيرنا المفوض اليوم بطهران والباكستان لليد الجميلة في التبويب ، وفي وضع فصول هذا الكتاب ومراجعته ، ومن المعلوم عني لدى اصدقائي أن نفسي تضيق من مراجعة اي شيء كتبته وفرغت منه ولذلك فهو المفتي بنجاح هذه العملية الشاقة .

وستشتمل مذكراتي هذه على فصول عدة : عن الجامعة العربية وكيف تكونت وكيف يفهمها العرب وما هي في نظر الدول المشكلة منها ، وعن فتنة فلسطين ولمعة من اخبارها ، والقيادة الموحدة ، غير باحثين عن بعض الأسرار التي لا تفيد اذاعتها الا المشاغبين الذين لا يريدون بالعرب خيرا ، وعما لحق بالقضية الفلسطينية من الهيئة العربية العليا ومن حكومات الجامعة . وستتناول هذه المباحث مسألة التدويل للاماكن المقدسة ، ومسألة وحدة الضفتين . وسيكون هنالك فصل مستقل عن السياسة العربية البريطانية ، تلك السياسة التي ان فهمت بحقها ووضعت لها الأسس الحقيقية اللائقة لظفر كل فريق بما ينفعه ويجديه لمستقبل بعيد . كذلك هنالك فصيل يتعلق بمصر وافريقيا الشمالية ، وكلمة نذكرها عن سوريا والاردن ، واسأل الله العون والتوفيق في كل هذا ، وان يكون فيه لأمتي عظة وذكرى .

قال البعض ممن قرأ كتاب المذكرات من رجال الانجليز الذين بيني وبينهم صداقة حقيقية : « انه كتاب مرسل ومنثور غير مرتبط بعضه ببعض وليس بالموضح ولا بالمشير الى ما يجب عمله » .

لقد كتب الكتاب للعرب ، وليكون الشاهد لي عليهم ، وفيه ما بذل من اجلهم من جهاد ونيات طيبة ، وفيه ذكر الخطيئات والتخطيات الى استلام زمام الأمور من غير خبرة او معرفة ، وهنا بيت القصيد ومحل الضعف . وودت لو انني كنت اعرف اللغة الانجليزية حتى اكتب تكملة مذكراتي اجابة لمن رغب في ان اكتب ما يتمم المذكرات ولا يبقي فيها اي نقص مما يدور في خلدي بالنسبة

لانفسهم او لاصدقائهم في الغرب او لمن يريد حشارهم من اعدائهم ، ولكني لا اعرف الانجليزية وهذا امر آسف له بكل الأسف . على اني عربي وانني اشعر بالملكة مني في لساني متى اردت ان اغضب احدا او ارضيه ، مع اني لا اقول الا الحق في الحالتين . اما السبب الذي من اجله تساءل أصحابي البريطانيون عني : لم لم اتمم ما ارادوا ؟ فعلي ان اصرح الآن بأن المانع من ذلك هو المرحلة الزمنية التي لم تصل اليها افكار العرب في الوقت الحاضر ، والدليل على ذلك عدم تحريض احد من العرب اياي — كما تساءل الاصدقاء الانجليز — بل مع الاسف سعى ارباب الاغراض من العرب الى كتم انفاس هذا الكتاب . وعلي ان اتكلم راجيا عفو قومي ان كان في ما سأقول بعض التجريح .

ان العنصر العربي الذي يميل الى الحرية المطلقة هو عنصر لا يطيق الحبس والحصر ، لذلك تجده يألف الصحارى والبراري ويستبسل في الدفاع عن حوزته بنسبة غير متناسبة ، فهو هناك شجاع ، وخطيب ، وهو هناك شاعر وعاشق ، وربما تظلل نهارا بعباءته خوفا من وهج الشمس وابتعاداً عن رمضاء الارض ، وربما غازل بالليل نجوم السماء ان لم يجد عنده من تغازله من لامعات العيون الدعج والشرف الأثيل من بنات جنسه ، واكثر العنصر العربي من هؤلاء ، فعشائر شمر الذين يقطنون الجزيرة وتصل بهم مراعيهم الى حدود الاكراد والاتراك ويمتدون في الجنوب الى جبلي طي ، وكذلك عشائر عنزة وهم أكثر عشائر العرب عددا من بلاد الشام الى بلاد الحجاز ثم عمار الشراة والسراة الى بلاد اليمن ، كل هؤلاء كما اعرف ويعرف الناس في وقوف مخيف من واجبات التعليم حتى يصيروا مستقبلين الزمن بما هم اهل له .

وفي سبيل الفائدة نثبت في ما يلي اسماء العشائر الكبرى وتعدادها التقريبي وقد بقيت هذه القبائل على حالتها في القرون الوسطى . لقد ذكرنا قبيلة شمر فهي تبدأ من جبل سنجار في شمالي العراق وتنتهي في جنوبي حائل — عاصمة امرائهم آل رشيد وقد أبيدت هذه الامارة اخيرا وضمت عنوة الى جلالة الملك عبد

العزيز بن سعود ـ وتقدر نفوس هذه العشيرة بما يقارب الخمسين الف نفس ، ثم تاتي الى جنوبيها وشرقيها عشيرة مطير ـ علوه وبريه ـ (بضم الباء وفتح الراء وسكون الهاء) وهؤلاء الذين نزلوا الارطاوية شرقي جنوبي حائل حسب تعليمات المذهب الوهابي . ثم مطير العلويين وهم بنو عبد الله ويقدر عدد عشيرتهم بعشرين الف نفس ، ومن شرقي هؤلاء تأتي عشيرة هتيم وتصاقب تيماء الى شرقي الحرة ـ حرة المدينة ـ وتقدر نفوس هؤلاء بخمسة عشر الف نفس ، ثم تأتي الى جنوبي هؤلاء عشيرة حرب أهل نجد ـ وهم بين عشيرة عتيبة وشمر وبني عبد الله المذكورين وهتيم ـ ويقدر عدد نفوسهم بعشرين الف نفس وهم بنو سالم ومسروح وبنو علي ، ثم تاتي الى جنوبيهم عشيرة عتيبة وتقدر نفوس هذه العشيرة بأربعين الف نفس ، ثم تأتي بعد ذلك عشائر اصغر نسبة وهم بنو الحارث وسبيع والبقوم ، ثم تأتي عشيرة سبيع اهل الجفرة وهؤلاء الى شرقي الحجاز وجنوبي العارض ، ثم تاتي بعد ذلك عشيرة شهران العريضة وهم اهل جبل واهل سهل ، تقدر نفوسهم بعشرة آلاف نفس ، ثم عشائر قحطان وهم عدد عظيم ربما كانوا قدر عشائر عنزة الى حد الربع الخالي . اما عشائر اليمن اهل القرى والمدن وعشائر الحجاز اهل القرى والمدن من حد المملكة السعودية الى حد الأردن فربما وصلوا في الحجاز الى مليوني شخص ، وفي اليمن بين الثلاثة ملايين والنصف والاربعة تقريبا لا يزالون على حالة اهل القرون الوسطى ، ولا ننسى عشيرة عنزة وهم ولد سليمان وولد علي وهم عشائر رحل يعدون ثمانية آلاف نفس . واما امارة الكويت وعشائرها وامارات الخليج الفارسي واهل المحميات على الساحل العربي المحيط الهندي فأولئك لهم مركزهم المعروف وصلاتهم بحكومة الهند البريطانية سابقا ووزارة المستعمرات في الوقت الحاضر على ما نظن ، فان هؤلاء ايضا ربما كانوا يناهزون المليون ونصف مليون انسان .

هذه خلاصة عن العنصر العربي ، وهو العنصر الاساسي ، والعنصر المقعد كما قلنا ، ولم نر آي اهتمام في العراق ولا في سوريا

بانزال العشائر واقطاعهم وحملهم على الحضارة والاشتراك في خدمة اوطانهم ودينهم ، ونخشى ان يكون سبب ذلك ان حكام العصر الحاضر يودون ان يروا الجهالة في البادية حتى يكون هناك متحكم ومتحكم به . . . وهذا داء العرب .

اما سكان المدن فهم لفيف من الذين يتكلمون العربية منذ ظهور نجم العرب في الزمن الغابر ، ومن عرب حقيقيين انسلخوا عن المشاعر الصافية العربية فتحيرت نفوسهم وتوقفت مشاعرهم واصبحوا هم ايضا يسعون الى النفع الذاتي والأثرة الشخصية ، غير جادين في شق الطريق لانفسهم ولقوميتهم في طلب العلم الحقيقي والثراء المغني ، ثم بذل ما يملكون من وسائل واموال طائلة لاستعادة العزة والمجد . وانني لا اكون منصفا ان أنا انكرت من كان منهم في اميركا ممن هاجر من لبنان ومن بيت لحم وبيت جالا ورام الله ، فانهم والحق يقال رفعوا منار العرب في الدنيا الجديدة ، دنيا الجهاد الشخصي والعمل الفردي الذي لا ينكر حرية الانسان وتفاضل البشر بعضهم على بعض فان اولئك اهل للمدح وامل للمستقبل ، من أجل ما تقدم كنت حبست نفسي عما أشار اليه أولئك الأصدقاء في شكل أديب رقيق من النقد البريطاني المعروف .

على ان العرب في الحواضر اصبحت تتداخل فيهم شتى الثقافات ، واصبحت نسبة التعليم في المدن العربية متفاوتة ، واتجه النشء الى الدراسة في جامعات وكليات مختلفة متفرقة غير متجانسة ، فاختلفت بهذا افكار المتعلمين وتضاربت آراؤهم وتعددت ثقافاتهم . ونحن نرى في وحدة التعليم والتربية والثقافة ضرورة لازمة كالتي نراها في وحدة الامة واقطارها ، كما ينبغي العمل الحثيث على رفع المستوى العلمي في الحجاز ونجد واليمن الى مرتبة امم العصر الحاضر ، والاسلام لا يضيق عن التوسع في هذا المضمار . وكذلك ينبغي لمصر أن تتحرر فيها الأخلاق من التردي وان تصلح فيها سوية الملكية بين الملاك والشعب البائس الفقير ، وان واجب العرب قاطبة ان يبرهنوا للعالم ان لهم مقامهم وكيانهم بين الأمم وان يقفوا اليوم الى جانب الديمقراطيات في الجدال الحاضر

بين الشيوعية المخيفة وبين الديمقراطية المالوفة ، ويؤخروا المشاكل القائمة بينهم وبين الديمقراطيات الى زمن تكون فيه السلامة مرجوة اكثر من وقتنا هذا الذي يملأ القلوب خوفا بالنسبة لمصير العالم بأجمعه .

العرب الحاكم والمحكوم

كانت العرب في جاهليتها ليس لها اي شكل حكومي ، اللهم الا ما كان في اليمن اذ كان به بعض ما يشبه نظام الحكومات حينذاك . وكذلك في جنوبي الشام مملكة غسان تحت اشراف قيصر الروم . وفي العراق مملكة المناذرة تحت اشراف دولة فارس . وبمكة المكرمة وعند قريش ما يشابه الجمهوريات ، اذ كانت دار الندوة محلا لتدبير امورهم في امنهم الداخلي والقيام بواجبات الحج ومحافظة الامن اثناءه . وان كانت العرب لا تقتتل داخل حدود الحرم ولا تتشاجر . فكانت ادارة البلاد (بلاد الحج) اكثر نظاما من اي بلد آخر ، حيث النظام ثابت والقرار غير متبدل في الادارة . وقد جاء الاسلام بنور من الله وهديه فأضاء الارجاء وثبت اساس الحق وبينه ، ووضع اساس لا حكم الا لله ، ولا عمل الا بالكتاب والسنة ، ولا سلطان غالب على الناس . وبهذا جمع شتات العرب واخضعهم للقانون الالهي والنظام الاسلامي ، ووطد اركان دولتهم وجعلهم قابلين للقيام بما فرض عليهم ، من اعمال دينية واخرى دنيوية ، تصلح بها الاخلاق ، وتستقيم بها معاملة الناس مع رواج في التجارة، وحسن اتقان في الصناعة والسعي لنشر هذا النور الديني والنظام المدني في العالم كله . فالعرب امة جبلت على الحرية المطلقة ، وان شئت فسمها الحرية البدوية القائمة على اساس قيام الشخص بما يحبه لنفسه ولا يقيده بغيره . وجاء الاسلام فقيده بعقائده ونظامه ، وربطه بأمامه وهيأه لخدمة البشرية في ثقافة روحية مبنية على شريعة مصدقة لما قبلها من الشرائع السماوية ، ومتممة لنواقصها ، ومهيمنة عليها ، فالمؤمن مصدق بالتوراة والانجيل ، وبصحف ابراهيم ، وبما جاء بخبره القرآن انه نزل على المرسلين المذكورة اسماؤهم فيه ، فهو خلاصة للاديان السماوية والجامع

عنهم الاغلال التي كانت على السابقين ، والإصر الذي كان عليهم . لذلك فالعرب اليوم في سبات يقتضي ان يستيقظوا منه ، وان يرجعوا الى ما اخرجوا من اجله ؛ فالديمقراطية المرغوب فيها اليوم في الامم الغربية والتي يقلدها فيها المسلمون ، هي بكمالاتها وحسنها موجودة في الاسلام ، متوفرة فيه ، ولكن ما ذنب الاسلام اذا جهله اهل الاسلام وتركوه ؟ وغير هذا فان ما يبشر به الشيوعي الفقير والمحروم موجود بحذافيره في الاسلام ، في فريضة الزكاة ، في الصدقة المفروضة ، في الحق الذي في مال الغني للسائل والمحروم ، في كفارة الدم بتحرير الرقبة قبل الدية ، فأي ديمقراطية احسن من هذه ؟ واي شيوعية تفرض هذا الفرض على الغني للفقير دون اجحاف وظلم للغني باسم الفقير ؟ وبكل اسف فالفقراء في الاسلام كثيرون ، لان الزكاة معطلة والصدقة غير معمول بها ، وحق السائل والمحروم منكور غير معروف .

اما الشيوعية فعلى ما يبلغ الاسماع فان اثمها اكبر من نفعها ، فالفقير محروم من كل شيء ، حتى من انسانيته وقد أخذت منه حريته ؛ وهو مربوط يعلف كالسوائم والبهائم ، هذا ما يبلغنا . وان العالم ليتدرج على ما نراه الى حد سيوقف محالة الحياة – اي بكرة الحياة – عن السير حيث التأميم المخيف في الديمقراطية الاشتراكية ، وهو ايضا من الامور التي تحبس طموح الشخص العبقري وجهاده ، واذا كان هذا كما ذكر فمن من الناس يا ترى الذي يفني قواه العقلية لمصلحة تضيع بين طيات الاشتراكية التأميمية ، او الشيوعية العالمية ؟ يصبح الانسان كالأعجف من حصانين يجران عربة ، فالقوي منهما يسحب حمله وثقل رفيقه . وانا نرى ان الصبح قد اسفر لذي عينين ، وان العرب من واجبهم مد اليد الى بعضهم البعض والتفاهم على ما تركوه من النور المبين والعمل على ايجاد جامعة مع اخوانهم المسلمين في سائر الارض ليكونوا قوة تخدم السلام وتبقى على الايمان والأمان .

الجامعة العربية نشؤها وتطورها

الجامعة العربية صوت فاه به نوري باشا السعيد وتلقفه

مصطفى النحاس باشا وايده مستر انتوني ايدن ، فهو جراب ادخلت فيه سبعة رؤوس ـ اليمن والعراق والشام ولبنان ومصر وشرقي الأردن ـ بسرعة عجيبة في وقت كانت فيه سوريا ولبنان تحت الانتداب الافرنسي ، وشرقي الاردن تحت الانتداب البريطاني ، والعراق ومصر تحت المعاهدتين الساريتين الى الآن ، فالدول العربية كانت حينذاك في قيود انتدابية وعهدية ، ما عدا اليمن ونجدا فانهما كانتا حرتين . وفي هذا يتجلى للامة العربية التسابق العجيب بين دولها السبع ، تسابق بين مقيد ومطلق ، اما قيد احتلال واما قيد عهد واما قيد جهالة ، وفي نظر الدول نفسها نعم الحجاب الساتر لما يريدون كتمه ، ونعم التمدح غير المجدي بما يريدون اذاعته . وظن الغريب الراضي عن هذه الجامعة انها ستكون خير اداة لدوام الانتدابات ودوام الأحكام العهدية ، واني تارك لغيري تفسير هذه الظنون .

اما نوري باشا السعيد فهدالذي واكب الثورة العربية الكبرى وهي في مهدها الى ان وصلت الى مراحلها الأخيرة ، ثم كان في الشام مع الملك فيصل حتى سقوط الشام ، ثم هو عضو فعال في المؤتمر العراقي يوم اعلان استقلال سوريا ، انه هو الوزير المعروف .

واما النحاس باشا فكأنه علم في راسه نار ، ويؤسفنا انا وقفنا واياه موقفا متباينا يوم وحدة ضفتي الأردن . والنحاس باشا زعيم في مصر وقليل في معلوماته بالنسبة لدول العرب ، لان الجدال بين الوفد وبين الاحزاب الاخرى صرفه عما سوى مصر ، وعذره واضح ، وما صادف من عناد وتيارات مختلفة في مصر اضعف من اعصابه ، فظن ان ما يناله في مصر الفينة بعد الفينة سيناله في بلاد العرب ، وعلى كل حال فمصر مصر وبلاد العرب بلاد العرب والنحاس هنالك ليس بالنحاس هنا .

واما كاتم اسرار الجامعة العربية عزام باشا ، فعزام باشا مجاهد عثماني ، ومجاهد طرابلسي ليبي وكاتم اسرار الجامعة العربية ، وفي الوقت نفسه مصري الجنسية وهو ممن لا يتاخر عن

تحطيم اي شيء يعترضه في سبيل سلامة مصر ولو كان ابنه ، وهذا واجب على كل رجل يفضل سلامة نفسه ووطنه ، وكما قال الحديث (ابدأ بنفسك ثم بأخيك) ، وعلى اي حال فلا بأس من بلوغ نتيجة طيبة اذا اجتمع رؤساء العرب وتذاكروا في المسائل العربية ، واستعانوا بمواهبهم على تذليل ما يصعب عليهم ، وهذه طريقة نظن انها منجية .

على أن مايلفت النظر دعوة الجامعة فجأة وارتجالا ومن غير سابق درس الى مواضيع ترسل بها رؤوس اقلام فيجتمع وزراء الدول العربية لشيء لم يقتلوه درسا وتمحيصا ، مثال هذا الضمان الجماعي ، فنحن نرى ان هذا الضمان لا يكون نافعا الا بافتاء رؤساء اركان حرب هذه الدول بعد اطلاعهم على مبلغ قوات كل دولة واستطاعتها في الضمان والوقوف التام على مبلغ طاقتها المالية وقواها العسكرية وما لديها من اعتدة احتياطية حتى يقول احدهم استطيع ان اضمن او يقول الآخر انت لا تستطيع الضمان .

هذه ملحوظات يجب ان توضع نصب عيون وزراء خارجية الدول العربية ووزراء الدفاع فيها .

اما انا بوصفي رئيس دولة الأردن ومليكها فلا اتضامن الا مع مصر والعراق ، فيخيل الي مثلا ان حاجة اليمن الى الضمان لا تكون الا في مسائل داخلية ، وقد تحقق ذلك عندما وقع الاعتداء الشائن على الامام يحيى رحمه الله ونصرت الاردن الامام الحاضر فانتصر ، واما الضمان الخارجي فلا عدو قوي لليمن اليوم ، اذ الحبشة دولة مسالمة ، ومصر دولة من دول الجامعة ، والعربية السعودية دولة من دول الجامعة ايضا . وخلاف بريطانيا مع اليمن خلاف لا يحتاج الا الى تفهم وانهاء ، وما يقال عن اليمن يقال عن العربية السعودية . وقد تحقق من حركات فلسطين ان اليمن لم تكن مستطيعة ارسال قوة الى فلسطين ، وكذلك المملكة العربية السعودية فما بعثت من عشائر كانت عبارة عن قوى منضمة الى القوى المصرية ولم يصدر باسمها بلاغ واحد في الحركات الحربية حينذاك وهما على حالتهما حتى الساعة فكيف يكون التضامن اذن؟

واما التضامن مع العراق ومصر فعلى الشروط الآنفة الذكر من وقوف وتمحيص في الاستطاعة المالية والعسكرية وفي الطرق والامكانيات ، وان لا يترك احد الثلاثة صاحبيه الآخرين كما وقع من مصر يوم الهدنة في رودس .

كل هذه القضايا يجب ان تكون نصب العيون المتضامنة . واما الشام ولبنان فبعد الاستقرار وتصفية الجيش السوري وايجاد الجيش اللبناني يفكر حينذاك في امكان التضامن معهما .



اجتماع القمة السعودي - العراقي - الاردني



روساء حكومات الدول العربية عند توقيع
ميثاق جامعة الدول العربية في ٢٢/٣/١٩٤٥



صاحب الجلالة المغفور له - الملك فيصل الاول

في اول زيارة الى جلالة شاهنشاه ايران



صاحبا السمو المغفور لهما الامير زيد بن الحسين
والامير جميل بن ناصر مع بعض من كبار رجال
الثورة العربية الكبرى

الفصل الثاني

القضية الفلسطينية

القضية الفلسطينية وما جرى فيها هي كارثة العرب التي لحقت بهم في زمنهم الاخير ، ومعالجتها كانت على ايد متحدة متعاونة من الجانب اليهودي في الدخول والانشاء والسعي الى التحرر ثم التملك ، مثلما كانت هذه المسألة في الجانب العربي تعالج بأيد وآراء متحدة متفقة على تأييد الهيئة القائمة على سياسة فلسطين في فلسطين ثلاثين عاما دون سعي الى فهم الحقيقة ومرامي اليهود والتشبثات التي كانت الصهيونية تسير عليها ، والصلف القولي في السياسة العربية ، والدفاع بالاقوال لا بالافعال ، والاستجداء ممن يؤثر وعد بلفور على حق العربي في فلسطين ، وتأييد سياسة المفتي السابق ومن معه حتى بلغ السيل الزبا وذهبت فلسطين ايدي سبا.

ودخلت القضية الفلسطينية في مراحلها الاخيرة ، فأعلنت الدولة المنتدبة قرارها بالجلاء . واستفحل اعتداء اليهود على المناطق والبلدان العربية في فلسطين،فتم تأليف جيش الانقاذ وعرف ما كان من امره ، ثم كان التظاهر العربي العسكري والقرار المرتجل في ادخال قوات قرر رؤساؤها انها كانت غير كافية ، ووحدة القيادة اسما لا فعلا وعدم السماح للقائد العام بتفتيش ما قيل انه تحت امرته من قوات . وتم دخول الجيوش الى فلسطين ووقوفها وتحيرها وعدم تهيئتها ، حتى تلت ذلك الهدنة في رودس وما عرفه الناس جميعا من تلك الدخائل . ولولا ضرورة كتمان بعض الخفايا رعاية للاخاء ورجاء في المستقبل لقلنا ما نعرف مع الوثائق الدامغة والبراهين القاطعة ، ولذكرنا ما وقع على فلسطين واهل فلسطين من ساسة فلسطين وممن ايدهم ظانا فيهم الخير من دول الجامعة العربية ، من تبعات سيقيدها التاريخ بالالم والندم ، فيخجل احفاد

هؤلاء الرجال مما فعل اجدادهم .

واستمرت تطورات الحوادث في هذه القضية فترة بعد فترة ، وقد طرأ ونحن نكتب هذه التتمة بعض المؤثرات على موقف الدول المتهادنة في فلسطين من حركات وتحرشات وقعت هنا وهناك ، وقابلها الجانب العربي بهدوء ورزانة . والمفهوم ان الجانب الاسرائيلي يحاول ان يلجأ الى الحركات الاستفزازية ليجر فيها اي جانب عربي الى مقاومة دفاعية يستطيع معها الفريق الصهيوني ان يظهر نفسه امام الهيئة الدولية بأنه الطرف غير المسؤول ، على ان هذا لا يعني ان العرب في موقف يوجب التردد في القيام بمسؤولياتهم على أي شكل كان . ولقد راجت منذ وقت بعيد بعض الاشاعات عن نيات في التسوية هنا وهناك ، ونحن كما قلنا قبل ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ لانريد العدوان ، ولكن متى دعينا الى الدفاع عن الاوطان سنتقدم ، ولقد فعلنا وكنا صادقين . وقلنا ايضا « فان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » . وقد كنا نتوقع ايجاد حل للموقف اما بالاتفاق او بالانفراد اذا يئس من حمل العرب على اتباع السياسة الواقعية ، ففي هذا منطق وحكمة . والناس اما ان يكونوا في حرب قائمة واما في صلح وتسوية ، فعلى غير هذين الحالين لا يستقيم الامر . والعالم يرى في الموقف الحاضر في اوربا ان الدول والشعوب تريد وضع حد لحالة الحرب القائمة بين المانيا والديمقراطيات ، ووضع حد ايضا للحرب الباردة الموجودة بين الديمقراطيات والشيوعية ، والحرب والسلم امران يتناوبهما البشر حتى يوم القيامة ، مثلما يأتي الموسم بعد الموسم من صيف وخريف وشتاء وربيع ، وليل يتبعه نهار ، سنة الله في خلقه ، والعاقل من عرف الخطر فدفعه بقوة او بحيلة ؛ اما من بقي غير مستعد لحرب ، او غير مستعد لصلح ، فهو الذي ينتظر ساعة خروج روحه من جسده .

وشهد الله انني لم ادخر وسعا في تنبيه رجال العرب وممثلي حكوماتهم الى ما فيه النفع العام والمصلحة الوطنية وخير فلسطين بالذات ، ولكن الآذان كان بها وقر ، وتوالت الخسائر والاضرار على فلسطين واهلها . واليك مثلا على ذلك ما ارسلته الى الامير فيصل

آل سعود والى دولة السيد رياض الصلح يوم وجودهما بباريس في اجتماع هيئة الامم عام ١٩٤٨ :

سمو الامير فيصل آل سعود ، باريس

أنور اذهان ممثلي دول الجامعة العربية بباريس الى اننا لم نرفض وجود دولة فلسطينية ولكننا رفضنا قطع الطريق على اهل فلسطين في ان يختاروا لانفسهم ما يريدون من شكل وحكومة بعد الفتح والانتصار الحاسم . لو قبلت دولة فلسطينية في عموم فلسطين قبل الانتصار لسخر مني الناس ، وانني مع ذلك اخشى ان ترضى دول المنظمة بهذه الدولة كما رضي بعضها بمدعيات اليهود فيقع التقسيم . انا مع العرب ان استمروا في الحرب او إن بقوا على الحالة الراهنة ، ثم تأتي المرحلة الاخرى وهي مقابلة قرار المنظمة لا مقترحات برنادوت . فاذا قالت المنظمة كلمتها فعلى الجامعة ان تجتمع ثم تقرر ما ينبغي عمله فعلا لا قولا .

تحياتي لكم جميعا

عمان في ١٩٤٧/٩/٣٠ **عبدالله**

صاحب الدولة رياض بك الصلح ، باريس

ان تقرير الكونت برنادوت لم يكن ابدا موضوعا لبحثنا، ، ولكن تعلمون ان الدولة الاردنية بالاتفاق مع دول الجامعة خاضت غمار الفتنة الصهيونية لِخَضد شوكة الصهيونيين والسعي للخروج من المشكلة بأقل ما يمكن من الخسائر مع تذكيركم بخطابنا الذي فهنا به على مائدة الفداء اول زيارتكم لنا، وبينما نحن ماضون في شرقي الاردن في مهمتنا الحربية متحملون اثقل الاعباء وحدنا واذا بالجامعة تقرر اقامة دولة واهنة لعموم فلسطين

وتقسيمها في غزة للتخلي عن المسؤوليات ، كما يقول الناس ، وان هـذا العمل معناه قبول التقسيم وتنفيذه . اما نحن فلا نزال وحدنا متكلين على الله في القيام بالواجب ،ومتى رأينا الجيوش العربية من غربنا في مصر ومن شمالنا في سوريا ولبنان تتهيأ وتتقدم لتنفيذ العزم ولا تبعث كل واحدة منها بلواء وما اشبه غير عاطفة على من تشتت من اهـل فلسطين ، ولا ناظرة اليهم ، ، ثم تستمر بالتحريض على غير فائدة ، وتنتظر فتح فلسطين على يد دولـة واحدة ، متى رأينا ذلك كنـا في الطليعة كدأبنا دائما .

الشتاء اقبل واللاجئون في العراء ، مسؤولية هؤلاء على الجامعة وعدم انهاء القضية يعود على الدول العربية التي لم تبذل مجهودا عسكريا بل ظلت تتفرج وان افعال جيشي وثباته تكفي لدحض مفتريات الناس .

تحياتي لكم ولاخوانكم جميعا

عمان في ١٩٤٨/٩/٣٠ **عبدالله بن الحسين**

هذا ولقد كان طلب تدويل القدس غاية في الغرابة وعـدم الاتزان في الغايات الوطنية وتفريطا في الحقوق والمصالح العربيـة وتسليما بالمقدسات الى السيادة الدولية ، واخراجا للقدس مـن الحوزة العربية ، فكان علينا ان نقف في الدفاع عن عروبة المدينة المقدسة موقف الحزم والصلابـة ، وان نقاوم التـدويل بمختلف اشكاله وصوره .

وما قضية الاعتراض على وحدة الضفتين الا من عمل الهيئة العربية العليا المصرة على ما تعمدت ، وهي ليست لهـا اية خبرة بسياسة الناس والدفاع عن الاوطان والمسؤولية التي يتصدر لهـا الرجال في داخل البلاد وفي امورها الخارجية ، وقد اعلن دولة توفيق

باشا ابو الهدى رئيس مجلس الاعيان الاردني في بيانه الذي القاه في مجلس الامة يوم الاثنين ٢٤ نيسان ١٩٥٠ ما كان من اتفاق بينه ـ يوم كان رئيسا للوزارة ـ وبين المسؤولين في الحكومات العربية آنذاك على مسألة ضم ذلك القسم من فلسطين الى مملكتنا الاردنية الهاشمية . وبذلك حمينا الجزء الباقي من ان يضيع في اليد اليهودية . وننشر في ما يلي اول خطاب لنا تلي في مجلس الامة الموحد وما تلاه من اتخاذ المجلس قراره الاجماعي التاريخي بوحدة الضفتين ورفع صيغة ذلك القرار الذي اقترن بتصديقنا الملكي ، ورد مجلس الامة على خطابنا .

الفصل الثالث

اعلان المملكة الاردنية الهاشمية

خطاب العرش

حضرات الاعيان ، حضرات النواب

أحمد الله الـذي لا إله إلا هـو ، الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن ، واصلي وأسلم على المبعوث بدعوة الحق والتوحيد خير من نطق بالضاد وحمل رايـة الحق والجهـاد وعلى آله الطيبين وصحبه الاكرمين .

اما بعد فانه لمن دواعي الغبطـة ان افتتح لأول مرة في تاريخ الحياة الدستورية الاردنية مجلس الامة وقد جمع بين ضفتي (الاردن) منبثقا عن إرادة شعب واحد ووطن واحد وأمل واحد. وانها لخطوة مباركة ، هذه الخطوة إلى الوحدة تخطوها الضفتان ، ويقبل على تحقيقها الشعب صاحب الشأن ، محمولا على التمكين لوحدته القوميـة وعزته الوطنية ومصالحه المشتركة . وإن الاردن لكالطائر، جناحاه شرقه وغربه ، ومن حقه الطبيعي ان يجتمع شمله ويتلاقى اهله ، بل إنكم لتعلمون يا اعيان الامة ونوابها أن وحدة الضفتين حقيقة قومية وواقعية . اما انها حقيقة قومية فثابت في تشابك الأصول والفروع والتحام المصالح الحيوية ووحدة الآلام والامال ، واما انها حقيقة واقعيـة فثابت في قيام روابط اتحادية وثيقة بين الضفتين منذ عام ١٩٢٢ أي منذ ثمانية وعشرين عاما . تلك الروابط الملحوظة المهمة التي اشتملت على وحدة

النقد والدفاع المشترك والارتفاق في الموانى وتوطيد أمن الحدود وتسهيل الحواجز الجمركية والسفرية على أساس وحدة المصالح والتبادل الثقافي والتشريعي مما جعل لكل من الضفتين مركزا ممتازا خاصا في الضفة الأخرى . حتى إذا تخلت بريطانيا العظمى عن انتدابها على فلسطين المقتطعة من الوطن الأم وعصفت عواصف النزاع العربي ـ الصهيوني كان لا بد من تثبيت الحقوق العربية ودفع العدوان بتعاون عربي عام . وإن ما حصل بعد قبول الهدنة الدائمة من خلاف في وجهات النظر كان سببه اغفال الواقع (الاردني ـ الفلسطيني) بسبب دعايات وتوجيهات خاصة كانت حكومتي وما زالت تعمل على معالجتها بالحكمة والصبر وروح المودة والثقة والصراحة التامة والاخلاص المطلق ، سواء افي مجلس جامعة الدول العربية ام بالاتصالات الخاصة مع الدول العربية الشقيقة ، معتمدة في هذا على ان للعرب جميعا من سلامة الفطرة ونفوذ النظر وشعور الحمية ما يكفي لاقالة العثار ووضع كل امر في نصابه . وان حكومتي ترى أن قرار اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية الصادر في ١٢ نيسان ١٩٤٨ لم يعد قائما مذ قبلت الدول العربية للهدنة الدائمة واتباعها هذا بقبول قرار التقسيم الصادر عن هيئة الامم المتحدة ، على خلاف ما ورد في قرار اللجنة السياسية المذكور. ونحن مع ترحيبنا بفكرة الضمان الجماعي والتعاون الاقتصادي على الاسس السليمة بين الدول العربية ، نرى انه لا ضمان لأي شعب عربي الا بوحدته الحقيقية واجتماع اجزائه المشتتة حيثما

كان ذلك ممكنا ومردودا الى الارادة العامة وغير ناقض لعهد او ميثاق . وان الوحدة لأول اماني الثورة العربية ، بل هي عمود الاستقلال ووسيلة النضال،ومن تخلف عنها تخلف عن كيانه ومقومات سلطانه . وان الواقـع (الاردني ــ الفلسطيني) ليحتمها ، بل ليعتبرها وسيلة حياته الاقتصادية ودفاعه عن نفسه بوصفه الجبهة الامامية المترامية الحدود،والمجال الحيوي لسكانه العرب منذ اقدم العهود . وان المواثيق العربية لتوجب شد ازره في كل ما يفسح له مجال الحياة ووسـائل العزة والكرامة وتحقيق الاماني المشروعة .

حضرات الاعيان ، حضرات النواب

انه لمن دواعي الاطمئنان حقا ان لا تيأس الامة من روح الله، وان تزيدها الحوادث صقالا وايمانا بنفسها،وان في اقبال الامة على الانتخابات النيابية العامة اقبالا اجماعيا في كل من الضفتين لدليل الشعور بذاتية واحدة ، قد استجابت لنفسها واجتمعت مبرمة في هذه الاستجابة وحدتها الضرورية،ومدركة مافي استمرار التجزئة وتباين الادارات والتشريعات الى امد غير محدود ــ بعد قبول الهدنة الدائمة ــ من اضرار مادية ومعنوية تنال من هذا الوطن الواحد ولا يحسها الا اهل البلاد واصحابها الشرعيون . على ان ابرام امر الوحدة ، وقد تم فعلا باجتماع هذا المجلس الموقر،الممثل للضفتين،مع عدم المساس بالتسوية النهائية التي تحق حق العرب في امر فلسطين ، سيعزز في الواقع دفاع الامة الواحدة عن عدالة قضيتها . وان حكومتي ستظل ماضية في الدفاع عن الحقوق العربية واماني البلاد في التسوية

النهائية متلمسة ما وسعها ذلك توفير أسباب التعاون التام مع الدول العربية الشقيقة في كل ما يعزز هذه الحقوق والاماني مقدرة قيمة السلام الذي لن يكسب بغير الثقة والاطمئنان لرجحان كفة الحق واقامة العلائق الدولية على اساس العدل والنزاهة والوفاء بالعهود .

حضرات الاعيان ، حضرات النواب

لقد اعلنت حكومتي انها ستحافظ، في السياسة الخارجية، على العلائق الودية مع الدول الصديقة جميعا ، كما انها ستهدف في المنهاج الداخلي الى تعديل الدستور ، كما سبق ان وعدنا ، وذلك على اساس المسؤولية الوزارية البرلمانية ، مع حفظ التوازن بين السلطات الثلاث ، التشريعية ، والتنفيذية ، والقضائية . وتنجيزا لهذا سيصار في اثناء هذه الدورة الى تأليف لجنة خاصة من الخبراء واكفاء الحقوقيين لوضع مشروع التعديلات الدستورية على احدث الاسس واوفاها بمصلحة الامة . وان حكومتي لعاملة في الوقت ذاته على توحيد القوانين ، مع الاصلاح المرتجى في المجال الثقافي والاداري والاقتصادي ، والسعي الحثيث لتوفير اسباب العمل ، وتحسين وسائل الزراعة ودعم الاقتصاد الوطني بصورة خاصة والعناية بمسألة اللاجئين على الوجه الذي يفسح امامهم مجال العمل ويحفظ لهم الكرامة. وستقدم لمجلسكم الموقر في هذه الدورة فوق العادة مشروعي قرار الوحدة وقانون الموازنة السنوي لعام ١٩٥٠ ــ ١٩٥١ للنظر فيهما واقرارهما بالطريقة الدستورية .

وانني باسم الله العلي العظيم ؛ افتتح هذه الـدورة فوق العـادة لمجلس الامة الجديـد ، وادعـوكم الـى الشروع في العمل ، سـدد الله خطاكم ووفقنا واياكم بمنه وكرمه ، آمين .

القرار التـــاريخي

وحـــدة الضفتين

تأكيدا لثقة الامة،واعترافا بما لحضرة صاحب الجلالة عبدالله بن الحسين ، ملك المملكة الاردنية الهاشمية ، من فضل الجهاد في سبيـــل تحقيق الاماني القومية ، واستنادا الى حق تقرير المصير ، والى واقع ضفتي (الاردن) الشرقية والغربيـــة ووحـــدتهما القوميـــة والطبيعية والجغرافيـــة ، وضروراتمصالحهما المشتركة ومجالهما الحيوي، يقرر مجلس الامة الاردني الممثل للضفتين في هذا اليوم الواقع في (٧ رجب سنـــة ١٣٦٩ الموافق لتاريخ ٢٤ نيسان ١٩٥٠) ويعلن ما يأتي :

أولا ــ تأييد الوحدة التامة بين ضفتي الاردن الشرقية والغربية واجتماعهما في دولة واحدة هي (المملكة الاردنية الهاشمية) وعلى راسهـــا حضرة صاحب الجلالة الهاشمية الملك عبدالله بنالحسين المعظم وذلك على اساس الحكم النيابيالدستوري والتســاوي في الحقوق والواجبات بين المواطنين جميعـــا .

ثانيا ــ تأكيد المحافظة علىكامل الحقوقالعربية في (فلسطين) والدفـــاع عن تلك الحقوق بكل الوسائل المشروعة وبملء الحق وعدم المســـاس بالتسوية النهائية لقضيتهـــا العادلة في نطـــاق الاماني القومية والتعاونالعربيوالعدالة الدولية.

ثالثا ــ رفع هذا القرار الصادر عنمجلسالامة بهيئتيه : الاعيان والنواب ، الممثل لضفتي الاردن الى حضرة صاحب الجلالة المعظم واعتباره نافذا

حال اقترانه بالتصديق الملكي السامي .

رابعا – اعلان وتنفيذ هذا القرار من قبل حكومة المملكة الاردنية الهاشمية حال اقترانه بالتصديق الملكي السامي وتبليغه الى الدول العربية الشقيقة والدول الاجنبية الصديقة بالطرق الدبلوماسية المرعية .

رد مجلس الاعيــان
علــى
خطــاب العرش

يا صاحب الجلالة

ان مجلس الاعيان ليحمد الله على ما يسر له من وضع اسس الوحدة والاستجابة لداعي المصلحة بتوحيد الضفة الغربيــة من الاردن مع اختهــا الضفة الشرقية واجتماعهما في مملكة واحدة يظللها التاج الهاشمي المفدى،وان هذه الوحدة انما كانت صدى ارادة قومية ورغبة وطنية كما كانت الوقاء من كوارث علمتنا التجارب الى أي مدى تذهب ، ممــا لو سبــق حدوثه وكانت للنــاس الجراة الضرورية للقيام بمثله فيما مضى لتجنب العرب هذا المصــير . وان المجلس يرى لزاما عليــه ان يشكر لصاحب الجلالة الملك المعظم، ربان السفينة المجرب ، ما ايده الله به من نفوذ بصيرة ، ومن بصر ثاقب يشق طريقه للسفينة بين عواصف هــوج واهواء ونزعات .

ثم ان المجلس ليرفع لصاحب الجلالة الهاشمية اخلص الشكر مقرونا بالاعجاب والاكبار للروح الطيبة التي تجلت بحرص جلالته ايده الله على ان لايكون قرار الوحدة ماسا بأيةتسوية نهائية لقضية فلسطين يكون للعرب فيها خير وعزة ، وبحرصه كذلك على التعاون مع الدول العربية في نطــاق الاماني القوميــة ، كما يذكر بكثير مــن الاعتزاز والامتنان وعد جلالته حفظه الله بتعديل الدستور مؤمــلا ان تأتي التعديلات المرتقبــة بما يســاير الحاجــات الاجتماعية ويمهد السبيــل الصالح

لتحقيق الاهداف القومية . وان ما تجلى في خطاب العرش السامي من سياسة رشيدة وخطط حكيمة ليقابله مجلسنا بالتأييد الكامل لانه يجمع بين البصر بالامور والشجاعة في مواجهة الحقائق.

يا صاحب الجلالة

ان المجلس ليرى لزاما عليه أن ينوه بما تجلى في تصاريح جلالتكم وعلى راسها خطاب العرش الكريم من العناية والتوفر على مصلحة اللاجئين والتماس المنفذ لهم مما يعانون والعمل على اسعافهم بما يتسع له الإمكان في شأن رد غربتهم ورد أملاكهم عليهم . والمجلس بعد هذا يرى أن بلادنا في حاجة قصوى الى تحقيق رغبات صاحب الجلالة الهاشمية باحداث نهضة اقتصادية شاملة في سائر الميادين ونهضة تعليمية واخرى اجتماعية حتى تستطيع البلاد أن تسير على قدميها وأن لا تتحامل على نفسها أو غيرها ، وان في طليعة السعي لهذه النهضة تحقيقا لما قرب وبعد من الاهداف الاقتصادية والعمرانية . وان المجلس ليعود فيشكر صاحب الجلالة الهاشمية لحرصه على اتباع هذه الخطة في ايثار العمل على وحدة الصفوف والدعوة الى التسامح عما سوى ذلك ، عسى أن يأتي يوم على العرب يشعرون فيه أنهم، بعد أن كانوا أشتاتا أمواتا ، لم يبلغوا ما بلغوا من العزة بعد البعثة الا بالوحدة . والله المسؤول أن يوفق جلالتكم الى اتمام ما بدأتم به من جمع شتات الأمة العربية والسير في ما اخذتم من سبيل ، وأن يحفظكم للبلاد ملاذا وركنا وللعرب مثابة وحصنا .

رد مجلس النواب
على
خطاب العرش

يا صاحب الجلالة

اننا نحن نواب الأمة الممثلين لضفتي المملكة ، الغربية والشرقية، المجتمعتين لاول مرةفي مجلس واحد تحت تاج واحد ، قد استمعنا بكل فخر واعتزاز لخطاب العرش السامي . وانه ليشرفنا ان نرفع لجلالةمليكنا المفدى خالص الشكر وعظيم الامتنان على التهنئة الملكية السامية بثقة الشعب فينا والترحيب الملكي الكريم بنا في مجلس الامة الجديد .

يا صاحب الجلالة

ان مجلسنا لفخور بأن يكون له شرف ابرام اول قرار لتوحيد قطرين شقيقين تحت قيادة جلالتكم آملين ان تكون هذه الخطوة المباركة فاتحة عهد جديد في حياة الأمة العربية ، وبادرة خير لتحقيق أهدافها وأمانيها في الوحدة والسيادة والاستقلال .

وانه لمن دواعي الاطمئنان والثقة ان يتم هذا التوحيد دون ان يكون له أي مساس بحقوق العرب في فلسطين بأكملها او أي أثر على التسوية النهائية لقضيتها . بل يجيء هذا التوحيد معززا للدفاع عن عدالة قضيتها وحافزا لمضاعفة الجهود من أجل الوصول الى تسوية عادلة تحفظ الحق والكرامة بالتعاون مع الدول العربية الشقيقة .

يا صاحب الجلالة

اننا لنرحب بفكرة الضمان الجماعي بين الدول

العربية وبكل خطوة تخطوها هذه الدول في سبيل تقاربها وتعاونها واتفاقها ، على ان لا يكون لهذا الضمان الجماعي أي تأثير على رغبة الشعوب العربية في جمع اجزائها ولم اقسامها المشتتة في وحدة صحيحة قائمة على الإرادة الشعبيةالحرة وضمن نطاق المصالح العربية المشتركة .

يا صاحب الجلالة

انه ليسرنا ويبهجنا ـ نحن نواب الأمة ـ أن يتفضل جلالتكم ويحقق رغبة شعبه المخلص فيمنحه (عن طريق مجلس الامة) كامل حقوقه الدستوريةفي التشريع وتحمل المسؤوليات وبذلك يتحقق حكم القانون واستقلال السلطة القضائية وتنظيم العلاقة بين السلطتين التشريعية والتنفيذية على اساس المسؤولية الوزارية امام البرلمان .

وانه يا صاحب الجلالة لعطف ملكي كريم أن يتفضل جلالتكم فيستعجل هذه الرغبة التي هي أمنية كل أردني ويأمر في هذه الدورة باتخاذ الاجراءات الضرورية لتأليف لجنة خاصة من الخبراء وأكفاء الحقوقيين لوضع مشروع التعديلات الدستورية على أحدث الأسس وأوفاها ، ملتمسين أن يكون لمجلس الأمة ممثلون في هذه اللجنة وذلك تسهيلا لتحقيق الرغبة الملكية السامية .

يا صاحب الجلالة

اننا على الرغم مما مر بنا في فلسطين من كوارث ، وفي وطننا العربي من نكبات ونكسات ، لم نيأس من امكان بعث هذه الأمة بعثا جديدا . وان ما تفضلتم به جلالتكم من انتفاء روح اليأس

والهزيمة لأقوى مطمئن لشعبكم وأكبر مشجع له على السير قدما تحت قيادة جلالتكم الحكيمة لتحقيق الأهداف الوطنية والآمال القومية . واننا لنثني الثناء العاطر على جلالتكم لعطفكم الأبوي على اللاجئين والعمل على انقاذهم مما هم فيه من يأس وضنك في العيش وضيق في الحياة .

يا صاحب الجلالة

اننا اذ نعلق الآمال على الإصلاح المرتجى في المجال الثقافي والاقتصادي ، نؤكد رغبتنا في أن ينحى في الإصلاح الثقافي منحى يضع البرامج التعليمية على أسس قومية قويمة تتمشى مع روح العصر وتحقق التعليم المهني على أوسع الوجوه وانتجها .

كما نرغب ان يقوم الإصلاح الاقتصادي على اساس التوازن ـ قدر الامكان ـ بين التصدير والاستيراد وذلك بزيادة الانتاج القومي وتحديد الاستيراد ضمن مصلحة البلاد ، راجين ان يأخذ هذا الإصلاح بمبدأ الضرائب التصاعدية ورفع مستوى المعيشة للفلاح والعامل ، والسعي لوضع تشريع اجتماعي عادل ينظم شؤون العمل والعمال ويحفظ حقوقهم في المملكة وذلك حالما يتيسر ذلك . أما بشأن الإصلاح الاداري فرغبتنا أن يستهدف خدمة الشعب ورعاية مصالحه ويقوم على احترام حقوق المواطنين وحماية حرياتهم مع مراعاة الكفايات العلمية والاعتبارات الخلقية في وظائف الدولة .

وختاما يا صاحب الجلالة نبتهل الى الله عز وجل أن يحفظ جلالتكم ذخرا للعروبة، ويوفقنا ـ في ظل جلالتكم ـ لخدمة الأمة والوطن .

وعلى ذلك ، ومما تقدم يتجلى الحق ويتبين للناس أن قضية فلسطين قضية جهالة وعناد وسعي وراء منافع لأشخاص وضعوا أيديهم في عنق أوطانهم حتى كادوا أن يزهقوا روح الوطنية تماما ، هذا ما نقوله ونشهد به بين يدي الله ونعلم أنه سيغضب الكثير ، ولكنا من الذين لا تأخذهم في الله وفي الحق لومة لائم .

الفصل الرابع

الحركات العسكرية في فلسطين

إنا وإن قلنا انه لا ينبغي لنا التطرق الى بعض الاسرار حفظا لما يجب أن يراعى بالنسبة للعرب لأن الحق لجماعات الدول العربية ولا يحق لجهة واحدة البحث في ما يعني الجميع ، وحفظا للإخاء أيضا ، ولكن من حقنا أن نوقف الرأي العام العربي على ما لا يضر من المباحث في هذا الباب . من جملة ذلك ما دار بين صاحب الفخامة السيد شكري القوتلي وبيننا ، وكذلك وقائع اللد والرملة ، وحوادث بئر السبع، وتراجع المصريين، والهدنة في رودس، ومسألة المثلث . ونعتقد أن لنا كل الحق في ذكر هذه النواحي ، وبمناسبة التدويل أيضا سنذكر عن القدس الشريف ما لا ينبغي تركه لعلو مرتبة هذا البلد المقدس في نظر الإسلام وما جاء عن فضائله ، وانه يخص كل امة مسلمة لما أريق بسببه من دماء عربية وكردية وشركسية وتركية طيلة التاريخ الإسلامي . وعليه فنبدأ بذكر المكالمة التي جرت بين دمشق وعمان بعيد حوادث (١٥) مايس الابتدائية ، ولقد دعت دمشق عمان وقيل انها لبعض أفكار ستنقل عن رئيس الجمهورية المشار اليه ، وكان أمين الجامعة عزام باشا في حضرة الرئيس حينذاك . أما الكلمة فقد كانت تشير الى لزوم التوقف عن التقدم في فلسطين وتقديم ما يمكن لأهل فلسطين من أسلحة وأموال حتى اذا كانت الثورة العربية هناك قد اكتملت ثم احتاجت الى مساعدات فعلية عندئذ يكون الاشتراك الفعلي ، وقد شككت حينذاك لوجود عزام باشا بدمشق في أن الأمر لا بد وان يكون موعزا به أليهم من مصر ، أو لظن سيء قام في رؤوسهم من ناحيتنا ، فأحبوا أن يعرفوا حقيقة غرضنا ، وعلى كل حال كانت لحظة بالنسبة الي من أمر ما مس روحي منها من وجل وجزع ، والجيش في قتال عنيف في القدس ، وقد تقدم حتى وصل الى

السهل من ناحية باب الواد واللد والرملة ، ومن نواحي طولكرم والعفولة ، فكان الجواب منا الرفض الشديد لهذا التكليف الغريب، وقد طلبت أمين الجامعة نفسه فكلمته بنفسي محتجا على أن تلوح فكرة كهذه في رؤوسهم ، وبالطبع فقد وافقوني حالا على لزوم المضي في الأمر معتذرين بأن الاستعدادات لا تمكن عاجلا من شد أزر النواحي الاخرى ، فكان ما كان من توقف القوات السورية في نواحي سمخ ، ثم في الخذلان الذي أصاب موقف تلك القوات بصفد والناصرة . أما القوات اللبنانية فلم تبد أية فعالية سوى الدفاع مع ضياع قرى لبنانية من أصل لبنان ، وبالنتيجة اضطر الموقف القيادة في التساند الحقيقي بين القوات العراقية والاردنية واعتبار القوتين متمما بعضهما لبعض ، فأبقيت قوة جزئية على يسار القوات السورية وحركت قوات العراق من نواحي المفرق الى عمان وعن طريق جسر دامية وجسر اللنبي فنابلس ، وقد انقذ وصول هذه القوات مدينة جنين والمثلث كله من خطر ماحق ، ثم تقدمت وهي تتكامل شيئا فشيئا حتى وصلت الى رأس العين وصاقبت المستعمرات الكبرى اليهودية تاركة التلال الرملية الحمراء وراء ظهرها . وأدخلت قوات المناضلين الأردنية الى اللد والرملة ، وكان انتظار تقدم الجيش المصري من الساحل الى ناحية يافا ، كما أنه كان من المنتظر قضاء ذلك الجيش على المستعمرات اليهودية في النقب كله ، ولكن شيئا من ذلك لم يقع بل كان التلكؤ والتوقف مع اخفاء حقائق الحوادث وعدم ذكر حقيقة عدد الالوية والطوابير المصرية ثم عدد الجيش المتطوع أو المجاهدين الذين جاء بهم عزام باشا ووظفوا في جبهة الخليل ــ بيت لحم واتصلوا بالجيش الاردني في ناحية القدس وعدم السماح بتفتيش تلك القوات بالنسبة لوحدة القيادة التي تركت على عاتقنا اسما لا فعلا . هذا وما هو ادهى منه مصادرة باخرة الاسلحة والاعتدة التي تحركت من السويس الى العقبة ، وقد صادرتها كما قلنا قوات مصرية بحرية عادت بها الى السويس وأفرغت حمولتها بالرغم عن الاحتجاجات والرجاء الملح منا الى جلالة الملك فاروق والحكومة المصرية ، ولما

يئسنا من الحصول عليها بعد ان قيل لنا انها وزعت على القوات المصرية قلنا يد رجل يمنى افرغت ما تملك الى اليد اليسرى ، فضاعت تلك المهمات ، وعند وقوع الهدنة الاولى لم يكن بيد الجيش العربي الأردني من أعتدة الاسلحة الثقيلة ما يكفي لحرب يومين اثنين . ولقد كان سفرنا الى مصر في تلك المدة من الهدنة وعرضنا ما نعلم وسألنا المرحوم النقراشي باشا عن نيات مصر ، فأكد لنا الإخلاص للقضية والدوام في النضال حتى التوفيق التام ، وعرضنا على المقام الملكي في مصر الرغبة في أن نزور مركز القيادة المصرية العليا في فلسطين بصفتنا القائد العام ، فأشير الى أن هذا لا يناسب، ما دام أن جلالته لم يزر الجبهة بنفسه ، ثم عرضت لزوم زيارة جلالته للقدس الشريف ، فذكر خطر الطيران ، فأعدت التكليف بأن ذلك ممكن عن طريق السويس ــ العقبة ــ عمان ، فأبديت اعذار اخرى ، ولو وقعت لكانت حركة موفقة تفضي الى ان نستولي على القدس بأجمعها بوثبة من الجيوش الملكية الثلاثة ، بوجود الوصي المعظم وجلالة الملك فاروق ووجودنا ، وعلى كل حال لم نتوفق لا لاستعادة العتاد المصادر ولا لتملك ناصية الحرب بكامل قوة القيادة الموحدة ، ولا بدعوة جلالته لتنفيذ الفرض المنوه به ، أعني لم تكن قوات الدول الأربع من حيث الامر والنهي تابعة لوكيل القائد العام المسؤول عن كل الجيوش وهو اللواء نور الدين باشا قائد القوات العراقية . ثم حدث السفر الى نجد وكانت الجامعة في حالة اجتماع بمصر ، وقد وقعت الأوامر منا الى رئيس وزرائنا حينذاك توفيق باشا ابو الهدى بأن لا يقبل نقض الهدنة الاولى مهما كان ، ولو استقالت الحكومة ، قبل أن تمتلىء يد الجيش بما يقتضي من الأعتدة الثقيلة والخفيفة ، ولكن بكل اسف ابلغت نقض تلك الهدنة ساعة وصولي الى بغداد في طريق عودتي من الرياض ، وقد أخبرني بها فخامة السيد الباججي ، وقد حصل لي من الكرب والهم ما اعجز عن وصفه ، وبالنتيجة كانت الحركات اليهودية ضد اللد والرملة فاضطرت قيادة العراق وقيادة الاردن الى أن لا تخوضا وهما قابلتان غمار واقعة حربية عامة

بأعتدة ناقصة ، واحتفظنا بما في اليد لصد الهجمات المعادية مهما أمكن من اي ناحية تصادفها ، وهذا اكبر دليل على سوء ادارة الجامعة العربية وما يلحق دولها من اتباع سياستها الخاطئة الفاشلة . ثم كانت الهدنة الثانية ، ثم لم تلبث اسرائيل ان نقضتها بالتجاوز المباغت ضد القوات المصرية في النقب من ناحية الفالوجة وبئر السبع وقد فصلت القوات المصرية بأن دخلت بين الفالوجة وبئر السبع ، وبين بئر السبع وغزة ، فاصبحت قوات الجيش المصري منعزلة بعضها عن بعض ، ومن اغرب الامور وقوع هذا ولم تبلغ القيادة الموحدة عن شيء مما وقع ، غير أن أمين الجامعة كان يطلب بواسطة الأذاعة العلنية لزوم تقدم القوات العربية من كل ناحية انقاذا للموقف . وفي تلك الاثناء حضر الى عمان المرحوم النقراشي باشا ، وحضر أيضا رئيس الوزارة السورية جميل مردم بك ومعه الزعيم حسني بك الزعيم ، وكان حضرة صاحب السمو الملكي الوصي المعظم ورئيس الأركان العراقي الفريق صالح صائب باشا حاضرين ، وفي تلك الليلة في المجلس المنعقد مع جملة من ذكرت اسماؤهم مضت فترة فوق الخمس دقائق دون أن يتكلم أحد بكلمة ما ، ولقد اشار سمو الوصي المعظم بأن أبدأ الحديث فصعب علي ان اقول أي كلمة بعدما اصاب الجيش المصري ما اصابه ، فقلت : والكلام يوجه الى رئيس الوزارة المصرية «انتظر الكلام من دولته» ، فقال ما هو مذكور الآن بالكلمة تتبع الكلمة « الله ! لم آت لاقول ولكنني اتيت لأسمع» ، فقلت له: «أعتقد ان الكلام لدولتكم في الموقف اليوم بعد ان ضاعت بئر السبع وحوصرت الفالوجة» ، فقال : «من يقول هذا ؟ ان القوات المصرية كما هي في اماكنها » . فقلت له : «لعل الخبر لم يبلغ مسامع دولتكم ، ولقد ظننت انكم ستشيرون الى لزوم مساعدات عسكرية وفق رغبة القيادة المصرية للاستعانة على انقاذ الموقف» ، فقال : « لا . ان الحكومة المصرية لا تستعين بأحد ، ولكن أين القوات الملكية الاردنية والعراقية ؟ أما قوات سوريا فكلنا يعلم انها غير مجدية » . وكان جميل مردم بك يسمع ذلك . فقلت له : يفهم من هذا أن دولتك قد حضرت لتتهمنا ، وقد قلت ان

الحكومة المصرية لا تستعين بأحد وهذا عزام باشا يصرخ في الاذاعة طالبا المساعدة ، وانت تحقر العرب في بيت العرب ، وهذا بيت العرب فيه الاردن والعراق وسوريا ولبنان ؟ فقال مجيبا:«أستغفر اللهانني انني لم آت لأتهم». وقال صالح صائب باشا : بأنه سأل مقر القيادة المصرية بالزرقاء عندما بلغه خبر الهجوم اليهودي عن صحة الانباء فلم يظفر بجواب على الرغم من تكرر الاستفهام عن ذلك شفهيا وخطيا ، وازا ذلك فليس يرى بالامكان التحرك دون فهم للموقف، فقلت: «هذه هي الحقائق وأنا ذاهب لصلاة العشاء وانتم تحدثوا » فتركتهم وقمت لتوقي نتيجة التوتر الكلامي ، ولما عدت وجدتهم جميعا وقد ذكروا حكومة عموم فلسطين ولزوم قبولنا واعترافنا بها ، فرفضنا بشدة لعلمنا بسخف هذا الرأي واعتقادنا بعدم أهلية القائمين بها ، وكان موقف جميل مردم بك عربيا محضا اذ رفض معنا ذكر هذه الحكومة الموهومة وانكر فائدتها ، ثم انفض المجلس على ان يجتمعوا بالمفوضية المصرية ، ولما اجتمعوا قال لهم النقراشي باشا ان سقوط بئر السبع قد تحقق ، وفي الليلة التالية اجتمع الذوات المشار اليهم في دار العين اسماعيل باشا البليسي مضيف النقراشي باشا بعمان يوم ذاك ، فاتفقوا جميعا على مساندة الجيش المصري وتم الرأي على أن يقام بتحركين اثنين ، واحد من قبل الجيشين العراقي والاردني من الجنوب ، وآخر بالاشتراك مع القوات السورية من الوسط والشمال ، وعند انتصاف الليل انفض الاجتماع على ذلك ، وتقرر أن يذهب الفريق صالح باشا والزعيم حسني الزعيم لتنفيذ تلك الترتيبات ، ولكن ما طلع اليوم التالي حتى اجتمعوا ثانية في الصباح فكلفهم النقراشي باشا بالعدول عن قرار الليل نظرا لزوال الحاجة ، ومع هذا فقد تحركت مفارز من القوات الاردنية في القدس وباب الواد وتقدمت الى الضاهرية والى بيت جبرين ، فأنقذت الجبهة في الخليل واستعادت القوات المصرية من بيت جبرين الى الخليل ، هذا بعض ما وقع . ولقد استمر تموين قوات الفالوجة بواسطة الجيش الأردني حتى انقذت .

هذا بعض ما رأينا البوح به الآن .

الفصل الخامس

العلائق الخارجية

سوريا

لا يجوز لنا ان نكتب هذه التتمة دون ان نبحث عن القطر السوري الممزق ، الذي لا سلامة للعرب الا بشعور أهله باتباع طريق الحق في هدفهم . فقد نكبت هذه البلاد بعد استيلاء الجنرال غورو عليها ، وكان هناك عدم تآلف واستقرار بين فرنسا وبين سوريا ، ثم جاءت الحرب العامة الثانية وبنتيجتها ولدت الجمهورية المستقلة، ثم نكبت على يد حسني الزعيم ، وقد غير بحق ما يجب تغييره ، ولكنه هو أيضا سامحه الله آثر نفسه على وطنه . وانني لاذكر ان الحكومة الاردنية قد بعثت بطيب امانيها لآخر جمهورية موجودة الآن لعقد اجتماع ينتج عنه تمثيل البلدين بعضهما لدى بعض ، وعقد اتفاقية حسن جوار واخاء كالتي بين الاردن والعراق ، ولكننا علمنا أيضا أن رئيس الحكومة السورية أبدى عذوا ولم يقابل رسول الحكومة الاردنية ، ولعل ناحية عربية أخرى أو ناحيتين تؤثران هذا التأثير في كل حكومة سورية تميل الى الوصول الى حالتها الطبيعية من وحدتها وقوتها .

ولا يخفى على الناس اننا اذ نكتب هذا ، فلا نكتبه الا للتبعة التي نشعر بها بسبب كوننا الشخص المتبقي من رؤساء ثورة التحرر من تركيا العثمانية .

وقد تركت العراق في ١٦ تشرين الثاني ١٩٥٠ راجعا الى الاردن وقلبي في لهفة على جلالة والدة فيصل الثاني رحمها الله . ومن غرائب ما سمعت في العراق التهم الموجهة لبعض السوريين الذين في خدمة جلالة الملك عبد العزيز بن سعود من انهم جاءوا بأموال لاغتيال شخصيات سياسية في سوريا ، وأن الاعتداء الذي وجه الى العقيد الشيشكلي وقع بفعل اولئك ، وان شيخ الارض اخا طبيب الملك عبد العزيز حرض بالمال شخصا لاغتيالي ، وهذه من الغرائب

وقد شاهدت مثلها من حرب الاتحاد والترقي العثماني ، فكان اذا اراد رجاله التخلص من شخص سلطوا عليه من يرديه قتيلا ، ثم رموا بالتهمة شخصا آخر من خصومهم ليفسدوا بين الناس ويرتاحوا هم .

اما الملك عبد العزيز فليس في قلبي اي شك في انه لا يأمر بهذا ابدا ، اما شيخ الارض فمن الممكن ان يستعمل بعض الدواهم لتنفيذ ما يريد ضدي او ضد أي انسان لا يريدونه ، خدمة لشخصية سورية تامرهم او تشير عليهم بذلك . ولقد سبق ان قتل الزعيم الشهبندر عن يد هيئة سياسية معروفة ، والغدر والاغتيال شيمة الأنذال السفلة ، لا شيمة الرجال الذين لا يزجون بأنفسهم في حضيض الخزي . وبهذه المناسبة اقول : سبحان الله كيف سقطت البلاد في هذه الأيدي العابثة القاتلة ، وقد عملت ما يقشعر له البدن ، فقد غدر بعضهم ببعض فتفانوا ، وهذا الشيشكلي لا يسير الا بحراسة ، ولا ينام الا بحراسة ، وان لم ينجه الله فسيكون حتفه بين حرسه . كما ان دم الشهبندر أقصى القوتلي عن كرسيه وابعد جميل مردم عن وطنه ، وكذا فاهل الحرص والغدر يحيق بهم مكرهم .

ان سوريا اليوم في موقف يخاف عليها منه ، ودول المنظمة تمنع العدوان وتجيز العدوان في وقت واحد . سوريا بلاد واحدة قسمتها التيارات السياسية اثر الحرب العامة الاولى الى اربعة اجزاء ، ولما قضى الله على الانتدابات بسبب الحرب العالمية الثانية ، قضى بهذا التقسيم ارباب الاغراض والحرص من ابناء هذا الوطن ، وهم اليوم يقتل بعضهم بعضا ، وهذا عدوان ، ولكنه جائز عند منظمة الامم ، ولو ارادت الاجزاء الأخرى من هذا الوطن تدارك الامر بتشبث منتج موحد ، لقالوا عنه عدوانا وعارضوه ، ولكن لا بد لكل حالة من نهاية ، وسينتهي هذا الموقف السيء بوحدة تضمد الجراح ، وتطرد كل عات يسعى بالفساد ان شاء الله .

وازاء هذه الحالة ، علي ان اذكر العرب بواجبهم مرة أخرى في انكارهم الذات واحتفاظهم بما فيه مصلحة وطنهم من تقديم خيار

الناس على شرارهم والابتعاد عما فيه تخاذلهم وافتراقهم .

يجب الآن على العرب ان يحرروا انفسهم من المتغلبة عليهم من العرب ، وبنظرة بسيطة على ما يجري في الشام مذ كان يحكمها السيد شكري القوتلي وما أصيب به من اقصاء على يد حسني الزعيم، ثم ما حصل على حسني الزعيم على أيد أخرى، والارتباكات التي تلت ذلك ، ثم قتل العقيد محمد الناصر قائد الطيران ، ثم كارثة الحناوي والاعتداء المسلح الذي وقع على الشيشكلي ، ثم اقفال الحدود الاردنية ـ السورية ، والعراقية ـ السورية ، بقصد التفتيش ، وسجن بعض الذوات منهم وزير حربية أسبق ، يقال انه يحتضر اليوم لانه أضرب عن الطعام . وما هو واقع في مصر من تحقيق حول الجيش ، ومن لغط يدور حول كل مسألة ، من هذا كله نستدل على انه يجب على العرب أن يتحرروا من الأوهام ، ويتبعوا الحقائق .

الشام والعراق ، غربي وجه البلاد العربية وشرقية . الشام على ساحل البحر الأبيض المتوسط ، وحدودها من الشمال تركيا . والعراق هو شرق البلاد العربية ، وعلى حده الشرقي ايران ، وفي جنوبه خليج فارس . فالبلدان على حدود دول كبيرة وعلى حد البحر الابيض ، كما قلنا ، فهذه البلاد وحدة سياسية وجغرافية خطيرة ، وفي جنوبي البلدين صحارى نجد والحجاز . والبلاد التي يسميها أهلها « المستسورة » يعنون بذلك أنها تشرب فضلات الماء الذي ينزل من السماء بعد أن ترتوي سائر البلاد ، فهي مجدبة وفي خطر الحاجة الى الاغذية في كل سنتين أو ثلاث . وبلاد العرب التي منها يكوّن العرب مجدا ، هي العراق وسوريا . وان كان هنا ما يحز في النفس فالتشويق الذي يضر ، والذي هو واقع من دولتين معروفتين من دول الجامعة ، ومن سفر متتابع ممن يتحملون المسؤوليات في سوريا ، المرة بعد المرة ، الى هاتين البلادين لتلقي الارشادات والإشهادات والاعانات ، وفي هذا ما فيه من تبعات على المسافر والمسافر اليه . وانه ليحز في النفس ، نفس كل رجل كان في الثورة العربية الأولى ، وجر الى انفصال العرب عن الدولة

العثمانية ، أن لا يعتاض العرب من نفسهم ما يحمي شرفهم ويردهم الى سابق مجدهم .

هذه تاملات لو قلت انها رثاء للقومية لما كذبت .

اجتماع القمة

يوم الثلاثاء في ٢٨ تشرين الثاني عام ١٩٥٠ بحضور صاحب الجلالة الهاشمية الملك عبد الله المعظم ودولة الدكتور ناظم القدسي رئيس الوزارة السورية ومعالي الزعيم فوزي سلو وزير الدفاع السوري وقد بدا جلالة الملك المعظم الاجتماع بان القى الكلمة التالية :

كلمة الملك

لقد تلوت كتاب فخامة الرئيس الذي حملتموه دولتكم ، فوجدته يحتوي على لب لباب ما يقتضى العمل له من تساند وتآخ وتعاضد ، وارجو ان توفقوا في مذاكراتكم مع الحكومة في أمور كثيرة تبتدىء بتبادل التمثيل السياسي ، وتثني بازالة الجفاء الواقع ، فنحن بلد واحد واخوة وجيران ، واود قبل ان تبدأوا هذه المذاكرات أن أعرض عليكم الموقف ، قديمه وجديده :

تعلمون اني انا الوحيد الباقي من الذين قاموا بالثورة على العثمانيين ، فقد كانت للعرب مطالب قومية عملنا لتحقيقها مذ أعلن الدستور عام ١٩٠٨ ، وكان يرئس حركة المطالبة الهيئات السورية التي ترمي الى تحقيق اللامركزية في الادارة . وقد سارت هذه الهيئات شوطا غير قصير ، وكادت تصل الى نتيجة . وتذكرون كيف دعي المرحوم الشيخ عبد الحميد الزهراوي الى مؤتمر باريس ليقابل وزير الداخلية طلعت بك بخصوص طلب الادارة اللامركزية لسوريا ، ثم كيف منح السيد الإدريسي مطالبه في جنوبي عسير وغربيه ، وكذلك اعتراف الدولة

العثمانية بالامام يحي حميد الدين اماما للزيدية وبلقب امير المؤمنين أيضا .

وحينئذ وقع حادث اغتيال ولي عهد النمسا في سراجيفو ثم جر الى الحرب العالمية الاولى . وكنت وقتئذ في استنبول نائبا عن مكة المكرمة وأخي فيصل نائبا عن جدة ، وما لبثنا ان رأينا حالة الاتراك تغيرت ، اذ عزموا على الانضمام الى الطرف المعادي لروسيا ، وتركوا أصدقاءهم القدماء. وغرضهم من خطتهم هذه منع كل عنصر غير تركي من المطالبة باللامركزية أو غيرها . وما استحوا من اعلان غاياتهم ، بل صرحوا بما انتووا عمله لنا وللنواب ، وقد ابدوا لنا في بادىء الأمر بعض النيات الحسنة ، لكن الايام اثبتت انهم كانوا يظهرون غير ما يضمرون ، وما طلبت الادارة اللامركزية لسوريا بحدودها الحالية ، بل لبلاد الشام حتى تبوك جنوبا ولولايتي حلب وبيروت ومتصرفية القدس . واغتنم الترك فرصة نشوب الحرب فقرروا اخضاع العناصر المطالبة بالإصلاح ، فبداوا بتهجير الشعوب ، واخذوا يسلبون ويفتكون . عند ذاك لم يصبر العرب على هذا ، ولم يكونوا بالطبع ليرضوا البقاء حيارى حتى يستبدلوا سيدا بسيد او يبيدوا . وكان فيصل في الشام مع جمال السفاح بحجة ايجاد مجاهدين او غير ذلك من المهام ، وهناك اجتمع اعضاء حزب سوريا الفتاة وقرروا القيام بثورة عامة لإيجاد امة واحدة ، ودولة واحدة ، وعلم واحد ، تحمي شرف الشرق وتعيد المجد الضائع . ورجع اخي فيصل ومعه اختام زعماء سوريا موضوعة في كيس للدلالة على الوفاء بالوعد

الحوادث الى أن بدأ الجهاد في سوريا وتركز في جبل الدروز . وكنا هنا في هذا الجزء من بلاد الشام موئلا للناس يستجمون فيه ويجدون منه نعم العون والرفادة . وظلت الاحزاب والنوادي تنادي بالوحدة ونبذ التفرقة ، وتدعو العرب الى ان يكونوا أمة واحدة ، ذات دولة واحدة .

وفي الحرب العالمية الثانية هزمت فرنسا ، ثم وصلت سوريا الى الاستقلال . واني ليؤسفني اشد الأسف ، وانا الثائر لوحدة العرب ، أن أرى اولئك الذين شاركونا في الجهاد ، أصبحوا ميالين للتفرقة ، بل دعاتها ، فتغيرت المطالب القومية الاولى من وحدة قومية شاملة الى تجزئة بغيضة ضارة . وانا أقول كلمة صريحة ، وهي أننا قد اخرجنا من الحجاز من أجل سوريا وفلسطين . وسلطت علينا في أرض الحرمين الشريفين أمة جبارة من الأعراب ، امعنت في البلد المقدس تخريبا وفتكا وتدنيسا . ومع هذه التضحية البالغة أصبح كل من يأتي الى هنا منكم ليسلم علينا اعتبر عمله هذا اجراما يجازى عليه بالسجن والتعذيب .

اننا نحن آل البيت السبب الأول في رفعة العرب ، فمجدهم الاول انبثق من بين يدي محمد (صلعم) ، ومجدهم الثاني انبثق من بين يدي باعث الثورة العربية الكبرى ، ونحن السبب في ايجاد من نسميهم اليوم بأصحاب جلالة وأصحاب سمو وأصحاب فخامة وغير ذلك .

وها نحن نرى اليهود في جنبنا على حدود طويلة ، وهم كالشوكة في العين والخاصرة ، ومن الغريب أن المجموعة العربية ما تزال تركز جهودها وآمالها على الجامعة العربية ، وما تزال تتردد

الذي قطعوه على انفسهم في العمل لاستقلال العرب .

لا أطيل عليكم . بدات الثورة وكنت قائد الجيش الشرقي ، ولم أكن أتصور مطلقا اني اقاتل عن الحجاز ، بل كنت اقاتل دفاعا عن سوريا والعراق ونجد واليمن وكل قطر عربي آخر . ثم أخذ الله تعالى باليد فتغلبنا على الصعوبات واجتزنا العقبات ، فلما انهارت تركيا كان جيشنا العربي قد بلغ حلب . وما ان عقدت الهدنة حتى اخذنا نسمع نغمات غريبة وآراء عجيبة أذهلتنا ، فبريطانيا راحت تنادي بترك العراق للعراقيين . ثم بدات ثعابين التفرقة تطل برؤوسها ، وتغيرت نفوس كثيرة ، ثم وقعنا في شرور الانتدابات ، فكانت فرنسا في سوريا ولبنان ، وبريطانيا في العراق وفلسطين والأردن .

وقد تحركنا من الحجاز بعد انهيار عرش فيصل بالشام الى معان للمطالبة بالحق المغتصب . ووصلت الى عمان ، وبعد ذلك دعيت الى القدس للمشاورة مع المستر تشرشل وزير المستعمرات البريطانية وقتئذ ، فلما قابلته قال لي : ان فرنسا لا تطيق عودة فيصل الى سوريا، فلو بقيت أنت واحسنت التصرف وسرت بالامر سيرا طيبا هنا وفي الحجاز فاننا نأمل أن تعود فرنسا عن اصرارها وترضى بالحق بعد عدة اشهر فتعود اليكم بلاد الشام ، فطلبت منه مهلة للرجوع الى رجال سوريا الذين اجتمعوا في عمان، فوافقوا على أن أبقى . ولكن وقع حادث الاعتداء على الجنرال غورو في الشجرة فاستغلت فرنسا القضية وزادت في طغيانها وغطرستها ، وتتابعت

في تصفية الحالة القائمة في ما بينها . والجامعة يحضرها رجال لا يدرسون الحقائق في مختلف البلاد العربية ، وفي هذه البلاد تتغير الوزارات وعلى رأس الجامعة رجل واحد لا يتغير ، وهو يدير شؤونها لمصلحة وطنه مصر ، ويوظف أبناء قومه لتحقيق هذه الغاية وحدها ، فمصر عنده كل شيء ، ويجب أن تسخر مصالح العرب ، وأن تزداد التفرقة بينهم لخدمة مصر . اذا ذكرت هذا كله وشاهدت ما يقع من الأحداث شاع اليأس في قلبي ، فالجهود التي بذلتها ، وأنا البقية الباقية من الذين ثاروا وتقدموا لإغاثة العرب وأخذ الثأر للشهداء ومقاومة مرامي تركيا ، أراها — أي الجهود — تنكر ولا تشكر ، ويتخلى عنها الناس خدمة لمطامع فردية وارضاء لشهوات حزبية .

فما الذي عملناه لتكون بلادنا تحت رحمة رغائب شخص معين ، أو دولة معينة لم تساهم في قليل أو كثير لمصلحة العرب ؟

خرجنا من ديارنا نقاتل البغي والعدوان ، وأخذنا حقنا وحق بلادنا غلابا بسيوفنا ، بينما عيّن غيرنا تعيينا . وهؤلاء أصبحوا يتآمرون علنا على مجموعة الدول العربية التي لم يعترفوا بأنهم منها الا لما وجدوا لهم مصلحة في هذا الاعتراف . والحالة التي نراها ، تتفاقم يوما بعد يوم ، وهي ان استمرت أوقعتنا بين أيدي الدول الاجنبية ، ولا احسب أن عربيا واحدا يرضى بهذا المصير .

وها هم اليهود الى جوارنا ، ونحن تحت تهديدهم الدائم، وعندهم جيش وطيران ورؤوس

اموال ، وعلاوة على ذلك تؤيدهم اميركا واكثر دول أوروبا . والأردن وطنكم انتم ، وأهله أهلكم ، وما انا الا رجل حجازي أبطحي اخدم العرب واضحي في سبيلهم بنفسي ، وانتسابي للبيت النبوي الشريف هو الذي يحفزني الى العمل للعرب دون تفريق ، ولذلك ليست حماستي للمجد العربي بالشيء الجديد ، بل ليست ببدعة ، كما فعل الآخرون .

والآن : ان الموقف بين أيديكم، ان شئتم رفعتم شأن العرب، وان شئتم اهويتم بهم الى الحضيض، فاليهود خطر دائم علينا ، قبل غيرنا من الأقطار العربية ، ولكني انا وشعبي نقف بالمرصاد ، ولن نتلكأ لحظة واحدة عن القيام بواجب الدفاع عن كل شبر من أراضينا. وانتم تعلمون أن بيننا وبين بريطانيا محالفة ، وقد تعهدت بالدفاع عن حدودنا الحالية بعد انضمام القسم الشرقي من فلسطين الينا ، ومع ذلك فان لدينا القدرة والكفاية على الدفاع، وعهد الانكليز بالدفاع قائم اذا شن اليهود هجوما علينا ، ولكني لا اظن هذا الهجوم يقع لأن اليهود لا يريدون اثارة مشكلة لا يدرون الى أين تنتهي .

وامام هذا الخطر لا بد لنا من تفاهم يجعل بلاد الشام في كل اجزائها تغضب معا ، وترضى معا ، وتقاتل معا ، وتصالح معا. فاعملوا لما يحقق هذه الامنية .

سرني تشريفكم ، وانا والحكومة والشعب الاردني نعتبر انفسنا جزءا من سوريا ، وان قلتم لا .

ويهمنا في بادىء الامر ، كما قلت من قبل ، ان

نتبادل التمثيل السياسي . كما يهمنا ان يعتقد كل سوري اننا لن نحارب سوريا التي من أجلها حاربنا العثمانيين ، ولن نكرهها على ما لا تريد . وأنا من جهتي أعد بمساعدتها في كل وقت ، وارغب ان أقدم لها كل عون بعد أن تنعم بالاستقرار ، وبعد أن تتم تصفية الأمور ، وما الذي يمنع أن يجتمع رؤساء الوزارات ووزراء الحربية والمالية والخارجية وغيرهم ، ليدرسوا الحالة ، فاذا اتفقت كلمتهم على شيء أصبحت المجموعة السورية قادرة على صد كل اعتداء ! فساعدوا بلدكم ، وتعاونوا على ما فيه خيره . اما انا فرجل مكي أبطحي ، واكرر ما قلت بانني لن إقاتلكم لأستولي على بلادكم ، وكيف اقاتلكم وقد قاتلت عنكم ؟ نريدكم أن تكونوا كما تريدون ، والتفرقة تخيفني ، لأنها مصدر كل خطر . ويخيفني ان يتزعم علينا فلان او فلان دون استحقاق ودون سابقة ، فقد سبق لهم أن صارحونا العداء ، وقرروا فصلنا من الجامعة ، رغم أننا نحن عز العرب ومعين مجدهم . ثم عاكسوا الأماني القومية العربية بالتحمس لتدويل القدس . أفلا يعرفون أن هذا التدويل سيؤدي الى ضياع المدينة المقدسة والخليل ونابلس ايضا. ثم لماذا اثاروا ضدنا حملة شعواء مغرضة ونحن الذين جاهدوا وضحوا حتى حفظوا ما بأيديهم من فلسطين للعرب ؟ وهل تحسن سمعتنا عندهم اذا وضعنا تلك الاقسام لقمة سائغة للأغيار ؟. عليكم ان تزوروا تلك المناطق لتقدروا التضحية التي قدمها الجيش العربي الاردني، والمسؤوليات الجسام الملقاة على هاكله . زوروا اللاجئين في

خيامهم ، زوروا الفلاحين في قراهم ، اسألوا من لقيتم عن حالتهم ، وارجعوا بالحقيقة كاملة وقولوها علانية . ان هؤلاء اللاجئين اخوانكم وكل واحد منهم عزيز علينا وعليكم .

وبعد أن تدرسوا الوضع كاملا قرروا ما تريدون للم الشعث وتطبيق الوحدة السورية . ولكم ملء الحرية ، فان اخترتم الجمهورية فانا راض بها ، وان قررتم الملكية فلا مانع لدي ، واذا رأيتم أن الاتحاد الاستقلالي أفضل نزلت على رغبتكم وسعينا لتنسيق الجهود والاعمال ، سواء في الشؤون المالية أو السياسة الخارجية . وأقول لكم ان العراق يرحب ولا شك بما ذكرت . وبعد أن يتم لنا ذلك ، فاننا سنكون قادرين ، اذا نشبت حرب شيوعية ، على رد الخطر ولن تصبح بلادنا عرضة للتطاحن ، وقد كانت سوريا مركزا للجيش الرابع ، والعراق مركزا للجيش الخامس العثمانيين ، وقوام هذين الجيشين رجال من البلدين ، لذلك ستصبح بلادنا وفيها القوة ، يملكها خيار الرجال. ولنا في معركة فلسطين عبرة ودرس ، اذ لم يصدنا عن بلوغ الغاية الا عدم وجود السلاح والعتاد ونقصان الرؤوس المدبرة والقيادة الموحدة الحقيقية ، وانتم ولله الحمد لا ينقصكم علم ولا عرفان ، ففيكم عسكريون وماليون ، وأنتم فخر العرب ، فلم أرى صفوفكم ممزقة وكل يوم يصرع أو يطرد واحد منكم من الحكم ؟ واغرب من هذا أن نرى الدول التي ساندت الحاكمين منكم تسارع لتأييد قاتل ذلك الرجل المسنود ومساعدة صاحب الانقلاب الجديد ، وهذه حالة لا أستطيع قبولها كمسلم

وعربي . وقد كان شكري القوتلي على خلاف معي ، فلما حدث انقلاب حسني الزعيم كتبت اليه أدعوه الى المجيء الى عمان ليؤسس حكومة فيها . وفجأة اخذت مصر تعطف على حسني الزعيم وتمنحه قلادة محمد علي وتهجر صديقها القديم . ثم قتل حسني الزعيم ، وقبل أيام قتل الحناوي فاللهم اهد الناس سواء السبيل .

مرحبا بكم،نحن اخوانكم وما تخافونه هو الى جوارنا وجواركم ، واكرر طلبي بضرورة زيارة الحدود ، وهؤلاء الوزراء اخوانكم فاجتمعوا بهم ليلا ونهارا وقرروا ما ينفع هذه الأمة . وفقكم الله ؛ هذا ما تسمعونه من رجل عرك الايام وخبرها .

جواب الدكتور القدسي

أشكر جلالة الملك المعظم على هذا البيان الواضح والشرح الوافي للقضية العربية ، وعلى ما تفضل به من نصائح وأرشادات . وسأتحدث الى فخامة رئيس الجمهورية عما لقيناه من حفاوة واكرام ، وسأنقل اليه ما سمعته الآن من جلالتكم .

ويهمنا يا صاحب الجلالة أن يسعى ملوك العرب الى معالجة الموقف الحاضر بحكمتهم المعروفة ، وأن يعنوا بالمستقبل وحده ، فالرجوع الى الماضي لا يجر غير الوخائم كما يعيد السخائم، واعتقد أن لأخطاء الماضي عوامل كثيرة لا تخفى على فطنة جلالتكم ولا محل الان لسردها ، ونحن الان أمام أمل كبير وخطر كبير ، وهذا ما تجب

معالجته قبل أن يستفحل الخطر . للماضي حسنات واخطاء ، وهي كلها تنسى وتمحى أمام اخطاء اكبر وحسنات اكبر يمكن ان ترتكب هذه او تلك ان لم نسر في الطريق السوي ، وان لم نستهدف مصلحة العرب ، والعالم اليوم يتطور ، والشعوب تسير بسرعة ، ولا يجوز لنا أن نتخلف عن ركب الامم الاخرى ، وهذا التطور يشمل نظم الحياة والتفكير والعقائد ، فلو قال افرنسي واحد قبل الحرب الماضية ، اننا لن نحارب روسيا لكان جزاؤه الاعدام ، أما اليوم فهناك ملايين من الفرنسيين يعلنون أنهم لن يحاربوا روسيا فلا يتعرض لهم أحد بأذى . وفي الماضي كانت الكلمة للملوك والرؤساء ورجال السياسة ، أما اليوم فللشعوب صوت مسموع في ما يتعلق بحياتها ، وعلى هذا الأساس نرجو من اصحاب الجلالة الملوك والرؤساء أن يعالجوا الحاضر والمستقبل ، اذ لن ينفعنا بحث الماضي .

وقد كنا نحن السوريين حجة تستغل لاظهار العرب بمظهر المختلفين، فدولة تقول اننا منحازون الى صفها ، ودولة اخرى تقول بل ان سوريا الى جانبي . والذي جئنا من اجله هو ان نعلن اننا لا نعمل الا لمصلحة العرب ، ولسنا نتبع هذا الفريق او ذاك ، وكل ما نرغب فيه هو ان ندعو الله تعالى ان يوحد صفوفنا ويجمع كلمتنا . وقد قلت لمعالي وزير الخارجية ان المسألة جد لا هزل فيها ، ففلسطين تجاور الاردن وسوريا ولبنان ومصر ، ويعلم اليهود اننا لو كنا متفقين لاستطعنا ان نرد كل اعتداء مجتمعين ، فلو فرضنا انهم

شنوا هجوما علينا ، فان الدول الثلاث لا تستطيع
رده اذا لم تشترك مصر معها في القتال ، واذا
واذا هاجموا مصر فهي اعجز عن صد العدوان
اذا لم تشترك الدول الثلاث معها في الحرب ،
ونحن نريد الخلاص من هذا التهديد المستمر ،
واي خبير عسكري يرى ان لا سلامة لمصر من
اليهود الا اذا عاونها العرب ، والمرجو ان نترك
العاطفة جانبا ، فالشعوب انتبهت ، والجيل
الجديد يكن لنا المقت والحقد . واني لأذكر ان
ابني وعمره تسع سنوات كان يستمع الى الراديو
عام ١٩٤٨ فلما رآني هتف بي قائلا : كفاكم
تدجيلا . انكم تزعمون انكم غلبتم اليهود ، ولكن
الوقائع تدل على انكم انتم المغلوبون . فأولادنا
اليوم لا يثقون بنا ولا يعتقدون بصدقنا . ونحن
كشعب عربي نحب الجميع ، ولكن علينا ان نقدم
واجبنا على غيرنا . ارجو وانتم خير من عرك الايام
ورافق القضية العربية من مولدها الى اليوم وكان
سندها الاول،ان تتصلوا بملوك العرب وان تسعوا
لإزالة الخلاف القائم ، بعالي همتكم وعظيم
مقدرتكم ، لأن اليهود يعتمدون في نجاح اعمالهم
على هذا الخلاف،ونريد ان تكونوا جلالتكم القدوة
الحسنة لزملائكم اصحاب الجلالة،ونحن في سوريا
نرى الشر امامنا كما ترونه ويراه كل عربي،ولكننا
في الوقت ذاته نريد ان نخرج سوريا من ميدان
التطاحن ، بحيث لا تصبح موضع خلاف ، فلا
يقال انها مع هذا المحور او ذاك ، اذ ان امامنا
واجبات فعلينا تنمية مواردنا وتعليم ابنائنا
وتطبيب مرضانا ، وقلبنا مفتوح للعرب جميعا ،
لا لفريق دون فريق .

تعقيب جلالة الملك

استوعبت كل ما قلتموه دولتكم ، لكني الفت النظر الى حقيقة ناصعة لا يتطرق اليها الشك ، وهي أن من لا ماضي له فلا مستقبل له ، فمن نسي ماضيه كان كالمبتدىء في الحياة ، وماضينا مشرف لا عيب فيه ، وللعرب قرآنهم وهو ما لا ننساه من اجل التفرقة الحاضرة ، والوضع الحاضر .

لقد جيء باليهود الى فلسطين ، واخذوا يستعدون ويتأهبون ماليا وعسكريا والناس ينظرون اليهم وهم لاهون عن الخطر ، وبعد ان اتموا استعدادهم وكان الانتداب قد انتهى ، حدث ما عرفناه جميعا ، وما كان اليهود ليصلوا الى هذه الحالة لو كانت للدول العربية قيادة موحدة وعزيمة صادقة ، ولكان شهر أيار ١٩٤٨ موعد نهاية اليهود كمجموعة ذات خطر على العرب .

قلتم انكم تفتحون قلوبكم للعرب كافة ، افلم تسمعوا بما يقوله المسافرون منكم الى نجد والحجاز — وهم كثيرون — عن حالة الفوضى في تلك البلاد ، وعن الظلم المروع الحال بها ؟ ان الحجاز يعاني أفدح أنواع الذل والهوان ، أما مصر فهذه مصر نعرف حالتها مما تنشره صحفها من فضائح مزرية يخجل لها كل عربي ، وهي معنية بالتهجم على الناس أكثر من عنايتها بصد هجوم اليهود عليها، وفيها عشرون مليونا . أما نحن والعراق ، فعيوننا مفتحة ونرقب الهجوم علينا ، ونحن نتألم من التردد الذي نراه في الشام ، وما يحدث فيها من تغييرات، وما نقرأه في الصحف عن منازعات الاحزاب وقتل الناس وفقدان الطاعة للحاكمين ، وهذا ما يحملنا على الخوف من حركات جديدة تبدل الأوضاع وتعصف بالقومية والاخلاق ، والحالة الحاضرة لا تطمئن على الموقف ، اذ ستكون سوريا عاجزة عن صد اليهود أو اية امة اخرى ، واظنكم لا تنسون حدود البلاد ، فلو شن اليهود هجوما عليكم أو علينا او على لبنان ، فانهم سيصلون الى غايتهم قبل أن يأتي لنجدتنا المصري والنجدي والعراقي ، اذن فالموقف يستدعي منا نحن الثلاثة ان نتلافى الخطر قبل وقوعه ، أما نحن فاننا مستعدون ، واطلب اليكم أن تراقبونا ليل نهار ، ونحن اخوانكم ، ولن نفصل ماضينا ، لا عن حاضرنا ولا

عن مستقبلنا . وتأكدوا انني على استعداد لمد يد المعونة لكم اذا كنتم في حاجة اليها ، ولن اتأخر عن واجبي تجاهكم لحظة واحدة ، وانــا منكم ومعكم ولكم .

الدكتور القدسي :

نرجو يا صاحب الجلالة ان تكونوا من العرب ومــع العرب وللعرب ، ان البلاد العربية تمتد من شاطىء الأطلنطي الى ايران ، وفي افريقيا الشمالية ستون مليون عربي ، بينما في الجزيرة العربية ١٩ مليونا ، ولا يمكن نسيان اخواننا في شمالي افريقيا ، فهم أساس مجد العرب في الأندلس .

جلالة الملك :

لا تنس يا دولة الرئيس ان مركز الخلافة كان دمشق عنــد افتتاح الأندلس ، فالمدينة المنورة ودمشق وبغداد هي مراكــز الخلافة ، وما عدا ذلك فمستعمرات وانتدابات باللغة السياسيــة الحديثة ، فعليك أن ترجع للماضي حتى لا يضيع مستقبلك .

أما ما ذكرتموه عن اتفاق الملوك وازالة الجفاء الذي تقولون انه واقع بينهم ، فاني أذكر اني سافرت الى الرياض والقاهرة ونسيت خصومتي وتجاهلت عاطفتي ، وأحسب أن سفري الى نجد لم يأت بفائــدة .

الدكتور القدسي :

أعتقد يا صاحب الجلالة أنه افــاد .

جلالــة الملــك :

وكيف تقولون دولتكم انه أفاد ، ورجال القضــاء والمحققون منكم يثبتون في وثائق رسمية علنية أن من في نجد ارسلوا أشخاصا وأموالا لاغتيالي ؟ . هل هناك سبيل للقلب الانساني ، مهما اتسع ان يصافي شخصا يعرف انه لا يريد له الا الاذى والردى ؟ .

الدكتور القدسي :

يا صاحب الجلالة . لا ينكر أحد خدمتكم العظمى للقضيــة العربية ، وجهادكم الطويل لاستقلال العرب ، ولكن الظرف الحاضر

يتطلب من جلالتكم تضحية جديدة للتوفيق وازالة الجفاء ، وهي أن ...

جلالـة الملك :

هل بلغتم دولتكم الاربعين ؟

الدكتور القدسي :

أنا في الخامسة والاربعين ، وعند نشوب الثورة العربية كنت طفلا في الثامنة من عمري .

جلالـة الملك :

في ذلك الوقت كنت أقود الجيش الشرقي للثورة وأقاتـل العثمانيين دفاعا عن نجد والعراق واليمن وسوريا ولبنان ، فكيف أنسى الجهود التي بذلتها والوطن الـذي نشبت فيـه الثورة ، واخرجني منه الأعراب الفلاظ القلوب لاجلكم ولاجل فلسطين ، ثم اتموا ما فعلوا في بلدي بارسال نقود لفئة مأجورة حتى تفتالني في هذا الجزء من الوطن العربي .

عفا الله عما مضى . مرحبا بكم ، سيرد الزيارة لكـم سعيـد باشا المفتي . واعملوا ما ترونه مفيدا لنا ولكم ، واخواننا في العراق يرحبون بكل ما نتفق عليه ، وحبذا لو زار وزير دفاعنا كل مكـان في بلادكم العزيزة .

أشكركم على كل حال ، وأنتم في بلدكم وبين أهلكم .

العراق

لا ظلام للمبصر ، ولا عشوة للمتمكـن ، ولا تردد لمـن رزق البصيرة ، ولا خوف على من يعرف الحق ويصرح به . هذا هذا . لذلك لا عجب ان قلت العراق واهله ، من تسمى منهم بسني أو انتسب شيعيا ، ثقة آل البيت ، والقلب النابض من أجلهم ، والبلاد التي عرفت بهم ، وعرفوا بها ، جبل ثراها بدمائهم ، وتركزوا بهـا وجادلوا فيها أهل الزيغ . فالكوفة بعلمها وفقهائها ونحوها وصرفها واعلامها . والبصرة بأدبائها ونحاتها . خدام العلم وأمناء العربيـة والاسلام ، وبالجملة فالعراق في الصدر الاول ، وان حصلت فيـه بعض الرجات وتردد حينا ، لكنـه نفض عنـه كل تلك الشوائب

وتمخض فصار موئلا للحق ، ومركزاً للصراحة ، ووطنا للاباء ، وهاديا الى طريق الصواب . وان الذي وقع في أوائل التاريخ الاسلامي من تشبث عرفه الناس لتبديل وضع جاءت به الرسالة ، وسار عليه الخليفتان ، ومشى عليه عثمان رضي الله عنه من الست السنين الاولى من عهده ، كل ذلك يري الناظر ما هو العراق ، ومن هم أهله ، فهو الان يحوي الرافدين ، ويعتصم في البعد عن متناول اليد في كل ناحية من نواحيه ، لهذا نجد العراق يقول ولا يبالي من قال عنه كيت وكيت ، وكذلك حال الاردن ، فالدعوة الهاشمية كانت به في طفيلته البلدة المعروفة منه ، وفي أردنه الاكبر ، حيث كان الامام محمد بن الحنفية ، وعلي بن عبدالله بن عباس ، فكانت تصدر عن الأردن الاشارات والارشادات الى ابي مسلم الخراساني ، حتى استقر الامر ، وكانت الاعصر العربية الزاهرة . .

ولا غرو فان ينس شيء فلا ينس قول الشاعر :

اذا قيل خيل الله يوما الا اركبي ودت بكف الاردني انسيابها

أما آل البيت من نسل الحسن والحسين عليهما السلام فلم يدع أحدهم الى دنيا يريدها ، ولا الى ملك يعضضه ، ولكنهم كانوا كلما شاهدوا ثلمة في حائط البناء الإسلامي دعوا الى رتق الفتق وتشييد البناء ، وكان في كل وثبة من هذه الوثبات تنبيه لعباد الدنيا ، والراغبين في الملك ، والمعروفين بالترف ، وما يجره الترف، فكانوا بدمائهم حفاظا للحق ، خداما له ، كلما تذكرهم أهل البغي توقفوا عن غلوائهم ، حاسبين حساب هذه الوثبات المحمدية ، والصيحات العلوية ، لذلك اذا نظر الناظر الى ما هو صائر بعد الثورة العربية من تجادل هنا وهناك ، فانما هو داء قديم ، وأمر غير مبتدع ، ومع ذلك فان الله لبالمرصاد .

فالعراق والأردن في هذا العصر يحملان مشعل الوحدة والتقوى ، واستهداف الحق ، رجاء انضواء كل متحير تحت لوائهما ، والتظلل بظل الوحدة والعروبة المحضة ، ولا يضرهما تكالب ارباب المنافع الذاتية أو الدعاية المغرية ، والأغراض التي لا تميل الى شيء من التقدم والسلامة ، بل يثبت هذا التجاذب ان

الذين يريدون حبس العرب ومنع تقدمهم ليسوا في العراق ... ولا ، الأردن . والحق يفلج ما سواه ، وللباطل جولة ثم يضمحل . نور الله البصائر ، وانار السبيل لكل متردد حائر .

مصر والعرب

المعنا في البحث الى مصر ، ومصر عضو في الجامعة العربية ، ولكن العرب عرب ومصر مصر ، وعلى العرب أن يقوموا معها مقام الأخ مع أخيه ، وعلى مصر ان لا تطلب من العرب التوقف في مراحلهم الزمنية من أجل مسائلها الذاتية ، فان من أراد الحق كله في يوم واحد ربما حرمه السنين الطوال ، ونحن نأمل لمصر ما نأمله لأنفسنا ، ونرى أن على العرب أن يعالجوا القضية المصرية كما يعالجون قضاياهم ، ولكن على الطريقة التي قلناها ، من مراعاة إمكانياتنا ، وما يمكن أن تواجهه الأوطان الشقيقة من عمل يقوم به من لـه يد او مصلحة او قوة في بلادنا . واليك ايها القارىء كتابنا الواضح في هذا الصدد الى جلالة الملك فاروق وجواب جلالته على ذلك بتاريخ ١٣ غسطس (آب) ١٩٤٧ :

كتاب

حضرة صاحب الجلالة اخي الملك فاروق المعظم
حفظه الله
اخي العزيز

بعد الدعاء لجلالتكم بالتوفيق وعرض واجب التحيات والتسليمات ، ذلك الوداد الذي أحرص على دوامه حرصي على سلامة البلدين والبيتين معا .

لقد كنت أرجو ان تسمح الظروف بالاجتماع لبحث مخاوف نحن فيها ، ورجات نحن عرضة لها ، إنما تأخر هذه الفرصة واكتساب الأحوال من الرقة والدقة شكلا عاجلا جعلني اندفع لذكر ما يقتضيه واجب الأخوة والعروبة والإسلام .

ما من احد على وجه الارض لا يقدر ما ابدته مصر تحت حكم المرحوم صاحب الجلالة والدكم فؤاد الأول ، وفي زمن جلالتكم الميمون ، من ضروب الوطنية والتدرج شيئا فشيئا نحو الوصول الى الهدف المقصود والغاية المرموقة . وان الموقف ليدعو الى ارتجاج في النفس ، وحرص على السلامة ، ورغبة قلبية في الاحتفاظ بالجهود السابقة ، لذلك احب ان أشير الى أن كل عادة جرت واستمرت تصبح تحكما في الآراء ، ما خص منها وما عم ، وسبيلا وعرا يعسر التوقف فيه او الرجوع عنه ، ما لم يمنح المولى عز وجل بقدرته من يقف بشخصه وقوميته عند حد للتحرر من العوائد الدافعة للحكومات في سبيل واحدة يجب العدول عنها الى احسن منها .

لا شك في أنه عند أوائل حكم والدكم المرحوم ، كان من الواجب على صاحب العرش وأعوانه إظهار رغائب الشعب في التحرر والاستقلال ، وتلك دورة مشت وتدرجت ، ويقتضي الآن الشعور بلزوم قيام شكل آخر للاستفادة من مجموع الأمة وحكوماتها ، فالأحزاب العديدة والتكتلات المختلفة اذا تنافرت وتناحرت ذهب نزاعها في الكثير من الفرص التي تقرب من الهدف ، وبحمد الله أؤمل أن صاحب الجلالة أخي الفاروق فيه من القدرة والحنكة ما يجعله يؤم أمته بذاته ، ويوجهها عن يد كرام القوم والمخلصين منهم في مصر للعرش والأمة الى أحسن السبل واسهلها ، للبلوغ بالقومية الى ما يريده صاحب العرش وتريده الأمة . ولكم في ما سلكه الأجداد الكرام من محمد علي اليكم ، شتى المناهج لتنجية الأمة من استبداد مستبد أو عتو

قومية او شغب عام ، بحيث يتفضل صاحب الجلالة فيرسم ما يراه ثم يعزم عزيمته الى الطريق التي يرى تفضيلها وترجيحها. وانني لأبين بأن تعب مصر هو بعينه تعب سائر بلاد العرب ، فهي اجساد متعددة لها روح واحدة .

وان الحالة العالمية التي لم تنته الى صلح في اوروبا تدل على كوامن زمنية يخشى منها استئناف الحرب وتأجج نيرانها مرة أخرى ، فالروس من ناحية ، والانجلوسكسون من ناحية اخرى ، في سعي حثيث الى ان يتفوق احدهم على الآخر ، والأمم الصغرى لا حول لها ولا قوة بالنسبة للمعدات الحربية الحاضرة ونفقات الحروب الباهظة . ولذلك فيصبح من الاهمية بمكان النظر الى وفاق محكم بين امم الشرق ، ثم الارتكاز على الجانب المألوف من المعسكرين تحت إطار الشرف والاستقلال ووحدة الدفاع ، فالعراق وبلاد الشام ومصر العزيزة هي المركز العظيم في الشرق الاوسط الذي يؤمن الخلاص من طمع الطامعين ، ان هي اتفقت واهتدت الى ما فيه الخير .

وبعد هذا ، فاننا نرى ان بلاد اليونان وتركيا وايران تحت أشد الضغط من المعسكرين ، وفي هذا ما فيه من اعتبار اقطارنا العربية روحا واحدة يجب أن تتفق رؤوسها المتعددة في رسم الخطة التي فيها سلامة المجموع . فالدفاع المشترك يحملنا اعباء ثقيلة توجب علينا ان نعيد النظر في السياسة المتاثرة بضغط راي عام داهم هنا او بالشام او بمصر . ولعلي استطعت ان اعرض على صاحب الجلالة ، من طرف خفي ، انه اذا وفق الله جلالتكم فامرتم باستئناف المفاوضات بين مصر

وبريطانيا واجلتم رفع القضية في المنظمة الى وقت ما ، فتكونون جلالتكم اخذتم عصا القيادة ونجوتم أولا بمصر ، ثم أرحتم البلاد الشقيقة عن مستقبلها ، ففيها المعترك ان وقعت حرب . وانني واثق من أن مسألة وحدة وادي النيل ستحل بعون الله على ما فيه رغائب جلالتكم ، والشيء بعد الشيء . والعالم تقوده الثقة ويبعده عن بعضه الخصام إن قولا أو فعلا ، وهذه بلوى عامة ارجو أن تتغلبوا عليها جلالتكم ، وانني مشارككم سهركم وقلقكم وأعتقد انكم مؤيدون من الله . ومعروضاتي هذه هي خالصة لوجه الله ولمحبتي لجلالتكم مع تقبيل عيونكم وبيان تعظيماتي لشخصكم ، اخي .

عبد الله

من فاروق
ملك مصر وصاحب بلاد النوبة
والسودان وكردفان
ودارفور بعون الله
الى
حضرة صاحب الجلالة
الملك عبد الله بن الحسين
ملك المملكة الاردنية الهاشمية

جواب

أخي العزيز

تلقيت ببالغ الامتنان كتاب اخي الكريم ، وفقه الله الى شريف المساعي وجليل الغايات ، وجعل في ما بيننا من تحاب في الله ، وتناصر في الحق ، وتعاضد في الخير ، وتضامن في العمل ، مصدر خير وبركة ، وسبب قوة وعزة لنا جميعا.

ولقد تأثرت كثيرا مما بدا في كتاب جلالتكم من اهتمام بالموقف في مصر من شتى نواحيه ، ومن حرص على أن تسير الأمور في مجراها الذي يصل بالكنانة الى خير ما تهدف اليه وترجوه . واني لأستشعر الدوافع النبيلة التي حدت بكم الى الكتابة إلي في ظرف من أدق الظروف التي تجتازها بلادي العزيزة ، وانا واثق ان ما عرضتم علي من رأي انما كان خالصا لوجه الله ، ولما تكنونه لي من اكيد الحب ومتين الود .

وما بعجيب أن يكون لفيوم تعرض في مصر اثرها في نفسكم الطاهرة ، فان ما بيننا من قديم الاواصر وجديدها،وعزيز الوشائج وكريمها، ما لا سبيل الى إهمال حقه او إغفال حجته. وانني لأقدر تمام التقدير وجهات النظر السياسية التي عبر عنها خطابكم الذي أفضتم فيه ، في بيان ما تفيده مصر والبلاد العربية بأسرها من إعادة فتح باب المفاوضات مع بريطانيا ، وما يرجى من ورائها من الخير في عالم تقوده الثقة ويبعده عن بعضه الخصام إن قولا او فعلا ، ولقد كان بودي ان يصلني خطابكم في وقت كنت استطيع فيه أن استفيد من عظيم تجاربكم ووافر خبرتكم وسديد رأيكم ، ولكن الأخ ـ أعزه الله ـ يعلم أن الله مصير الخلق وعواقب الامر ، وان كل خطوة تخطوها البلاد يغذيها اعتماد على الله وتوكل على رب لا يدفع باب الرجاء دون من قصده .

وارى من حق جلالة الاخ ان اطمئنه على ان حكومتي باذلة كل ما تملك من جهد وراحة ، للعمل على تحقيق أهداف عقد الشعب العزم على بلوغها ، وهي تلحظ بعين العناية والتقدير الظروف الدقيقة

التي تمر بها الدول الصغرى في عالم يعجبما يعج به من احداث جسام .

ومما يحملني على التفاؤل ، شعوري بأن جلالتكم تشاطرون مصر آلامها وآمالها ، وبأن قضية مصر هي قضية العروبة بأجمعها ، وكل خير تنالهمصر هو كسبلهذه الأمم وتلكالشعوب، التي جمعها رباط لا تنفصم عراه من لغة ودين ووحدة في الغايات النبيلة ، وذلك عامل مهم من عوامل الثقة والطمأنينة .

وكل الرجاء ان يهيىء الله لنا الخير والبركة وان يقبل الأخ شكرا مكررا على ما جشم نفسه من اهتمام كريم وسعي جليل .

ومني الى جلالتكم اخلص آيات الود وأطيب التحية .

فاروق

صدر بقصر القبة ٢٦ رمضان ١٣٦٦
١٣ اغسطس ١٩٤٧
وفي السنة العاشرة من حكمنا

تعليق

هذا هو قولنا في مصر وفي سياستها بالنسبة للقضايا العربية المتحدة . ويؤسفنا ان نسمع تلك الأصوات المستهجنة تخرج من مصر في كبريات صحفها ، فتباعد بين هذه الأقطار وتفت في عضد التماسك ، وتظهر بجلاء ووضوح نظرة مصر الى العرب ورغبتها في التجرد من الصبغة العربية .

ولعل من الخير ان نذكر بهذه المناسبة بعض الصحافة المصرية ، فان لها من الاسباب ما يستوجب معالجتهلمصر والمصريين، وقد قال صاحب المثل « لا تصاحب الأحمق فانه يريد ان ينفعك فيضرك » . وللصحافة في مصر نية حسنة نحو الوطن المصري ، ولكن هذه النية تأتي في الدرجة الثانية . أما الدرجة الاولى في حسن

نية بعض هذه الصحافة فلنفسها ولكسبها ولانتشار بيعها ، فهي تجارية على اكتسابها المال ، وعلى خسارة مصر اصدقاءها ، ومن الحكمة ان نذكر قول الشاعر العربي :

جراحات السنان لها التئام ولا يلتام ما جرح اللسان

على ان الناس قد عرفوا بعض هذه الصحف ، اذ لا نفع من مدحها ، ولا ضر من قدحها ، تمدح يوما وتسب آخر لغير غرض، ولو التفتت الى ما هي فيه لاستحيت وانكمشت ، لسان طويل وذيل قصير ، تنظر الى مواضع الحياء منها فلا تستحي ، بل تزيد تكشفا وافتضاحا ، فهي هي . ثم قد قيل ان احدهم قال لأخاذة ابله وهو يشتمهم من ورائهم : « أشبعتهم شتما وفازوا بالابل » . فقد جرد قسم من الصحف المصرية مصر من كل صديق ودود لها .

واليك مثلا على ذلك ما قالته مجلة آخر ساعة المصرية في عدد ٨١٧ بتاريخ ٢١ يونيه (حزيران) ١٩٥٠ تحت العنوان التالي :

مـن نحن
مصر اليوم .. ومصر الفراعنة

على ضفتي النيل ، ومنذ خمسة آلاف عام ارتقى الجنس المصري عرش الزمن ووضع الاسس الاولى لمدنية الانسان . واليوم نعيش نحن على ضفاف النيل ، عشرين مليونا من الناس ، فمن نكون ؟ هل نحن السلالة المباشرة لذلك الجنس الذي كتب اولى صفحات التاريخ ؟ أم هل نكون جنسا آخر دخل هذا الوادي وعاون الزمن على تغيير كل شيء فيه ؟ ام هل نحن خليط من اجناس مختلفة ... ليس لنا أصل ولا نسب ؟

روح مصـر

ربما كانت الاجابة عن هذه الأسئلة لا تقبع في زوايا المدن

الصاخبة ، وربما كان الريف القصي خير ميدان للبحث !

هذه القرى السوداء ، منازل صغيرة متلاصقة من اللبن يتوسطها بيت العمدة ، وقد دهن بالجير الابيض . وتتراكم فوق سطحها مخازن الحبوب والوقود ، وتنبعث منها رائحة الخبز مختلطة برائحة الدواجن والسائمة ، ثم هذه الأجران المقابلة وقد صفت فوقها قوالب الطوب تنبعث منها رائحة الطين العفنة ، انها نفس القرى المصرية القديمة التي تناثرت على الأرض منذ خمسة آلاف عام والتي تسجلها أوراق البردي وجدران المعابد .

وهؤلاء الفلاحون وقد انحنوا على الأرض السوداء يروضونها بنفس الآلات البدائية القديمة برغم انفجار الذرة في صحاري امريكا وعلى ثلوج سيبيريا ، هذه السحن الفريدة ، وهذهالوجوه السمراء ، وهذا التفاني البعيد في خدمة الارض من شروق الشمس الى مغربها دون شكوى او ضجة ، وهذه الروح ساعدت هذا الشعب العامل الذي لا يكل ، على بناء الأهرامات ، انهم هم انفسهم الذين عاشوا على هذه الارض منذ خمسة آلاف عام ، وهو نفس الشعب المسالم الوديع الذي جعل منه رمسيس الثاني وتحتمس الثالث شعبا محاربا باسلا !

ان عاداتنا في الوقت الحاضر هي نفس عادات اجدادنا منذ خمسين قرنا . ومن اوراق البردي القديمة نجد ان الحياة في « منف » الجميلة لا تختلف كثيرا عن الحياة في القاهرة منذ مئة عام . البوابات الهائلة تقوم على ضفاف المدينة ويقوم عليها الحراس ليلا ونهارا . وتؤدي الى الطرقات الرئيسية التي تحفل جوانبها بالحوانيت وحركات البيع والشراء . ويأتي الفلاحون من القرى المجاورة لقضاء حوائجهم من اسواق المدينة ، ولكنهم لا يبرحونها إلا بعد زيارة معبد الاله « يتاح » ، وتقديم القرابين والهدايا الى كهنته استدرارا للرحمة والرخاء . وبرغم مرور السنين فان نفس الشيء ما زال يتكرر حتى اليوم في حرمي السيدة زينب والحسين.

اما الجنازة المصرية التي نرلها في طرقات القاهرة متجهة نحو قبور الأمام فهي صورة طبق الاصل منالجنازة المصرية القديمة التي

كانت تذرع طرقات (طيبة ومنف) . وتقول الطقوس الدينية المسجلة على اوراق البردي ان الكهنة يسيرون امام التابوت يرتلون الأوراد ويحرقون البخور . ثم يتبعهم التابوت محمولا على الأكتاف او على عربة تجرها الحيوانات . ثم جموع المشيعين من الرجال . ثم النساء مرسلات الشعور ، ملطخات الوجوه بالنيلة والطين ، عاريات الصدور ، ضاربات الخدود ومولولات نائحات .

وكان الاغتراب هو اقسى تجربة يمر بها المصري القديم . ولم تكن الأسرة المصرية ترضى بالغربة لأحد افرادها . وكان المصري القديم اذا قست عليه الأيام وأبعدته عن بلاده يحرص كل الحرص على ان يموت في مصر ويدفن في أرضها المقدسة .

واليوم برغم زيادة عدد السكان على موارد الثروة ، وبرغم حاجتنا الماسة الى الهجرة كما يفعل ابناء كل امة في الارض ، ما زلنا نتمسك بالعيش في مصر ، وما زال الاغتراب هو المحنة التي تصيب كل مصري تبعده الاقدار عن بلاده .

وبعد هذه الجولة ، وبنفس الأسئلة التي تدور في رؤوسنا ، دعنا نتوجه الى الفيلا الانيقة على طريق الهرم حيث يعيش القديم .

دعنا نتوجه الى الفيللا الانيقة على طريق الهرم حيث يعيش سليم بك حسن استاذ التاريخ المصري . وفي مكتبته الحافلة نضع هذه الأسئلة بين يدي الاستاذ العالم فيتطلع اليها ويطرق قليلا ثم يبتسم ويقول :

« نعم . نحن مصريون . وليس في العالم أمة حافظت على دمها وجنسها نسبيا اكثر من مصر . ولقد بالغ المصري في المحافظة على تقاليده وعاداته ودمه حتى إنه في العصور القديمة كان يتزوج من اخته او ابنته كي يحافظ على نسب عائلته نقيا خالصا . وبخاصة الفراعنة الذين كانوا يتزمتون في المحافظة على الدم الملكي نقيا . فكان فرعون يأبى كل إلاباء ان يتزوج من ابنة ملك آخر حتى لايختلط الدم الملكي الآلهي المصري بدم اجنبي .

هذا الى انالزعم بأن الجنس المصري قد اختلطت به اجناس

اخرى كاليونان والعرب والآسيويين وغيرهم ـ مما جعل بعض من لا يدققون يعتقدون بأن شعب مصر الحالي هو خليط من هذه الاجناس ، وان الدم المصري لا يكوّن منه إلا جزءا قليلا ـ زعم خاطىء من اساسه . إذ الواقع ان مصر حافظت على دمها وجنسها وبقيت محافظة عليه حتى الان برغم دخول هذه الاجناس ارضها . وان الامة المصرية الحالية هي بنت الامة المصرية القديمة .

إن الفاتحين لمصر كانوا لايدخلون الا في المدن الكبيرة مثل منف وطيبة والاسكندرية ، اما باقي ريف مصر وصعيدها فكان بعيدا عن الاختلاط بهؤلاء الفاتحين . فمثلا نجد ان الاسكندر الأكبر عندما فتح مصر بنى اليونان لانفسهم مستعمرة خاصة بهم وعاشوا الى الان لا يختلطون بالمصريين ، وكذلك عندما فتحوا مصر كان عددهم لا يزيد على اربعة آلاف لم يختلطوا بالمصريين ، وهم يأنفون من ذلك حتى الان . فان البدو الرحل الذين يتنقلون في ريف مصر يأبون كلّ الإباء ان يتزاوجوا مع الفلاحين . لذلك تجد أن المصري الذي عاش في ريف مصر منذ خمسة آلاف سنة هو نفسه مصري اليوم .

ودل البحث على ان جماجم المصريين القدماء التي كشف عنها حديثا في الحفائر التي قامت في انحاء القطر لا تختلف عن جماجم المصريين في العصر الحاضر . وهذا دليل مادي لا يقبل الشك .

حتى في التقاليد الدينية تجد أن المصري قد صبغ الديانة الإسلامية بالدين المصري القديم والعادات المصرية القديمة . لذلك تجد أن الخرافات والأساطير التي عاشت في مصر القديمة ما زالت متغلغلة في مصر الإسلامية ولن تجد الحال كذلك في اي بلد إسلامي آخر . »

حقيقة اخرى

وبين اطلال الاقصر حيث يعمل الاستاذ ماكيتاريان مدير مؤسسة الملكة اليزابيث في بروكسل لدراسة الآثار المصرية ، يتطلع الاستاذ العالم الى الاسئلة ثم يخلع قبعته ويقول :

« ان شعب مصر الحالي هو السلالة المباشرة التي انحدرت من صلب المصريين . وبالرغم من كثرة الغارات التي كانت الشعوب

المجاورة تشنها على مصر ، إلا ان هؤلاء الفاتحين - ككل الفاتحين الآخرين - كانوا يعيشون في المدن الكبيرة وبمنأى عن سكان مصر حتى يقوم امير مصري بطردهم عن آخرهم وتولي عرش البلاد ، ويكفيك ان تتطلع الى وجوه للقوم وتصرفاتهم في هذا البلد لترى صدق ما اقول .

وكل ما حدث عندما دخل العرب مصر ان غالبية المصريين اعتنقوا الديانة الاسلامية كما اعتنقوا المسيحية من قبل . وبقيت الاقلية التي تكوّن الاقباط الآن . وليس معنى ذلك لبدا ان المصريين اصبحوا عربا . واذا اردت التدقيق فاقول لك إن المصريين الاصليين يكوّنون ما لايقل عن خمسة وثمانين في المائة من شعب مصر الحالي» .

(انتهت المقالة)

المغرب العربي

غير اننا نأخذ بالحلم ما نرى من جهالة في القوم ونداب في سعينا القومي لإحلال هذه الأمة محلها من الرفعة والكرامة ، سواء أتباعدت أم تدانت . فلسنا نكتم سرورنا للمرحلة الاستقلالية البدائية التي احرزتها ليبيا ولقرار فرنسا بشأن تونس ، مع الأمل الشديد في أن نرى الدولة الهاشمية المراكشية بالفة استقلالها التام الفعلي بتفاهم شريف بين فرنسا واسبانيا . وهاك شيئا مما كتبنا الى الامير المجاهد عبد الكريم الخطابي يوم ٤ ذي الحجة سنة ١٣٦٨ الموافق ٢٦ ايلول ١٩٤٩ .

يا سمو الامير

يعلم الاخ انني لا اكتم أمثاله شيئا من الأمور مهما بلغت سرّيتها ، وهو المجاهد الأوحد . أحب الإشارة الى أن إخفاق دول الجامعة العربية في مسألة فلسطين حط من كرامة العرب شيئا كثيرا وأنه لا بدّ للعرب من الانتباه لاستعادة المجد والكرامة ، وهذا لا ياتي باتباع العاطفة ، ولكن يتأتى باتباع العقل والحكمة والتبصر .

يا سمو الامير

ان الله نهانا عن التفرقة فلم ننته ، وبكل حزن اقول ، إنني اشعر بأن المغوين لنا من قومنا لايزالون وكلمتهم مسموعة وآراؤهم متبعة ، ولكن لا يأس من روح الله ، فانه لا ييأس إلا القوم الكافرون . والأمل في ان تنال بلادكم العزيزة ماهو فوق أمورها الثقافية والاقتصادية التي بحثتم عنها . وقد تكلمت عنكم وعن بلادكم الشيء الكثير ، ولم اجد ما استروح منه رائحة النفور من الجانب المخاطب فثقوا بالله وبحسن النية ، واكتبوا الى اصدقائكم ناصحين لهم ضمن ما طلبتم انتم من تعاون ثقافي واقتصادي ، وعلي انا إن شاء الله السعي في تأمين ما وراء ذلك .

عبد الله

العلائق العربية البريطانية

اما في ما يتعلق بالشرق العربي كله وبريطانيا العظمى، فان قوة هذا الشرق هي في وحدته وسلامته وتماسكه ، ليستطيع ضمان حقوقه الكاملة وصون شرفه ومكانه . والوحدة ينبغي ان تتحقق له قبل كل شيء ، واول مراحلها وحدة البلاد الشامية ثم الاتحاد بالعراق ثم السعي الى رفع السوية العلمية ، في الحجاز وفي نجد وفي اليمن ، الى مرتبة حكومات العصر الحاضر . والأخلاق العربية والديانة الإسلامية أوسع من ان تضيق عن واجبات العصر ودوله ، من علم الاقتصاد والصناعات وعلم حفظ الاوطان ، وعلى بريطانيا العظمى فهم هذا والتفاهم مع الدول الجامعة عليه ، بعد حل عقد النفس العربية في دولها مما يمس الصميم من رغائب مكبوحة ، وحقوق محبوسة محدودة ، ولا جرم فان التوسع في العهد والتدرج فيه قد مشت اليه بريطانيا العظمى ، وذلك ما قاله انصار الواقعية عن عهد بيفن ـ صدقي ، وكذلك ما قاله انصار الحقيقة عن عهد بيفن ـ صالح جبر ، وكما قال صاحب الفبراء لفارس داحس « رويدا يعدوان الجددا » . والمدى يسمح ، وما كل قائم عرضة للتهدم ، وما

كل قائم مضمون له السبق في شوطه ، وعلى الأمم عرفان امكانياتها وتتميم اشواطها في مراحلها الزمنية . ولم يخف على الناس سنوات استعداد المانيا بين الحربين العظيمتين الأولى والثانية ، ومشـــروع الخمس السنوات لروسيا السوفييتية . وللمراحل الزمنية الحق في امكانيات الدول ، وخصوصا في العصر الحاضر من انشاء طرق ، وايجاد مطارات ، وتمرين طيارين ، وحشد المستودعات وحشوها بالاعتدة ، وبناء مصانع الاسلحة ، حتى لا تقف الايدي زمن الحرب لفقدان وسائل الحرب ، والمســـألة اليهودية شـــاهد على ما نقول ، وعلى الشركاء في المصلحة من الدول الصديقة أن تحب هذا الشـــرق وأن تصادقه ، والا تحرمه من حاجاته في أوقاتها ، وان تعتمد عليه اعتمادا جامعا بعد تفـاهم حقيقي ، وعــلى العرب ان يفهموا بانـــه لا عبودية ولا سيادة بعد الحربين السابقتين ، فالأمم انتبهت فتنبهت ولقد عظمت حاجات الناس عن احتمال قوى اية دولة تريد ان تأخذ برقبة من تشتهي من الأمم الصغرى . ولا ضير ، فلارباب المصلحة من الجانب العربي ان يقابلوا ما قلناه بالثقة التامة ، معتقدين بنياتنا القومية الحسنة .

اعلان الملكية

لقد كنا نتابع السير الوئيد في رقينا التدريجي وتوسيع الحق الوطني ، مع رعاية كل ناحية من النواحي المتصلة بالبلاد ، سواء اكانت بالنسبة لاطرافنا المحوطة بشقيقاتنا الدول العربية أم كانت بالنسبة لما بيننا وبين الدولة المنتدبة ، فكان السفر الى بريطانيـــا العظمى بدعوة من حكومة العمال الحاضرة عام ١٩٤٦ ، وكان رئيس الوزارة الاردنية يوم ذاك دولة ابراهيم هاشم باشا ، فكانت فاتحة الاعمال ميسرة ، كما كانت حكومة العمال ومستر بيفن في درجة من التوفيق عظيمة ، فجاءت معاهدة بيفن ـ ابراهيم . وتلا ذلـك اعلان الملكية مع البيعة لنا بالملك ، وسميت البلاد (**المملكة الاردنيـــة الهاشمية**) ، واعترف لها بالاستقلال والسيادة التامة .

مؤتمر انشاص

وبعد ذلك كانت الدعوة من صاحب الجلالة الملك فاروق الى

حضور مؤتمر انشاص ، وكان رؤساء الدول العربية قد أجابوا الدعوة ، الا من ناحية الامام في اليمن ومن الناحية السعودية ، فانه لم يشهد الاجتماع الا صاحب السمو الملكي الامير سعود ولي عهد نجد ، وصاحب السمو الملكي سيف الاسلام عبد الله من ناحية اليمن وانها لفرصة ثمينة . اذ تقابل رؤساء هذه الدول لامر عظيم ، وكان جلالة الملك فاروق يغدق لطفه وعطفه على ضيوفه الكرام ، ويظهر احسن نياته مع عزمه على كل تضحية ممكنة من اجل القضية التي دعا اليها هؤلاء الرؤساء الكرام. وما جرى في ذلك الحين قد أثبت ثم أعلن . ولم تلبث ان حدثت نكسات بين العرب لم تكن مصر بمسببة لها ، وانما المسبب هو الذي جاء الى مصر واخذ يعمل على ما فيه الاضرار بالعرب ، والقضاء على فلسطين ، وهو الحاج امين الحسيني المعروف بالمفتي . وعلى كل حال فقد علمنا انه تناول قدرا عظيما من المال من رئيس الجمهورية السورية شكري بك القوتلي ، تبلغ قيمته ما ينوف على مائتين وخمسين الف ليرة سورية ، وهذا قليل من كثير من نواح اخرى . بمثل هذا تفرقت الآراء . ثم جاءت فتنة فلسطين ، وسافرت الى مصر بين الهدنة الاولى والثانية للوقوف بذاتي على رأي جلالة الملك بالقاهرة وآراء حكومته ، والبحث في اعتدة الجيش الاردني المصادرة بمصر في بادىء الحركات ، ولأخذ الموافقة على زيارة القوات المصرية المحاربة ، فوعدت خيرا ولم أصل الى نتيجة ما ، لأمور لا اعلمها ، وليس لي الحق بأن استقصي موجباتها . ثم كان ما جاء في اول هذه المذكرات عن فتنة فلسطين .

الملك عبد العزيز ال سعود

ثم عدت وسافرت الى نجد ، وهناك رايت جلالة الملك عبد العزيز ووقفت على آرائه ونياته الحسنة ، وكتب كل منا الى الجامعة التي كانت في حالة الاجتماع بمصر ما عنّ لنا ، ولما عدت الى بغداد فوجئت بخبر نقض الهدنة من لسان دولة السيد مزاحم الباجه جي، وبذلك النقض الذي كانت نتيجته ضياع اللد والرملة دون فائدة ، وبالرغم عن كوني أحمل اسم القائد العام ، لم ينفذ لي اي

طلب من ناحية مصر أو من ناحية العراق في تلك الموقعة ، ولكل عذره .

ولا بد لي من التحدث عن شخصية الملك عبد العزيز في أثناء زيارتي لجلالته ، فأنا اقر بأن جلالته من دهاة العرب في العصر الحاضر ، حلو المعشر ، أصحل الصوت لطيف الكلمات والجمل ، وهو سعد النزيل ، ومكرم الضيف رزقه الله ما شاء من البنين والحفدة ، ومهد له كل ما أراد . ولقد صادف قرمين من العرب كلا منهما اشجع من اسامة ، ولكنه عرف كيف يتقي بأسهما ثم يتخلص منهما .

وانني اشعر الآن باحترام قلبي لجلالته ، اذ انه عاملني بما احب من صراحة في السياسة وتبيان للحقائق وعدم اعوجاج في ما رسم من خطط .

نجد

أما نجد فليست بنجد التي أعرفها ، بل هي اليوم مجال للسيارات والطيارات بعد الابل التي كانت من قديم هي وسائل النقل . والظهران به آبار النفط ، وقد رايت خطا جديدا ينشأ ليوصل قرى نجد الجنوبية بالساحل .

وأما الحجاز فلم تسنح الفرصة لان أزوره وأراه ، ولقد بلغني أن شباب الحجاز الذين عادوا من الكليات ، عادوا وهم ملء العيون من العلم والعرفان، وآمل لكل حجازي النجاح في المستقبل، وقديما كان فيهم الذكاء والاستعداد المعروف عنهم .

الى تركيا

لست انسى زيارتي لتركيا الجديدة بدعوة من رئيسها المحترم عصمت اينونو عام ١٩٤٧ ، وان دلت تلك الدعوة على شيء فانها لاتدل الا على ان الاخوة في الشرق راوا ان التجدد المجدي هو في التفاهم الحقيقي والتساند الاخوي ، وهذا ما كان واجبا من القديم السابق عندما ابتدات اليقظة في أوربا ، وباشرت الامبراطورية النمسوية في أوربا العثمانية تضايق الدولة العثمانية ، وكذلك الروسية في أوكرانيا والقرم وما حول بحر أزاق في ققفاسيا ، عندها كان يجب

ان تتجدد الامة الشرقية ــ تركها وعربها ــ في تشكيلات قوية محلية مربوطة بمركز الدولة ، فلو وقع ذلك لتفادت ديار الاسلام ما أصابها من شر ، وما أضعفها من وهن لم ينفع المركز ولم يفسد الاطراف . وانا لنؤمل أن نرى هذا من الآن فصاعدا فنتحد اتحادات مقبولة ان شاء الله من باكستان في الجنوب الشرقي الى أدونه في الشمال الغربي ، ومن حدود التبت في الشرق الى طنجة في الغرب.

كان السفر من حيفا في باخرة الرئيس الخاصة « سافورنا ». تلك الباخرة المعروفة المشهورة بحسن تخطيطها وظريف تفريشها وحسن تنسيقها ، وقدرتها على أن تلعب بالامواج كما تلعب الامواج بها ، وقد وصلت بنا الى مرفأ الاسكندرونة في ست عشرة ساعة ، وبعد أن ألقت مراسيها نزلنا منها الى البر ، وقد كان بها على رأس هيئة الاستقبال سعادة بدري بك شامان ، الذي كان وزيرا مفوضا لدينا ، وهو عالم وابن عالم ، ثم امتطينا القطار الخاص بالرئاسة وسار بنا مستقبلا جبال طورس ، مارا بأودية قد تقدم وسميّها وتتابع وليها ، فأخذت الارض زخرفها وتزينت بالافانين من الازهار والمختلف من الاشجار ، ومن صعود وهبوط في رواب وأودية تجري منها الانهار ، وتتساقط فيها الامطار ، مخلوطة أحيانا ببرد وثلج ، وقتام وسحاب ، يظهر ما يتجلى من مناظر حينا ويخفيها أحيانا حتى أرخى الليل ستاره ونحن في وسط الجبل .

أما القطار فحدث عنه و لاحرج ، ان شئت فقصر منمق ، وان شئت فصرح سائر ، فيه جميع مستحدثات الاناقة وفاخر الرياش والفراش في حجر الجلوس وغرف المنامات والمطعم ، كل ذلك مما يبهج ويسر ، وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور ، لحظة من سرور وأخرى من حبور ، وسنين مليئة بالشرور يحدثها الاشرار وتضحك منها الاغيار وينكرها الاخيار . هذا ، وقد أصبحنا في منقطع الجبل ومنحدر الاودية نستقبل الاناضول ، وهاده بعد جباله ، وان أنس فلن انسى ابدا التواءات نهر جيحون ــ يتركه المسافر الى انقره على يساره ــ منبطحا يتلوى كخط فضي ، متمرجا يبشر بالخير والسقيا، وقد عملت أرضه ونضدت أوساقه ، ولم تهمل سدوده ، فهو يسقي

بلا ضرر ويروي بلا جرف وجر ، فالفلاح في سرور من حاضره راجيا مستقبله . واستمر بنا السير في أرض لم يكتمل احضارها تماما وليست بالخالية أصلا ، ترى هنا وهناك أرضا معمولة واخرى غفلا ، حتى وصلنا الى انقرة ، وكان ذلك في اليوم الثامن من شهر كانون الثاني ١٩٤٧ واذا بالمحطة مكتظة بعدد عديد يرئسهم الرئيس عصمت اينونو ، وقد علم الناس من هو عصمت اينونو مما قرأوا عنه ، واحب ان احدث من يقرأ هذا الفصل عن هذا الرجل العظيم فأقــول :

الرئيس عصمت اينونو

انه من القادة العسكريين الممتازين ، وقد ذكرت في المذكرات الاولى انه كان رئيسا لاركان حرب عزت باشا المشير ، الذي ذهب لاصلاح اليمن في عهد السلطان محمد الخامس حيث مر بجدة وتقابل هو والوالد المرحوم في شأن اليمن ، وان فلسطين لتعرفه في الحرب العظمى الاولى ، وان واقعة اينونو التي تسمى بهاتقول عنه بلسان السيف الفاصل ما يعجز عنه لسان البشر . وجولاته في مذاكرات صلح (سان ريمو) وكذلك أثناء المذاكـرات التي كانت تجري بين العراق وتركيا وانجلترا بسبب الموصل معروفة مشهورة . ثم رئاسته الطويلة لمجلس وزراء تركيا في عهد أتاتورك تغني عن القول عنه بما يليق به . وبعد ان نزلنا من القطار تقدم الينا فخامته مصافحا ومعانقا ، ثم جرى تفتيش الجيش الذي اخذ موقعه للتحية ، ثم انطلقنا في سيارة فخامته ومعه الى المنزل ، وهو «أوتيل انقرة بالاس» المعروف ، فأقمنا هناك وكان معنا محمد الشريقي باشا وزير الخارجية حينذاك ووزير البلاط اليوم ، فعقدت معاهدة الاخاء والصداقة في تلك المدة ، ثم سافرنا الى اسطنبول ، وانزلنا في سراي (دولمه باغشه) وبعد اقامة خمسة ايام عدنا بالقطار الى الاسكندرونة رأسا ومنها باليخت الرئيسي الى حيفا في سرور وشكر عظيم . وان امنيتنا الان تنحصر في التآخي بين امم الشرق ، تآخ لا تشوبه اية شائبة تدل على شك أو ريبة .

الرئيس جلال بايار

اما مدة رئاسة اينونو التي تكررت فكانت سني استجمام لتركيا ، وسني استطلاع يتعرف اثناءها بالمحب الصادق ، والآخر المالق . وقد ترك الرئاسة نتيجة الانتخابات الاخيرة اذ فاز الحزب الديمقراطي التركي ورئيسه جلال بايار ، وكان هذا وذاك يتناوبان رئاسة الوزارة في عهد اتاتورك، وكلاهما من ابناء بجدتها، وعصمت جندي فذ ، وسياسي نابغة وتركي صميم ، ولكن هذه الدنيا تمل أبناءها دائما . وان للرئيس بايار الميدان الواسع للعمل متى نظر الى أعمال سلفه ووقف على ما لم يتم منها في ذلك الوقت فيعمل على التكملة والانشاء . ويكون بذلك اثمن الفرص لمن يود لتركيا الخير العميم ، فيقابل عمله بالشكر والتقدير .

وقد عقدنا في تلك الزيارة معاهدة صداقة ومودة بين مملكتنا والجمهورية التركية واصدر رجال دولتينا البلاغ الرسمي المشترك التالي :

البلاغ المشترك

« لمناسبة زيارة صاحب الجلالة عبدالله بن الحسين ملك المملكة الاردنية الهاشمية للجمهورية التركية فقد جرت اتصالات وثيقة بين رجال الدولتين ومباحثات صادقة وواسعة حول سلام الشرقين الادنى والاوسط ، والصلات المتقابلة بين البلدين ، وفي نتيجة تلك الماحثات تبين لكل منهما انهما يحملان عين مثل السلم والتضامن الدولي ، تلك المثل التي يستهدفانها في سياستهما القومية الملهمة من وحدة المصلحة والمودة المتقابلة، ومن فكرة التعاون مع جميع البلدان المجاورة وقد انتجت هذه العواطف المشتركة التوقيع على معاهدة صداقة لخير البلدين » .

الى ايران

اذكر انه قد زارني فجأة وزير ايران المفوض ببيروت سعادة السيد زين العابدين رهنما الذي عين أخيرا وزيرا مفوضا بعمان ، ونقل الي رغبة حضرة صاحب الجلالة شاه ايران في ان يتقدم بدعوة لنا لزيارة جلالته اذا كانت الظروف مواتية ، فصادف هذا التكليف مني رغبة حقيقية ، فقلت ذلك مدعاة للمحبة والاخاء والشرف العظيم ، فقال اذن هذه هي الدعوة معي ، فوعدت بالزيارة ــ التي كان يتعجلها ــ بعد مضي شهر رمضان المبارك عام ١٣٦٨ ، وكان ذلك والحمد لله ، فسافرنا ومرت بنا الطريق على بغداد ، وسرنا أن نرى بها حضرة صاحب السمو الملكي الاخ الامير زيد ورجال العراق ، وبعد أن قضينا عندهم ليلة استمر بنا السفر على جناح الطائرة الى طهران ، فتخيلت ماضي التاريخ وما يربط ايران بالبيت الهاشمي من روابط اعتقادية وصلات تشيعية . ولما انقضى السهل العراقي العربي ، وابتدانا الدخول في منطقة هضاب ايران واطوادها ، وعلى قممها الثلج تتخللها الاودية والقرى والقصبات ، مر بالخاطر عند ذلك تاريخ الاكاسرة والعظمة الايرانية ، ثم اعتزاز تلك الديار بالاسلام ، ثم ذكرى علمائهم الذين خدموا العربية وكان منهم أعاظم العلماء الفحول في كل فن من الفنون ، وطالعنا من الجو أصفهان ثم رأينا جبل (دمباواند) وكل ما اقتربنا من طهران ازداد الشوق الى الالتقاء بالعاهل الكريم وبلاده ورجاله .

وحينما تستعصي الذاكرة يتبلد الانسان ، وقد يسهل على الكاتب او المتكلم أن يصف الطبيعة والارض سهلا وجبلا ، والبحر ساجيا وهائجا ، والغيث ديما ومنهمرا ، والبرق خاطفا ولامعا ، ونعيم الصحة وكلال السقام ، ولكن لا يقدر كل كاتب أو واصف أن يذكر بالتحديد الصحيح ما يشعر به من احاسيس ، وما يداخله من رغبات الى المخطوب غير المعروف ، والى الوفود على من يحب .

لقاء الشاه

اما الجو فكان صحوا ، وأما الجيوب الهوائية فكانت ترفعنا تارة وتهبطنا اخرى ، حتى الفنا ذلك من بلاد الشيمة ، وهي دعابة كريمة ، ربما احبت الامتحان في الشجاعة او الخوف ، ولما

قيل لنا هذه ضواحي طهران ، اقبلت طائرات الاستقبال الايرانية من الجو وهي تسير أربعا أربعا ، فحيت وتلاعبت واقبلت وأدبرت، ثم افسحت الطريق لهبوط الطائرة الخاصة التي تحملنا ، وقد هبطت الى الارض ، فقلنا (بسم الله مجراها ومرساها ان ربي لغفور رحيم) ، وقد وجدنا في مناخ الطائرة هيئة الاستقبال التي مشت بين ايدينا الى الصفوف القائمة ، واذا بجلالته وحوله رجال وزارته وأعيان بلاده ، والاسرة المالكة وسفراء الدول الاجنبية المتحابة ، فأقبل محييا وصافح مبتسما ، ثم كان العناق بين والد وولد ، او بين صنو وصنو ، قل ما شئت ، ثم عرفنا بمن احب من الرجال والأمراء والقواد والسفراء ، ثم قدمنا الى جلالته معيتنا ، ثم فتشنا الحرس ، ثم أمر وامتطينا سيارة ملكية ، واخذ يرحب ويتكلم بالفارسية ، ولقد أدهشني حينما قال مبادرا : « أنني ابسط خدام الإسلام والمسلمين ، وأنت ممن ينتسبون الى السادة الأقدمين ، فقدومك مفخرة ، وزيارتك لنا حشمة ورفعة ، فاذا رغب جلالتك فانني مستعد لان أقوم بجمع شمل المسلمين ، وايجاد اخاء حقيقي بين دول الاسلام ، وكل شيء يبداه المرء بنية حسنة ، وهو يرغب رضا الله ، فلا شك في توفيقه ، وانني على استعداد لذلك . » فأجبته بما حضرني من اكبار لمرماه وشكر على ما رسم في كلامه ومغزاه ، وقلت : « لجلالتك الامر في ما ذكرت ، وهذه بغيتي ، ومن أجلها حظوتي . » وبينما نحن نتبادل التعبير عن شعورنا الاخوي الإسلامي ، كنا نرى على جانبي الطريق تلك الأمة التي وقفت تحيي مليكها وضيفه بما عرف عنها من كريم الاخلاق ، وحميد السجايا وتدليل الضيف ، واستمر السير حتى وصلنا الى قصر (صاحب قرانيه) الذي اعد لننزل فيه ، فأخذ جلالته بيدنا صعودا في الدرج حتى وصل الى البهو الاكبر الايراني اللامع بالبلور سقفا وجدرانا ، وبعد التحية والاستئناس ، تقبل جلالته منا وسام النهضة المرصع العلي الشأن ، وقلادة الحسين بن علي ، وهما أعظم ما يمكن تقديمه الى مثل جلالته ، وبالمقابلة فقد اهدى الينا وسام بهلوي من الدرجة الاولى والقلادة الملكية ، ثم غادر جلالته القصر

مودعا بالاجلال والاكرام ، مترقبا زيارتنا له في قصر سعد آباد بعد نصف ساعة من الوداع .

وحدثت تلك الزيارة ، واتممنا فيها الحديث بتشكيل جبهة اسلامية ؛ ولقد مضت أيامنا هناك في تكريمات وزيارات ، فسرنا ما رأينا وأعجبنا النشاط العسكري ، وحسن اشراق وجوه الجنود والضباط بشكل جلي ليس فيه أي علامة تنم عن ضعف في المعنويات ، أو خمول في الشخصيات . وقد سجلت للرأي العام تلك الانطباعات الحسنة التي تركتها في نفسي زيارتي لايران في مؤتمر صحفي عقد لنا في طهران ، وكان حديثي هذه الرسالة التالية الى الشعب الايراني النبيل وكان هذا نصها :

رسالة

الى الشعب الايراني النبيل

« لقد كان سروري عظيما بدعوتي من قبل أخي العزيز جلالة شاهنشاه ايران لزيارته وزيارة بلاده الشقيقة الجميلة . وعندما وصلت مع صحبي ورأيت المحبة تشع من سماء ايران وشهدت ما شهدت من لطف عظيمها وترحيبه الأخوي ومحبة شعبه النبيل جدا اكتنزت هذا في نفسي كأجمل تذكار . وان ما للشعب الايراني في قلوبنا آل ابيت من منزلة خاصة وما لنا في ايران من تذكارات وصلات روحية أبدية ، يجعل حبنا لهذا الوطن الاسلامي الشقيق طبيعيا جدا .

ولقد أعجبت حقا بآثار فقيد ايران العظيم المغفور له رضا شاه بهلوي ، وبترسم جلالة نجله الكريم آثاره والنسج على منواله ، ذلك المنوال من الخطط النافعة التي أنتجت اصلاحا كبيرا وتقدما محسوسا في برهة يسيرة وفي زمن محفوف بالمتاعب ، وان في هذا لفجر مستقبل باهر لامة

كريمة مبشرا بالخير ، كما أن في اخلاص الشعب لجلالة عاهله المحبوب وغيرة جلالته المحسوسة على شعبه الوفي دعامة المستقبل ، بحول الله وبركات رسوله المجتبى صلى الله عليه وآله وسلم . »

البيان المشترك

« لمناسبة تشريف حضرة صاحب الجلالة ملك المملكة الاردنية الهاشمية الى ايران اغتنم ممثلو الدولتين هذه الفرصة رغبة منهما في توثيق الروابط الودية السائدة بين الدولتين فتبادلا النظر في أمر التعاون المتعلق بمصلحة البلدين سواء في الامور التجارية او الثقافية او العلاقات السياسية .

ونتيجة لذلك اتفق الطرفان على ما يأتي :

١ ــ توطيد الصلات الودية بين الدولتين بعقد معاهدة صداقة بينهما .

٢ ــ ايجاد روابط اقتصادية بين الدولتين بعقد معاهدة تجارية .

٣ ــ ايجاد تعاون ثقافي وأدبي بين البلدين .

٤ ــ التعاون السياسي في الحقل الدولي في سبيل السلام العالمي واستقرار الأمن والحرية مع مراعاة ميثاق هيئة الأمم المتحدة وعدم المساس بالتزامات المملكة الأردنية الهاشمية المنصوص عنها بمقتضى ميثاق جامعة الدول العربية .

٥ ــ بذل الجهود المشتركة في ازالة الخلافات التي يمكن أن تنشأ بين الدول الإسلامية بطرق سلمية ، والسعي لايجاد حسن التفاهم والتعاون بينهما وتقوية روابطها الاقتصادية والثقافية ، مع

عدم استنكاف كل من الدولتين عن قبول أي مقترح تجمع عليه الدول الإسلامية في ايجاد علائق بينها اكثر اتساقا وتنسيقا » .

الى بريطانيا

عدنا من طهران بأمل زيارة الشاه لنا بعمان في أول فرصة ، وما ان اقمنا يومين في عاصمتنا حتى وقع سفرنا الى بريطانيا العظمى ، وودنا اللقاء بصاحب الجلالة ملك مصر في طريقنا لازالة ما عسى ان يكون قد علق بفكره عن وقائع بئر السبع وما تلا ذلك عندما تركت القوات المصرية الخليل وبيت لحم والتحقت بقواتها الأصلية في الساحل ، فلم نتوفق للقاء جلالته بدعوى أن جلالته كان في غيبة في البحر الابيض ، ولكنا اجتمعنا بحضرة صاحب المقام الرفيع حسين سري باشا رئيس الوزراء حينذاك ، وبعزام باشا أمين سر الجامعة الصديق القديم والمعروف لدى الخاص والعام . أما سري باشا فقد استوعب كل ما عرض عليه وفهمه ، وقد كان لهذه المقابلة الاثر الطيب في نفسنا لاتزان أفكار الرئيس المشار اليه وحبه للشرق ، الامر الذي جعلنا بعد عودتنا نوحي الى وزير بلاطنا يومئذ دولة سمير باشا الرفاعي أن يوجه الى رفعته كتابا يتضمن رغبتنا في تصفية الجو بيننا وبين صاحب عرش مصر ويعرب عما نكنه من تمنيات الخير لمصر العزيزة وشعبها الكريم ، واليك ما كتب في هذا الصدد :

حضرة صاحب المقام الرفيع حسين سري باشا
رئيس الديوان الملكي الافخم
عزيزي صاحب المقام الرفيع :

اقدم لرفعتكم فائق التحية ووافر الاحترام ، وأتشرف بأن أنهي الى مقامكم الرفيع أنني بناء على الرغبة الملكية من سيدي ومولاي حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم أوجه هذه الرسالة الشخصية الى رفعتكم لاذكر أنه في المقابلة التي

كانت قد وقعت مع رفعتكم في الاسكندرية ، وكان لي شرف حضورها بمعية جلالته ، كنتم رفعتكم قد أحطتم تمام الإحاطة بما يكنه صاحب الجلالة الهاشمية لجلالة عاهل مصر العظيم ولمصر وشعبها الكريم من تمنيات الخير والسعادة وتحقيق ما تصبو اليه المملكة المصرية الشقيقة من الأماني والآمال . ولا بد أن رفعتكم تذكرون كذلك أن جلالته كان قد رغب في أن يعرج على مصر في طريق عودته من اسبانيا في الصيف الماضي ولكن الظروف وبعض المؤثرات المعلومة لرفعتكم حالت دون ذلك .

انني لا ارتاب في أن رفعتكم ترون مثلي أن الزمن يفوت سريعا وأن الاضرار التي تتعرض لها مصالح أوطاننا من جراء بعض الاتجاهات السياسية التي سبقت ، تفرض علينا جميعا أن نعمل جاهدين في سبيل ازالة الآثار التي ترتبت على ذلك ، وأن نبذل كل ما في وسعنا لتحسين علائق المودة وتنمية روابط الاخاء بين المملكتين وفي الشعبين ، وعلى رأسهما البيتان الكريمان والعاهلان العظيمان . فاذا تكرمتم رفعتكم باحلال رايي هذا محله من الاعتبار والتشجيع من جانب مقامكم الرفيع ، ووجدتم أن الوقت الحاضر ملائم لاتخاذ خطوات عملية نحو الهدف النبيل ، فاني من ناحيتي على اتم الاستعداد للقيام بواجبي في أي سعي مشترك قد ترون رفعتكم أن نقوم به لهذه الغاية السامية .

وبانتظار ما ستتفضلون رفعتكم ببيانه من آراء سديدة حول هذا الموضوع ، أرجو أن تقبلوا

تأكيدات احترامي وتقديري لمقامكم الرفيع ، والسلام عليكم .

المخلص

١٦ شباط ١٩٥٠ **سمير الرفاعي**

وزير البلاط الهاشمي

الجواب

حضرة صاحب الدولة سمير الرفاعي باشا
وزير البلاط الهاشمي

عزيزي صاحب الدولة

تلقيت بيد الشكر والتقدير ، كتابكم الذي أوحت به الرغبة الكريمة من صاحب الجلالة الملك عبدالله .

وان دولتكم خير من يعلم ان مصر بذلت في كل وقت اقصى ما يمكنها بذله لتوطيد اواصر المودة والصداقة بين الشعوب العربية ، وهي ما برحت مقيمة على هذه الخطة كما أكدت ذلك لدولتكم عند اجتماعنا في الاسكندرية .

واني لأشارك دولتكم الشعور بالأسف العميق على تلك الاتجاهات السياسية التي كان لها صداها في ما ينتظر أن تحققه الجامعة العربية من آمال عزيزة وأهداف نبيلة .

ويسرني أن أذكر للأخ الكريم ، أن ما أبداه صاحب الجلالة الهاشمية من شعور سام ، قد نزل في منزل التقدير من جلالة الجالس على عرش مصر . والله أدعو أن يعزنا بقوته، ويهدينا بحكمته، ويهيء لنا الخير والبركة ، ويوفقنا الى ما فيه مصلحة أوطاننا ، راجيا أن ترفعوا الى أعتاب

جلالة الملك المعظم أعمق آيات الشكر على ما أوحى
به من سعي شريف ، وغاية جليلة .
والسلام عليم ورحمة الله .
رئيس ديوان جلالة الملك
٢٧ فبراير سنة ١٩٥٠ حسين سري

وبعد تعريجنا على مصر واصلنا السفر الى انجلترا ووجدنا ان فكرة الجبهة الاسلامية تحتل المكان الارفع من التأييد هناك ، وفوق كل هذا رأينا من صاحب الجلالة الملك جورج السادس وصاحبة الجلالة الملكة وفادة كريمة وودا عائليا والكثير من صدق الوداد واكيد الاعتماد عندما زرنا جلالتهما في قصر البالمورال باسكتلندا ، وبالطبع فقد تحدثت الى جلالته ورايت أنه على اطلاع تام وسرور حقيقي للتفاهم الجاري بيننا وبين حكومة جلالته في ما خص وعم . ثم اجتمع بنا سفير أميركا في لندن فتكلمت معه في ما يقتضي لايران من وسائل الانعاش العاجلة ، فاهتم بذلك وسافر الى بلاده ، ثم تلا ذلك زيارة جلالة الشاه لواشنطن ، وما حدث هناك وما تبعه هو عائد لجلالته وللحكومة الاميركية ، ولا اطلاع لنا على شيء سوى علامات حسن النتائج .

الى اسبانيا

وفي العودة كنا قبلنا دعوة الجنرال فرانكو رئيس الدولة الاسبانية ، ورأيت من فخامته ومن شعبه ما أثار اعجابي وتقديري وجلب محبتي ، وهو شخصيا من أعظم أصدقائي ، وانني لارجو حسن التفاهم السريع بين الديمقراطيات الكبرى واسبانيا ، على أنه من الواجب أن يفهم العالم وجه الشبه بين الاسبان والعرب في الأخلاق وكيفية الحكم ، فان الادارة الجدية عن يد واحدة ، يخيل الي أنها مفضلة على سواها من أشكال الحكم . وانا نأمل في أن نرى الجنرال فرانكو يخطو خطوات أكيدة لا شائبة فيها لتحقيق آمال عرب مراكش ، الذين بينهم وبين الجنرال المشار اليه مناسبات معلومة ، حتى يصل هو ومراكش الخليفية الى وداد واتفاق ليس

له صبغة تجرح قلوب العرب هناك وهنا .

العودة

ولقد عدنا ، مع الشكر ، على ظهر بارجة اسبانية ووصلنا الى لبنان ، ولا لزوم لذكر أي شيء عن اقامتنا تلك الساعات المحدودة في ضيافة صاحب الفخامة الشيخ بشارة الخوري الا الاحتفال والتكريم ، ولقد شاهدنا احتياطات لمنع الوفود عن مقابلتنا ، دون أن نفهم السبب الداعي الى ذلك .

الفصل السادس

نظرات

الشيوعية والديمقراطية والنظريات الاخرى

هنالك رغبة اخرى لدى البريطانيين ممن اطلعوا على المذكرات في ان يقفوا على ملاحظاتنا العالمية ، وهذا امتحان دقيق في ذاته ، فهم أوسع منا خبرة ، وأقدر منا على استطلاع حوادث الدنيا وخطوط سير العالم ، ومع ذلك نقول :

وجدت المدنية الاوروبية ، واستعمار الدول الغربية ، سوقا خصبة في ديار الاسلام وفي شمالي افريقيا وغربيها وجنوبيها ، وآخر ما وصلت اليه وليدات هذه المدنية الاوربية القضاء على الامبراطورية الحبشية على الرغم من مسيحيتها وكانت روسيا من القديم تكيل الضربات الواحدة تلو الأخرى للدولة العثمانية ، وبهذا ابتدأ الشعور يستيقظ واخذت الاعصاب تتنبه ، وكان أول انتباه آسيوي اليقظة اليابانية ، ثم الانتباه في الصين بفضل حرب العشر السنوات اليابانية هناك . وقد رات الصين أن تكون صينا حقيقية ، فأبت اتباع شانج كاي تشيك ، ظنا منها أن هذا يعمل لغيره ، وكانت دعاية ستالين بالنسبة لقرب الحدود ، لها التأثير الشديد على من يحب ان يتناول الحكم في بلاده بواسطة أجنبية ، مقابل ما كان ينال المارشال شانج كاي تشيك من مساعدات اميركية وديمقراطية ، فكانت الشيوعية هناك .

والشيوعية عقيدة موقتة ، أو لمعة خاطفة تعشي الابصار ، حتى تعرف حقيقة العقيدة أو ما وراء هذه اللمعة من شر وفجور ، فتنبذ هذه وتطرح تلك . وفي الصين يقظة ، وفيها قوة ، والعرق الاصفر الممتد من التبت الى بخارى حتى جبال الاورال عنصر واحد ولون واحد وهو اللون الآسيوي .

اما أوروبا فقد تحطمت في الحربين الكبيرتين وتعبت ، فلا

المانيا في الوجود ، ولا الامبراطورية النمسوية لها أي ذكر ، وزلزلت مستعمرات فرنسا تحت رجليها وتحطمت هي في الحرب ، وحرمت ايطاليا من مطالبها ، فلا سلامة من خطر العرق الاصفر قبل الشيوعية الا بالأسلام وديار الاسلام ، فان الاسلام عقيدة راسخة ، وتاريخ حافل ، وشجاعة قوية وحدت تحت « لا اله الا الله محمد رسول الله ، وان لا حكم الا لله ، وأن الظلمة هم أعداء الله ، وأن العدل أساس الملك » ، فما بين هؤلاء وبين الوقوف في دياركم سدا حائلا بين الشرق والغرب الا اخلاص النية بين الشرق والغرب ، بين دول اووروبا الغربية والشرق الاسلامي ، على أن يكون الشرق الاسلامي مسلما صادقا غير مشوه الاخلاق ، ولا مقلد في الحياة ، ولا مزعزع الايمان ، وان لم يقع هذا ، فالذي يلوح لنا أن الفتن سيتابع بعضها بعضا بألوان وأسماء مختلفة ، فتكون نهاية العالم المتمدين سريعة وفظيعة ، رغم خدام السلام ومحبي الانسانية .

ومن الغريب انا سمعنا ما عزي لزعيم بريطانيا في الحرب العظمى الاخيرة ، وهو المستر تشرشل ، من طلب توحيد جيوش أوربا لمقاتلة الخطر الروسي الشيوعي ، فلم يا ترى قضى هذا الزعيم على المانيا قضاء مبرما في الحرب الاخيرة ، ولم يحسب أي حساب لروسيا التي حلت محل المانيا ؟ وكيف توحد أوربا الجيوش ، وبهذا التوحيد ، كيف تثبت لونها الجنسي وصبغتها القومية ؟ وان كان لا بد أن نستخرج من هذا معنى ، فالمعنى أن كل ناحية تريد أن تجعل لنفسها نصيب الاسد من المكسب العالمي .

والأغرب من هذا كله أن تعادي الديمقراطيات الشيوعية ، ويكون للديمقراطيات وللشيوعية من يمثلها كسفراء في موسكو وواشنطن ولندن ، ولا يوجد أي سفير من اميركا أو انجلترا في مدريد عدوة الشيوعية . وقد عرفت شعوب الارض ان التحكم هو الاصل الذي تقوم عليه النظريات الهدامة من شيوعية ونازية وفاشية ، وان هدفها اضطهاد الامم الصغرى . ولئن عاشت النازية في المانيا وظهرت بمظهر القوة ، فذلك لاستعداد الشعب الالماني لتقبل تلك المبادىء ، فقد أراد الالمان ان يخوضوا غمار الحرب فحاربوا ،

ولكنهم عجزوا عن التحكم ، وزادوا في الاضطهاد فتهدموا ، وكذلك شأن الفاشية . اما الشيوعية فلو لم تجد ميدانا لها في آسيا لاتجهت نحو الغرب ، ولحاولت أن تتوسع في أوربا ، ولكن أمم غربي أوربا ليسوا ممن يرضى عن ضياع تاريخه ، أو يرضى بالتحكم الفردي فيسلمون امرهم الى من يفعل فيهم ما يشاء من تهجير وعسف واضطهاد ، ولذلك فمصاعب الشيوعية في أوربا كالمصاعب التي تعترض تلك العقيدة في ديار الاسلام . فعلى أرباب هذه النظريات التعسفية أن يقفوا حيث هم ، ولو وقف هتلر عند الحد الذي سبق الحرب الاخيرة بيوم واحد ، لظل الى الآن كما كان ، ولكن الدنيا عبر .

وكلمتي الى الديمقراطيات وشعوبها ، هي وجوب التآخي مع اهل الاسلام الذين عرفوهم فألفوهم ، والاعتماد عليهم وتسهيل مقاصدهم والاعتراف لهم بكامل حقوقهم ، فبهذا تتم الموازنة العالمية ، ويسلم الناس من شرور الحرب والدعايات . فاذا حل التفاهم ، ورضي كل بما له وعرف ما عليه ، فليس للدسائس في صفوفهم من سبيل ، ولا خوف عليهم عند الدفاع عن أوطانهم متى كانت وسائل الدفاع موجودة لديهم ، موفورة عندهم .

وكذلك فان في اعادة النظر الحكيم في انهاء الحالة الشاذة في وسط أوروبا ، واعادة تنظيم الجيش الالماني بايجاد اخاء بين دول الغرب ، كفرنسا وبلجيكا ، وبين المانيا ، وسل اسباب الحقد والعداء ، الدواء الناجع لمشكلة الدفاع عن غربي أوروبا في حالة العدوان السوفييتي .

العالم الاسلامي

من البديهي الا يفوتنا ما يجب علينا ذكره عن المسلمين ، والواجبات الملقاة عليهم في هذا الدور من انقلابات العالم ومفاجآته . وديار الإسلام كما هي الآن متصلة من حد التبت الى جبل طارق ، ومن حد أدرنه الى باكستان ، ومن شاطيء البحر الاسود الى شاطيء المحيط الهادي ؛ كتلة واحدة ، لها عقيدة واحدة ، ولا يتسنى لهذه الديار وسكانها البقاء والعظمة والشوكة الا بتماسكهم جميعا حول

معتقداتهم ، يحوطون أوطانهم بما عرف عن أهل هذه العقائد من شجاعة واخلاص ونقاوة . والمسلم للمسلم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ، لذلك فرض الله الحج في كل عام ، ليجتمع أهل الاسلام في سرة بلاد الاسلام ، ثم يعودون وقد أفادوا فوائد ، واستزادوا منافع ، وأوثقوا اخاءهم ، وشدوا أواصر اتحادهم لله ولأوطانهم . والى جانب العلوم العصرية التي يجارونها فان من واجبهم أن يجعلوا علومهم القومية والتاريخية وأمر عقيدتهم في الدرجة الاولى من الافضلية في التعليم .

نعم ، الحج كما قلنا فريضة وتعارف وتآخ ، وقد قال الله سبحانه وتعالى (واذ بوانا لابراهيم مكان البيت الا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود ، واذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ، ليشهدوا منافع لهم ، ويذكروا اسم الله في ايام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام ، فكلوا منها واطعموا البائس الفقير) ، ومن هذا يتبين أن الحج ليس لطبقة الاغنياء بل كذلك للفقراء الذين يقولون « لبيك اللهم لبيك » ، فيأتون رجالا — أي مشاة — « وعلى كل ضامر » أي على كل ضامر من الابل أو الخيل اللاتي يأتين من كل فج عميق ، أي من مسافات شاسعة ، « على ما رزقهم من بهيمة الانعام » ، أي الهدي وما ينحر في الحج ، فكلوا منها أنتم الاغنياء الذين تستطيعون النحر ، وأطعموا البائس الفقير الذي لا يجد ما يأكل ولا ما ينحر ، ثم — ليقضوا نفثهم — من حلق الراس وتقليم الاظافر بعد الاحرام وحله . « وليوفوا نذورهم » ، أي ان نذر أحدهم نذرا يقوم به في بلد الحج فعليه أن يفي به في بلد الحج . « وليطوفوا بالبيت العتيق » يعني بالكعبة وهي قبلتهم . هذا ما فرضه الله على الناس . وأما ابراهيم عليه السلام ومن يخلفه الى يوم القيامة في ديار الحج والمناسك والمشاعر ، فعليهم أن يطهروا البيت والحرم للطائفين والعاكفين والركع السجود . هذا ما اوجبه الله عليهم ان كانوا يعرفون ، وقد جاء في أول سورة المائدة أمر الله عن الحج وعن العقود فقال جل من قائل « يا أيها الذين آمنوا أوفوا

بالعقود ، احلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد وانتم حرم ان الله يحكم ما يريد » يعني لا تصطادوا الصيد وانتم في الاحرام من حيث اهللتم بالحج الى ان تقضوه ، ثم الى أن تعودوا خارجين من الحرم وحدوده . ثم قال « يا ايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله » بانتقاص حرمتها « ولا الشهر الحرام » بعمل ما لا يليق فيه ، « ولا الهدي » ، اي ما سيهدى الى الكعبة مما ينحر للحج ، « ولا القلائد » ، يعني التي قلدت بقلائد الهدي ، « ولا آمّين البيت الحرام » ، يعني الحجاج والزوار طول السنة ، بأخذ مالهم ، أو نهبه ، او وضع مكس عليهم ، « يبتغون فضلا من الله ورضوانا » . « واذا حللتم فاصطادوا ولا يجرمنكم شنآن قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام » اي منعوكم كما هو واقع اليوم ، « أن تعتدوا وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الاثم والعدوان ، واتقوا الله ، ان الله شديد العقاب » ، فلا يجب شنآن ، اي كره ، من صد عن المسجد الحرام ان يسوق الناس الى العدوان ثم قال « وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » في مخالفة أوامر الله والعدوان على الناس . فالحج لله ، والحجاج ضيفان الله ، والمتولون على الحرم امناء الله ، والامانة امر عظيم . وقد قال جل وعز « انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال ، فأبين ان يحملنها واشفقن منها ، وحملها الانسان ، انه كان ظلوما جهولا » . نذكر هذا راجين من القائمين على الحج اليوم ان يعلنوا ما وجب مما فرضوه على الناس من جعل واتاوات ، حتى لا يتكلف الناس اقتحام سبل الحج ثم العودة دون أن يؤدوا فريضة الله وقد شارفوا بلاد الحج . وانه من المناسب بيان الواقع بأثبات ما رجاه حجاج من المغرب ، وصلوا الى هذه الديار فمنعوا من الدخول الى الحجاز لفقرهم ، والالتماس الذي قدموه لنا كي نرجو حضرة صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود ، وما قدمنا لجلالته من التماس اخوي وجواب جلالته عن ذلك في هذه المذكرات ، نور الله بصائره وهداه الى الخير ، وانا نعمل هذا للحديث النبوي « من علم علما فكتمه ألجمه الله يوم القيامة لجاما من نار » .

برقية من الحجيج المغربي

لاعتاب صاحب الجلالة الملك عبدالله المعظم ،
عمــان

يا سيدنا ، نحن حجيج من المغـرب الاقصى ، منعنا من الحج لعجزنا عن دفـع رسوم الحج ، بعد ان قطعنا آلاف الاميال وتجشمنا الاهوال . نستحلف جلالتكم ببيت الله الحـرام ، وبجـدكم الاعظـم ، التوسط لـدى السلطات السعوديـة للسماح لنا بالحج قبل ان يفوتنا ونقطع . اعزكم الله وحمى بكم حرماته واقداسه .

عمان في ١٩٥٠/٩/٥ عن خمسين حاجا مغربيا

محمد علي الدكالي ، الحسين بن حسن

برقية الى الملك عبـد العزيز آل سعـود

حضرة صاحب الجلالة الاخ الملك عبد العزيز آل سعود المعظم
الرياض

أرفـع لجلالتكـم توسلات حجاج المغـرب في برقيتهم هذه المثبتة أعلاه لتتفضلوا بالنظر اليهم بعين الرأفة .

عمان في ١٩٥٠/٩/٦ **عبدالله**

جواب الملك عبد العزيز آل سعـود

حضرة صاحب الجلالة الملك عبد الله
حفظه الله
عمان

تلقيت برقية جلالتكم الكريمة،ويعلم جلالة الأخ ان أسر ما الينا هو تسهيل سبيل الحج لحجاج بيت الله الحرام ، وما يطلب من الحجاج هـــو لمصلحة اهل الحجاز من مطوّف وغيره ، ولوسائط النقل لتأمين منازل الحجاج . فاذا كان بامكان هؤلاء القيام بأود انفسهم واعطاء الذين يقومون بخدمتهم حقوقهم ، وكان باستطاعتهـم تأمـين عودتهم حتى لا ينقطعوا مثل ما حصل لأمثالهم من

قبل ، فحبا وكرامة وعلى الرحب والسعة ، وان
لم يستطيعوا فأمرهم لله ثم لأنفسهم .
الرياض في ١٩٥٠/٩/٦ **عبد العزيز**

نداء الى المسلمين

لا بد لي من كلمة تحريض وحض أوجهها الى العالم الاسلامي ، اني احضهم على ان يكونوا اخوة على الحق ، يحرص بعضهم على بعض ، يحترمون معتقداتهم ويقومون عليها ، ويؤدون فرائضهم ويتمسكون بها ، ومتى كان هذا فنصيبهم السلام والسعادة والبقاء . وقد وصفهم الله سبحانه وتعالى بأنهم اخوة ، وانه لا ينبغي ان يبغي بعضهم لى بعض فقال تعالى في كتابه العزيز في سورة الحجرات ناهيا اياهم عن الاصغاء لانباء الفاسقين « يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين . » والقوم يومئذ لم يكونوا كلهم مؤمنين ، ثم قال تعالى « واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم » — فوقفتم عند أمره (صلعم) ونجوتم من العنت — « وكرّه اليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون » ، وقد جاء بعد ذلك في الآيات التالية « انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون . » ثم قال : « وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله » ، والبغي هو العدوان . فيفهم من هذا كله ما على المؤمن لاخيه المؤمن من واجب يقوم به ، ومن أمر الهي تبلغه فآمن به ، فوجب عليه الحرص على أن ينفذه ويمشي وفق ارشاده . ومن المعلوم الفرق بين المؤمنين اليوم والمؤمنين القدماء ، فأولئك باعوا انفسهم لله وللعقيدة فظفروا ، وفي العصر الاخير نسوا ذلك فانحرفوا . « وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين . » وان لم يعد أهل الاسلام الى رشدهم ويستمسكوا بفضائلهم فالعواقب وخيمة ، ولا يصلح أهل الاسلام الا على ما صلح عليه أولهم ، والله ولينا ، وهو نعم الوكيل .

بيت المقدس

عجيب رأي الدول العربية في مسألة تدويل القدس ، عجيب الى درجة تبلغ بها حتى انكار ذلك الاصرار الذي سبق وقامت بمقتضاه كل دولة اسلامية تحملت مسؤوليات خدمة هذه البلدة المقدسة . ولقد كان لاستيلاء المسلمين على القدس معنى غاية في القدسية ومنتهى الرعاية في حفظ السلام ، لا الدخول على هذا البلد للخصام . وقد كتب قائد الجيش الاسلامي حينذاك ، وهو ابو عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه ، الى امير المؤمنين عمر بن الخطاب بأن بطريرك القدس يقبل تسليمها الى المسلمين ولكن على يد عمر بن الخطاب نفسه ، فقبل ذلك بسرور وحضر بذاته الى فلسطين ، فتم دخول الجيش الاسلامي الى القدس صلحا ، واعترف بكافة الحقوق الدينية والكنسية للملة المسيحية . ولما حضرت الصلاة ، وهو حينذاك في كنيسة القيامة ، خرج الى آخر حدود الكنيسة فأدى الصلاة في محل جامع عمر اليوم ، خوفا من ان يقول المسلمون هنا صلى عمر فهو مصلى لا كنيسة . ومن ذلك الحين الى اليوم ، لا يتولى الامر على فلسطين سلطان مسلم الا وايد وابقى ما تعهد به عمر رضي الله عنه . وان ينس المسلم لا ينس صلاح الدين الايوبي ومن قبله ومن بعده من سلاطين المسلمين وامرائهم ، الذين تفانوا في سبيل الاحتفاظ بهذا الشرف العظيم . وعليه ، فكيف قالت دول الجامعة العربية بالتدويل ؟ هذا امر عجيب ! وهذا سبيل مريب . اما اليوم فالموقف موقف الاردن من يومنا هذا الى عهد عمر ، فتلك السلسلة المقدسة هي مقيدة في اعناقنا بشروطها وواجباتها ، وفي الوقت الذي املي هذه الكلمات فيه ، اراني ، وسمعي الى الوفد الاردني في ليك سكس ، فقد سافر لهذه المسألة ، وقلبي في يدي خوفا من ان اصادف بعض ما يشق على النفس من الدول العربية قبل الدول الاجنبية . وعلى كل حال فالامر سبق ، وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون .

اما قداسة المسجد فتظهر لمن يريد الوقوف عليها في سورة (الإسراء) وما احتوت من اوامر واشارات وارشادات ومثل وعظات ، وفي الاحاديث التالية التي نقتبسها من منبعها الذي لا

يتطرق اليه الشك والشبهات . لذلك فاننا سنقدر ان شاء الله على كل مشقة تلحق بنا ، وكل نصب يصيبنا . وإنا مع ذلك نأمل تضافر أيدينا مع الدول العربية الشقيقة .

واليك ما جاء من أحاديث نبوية عن فضائل القدس الشريف، ومن الفائدة بعد هذا أن نذكر فضائل مكة ، وكذلك المدينة المنورة ، اتماما للغرض ، ونفعا لمن يتطلع اليه ، اذ كاد الناس أن ينسوا ما هو واجب عليهم في مساجدهم الثلاثة .

ورد في الحديث الشريف : « لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدي هذا ، والمسجد الاقصى » .

وروي عن الامام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) أنه قال : « وسط الارضين أرض بيت المقدس ، وأرفع الارض كلها الى السماء بيت المقدس » . وعن أبي هريرة أنه قال : « من مات في بيت المقدس فكأنما مات في السماء » .

وقال الامام علي كرم الله وجهه : « نعم المسكن بيت المقدس ، القائم فيه كالمجاهد في سبيل الله ، وليأتين على الناس زمان يقول أحدهم فيه : ليتني تبنة في لبنة في بيت المقدس » . وعن عمران بن حصين أنه قال : « قلت يا رسول الله : ما أحسن المدينة ؟ » . قال : « كيف لو رأيت بيت المقدس » . قلت : « وهل هي أحسن ؟ » . قال : « كيف لا ، وكل من بها يزار ولا يزور ، وتهدى اليها الارواح ولا تهدى روح بيت المقدس لغيرها ؟ » . وعن أبي هريرة أن النبي (عليه الصلاة والسلام) قال : « أربع من مدائن الجنة : مكة والمدينة ودمشق وبيت المقدس » .

وهناك الشيء الكثير من هذا في الكتب التالية :

« فضائل القدس » لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد البكري المعروف بابن الجوزي الحنبلي .

« الانس في فضائل القدس » للقاضي أمين الدين أحمد بن هبة الله الشافعي .

« الجامع المستقصى في فضائل المسجد الاقصى » للحافظ بن عساكر الدمشقي .

« فضل بيت المقدس » لابي سعد عبدالله بن الحسين بن عساكر .
« المنتخب من فضائل بيت المقدس » معظمه مأخوذ عن الجامع المستقصى وبعضه عن أبي المعالي بن المرجى .
« فضائل بيت المقدس والخليل والشام » لابي المعالي المشرف ابن المرجى بن ابراهيم المقدسي .
« الروض المفرس في فضائل بيت المقدس » للشيخ تاج الدين أبي النصر عبد الوهاب الحسني الدمشقي .
« فضائل بيت المقدس وفضل الصلاة فيها » لمحمد بن محمد ابن حسني الكنجي الصوفي .

مكة المكرمة هي بلد الله الحرام ، ومعنى الحرام انها منزهة عن أن يجري فيها أي خصام ، وأن ترتكب فيها الآثام ، وأن يعبد فيها غير الواحد الديان ، الرحيم الرحمن ، وهي كما نطق القرآن الكريم « أول بيت وضع للناس » ومعنى البيت واحد من بيوت الله التي يذكر فيها اسمه والتي يسبح له فيها رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكره . وهي البلد الواحد في العالم كله التي لها حدود محددة لا ينفر صيدها ، ولا يعضد شجرها ، ولا يخاف الملتجىء اليها ، وهي كذلك لا يدخل اليها الا برسم معين وهو الاحرام ، أي الخروج من ملابس الدنيا تباعدا عن الذنوب ، وتنائيا عن لباس الترف والعظمة، يتساوى فيها المثري بالمعدم ، يضع ازاره بغير خياط على وسطه ، ويلتف بردائه حاسرا راسه ، لا يقتل فيها صيدا ، ولا يريق دما ، ولا يقول سفها، بل يتلبس لباس الكمال ، يدخل اليها حنيفا موحدا، بائعا نفسه لله ، خارجا من الذنوب ، وبعد أن يطوف بالبيت ويسعى بين الصفا والمروة ، حل احرامه وتلبس السكينة . يعبد الله ويسبحه أثناء اقامته هناك ، ثم يعود الي وطنه بعد حجه مكرما ، بصفة كونه قام وادى أحد الاركان الخمسة . ثم هي في عرفنا ، نحن أهل الاسلام ، فيها البيت العتيق ، وبها اجتمع آدم وحواء ، وبها مقام ابراهيم وموطن اسماعيل وبها قبره ، ثم هي قرشية محمدية،

واول ما نزل الوحي نزل بها ، ثم هي في الجاهلية بها رئاسة العرب ، وبالاسلام عزهم ، فلله هي حيث هي ، ولله اهلها ، وقد قال الله عز وجل عنهم « والمسجد الحرام واخراج أهله منه اكبر عند الله » فعلى من أخرجهم ، أو أذعرهم غضب الله .

المدينةالمنورة

وأما المدينة المنورة فبها قبر رسول الله (صلعم) ، وهي محل هجرته ، منها هزم الله المشركين في بدر ، ومنها قمع الله أهل الشرك بأحد ، ومنها رد الله الاحزاب على اعقابهم ، ومنها افتتحت خيبر ، ومنها كانت الغزوات والسرايا ، وبها اطمأن الاسلام ووضع جرانه على الارض ففتحت الفتوح . وهي عاصمة الاسلام ، وكما قال رسول الله (صلعم) « المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون » وهي حرمه (صلعم) كما كانت مكة حرم ابراهيم عليه السلام ، وبها قبر أبي بكر وعمر وعثمان والحسن وفاطمة وامهات المؤمنين ، وبها المقبرة المحمدية بالبقيع ، وسعتهم الرحمة . هذا في عرفنا نحن أهل الاسلام ، وانها وان أزيلت بها قباب ومراقد فان حرمتها لا تزول ، وعن طيب الذكر لا تحول ، رغم كل حاسد وجاهل . هذان هما الحرمان ، وهذا ما أوجزناه من فضائلهما ، ومن أراد التوغل فعليه بالكتب الكثيرة المعروفة بنشر هذه الفضائل .

عـودة الى
الجيش العربي

احب ان اضم الى التكملة من المذكرات هذه الكلمة عن الجيش العربي الذي وضعت نواته في مدينة معان عام ۱۹۲۰ عند وصولي اليها بعد سقوط الملكية الهاشمية في الشام ، بتلك الضربة التي انزلها بها الجنرال غورو ، وتلك الترددات السياسية التي اصابت من في الشام من رجالات تحيروا فوهنوا ، ثم اضاعوا ما اضاعوا في ذلك الوقت .

كانت هذه النواة مركبة من ضباط وافراد التحقوا حمية ونخوة ، وقد جاء معي من الحجاز عدد منهم ، وهم حامد بك الوادي (حامد باشا) وداود بك المدفعي وغيرهما . ووجدنا في معان عبد القادر بك الجندي (عبد القادر باشا) وغالب بك الشعلان (غالب باشا) رحمه الله ، وغيرهم ممن يبلغ عددهم خمسة وعشرين ضابطا ، وعدد افراد هذه النواة مائتان وخمسون جنديا ، تحركت من معان الى عمان وخلطت بالقوى السيارة التي كانت موجودة هنا ، ووضع بناء هذا الجيش . وعندما قضت السياسة بترك الحركات العنيفة وسلوك سياسة لينة مع فرنسا في الشام ، قر القرار على ان يكون اسم هذا الجيش «الجيش العربي» ، وقد اتيحت الخدمة لكل ضابط عثماني عربي في سوريا ولبنان وفلسطين حتى ينضم اليه وينضوي تحت لوائه . وبالطبع فكل عراقي وحجازي متممة من متممات ايجاد هذا الجيش ، وقد سماه البريطانيون «Arab Legion» وقد قام على تدريبه غير الضباط العرب ضباط بريطانيون على راسهم اللواء بيك باشا ، وكانت رتبته حينذاك كولونيل «اميرآلاي بيك بك» .

وعلي ان اقول ، والحمد لله ، انني نلت اكبر نصيب من التوفيق بيد هذا الجيش الذي لا يخجل قواده ، ولا يوهن امراءه ، ولا يخيب



صاحب الجلالة المغفور له - الملك عبدالله بن الحسين
ملك المملكة الأردنية الهاشمية



صاحب الجلالة المغفور له الملك عبدالله بن الحسين
مع اعضاء حكومته في زيارة لأريحا



صاحب الجلالة المغفور له القائد الاعلى
مع كبار ضباطه في يوم الجيش



اعضاء مجلس الوزراء الأردني في عام ١٩٥٠

ظن قومه ، ولا يتقاعس اوينكص عن الذود عن حقوقه وحقوق بلاده ، فهو الشجاع المقدام ، وهو المطيع المنفذ . قضى على ثورة الكورة في الشمال ، وعلى حركة الفساد في البلقاء ، ووطد الامن في لواء الكرك ومعان ، وبالاخص في وادي موسى ونواحيها ، باقدام وحسن خلق . وهذا الجيش نقي الاخلاق ، لا يمد العين الى ما لا يحل له ، ولا يعتدي ، ولا يغل ، ولا يتهجم على من يلوذ به ، ومع ذلك فقد انتمى اليه عدد غير يسير من الاقطار العربية ، وعاد كل منهم الى وطنه وهو مقتبس من هذه الاخلاق ، مستفيد من هذه التعليمات ، وقد اشرنا الى هذا في المذكرات الاولى . والآن نقول ان حركاته بالاحتفاظ بالقدس ، وبسالته في قتال الشوارع فيها والاستيلاء على الدور المحصنة ، يذكرنا بالمجاهدين الاولين في الاقدام والشهامة . واما الحركات التي قام بها في الدفاع عن باب الواد واللطرون وفي المثلث نفسه قبل وصول الجيش العراقي اليه ، وكذلك في الاستيلاء على مستعمرات كفار عصيون ونيفي يعقوب ، الى سائر ما كان قد وقع في اللد والرملة من دفاع سرية واحدة ثماني واربعين ساعة وهي مطوقة بلوائين يهوديين ، وخروجها سالمة ووصولها بجميع لوازمها الى اصل الجيش ، يدل دلالة قاطعة على انه محل مفخرة ، لا للاردن فحسب ، بل لكل بلد عربي ورجل عربي منسلخ عن الحسد والحقد. وهو اليوم في عدده وعدده وتشكيلاته يطمئن من هو منهم . وقد اصبحت قوات الحرس الوطني جزءا متمما لهذا الجيش الذي هو سبب من اسباب الظفر ، ولطف من الطاف الباري جل وعز .

الجيش هو جيش فقط ، سيف البلاد وسياجها ، ومدار اعتزازها ، وصوتها وسوطها ، وكيد اعدائها ، وقرة عين مليكها ، هو هو كلما ازداد حصل الامن، وكلما تمرن اكتوى على تحمل المسئولية . وان المؤاخاة والزمالة التامتين بين العرب والبريطانيين من المنسوبين لهذا الجيش مما يدعو الى الشكر والثناء .

ومن الاعتراف بالجميل ذكر تناول ما يحتاج اليه من اسلحة واعتدة من الجانب المحالف البريطاني ، ما عدا تلك الفترة اثناء فتنة فلسطين ، وقد زالت . وانني لا ابالغ اذا قلت انه ان تقدم هذا

الجيش في أي ميدان يدعى فيه الى منازلة خصم فهو مستعد استعداد الجيوش الحديثة اذا كانت الفروق في العدد متكافئة ، او كان العدو اكبر نسبيا منه ، وهذا من فضل ربي .

كلمة الملك في يوم الجيش الاردني الهاشمي ٢٥-٥-٤٩

ايها الجيش الباسل

اليك اوجه هذه الكلمة وانا ارفع الى الله سبحانه وتعالى آيات الشكر والعبودية،مثنيا عليه لآلائه ، حامدا له المنن ، شاكرا له الافضال التي منّ الله بها علينا وعليك ، وقد خصك بنفحة قدسية مما شرف به ابن ايوب رحمه الله ، فأنت ايها الجيش حقا وريث الجيش المصطفوي وبقية المنافحين ، والخلف لذلك السلف،شجاعة ودربة واخلاقا ، ولولا الخلق الحسن والطاعة المفروسة في القلوب،والانصراف الى حصر النفس في الجندية المحضة ، لما حاز أي جيش من الجيوش الظافرة مرماه ، ولا بلغ مناه ، والجيش سياج المملكة وزين الامة ويد السلطة وفخر البلاد والجيش هو الحصن الحصين والحرز المكين ما دام متصفا بصفات الرجولة والشجاعة والطاعة. نكرر هذا للتخصيص ، لأن للجيوش مرضا وصحة ، فاذا ساءت اخلاق الجيوش ابتليت بالمرض ، واذا صحت اخلاق الجيوش كانت في عافية من كل سقم . واني بصفتي على رأسكم ومربيكم ومنشئكم اقول : انكم لي اعظم مكافأة منّ الله بها علي في هذه الحياة ، ولله الحمد والمنّة ، وان جيشا هذه اخلاقه ، سيمكّن امته وحكومته بظفر للسلم كما مكنهما بسلامة وظفر في الحرب . وان صلتك ايها الجيش بالجيش المصطفوي الذي قاتل ببدر وانتهى بقتاله يوم

الفتح ، هو الاصل الذي اوجد للعرب جيوشا فتحت البلدان ، واسست المدنية العربية وثابرت ترقى رقي المتمكن الامين ، حتى علّت منتهى الدرجات في عهد الراشدين وعهد امية وبني العباس ، ثم كانت فترة تقدمت لخدمة الشرق جيوش اخرى من اخوانكم التابعين للسلاطين المسلمين - رحمهم الله - فلم يقصّروا ولم يتأخروا ، ثم اعاد الجيش العربي المصطفوي بنهضته المعروفة ضجيع القدس الشريف، الناهض بأقوامه العرب امير المؤمنين الحسين بن علي رضي الله عنه .

وانني لآمل ان تكونوا خير خلف لذلك السلف، فتحموا الاخلاق ، وتعيدوا سالف الامجاد ، وان هذا سيتم ان شاء الله بوحدة شاملة عامة ، هي من اسس الثورة الاخيرة المباركة ، يتبعها اتحاد عربي عام .

انني ولافخر معتز بكم ، رافع راسي لما ذكر عنكم ، فاقبلوا تهاني مع خالص دعواتي في ان يجعلكم الله للامة قرة عين ، وللبلاد مدار الاعتزاز والبهجة ، مترحما على شهدائكم، مؤملا خير الآمال فيكم .

الفصل السابع

الرسائل

الدفاع عن البراق

صاحب المقام الجليل فخامة المندوب السامي لشرقي الاردن

عزيزي السير تشانسلور

لقد وقفت في الصحف العربية على نبأ اللجنة الموفدة من عصبة الامم الى فلسطين للنظر في امر الجدار الغربي للمسجد الاقصى المشهور امره ، وعلمت من تلك الصحف كذلك ان اللجنة تــداب في عملها اليوم ماضية فيه . ولما كانت هذه المسألة الخطيرة اسلامية بحتة ، وليست لقطر اسلامي دون غيره ، فقد رأيت من الحتم علي ان اقول كلمة في ذلك الموضوع الجلل ، وان ادلي برأي تمحصه الروية وتوحي به المصلحة العامة ، غير مستسلم فيه الى عصبية او عاطفة ، خصوصا وانني اقرب الامراء جوارا لهذا المسجد المقدس .

١ ــ وأول ما يجدر بي ان استلفت النظر اليه ان المسألة دينية ، لها صلتها بالقرآن الكريم والشريعة السمحاء والاحاديث النبوية ، حتى ان الخليفة الثاني للمسلمين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان اول من شرع في اقامة المسجد الاقصى يوم دخل بيت المقدس فاتحا ، فقد اكب بنفسه الشريفة على موضع المسجد ، وحثا من التراب الذي كان يطمره في ذيل قبائه ، وامر الألوف من المسلمين الملتفين حوله من الصحابة

والمهاجرين والانصار ان يحذوا حذوه ففعلوا ، فكان لتلك المشاركة القدسية معناها واثرها الديني الخالد ، في حين ان ذلك الخليفة الجليل ابى ان يؤدي الصلاة في غير ذلك الموضع ، عندما دعاه اليها القوم وحان أوانها ، مخافة ان يخرج ذلك الموضع من يدهم وهم اهله الى يد المسلمين لمجرد صلاته فيه،لانه خليفتهم يعلم حكم شريعتهم في الامر .

ان حكم الشريعة جلي غير مستتر ، فان كل مسجد لله ، وكذلك كل ما يتعلق بالمسجد من حيز وممتلكات وسائر ما ينسب اليه فهو مجموعة قدسية لا تتفرق في ذلك ولا تتجزأ بصورة من الصور ، ولا تكتب بالمساجد صكوك ، وانما صكها وجودها وبناؤها . فلو ان رجلا شيد مسجدا واذن فيه وقامت فيه الصلاة لخرج ذلك المسجد عن كونه لبانيه واصبح لا رأي له فيه وبات لله وحده وللمسلمين ، فكيف بالمسجد الاقصى الذي له صبغته الإسلامية المحضة من جميع اطرافه ونواحيه ، ساحة وسورا وجدارا ولبنة ، وانه لاولى القبلتين وثالث المسجدين، اليه كان الاسراء ومنه كان المعراج .

ولقد عزز الخليفة الثاني ذلك الحق الديني الصراح للكنائس كافة ، فقال في عهده المدون عنها انها « لا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها » . ثم صرح في ذلك العهد عن القوم في فلسطين بأنه « لا يسكن بايلياء احد معهم من اليهود » وفي هذا التصريح نفي بات للزيارة المدعى بها .

ولما كانت الحكومات الاسلامية كافة مرتبطة بذلك العهد السرمد ، فقد حذت ذلك الحذو .

ولهذا فان أي عمل وقع فشل اخيرا عن تلك الخطة انكره الفلسطينيون وسعوا لتبديله بانفسهم ، لانهم سدنة المسجد وحماته . ولقد طالما نشبت بينهم وبين اليهود مشاجرات جمة من اجل الزيارة المجردة ، فأبناء البلاد المسلمون لم يترخصوا في حقهم الاسلامي لا قديما ولا حديثا ، في زمن كل حكومة ، حتى في المدن البريطانية كما تعلمون فخامتكم . تشهد بذلك الحوادث المتتالية مما حمل حكومة جلالة الملك على التصريح في الكتاب الابيض الانكليزي بأن الممر المتصل بالمسجد وقف اسلامي لا مناقشة فيه . ثم انها ابت على اليهود ان يخلوا « بالعادة المرعية » فرفعت ما وضع اليهود في الممر من ادوات متنوعة في حادثتين خطيرتين سنة ١٩٢٥ وسنة ١٩٢٨ .

ان ذلك المجاز المتصل بالجدار الغربي للمسجد الاقصى الشريف وقف اسلامي ، تناوحه منازل اسلامية يرمي اهلها في الاكثر الى الامعان في حراسة المسجد والسهر عليه . وقد حدث ذلك الوقف يوم بدرت للمسلمين بوادر التخوف من مرامي المتربصين شرا بمقدساتهم الدينية ، في حين انه لم يكن هنالك وعد بلفور ولا الوطن القومي الصهيوني في فلسطين .

٢ ــ اما العادة الواقعة من الزيارة المجردة فليست قديمة بالمعنى المأثور ، ولا ترجع الا الى عهد قريب ، وذلك امر معروف متواتر بين العرب كافة من مسلمين وغير مسلمين يؤيده القرار الصادر في القدس نفسها من مجلس ادارة اللواء العثماني سنة ١٣٢٧ هـ (الموافق ١٩٠٩ م) فقد قال ذلك القرار بأن اليهود « قد بدأوا خلافا

للعادة بجلب كراسي ليقعدوا عليها اثناء الزيارة »
ثم حظر ذلك القرار على اليهود مخالفة العادة
القديمة « بمنع مثل هذه الحالات لئلا تكون
وسيلة الى ادعاء التملك في المستقبل » وجاء في
ختام القرار « وقد رؤي من الضروري عدم ترك
المجال لاحد ما في وضع مثل هذه الاشياء
والمحافظة على العادة القديمة » .

ولقد صدرت قبل هذه الوثيقة وثيقة مثلها من
حكومة غير عثمانية ، وذلك في غضون الفتح
المصري ، فقد اصدرت الحكومة المصرية في رجب
سنة ١٢٥٦ الى (متسلم القدس) امرا تقول فيه
« ان ما ينويه اليهود غير جائز شرعا » ثم قالت في
نفس ذلك الامر « وان يتحذر اليهود من رفع
الاصوات واظهار المقالات ويمنعوا عنها » وانه
« فقط تعطى لهم الرخصة بزياراتهم على الوجه
القديم » .

ولم يفتأ اليهود في ما اعلم يتحينون الفرص
اثناء كل انقلاب حكومي جديد للفوز بمغنم جديد
يصلون اليه عن طريق انهماك الحكومات الجديدة
بمشاغل الانتقال من دور الى دور . ولقد طالما
حاولوا التوسع في الاعتداء على حقوق المسلمين
الدينية ، ولكن الحجة كانت تقمعهم في كل مرة ،
وكانت كل حكومة من تلك الحكومات الجديدة لا
تتورط معهم في ما يجرونها اليه ، علما منها بما
ينجم عن ذلك التورط من مخاطر محققة محلية
في فلسطين خاصة وفي العالم الاسلامي قاطبة .

٣ ــ اني لاصرح بأن اللجنة المحترمة الموفدة
من عصبةالامم انما تعالج في مسألة الجدار الغربي
للمسجد الاقصى اخطر موضوع يهيج الشعور

الديني في كل مكان اسلامي ، ولست بمشتط اذا قلت ان العالم الاسلامي الذي ينتظر ما تعمله لجنة جمعية الامم في هذه المسألة المهمة انما يقف منها اليوم موقف الترقب ، وليست اللجنة في ما اثق الا على علم بما ينتاب ذلك العالم الاسلامي من عوامل وما يغمره من حالات شتى نفسية، وان عصبة الامم انما تلمس اليوم بيد لجنتها العرق الحساس من ذلك العالم الاسلامي وتضع بنانها على موقع الالم منه . وشأنها في صيانة السلام شأنها ، ولا ازيد على ذلك الا تقديري لما يكتنف حكومة جلالة الملك في موقفها من مشقة وصعوبة في الاضطلاع بعبء المحافظة على حقوق الطوائف كافة في فلسطين،سواء أكانت من ناحية مقدساتها ومعابدها ام غير ذلك .

اني لآمل ان يصل صدى صوتي هذا عن طريق فخامتكم الىاللجنة والى عصبة الامم والى حكومة جلالة الملك ومن يهمه الامر من ذوي المقامات الرسمية ، خدمة مني للجميع باحقاق الحق وتأييد المصلحة العامة وتوطيد الألفة والسلام . فانه لمقام لا ينفع فيه الا الصراحة .

وتفضلوا يا صاحب الفخامة بقبول فائق التحية والاحترام .

عمان في ١٩٣٠/٧/٢ صديق فخامتكم المخلص

عبد الله

احتجاج على تدفق اليهود على فلسطين

حضرة صاحب المقام الجليل المندوب السامي لشرقي الاردن .

عزيزي صاحب الفخامة

بلغني نبأ عودتكم الى القدس بما آمل

لفخامتكم من سلامة وخير ، فأهنئكم مرة اخرى واشكركم على كتابكم الي قبل سفركم ، واطمئنكم بان شقيقي جلالة الملك علي الذي سألتم عنه بصورة خاصة متمتع بالصحة والعافية ولله الحمد ، وقد كلفني ان أشكر لفخامتكم عنايتكم ومودتكم .

اني لا أقدر ان اكتم اغتباطي بما حصل من حكمة في تصريف الامور في فلسطين خلال الاضراب الاخير الناجم عن تدفق المهاجرين اليهود اليها من المانيا في الاخص ، وتسللهم من شتى الاقطار في الاعم ، وبهذه المناسبة اجد من المحتم ان اشرح لكم بعض ما يجول في نفوس العرب فأقول :

ان العرب في فلسطين يعتقدون بأن اليهود ارادوا ان يستغلوا مصيبة طردهم من المانيا للاسراع في انفاذ رغبتهم المعلومة في تهويد فلسطين . وقد كشفوا عن نياتهم المكنونة بنزق استنفد صبر العرب ، فوق ان العرب في فلسطين يرون انفسهم يغزون في كل يوم ، وان هؤلاء الغزاة المنبوذين من بلادهم الاخرى يجب على فلسطين ان تقبلهم ، وان ترحب بهم ، وان ترضى بما يحملون اليها من عادات واخلاق لا تشاكل قدسيتها . **فاذا قام في انفس العرب ، المسلم منهم والمسيحي ، انهم في خطر الزوال ، وعلى شفا الانحلال** من هؤلاء الدخلاء الذين ينصبون عليهم من كل صوب ، فلا اخالهم ملومين ، ولا سيما بعد ان رأوا شعبا عظيما كالالمان في دقة نظامهم وعلو كعبهم في الحضارة وشؤون الحياة ، يخشون على كيانهم واوطانهم من هؤلاء اليهود الذين لبثوا غرباء عنهم على الرغم من اتصالهم بهم احقابا طوالا في الوطن واللغة والدم والمصلحة ،

فكيف بالعرب في فلسطين وقد ورثوا مصائب الاجيال السابقة ومتاعبها ، وما كادوا يستبشرون بأن فجرا من الدعة جديدا انبثق لهم على اثر الهدنة بعد الحرب العامة ، حتى فوجئوا بما فوجئوا به من الهجرة اليهودية الساحقة ؟ ولقد صرح لي كثير من عقلاء العرب ، بان خوفهم من المستقبل يتفاقم كل يوم ، بعد ما فعل الالمان في اليهود ما فعلوا ، ويرون أن دولا اخرى قد تحذو حذوهم ، فكيف يكون موقف العرب في بلادهم الفلسطينية عند ذلك ؟ وكيف يدرءون عن انفسهم تلك الطامة الكبرى ، وهم يشهدون بلادا تقذف اليهم باليهود المثقفين ثقافة أوروبية كاملة ، في العلم والحرف وفي الامور الميكانيكية والعسكرية ، كيهود المانيا الذين لا مشاحة في انهم حذقوا هذه الامور كلها ، وعرفوا سائر مقتضياتها ؟ ثم ان العرب يرون فضلا عن ذلك ان تقارير الخبراء الموفدين الى فلسطين من الحكومة البريطانية الفخمة ، تتفق وآراءهم وشكاويهم في كثير من النقاط ، ويبقى مع ذلك كل شيء على حاله على الدوام من غير تغيير .

لقد صرحت في كتاب لي سابق لدار المندوب السامي ، مؤرخ في غرة جمادى الاولى ١٣٤٨ الموافق ١٥ تشرين الاول ١٩٢٩ ، بأن فلسطين عرضة لمباغتات شتى ، وأن اليهود غير مقصرين في تحديهم للعرب ، وانهم اضافوا الى مشكلة الوطن القومي مشاكل فوق مشاكل . واني بدافع التعاون النزيه ، وقياما بما يوجبه الجوار المرتبط بالمصلحة المشتركة ، لا اجد عن المصارحة من مندوحة . وها اني اعيد ما قلته بالامس ، وازيد

عليه بان الوطنية المتاججة في صدور تلك الشعوب بعد الحرب ، هي التي تدفعهم الى المظاهرات والاضرابات وما تجر من عواقب ، وان الروح هي نفسها التي تحمل عرب فلسطين على مثل ذلك ، **يضاف اليه الخوف من الانقراض الذي اخذت بوادره تظهر بصورة مزعجة في انحاء البلاد ،** وتهدد ما يجاورها من اقطار عربية تنظر الى تلك المأساة بحزن عميق ، قد يستحيل غدا الى حماسة تخل بالامن وتعكر صفو السلام وتكلف الحكومة ما تكلف من جهد ونفقة .

عمان في ١٢ـ١٠ـ١٩٣٠ صديق فخامتكم المخلص

عبد الله

مخاوف العرب في فلسطين

حضرة صاحب المقام الجليل المندوب السامي لشرقي الاردن

عزيزي صاحب الفخامة

اني لأجد من المحتم علي ان اطلق لساني بالبيان التالي حرا غير مقيد بصفة كوني صديقا شخصيا لفخامتكم يعلم ما تعانون من اعباء ، ونجلا لحليفكم في الحرب العظمى العالمية كانت لجيوشه (المعونة الفعالة في ميدان فلسطين) كما صرح بذلك فخامة وزير المستعمرات في خطابه الذي القاه في مادبة العشاء المقامة لي في لندن في ٢٦ حزيران ١٩٣٤، وحاكما لقطر عربي مجاور لفلسطين، ومسلما شريفا على مقربة من مقدساتها وفي الاخص من مسجدها الاقصى ، وزعيما يحمل من مسؤولية الثورة العربية قسطا غير قليل ، ومطلعا على ما وصلت اليه حالة ابناء قومه العرب في فلسطين . ولذلك اقول:

١ ــ لقد علمت من حضرة صاحب الفخامة وزير المستعمرات ان حكومة جلالة الملك وضعت ثقتها

كلها في شخص فخامتكم ، وانكم لديها المرجع الوحيد الذي يعوّل على رأيه في قضية فلسطين.
اني مع شعوري بخطورة هذه المسؤولية،لم استطع كتمان سروري من ذلك النبأ ، لثقتي بما بين شخصكم الكريم وبيني من التفاهم الحسن ، وصلات الود الاكيدة ، ولاني اعرف في نفسكم الكريمة حب العدل المطلق ، والتمييز الصحيح ، لما يربط مصالح حكومتكم وامتكم النبيلتين بالعرب دون سواهم في الشرق الادنى . ثم اني فهمت من فخامة الوزير كذلك ، بأن ما كان شائعا بيننا نحن العرب من ان لليهود في بريطانيا العظمى المقام الارفع ، لوجود بعض زعمائهم في مناصب حكومية عليا ، وفي مجلس العموم البريطاني ، وانهم قادرون على تصريف السياسة البريطانية في ما يعود على جنسهم بالمنفعة التامة دون سواهم ، لم يكن بالامر الواقع ولا هو بالاعتقاد الصحيح . وان الحكومة البريطانية على العكس من ذلك تمضي في خطتها العادلة وعلى تقاليدها القومية غير متأثرة بمثل ما ذكر .

وبناء على ذلك ، وعلاوة على ما بينته في ما سبق من اسباب ، رايت ان اكتب لفخامتكم عن قضية العرب في فلسطين لان الوقت قد حان ، ولان الصبر اكثر من ذلك يعد تقصيرا فاضحا في حق قومي العرب ، وحق اصدقائهم البريطانيين .

٢ ــ ان العرب يحملون آلاما مبرحة ، لأنهم لم يروا نتيجة فعالة لتقارير البعثات البريطانية التي أوفدت الى فلسطين ، للبحث عن حقيقة الحال فيها في السنوات الماضية، فضلا عن الكتاب الابيض ، الذي اصدره وزير المستعمرات السابق

اللورد باسفيلد ، على خطورة تلك المستندات وبالرغم عما اشتملت عليه من حقائق .

٣ ـ ان الوعود التي قطعت للعرب باثناء الحرب العالمية ، كانت سابقة لوعد بلفور واعظم وضوحا منه . وتلك الوعود هي التي حملت عددا عظيما من ابناء فلسطين ، جنودا وضباطا واهلين ، على الفرار من الجيوش التركية للانضواء تحت لواء والدي الملك في الثورة العربية ، التي قاتل ابطالها جنبا الى جنب مع القوات البريطانية ، ولم يكن للصهيونيين في تلك البلاد وجود سياسي البتة في ذلك العهد ، ولا كانوا فريقا من اهلها بوجه من الوجوه .

٤ ـ ان التصريح المشترك الذي صدر في نوفمبر ١٩١٨ من الدولتين الحليفتين بريطانيا العظمى وفرنسا للعرب خاصة بأنهم «لا يرغمون على قبول أي شكل حكومي يأبونه، وانما يشجعون على انشاء حكوماتهم الوطنية ، وتبذل لهم المساعدة اللازمة لتوطيدها ونجاحها » يجب ان ينظر اليه بالاهمية التي يستحقها وتجدر به عند النظر في تطبيق وعد بلفور في فلسطين .

٥ ـ إن وعد بلفور ينص على أن يكون لليهود وطن قومي في فلسطين ، ولكن ظواهر الحال **تدل على أن اليهود استطاعوا بمختلف الاساليب ـ ولم يعارضوا في ذلك ـ أن يضعوا خطة اخرى تجعل من فلسطين كلها وطنا قوميا لليهود** ، وانه إذا نظر أي منصف إلى ماكانوا عليه في أوائل الهجرة إلى البلاد والشوط البعيد الذي قطعوه في استعمارها إلى الآن ، **رأى أن نجاحهم يكاد يكون تاما وانهم بالغون ما ارادوا في بضع سنين .**

٦ ــ إن وعد بلفور يشترط عدم الضرر بمصالح السكان العرب ، وبعبارةاخرى إنه يطلبان تصان مصالح العرب كافة ، غير ان العرب يرون في دوام الهجرة اليهودية إلى فلسطين وفي تدفقها غير الرسمي اليها تهديدا صريحا لكيانهم ، ونقضا فاضحا لذلك الوعد على علاته ، وفوق ذلك لاتزال مخاوف الساسة العرب قائمة من كون باب البيع للاراضي لا يزال مفتوحا على مصراعيه ، وفي كل يوم تنزع من ايدي العرب أرض بعد اخرى . إني اعلم ان ذلك لا يوقف بالاكراه ، ولكن الفت نظر فخامتكم إلى الظروف القاسية التي وقع فيها العرب ، والى التنظيم الصهيوني المحكم إزاء ذلك ، والى ان الحكومات في مثل هذه الظروف هي التي تقف دون ضياع الشعب والقائه بنفسه في التهلكة وانه لو كان له ممثلون في مجالس نيابيةاو تشريعية لاستطاع هؤلاء الممثلون ان يقوموا بنصيبهم في الدفاع عنه ودرء الخطر الداهم .

٧ ــ لقد كانت حماية الضعيف اجلّ الأغراض السامية التي قامت من اجلها الحرب العالمية السابقة ، وما أجدر هذا المبدا الشريف ان يذكر في أوان السلم ، عند النظر في حالة العرب في فلسطين ، بعد أن ضحوا اثناء الكفاح ، وفي الوقت الذي لم تكن بلادهم فيه ملكا لغيرهم أو فيها مزاحم لهم .

٨ ــ إن الهجرة اليهودية قد نقلت إلى فلسطين أجناسا متباينين من الخلق ، يحملون مبادىء شتى ونزعات مختلفة ، جعلت هذه البلاد الهادئة في قلق دائم وتعب مستمر ، **فوق انها اصبحت بؤرة لمخاطر اجتماعية مقبلة ، تظهر بفظاعتها**

الشنيعة عند أول اختلال عالمي ، ويعم فسادها البلاد العربية في الأخص ، والشرق الأدنى في الأعم . ولا اخال حكومة فلسطين إذا تعمقت في البحث ، إلا منتهية إلى ما انتهيت اليه من هذه النتيجة ، وبعض جمعياتهم السرية التي انكشف أمرها أمام المحاكم يؤيد ذلك .

٩ ــ ان اليهود قد حاولوا ولا يزالون يحاولون مجاوزة ما ذكر لهم في الوعد ، وبهذا قد تسببوا في ايجاد فكرة ثابتة في الأذهان العربية هي **أن مملكة يهودية قائمة في فلسطين تستتر تحت اسم الوطن القومي**،وفي هذا ما فيه مما يجعل المخاوف تتسرب إلى ما وراء فلسطين من البلاد العربية ، حتى إلى الأشخاص الذين يتقلدون فيها مسؤوليات كبرى، ولم يقم اليهود دليلا واحدا على إمكان امتزاجهم بالسكان العرب الأصليين . وكنت أود من صميم فؤادي لو استطاعوا أن يكونوا غير ما هم عليه .

١٠ ــ لقد دلني الاختبار أن بقاء الحالة الراهنة كما هي من الهجرة غير المحددة وما سوى ذلك مما يشكو منه العرب **ستظهر نتائجه السيئة المخيفة في المستقبل القريب** . إني أشعر أن ذلك المستقبل لا ينظر اليه اليوم بما يستحق من تفكير ، وإنما يداوى الحاضر بالحاضر ، ولذلك لا يزال يقال ، إن هناك مجالا يستوعب مهاجرين جددا ، وإن هنالك ارضا يستطاع بيعها ، **ولكن ارجو ان تفكروا معي ياصاحب الفخامة بذلك المستقبل وان تنظروا معي الى ما يخبئه من مشاكل يستعصى حلها إذا استمرت الحال على هذا المنوال من دوام البيع** والهجرة واصبحنا من ذلك المستقبل وجها لوجه .

يا صاحب الفخامة

إني أضع بين يدي فخامتكم هذه المسائل التي أقضت مضاجع العرب في فلسطين وخارج فلسطين . واذا قلت لفخامتكم إن العالم الاسلامي كذلك في قلق منها ، لم اكن الا على ثقة مما اقول ، وعلى صواب مؤكد ؛ ولذلك رايت ان الفت نظر فخامتكم الى هذه الامور المعقدة التي اؤمل ان يكون تفريجها على يدكم باذن الله .

اني لاانكر ان مصالح بريطانيا العظمى قد اتسع نطاقها في فلسطين وغيرها من بلاد العرب بعد الحرب ؛ أفلا تشعرون معي ، بعد هذا كله ، ان استبقاء المودة الصادقة التي يشعر بها العرب نحو امتكم النبيلة من الامور الجوهرية الواجبة بالعناية والجديرة بالرعاية ؟

اني ساع واسعى بكل ما رزقت من قوة لتأييد تلك الروابط بين الامتين ، لاعتقادي الجازم بأن توطيدها في مصلحة العرب ، كما هو في مصلحة الانكليز ، واني لا اجحد ان قومي العرب في فلسطين قد وقعوا في خطيئات سياسية عديدة ، وانما مرد ذلك كله عندي الى ما ساورهم من خوف على كيانهم المهدد . وانه لمن الطبيعي ان لا ينتظر من شعب هذه حاله ان يظل على رويته المعروفة عنه ، او في تفكيره الهادىء الواجب منه ، ولذلك فهم يستحقون اغضاء النظر عنهم لما فرط منهم ، فعذرهم في ذلك واضح بيّن .

يا صاحب الفخامة

اني انقل اليكم مخاوف قومي العرب في فلسطين صريحة كل الصراحة ، ومجموعة على قدر الامكان في هذه المذكرة ، وارجو ان تعدوا ذلك مني مساعدة

لفخامتكم في واجبكم الشاق الذي تضطلعون به ، واخلاصا مني لقومي العرب واصدقائي البريطانيين على السواء .

وتفضلوا ياصاحب الفخامة بقبول فائق الاجلال والتحيـة .

صديق فخامتكم المخلص

عمان في ٢٥ تموز ١٩٣٤

عبدالله

قدوم اللجنة الملكية البريطانية

صاحب المقام الجليل المندوب السامي لشرقي الاردن الافخم

عزيزي السير آرثر واكهوب

لقد تلقيت كتـاب فخامتكم السـامي المؤرخ ١٩ــ٥ــ١٩٣٦ وانني شاكر ما احتواه من دلائل المحبة الأكيدة والولاء الصحيح والثقة الوطيدة .

انه كما بلغ فخامتكم مـن سعادة الكولونيل كوكس ، لقد كتبت الى لجنة العشرة العربية ، محبذا اللجنة الملكية التي شـاع نبأ العزم عـلى ايفادها الى فلسطين ، مظهرا ميلي الى الترحيب بها . ولقد قرىء كتابي في اللجنة اولا ثم استدعت اللجنة بعض رجالاتها من غير القدس وتلي عليهم الكتاب مرة اخرى وانعموا النظر فيه . وعلى اثر ذلك زارني امس عوني بك عبد الهادي وجمال بك الحسيني عن اللجنة المنوه بها وابلغاني شكرها ، واخبراني بأن الذين وراءهم يسرون بحل الأزمة الفلسطينية ، ويحبون ان يتعاونوا مع الحكومة على الوصول الى نتيجة مرضية دائمة ، وان دليلهم على ذلك قبولهم اقتراح الحكومة بتأليف وفد منهم يسافر الى لندن ، وانهم بينما كانوا مشغولـين

بانتخاب اعضاء الوفد ، وقع الاعتداء من بعض المسلحين الذين لا يمثلون احدا ولا يمتون الى أي فئة بصلة ، فما كان من اليهود الا انهم هاجموا بعض العرب الابرياء فقتلوهم اخذا بالثأر . وقامت مظاهرات يهودية في تل ابيب مثيرة ، فهاج ذلك نفوس العرب واستفزها ، واصبح في اعتقاد العرب ان السفر العاجل غير ممكن . اما من ناحية اللجنة فقد ذكر لي الزائران ان العقيدة الفاشية بين الأهلين ، هي ان هذه اللجنة سبقتها لجان اتت وامعنت في البحث ، ثم عادت وقدمت تقارير صادقة نزيهة ، فلم يقترن ذلك بنتيجة . فالرأي العام في فلسطين — وهو الدافع لهم في ما يبدونه من مطالب — غير مطمئن ، ما لم يشهد مقدمة تسبق وصول اللجنة ، تحمله على الاعتقاد بأن المشكلة في طريق الحل النهائي . ثم قال الزائران ، اما اعضاء اللجنة فلا يجرؤون على عرض فك الاضراب من غير برهان فعلي يقدمونه للرأي العام وقد نوهوا بذلك لفخامتكم .

لقد تأكد لي ياصاحب الفخامة ان الوفد مملوك غير مالك ، متصرَّف به غير متصرِّف بقيادة البلاد كما كانت الحالة قبلا . وتصل بعضهم كتب تهديد في ما اذا ضعفوا ولم يقوموا بما عليهم من خدمة الشعب ، وبعض تلك الكتب يذيل بامضاء (عزرائيلك وجبرائيل الأمة) وقد اطلعاني على بعض تلك الكتب وعندما نصحتهم بعدم استعمال العنف ، انكروه بتاتا ، وقالوا انه لايخطر لهم ببال ، فأنهم يعرفون بأس بريطانيا العظمى وقوتها ، وليس في ما فعلوه شيء من ذلك ، وان حركتهم سليمة شاملة ، ارادوا بها اظهار شعورهم المكبوت منذ

ثماني عشرة سنة . اما الاعتداءات الفردية فهم يقولون عنها انها ليست من العرب وحدهم ، وانها من اشخاص غير معروفين، وانهم ينكرونها ويبرءون منها . ولقد فهمت من الزائرين ان في عزم الاعضاء متى تحققوا عدم الوصول الى ما يطلبون فانهم عازمون على التخلي عن العمل كلجنة ، كي يتركوا للرأي العام الإقدام على مايراه ، محتفظين لأنفسهم بما قدموا للحكومة وللرأي العام من نصائح كتقدمة خيرية قاموا بها وعجزوا عن ان يجعلوها مقبولة لدى الطرفين الشعب والحكومة . اني لعلى ثقة يا صاحب الفخامة ، ان ما قالوه هو امر غير مصطنع ، وان اعادة الحال الى ما كانت عليه من الهدوء والسكينة واستقبال اللجنة الملكية في جو هادىء هو بيدكم ، اذا اعلنتم توقيف الهجرة بالنسبة للظروف الحاضرة، كما فعل السير هربرت صموئيل اولا ، ثم السير تشانسلور ثانيا . واني لا ارى في عمل كهذا الا الحسنى والاصابة اللتين هما من جملة ما تتحلون به من الخصال الحميدة .

يا صاحب الفخامة

فكروا معي في شعب متخوف على وطنه ، من شعب آخر غمره في دخوله عليه ، وكاد ينتزع منه ذلك الوطن الذي عاش فيه وحماه ، واختصه لنفسه منذ فجر الاسلام ، الى الحروب الصليبية، الى الاستيلاء العثماني ، الى عهد الثورة العربية الهاشمية . ثم هو يرى ان ذلك الوطن ينتزع منه قطعة قطعة ، وشبرا شبرا . اذا وزنتم فخامتكم معي هذا كله ، وجدتم ان اهل فلسطين — وهم منذ ثماني عشرة سنة كانوا ينتظرون خلالها حل هذه المشكلة — قد عِيل صبرهم ووصلوا الى

حالة اليأس .

وانني اتقدم الى فخامتكم راجيا منكم حل هذه المشكلة على الوجه الذي ذكرته ، وهو رعاية شعور الأمة العربية المشارك لأهل فلسطين في مطلبهم المسبوق قبول مثله من اسلافكم ، وان هذا يعد من اجل الأعمال العظيمة الصادرة من كبار الرجال وانني لا اضيف على ذلك الا قولي بأن من المناسب استدعاءكم القائمقامين العرب وحكام المقاطعات ، وسؤالهم عما يعرفونه ، والاصغاء اليهم في ما يعرضونه ، كي تقفوا على تفاصيل هذه الحركة النفسية في مجموع الشعب . واذا سمحتم لي ان اتوسع قلت اخوف ماأخافه هو مارأيت من انتشار عقيدة جديدة بين اهل فلسطين العرب ، وهو ان لليهود التأثير المطلق على تصريف الامور في الحكومة البريطانية ، ويستشهد بعضهم على صحة ذلك بما ظهر في البرلمان البريطاني من وابل الاسئلة الحديثة ، ذوات المغزى الواضح ، على اثر وصول وايزمن من فلسطين عائدا الى لندن . ان هذه النقطة دقيقة وحساسة جدا . واستأذنكم كذلك في القول بكل صراحة ان عرض اللجنة الملكية على العرب ، قد جاء مشفوعا باعطاء شهادات جديدة بمهاجرين جدد من اليهود ، وان ذلك ، وفي الأخص في الظرف الاستثنائي الحاضر ، لم يكن من الخطوات المشجعة .

ذلك ما رأيت ان ابينه لفخامتكم ، مقدما جزيل تحياتي واحترامي .

عمان في ٢٢ ــ ٥ ــ ١٩٣٦

صديق فخامتكم المخلص

عبد الله

دفاع عن العرب
في ثورة ١٩٣٦

عزيزي السير آرثور ويكهوب

لقد غبر زمن لم ابعث اليكم فيه باية رسالة ـ تخفيفا من ناحية ، وترقبا للحوادث من جهة اخرى ـ ولقد سمعت خطابكم بالراديو منذ ليال، ولمست فيه حسن النية والرغبة في الخير ، ويسوءني ان يخطىء إدراك تلك الغاية المتوخاة منه وفهمها كما يجب ، غيري من الناس الآخرين ، كما دل على ذلك ما كتبوه في الصحف ، وما وصل إلي من اخبارهم عنه . ثم إنه من المعلوم أن رسائلي الأولى كانت ودية ، وفي الوقت ذاته رسمية ، وقد احتوت آرائي بشأن ما تعالجون من مشكلة فلسطين، وقصاراي من ذلك كله، إنما هو توفيقكم وسلامة العرب في وطنهم ، وعدم حرمان اليهود من مكتسبهم .اما رسالتي هذه فشخصية محضة، سالمة من اية صفة رسمية ، مجردة من كل ما توحيه العاطفة وتدعو اليه .

يجب علي قبل كل شيء ، ان أوكد لفخامتكم ، بأن الموقف يزداد خطورة في كل يوم ، وان العرب الذين يدافعون في فلسطين عن وطنهم وعنصرهم ، قد وطنوا النفس على الاستمرار في ماهم فيه حتى يبيدوا او يسلموا ، والله وحده اعلم بالصعوبات التي اكابدها في سبيل السلام في شرقي الاردن ، بينما الصرخات من فلسطين تشق مسامع الأمة كل يوم ، ورسائل الاستفزاز تتطاير بينها ، والمتحمسون يستقتلون في تحريك عواطفها بشتى الطرق من دينية وعنصرية . ولا بد انكم سمعتم بالمؤتمر الذي عقد في قرية ام العمد برئاسة مثقال ابن فايز ، وقد تم تدبيره قبل علمي به ، ولقد كاد ان يضم اليه مشايخ البلاد كافة ، فَحَلت بين

مدبريه وبين حشد المشايخ اليه ، لئلا يخرجوا بالتشويق إلى غير ما أرغب فيه لهم من سلامة ، وأملا مني بأن الحكمة في معالجة قضية فلسطين ستغلب في آخر الأمر . ومن حركة هذا المؤتمر الأردني ترون فخامتكم ما وصل اليه صبر الناس، وما بدأ يتغلغل في النفوس ، بعد أن مر على المشكلة ما يقارب ثلاثة أشهر ، والعرب في موقفهم والحكومة في موقفها .

إني لأود أن أبين لفخامتكم شيئا من طبيعة العرب وحالتهم النفسية فأقول : إنه كلما اشتدت الوطأة العسكرية ازدادت معها الاستماتة القومية. ولا شك عندي ـ من استقراء الاحوال ـ انكم تظنون وتعتقدون بنفع الحركات العسكرية ، وما الحركات العسكرية إلا للفتح وطرد الأعداء كما هو معلوم ، وأما المشاكل التي تحدث بين العناصر ، فأنجع حل لها اتقاء سَورة النفس بما يحملها على القناعة بأنها تعامل بالعدل والانصاف ، وبالطرق الواضحة التي يرى الناس فيها عيانا رغبة الحكومة مجسمة في دفع البلوى وإزالة الشكوى . وإني أوكد لكم بعد هذا كله ، ولا تخامرني في ما أقول ريبة البتة ، بأنه ليس معنى التسامح مع الحلم عند العرب أي ضعف ، بل هو بالعكس دليل عندهم على العدل والحكمة والمقدرة السياسية في إدارة الشؤون . إن فلسطين تشكو الهجرة اليهودية وطغيانها ، ولم تقل انها تريد إخراج من دخل اليها حتى الان من اليهود ، وإن تكن هجرتهم على غير رضى العرب ودون استشارتهم بصفة كونهم أصحاب البلاد الاصليين ، فلا عليك يا عزيزي إذا استقدمت اللجنة الملكية دون أي شرط . وأحب

بهذه المناسبة أن الفت نظركم الى الفرق في العقيدة بهذه اللجنة الملكية بين امس واليوم عند العرب ، فان الدعاية ضدهـا تتفاقم باستطالـة الوقت ، واخشى ان يزول كل أمل فيها ، وستكون النتيجة الحتمية لذلك سفك الدماء ، وتخريب الديار ، و فظائع واهوالا يمكن الاستغناء عنها بالمبادرة وسعة الصدر ، ومعاملة المذعور المهتاج بما يخفف ذعره وهياجه ؛ أو أن تقوموا فخامتكم بأعبـاء وظيفة اللجنة نفسها ، كما قـام اللورد اللنبي في مصر ، فأنقذ الديار المصرية والحكومـة البريطانية مـن مشكلة كان من المؤكد انهـا ستزداد تعقـدا لولا سعيه الجريء · فحـل الأزمة المصريـة في أحرج أوقاتها . ولم يغضّ ذلك من مقام بريطانيا العظمى وما رميت بالضعف أمام العنف ، وها هي ثمرات المجهود تقتطف اليوم. إن الاراء العامة في فلسطين وشرقي الأردن على وتيرة واحدة ، وإنني ساهر يقظ على استمرار السياسة السلمية في شرقي الاردن والحؤول دون ما أحس بقربه من انفجار فيها إن دامت البلوى في فلسطين ، أو كان علاجها السيف الباتر وحده ، وقولي هذا عن علم ويقين . وإني إذا ذكرت ماالمعت اليه من قبل في كتابي هذا من ألوان الاستفزاز ، فلست انسى قرار محكمة العدل في فلسطين ، وانه زاد الناس في كل جهـة ايمانا بعدل قضيتهم ، وأن ما يدافعون عنه هو الحق ، وانه كلـه بجانبهم . ولقـد تجلت آراء الموظفين العرب لفخامتكم بما انطوت عليه مذكرتهم اليكم ، وعدواها تجد سبيلا إلى الموظفين هنا في شرقي الاردن ، والميول تتقارب وتنمو كلما طال الوقت .

عزيزي

ارجوك ان تقرأ كتابي هذا مرارا وان تتلقاه كنصيحة اخ لاخيه، ولا اقول الا شيئا واحدا، وهو انكم اذا نظرتم الى الخرابات المنتشرة في هذه البلاد المنكودة الحظ ، انبأتكم بلسان الحال انها وليدة القمع والحركات العسكرية من مختلف الدول ، وان آباء العرب واجدادهم ورثوهم ذلك من قبل ، فدرجوا عليه واصبح عندهم مألوفا ، واما الذي توقعوه من الحكومة البريطانية ففير ذلك جميعه ، فلم تكن بريطانيا عندهم كتلك الحكومات السابقة ، بل راوا ان عندها وسيلة اخرى في حل المشكلات ، وهي الطريقة المأثورة عن البريطانيين في الشرق قاطبة ، من عدل وسعة صدر واخذ الامور بالاناة . وبالجملة ان عند بريطانيا علاجا لذلك بأسره غير الحديد والنار — وانه العلاج الذي لم يكن في يوم من ايام تاريخهم بالناجع المفيد — ذلك هو الامل الشائع بينهم حتى الساعة، على الرغم من كل ما هو حاصل من تدابير القمع ، وان حرصي على هذه العقيدة هو الذي يدفعني الى ان احملكم فوق متاعبكم مؤونة كتبي ورسائلي، على ان الدافع اليها في كل حال هو ايثار الخير وحده لمن عندي ولمن عندكم ، وعملا بما اضمر لكم من حب التوفيق والمودة الشخصية والله يحفظكم عزيزي .

عمان في ١٠ تموز سنة ١٩٣٦

صديق فخامتكم المخلص

عبدالله

الشعور العربي العام ازاء لجان التحقيق

عزيزي الجنرال واكهوب

لقد ارتحت جدا مما ابديتم من سرور لما اتيح لكم من مشاهدتي مرة اخرى في عمان ، وتلك عاطفتي نحوكم،واشكركم كل الشكر على تقديركم كالعادة ترحابنا الحار بفخامتكم .

انه كما بلغ فخامتكم بصورة غير مباشرة،وعملا باقتراحكم ، قد اوضحت جليا للزعماء العرب انكم اخبرتموني بأن حكومة جلالة الملك قررت بأنه لا يستطاع توقيف الهجرة،كما انني اخبرتهم بأنه اذا اوقفت حركات العنف ستأتي اللجنة الملكية وتنظر في شكوى سكان فلسطين ، فكان من جوابهم ما لا بد ان اخبركم به الكولونيل كوكس .

اما من ناحية اسفكم لكون الزعماء العرب ، في غضون بضعة الايام الاخيرة ، لم يتفوهوا ولم يبدوا شدة ضد اعمال القتل والعنف،فانني الفت نظركم الى انه لم يمض الوقت الكافي على كلامنا مع الزعماء ، ونفي عوني بك عبد الهادي الى عوجة الحفير ، مما حملهم في ما اعتقد على الظن بتغيير ما اوجب حديثنا اليهم . واني لواثق بصدق ما اشرتم اليه فخامتكم من ان مسألة عوني بك كانت على بساط البحث منذ مدة غير يسيرة ، ولكن ملحوظتي هي ان التنفيذ جاء لسوء الحظ على اثر مقابلته لنا في عمان مباشرة مع اخوانه . وحبذا لو ان ذلك التنفيذ سبق تلك المقابلة او تأخر عنها ولو لمدة ، لنرى ما يكون من خطته الاخيرة هو واخوانه ، وفي الاخص لان عوني بك من اقدر الناس واقربهم الى المساعدة على اعادة المياه الى مجراها العادي . اما من حيث ما ذكرتم فخامتكم

ان عوني بك غير مفتم من ابعاده الى الحفير فذلك مما لا ارتاب فيه .

اني على اتفاق مطلق معكم بأن اعمال القتل والعنف ممقوتة، وانها لا جرم تؤثر في الرأي العام في انكلترا كما قلتم . وكنت اود لو استطعت ان اخطو بالسياسة خطوة الى الامام فاقرب مسافة الوفاق من ناحية، وازيل من الناحيةالاخرى ولو بعض مخاوف العرب التي اخرجتهم عنالصواب، ووصلت بهم الى ما نكرهه كلنا ، ولا مشاحة انهم يكرهونه هم انفسهم كذلك. ولولا انهم تحت تأثير الخطر اليهودي الذي يتفاقم كل يوم بتدفق الهجرة اليهودية ، وخطب اليهود النارية ، وتصريحاتهم المثيرة ، من غير ان تقابل من أي جانب آخر ولو بتطمين بسيط ، لكانوا اهدأ بالا واقرب منالا .

ولذلك فالعرب يعتقدون انهم يدافعون عن كيانهم المهدد بالزوال يوما بعد يوم ، فوق انهم يريدون ان يعلنوا بما فعلوا ــ وان كانوا ربما قد اخطأوا الطريق ــ بأنه لم يبق في ايديهم منوسيلة غير ما هم مكبّون عليه ، لتفهيم بريطانيا العظمى خطر موقفهم ، وما يعانون من جزع وهلع . اما اغتباط فخامتكم بالسكون الحاصل في شرقي الاردن ، فانه ليسرني كل السرور واعمل له وادأب فيه . وبالاضافة الى الاماثل الذين نوهتم بمساعدتهم لنا على استبقاء النظام سائدا في شرقي الاردن،فاني احب ان اضيفاليهم آخرين، وهم ابناء شرقي الاردن كلهم الذين وفد علي شيوخهم وزعماؤهم ووجهاؤهم ، والمشتغلون منهم بالقضايا الوطنية ، فأكدوا لي بعد

محاورات شتى معهم طاعتهم المطلقة لنصائحي ووضع ثقتهم بشخصي . وان سعيي في سبيل السلام لاخوانهم العرب في فلسطين يعدونه ـ وان كان فرديا ـ مقصورا علي ، ممثلا لمجموع جهودهم في الوقت عينه . وعلى هذا الاساس لجأوا الى السكينة برغم كل الاستفزازات التي تحيط بهم ، سواء كان ذلك في البلاد المجاورة لهم او في ما تذيعه الصحف العربية في العالم العربي كله . ولقد تحقق لي صدق ذلك في مقابلاتي الخاصة اثناء جولتي الاخيرة في الشمال والجنوب من بلاد الامارة . على اني اخاف ، كما قلت لكم من قبل ، انه اذا طال امد الاضطرابات في فلسطين ، وما يصحبها في العادة من التطورات المتتالية ، ان يعقب ذلك كله ما اسعى لصده من تغير موقف البلاد الحاضر ، واني اعد هذا الموقف اليوم بانه موقف انتظار وحسن ظن .

لقد احسنتم فخامتكم في وصف هذه الايام ، وانها عصيبة مفعمة بالاسف لي ، كما هي لكم ، وانه كلما اسرعت اللجنة الملكية في القدوم الى فلسطين كان ذلك افضل للجميع ، وانه لكما ذكرتم فخامتكم ، ان ذلك كله لا يكون حتى تنتهي اعمال العنف في فلسطين . ولقد شرحت هذه النقطة للزعماء ، واكدتها لهم تصريحات وزير المستعمرات الجديد . وانني بهذه المناسبة احب ان ابين لفخامتكم الشعور العام بين عرب فلسطين عن هذه اللجان ، وهو أن عدد المهاجرين الذين دخلوا البلاد في خلال اربع عشرة سنة ، كان مائة الف مهاجر او اكثر قليلا ، وكانت البلاد تئن من هذه الكثرة ، وكان القائمون بالسلطة

يشعرون بما تحمل فلسطين من ضغط هذا العدد الثقيل،فلما رفع العرب صوتهم بالشكوى وجاءت على اثر ذلك لجان ثلاث للبحث في بعض الاسباب التي حملت العرب على ما فعلوا ، وعادت الى انكلترا وقدمت تقاريرها في مصلحة العرب انفسهم ، لم يرع فلسطين الا وقد تدفق عليها في خلال اربع سنوات فقط ثلاثمائة الف يهودي آخر فوق المائة الف السابقة ، وهنا اترك لفخامتكم ان تتصوروا مقدار خوف العرب على كيانهم وشكوكهم في اللجان الموفدة ، وما يعقبها من نتائج دل على حاضرها ما مضى منها .

لقد صدقتم فخامتكم في ما قلتم — ولا يخالفكم احد — في ان العاقبة لا يمكن ان يكون فيها شك ، وان المسألة فقط هي ، كم يلزم من الوقت لانكلترا لكي تعيد النظام الى نصابه في فلسطين . وقد زدتم على ذلك انكم اتيتم بثلاث كتائب اخرى من الجند البريطاني الى فلسطين . ان العرب يا صاحب الفخامة لا يكاثرون بريطانيا بعددهم ، ولا يفاخرونها بقوتهم وعددهم ، وهم يعرفون بأسها وضعفهم ، ولكن اؤكد لكم انهم لا يرمون من وراء ما فعلوه الا الى غاية واحدة ، وهي الحرص على وطنهم ، ولفت انظار بريطانيا الى ما يشكون منه من تدفق الهجرة اليهودية ، وهم هم العرب الذين قاتلوا جنبا الى جنب مع بريطانيا ، حتى ضد دولة كانت تحمل رئاسبتهم الدينية ، وهم هم العرب ، الذين يرون مصلحتهم مشتركة مع مصلحة بريطانيا فيمختلف اقطارهم لا فيفلسطين وحدها ، ولا يزالون برغم ما هو حاصل يميلون الى الاعتقاد بأن حكمة بريطانيا امضى من سيفها ،

وان سعة صدرها ارحب من بحارها، وان الضمير البريطاني اشد مراسا من اية سياسة اخرى ، وان وراء هذا القسم من الشعب العربي في فلسطين العالم العربي كله ، ثم العالم الاسلامي بأسره ، وكلا العالمين مرتبط مع بريطانيا بصلات ما اخالها تخل بها، وتنفض يدها منها اكراما لليهود.

ان اكبر همي ان اعمل على ابقاء الصداقة العربية الاسلامية مع بريطانيا كما احب ، وكما يجب ان تكون مكانة وقوة وخلوصا من كل شائبة. اني ادعو العرب الى الحرص عليها اليوم وغدا وفي المستقبل ، ولا اخلي اصدقاءهم البريطانيين من دعوتي هذه .

واني اكرر لفخامتكم استعدادي لمساعدتكم اذا تمكنت من ذلك وكان بيدي ما يشجعني على تلك المساعدة من برهان له اثره الفعال . واذا ساور اليأس غيري ، فاني لا ازال على ثقة هي ان شاء الله متينة قوية . واشكركم مرة اخرى على ما تلطفتم فأعربتم عنه في كتابكم من اغتباط اجتماعكم بي ، واود لو ان هذه الزيارة تتاح مرات اخرى .

واقبلوا فائق تحياتي واحترامي .

صديق فخامتكم المخلص

عمان ١٩٣٦/٦/١٦ **عبد الله**

حوار بشان احداث فلسطين السبت ٥ ايلول ١٩٣٦

حضر المندوب السامي اليوم (السبت ٥ ايلول ١٩٣٦) وبعد المجاملة المعتادة ذكر لنا ان الوزارة البريطانية قررت قمع الاضطراب في فلسطين بالقوة ، وانها اعدت لذلك فيلقا جديدا سيأتي الى البلاد ومعه قائده الذي يقوم بتلك المهمة ، من غير ان تتدخل الحكومة المدنية في ذلك القمع . ثم قال المندوب : ان الوزارة كانت مستاءة من بلاغ مجلس العشرة الاخير (اللجنة العليا) فقلت :

لا ينبغي ان تلجأ بريطانيا الى هذه الخطة لانها خطرة جدا ومن المؤكد ان توغر صدور العرب في جميع الاقطار على الانكليز وتوجد ضدهم عداوة دينية قومية ، وهذا ما لا يريده امثالنا من مؤسسي الصداقة البريطانية العربية . ثم قلت : اني لا اجد فوق ذلك ان من الانصاف ان يؤخذ الشعب العربي في فلسطين بجريرة عشرة اشخاص ، وها اني اتقدم بواسطتكم للحكومة البريطانية شفيعا بأمتي العربية في فلسطين لانها بريئة ، واصر على ان تبرقوا فخامتكم للوزارة البريطانية بأني اكرر طلبي الاول بالعفو عن حملة السلاح ، وكف التعقيبات عن الحوادث الناجمة عن الاضطراب ، ومنع الهجرة اثناء وجود البعثة الملكية .

فقال المندوب اني سأفعل ولكنني اعرف النتيجة الآن ، فان الوزارة اتخذت قرارها بقمع الاضطراب بالقوة ، وستمضي فيه . ثم قال : ولا اضيف على ذلك الا قولي بأن الذي كان بيني وبينكم من تفاهم سري شخصي على اجابة بعض المطالب قد الغاه قرار الوزارة وعدم قبول العرب لنصائحكم . ثم قال المندوب ماذا تظن سموك ان يكون رأي الناس في شرقي الاردن اذا ابتدات الحركات العسكرية ؟ فقلت ان الفكرة القائمة بين العرب صغيرهم وكبيرهم ، من نساء ورجال ، ان الحركات العسكرية ترمي الى اخضاع العرب بالسيف اكراما لخاطر اليهود .

ثم قلت : ان اقتراحاتي مبنية على ثلاثة امور هامة :

١ ــ موقع فلسطين بين الملل .

٢ ــ ثم موقعها من الحكومة البريطانية .

٣ ــ ثم موقف الحكومة مع اليهود .

والآن فالعرب في حاجة الى مساعدتي واليهود لا يعترضون عليها . فهاهم اليهود قد بعثوا الي برسول يقولون معه انهم لايعترضون على ايقاف الهجرة مؤقتا ، واني اؤمل ان يرضى العرب بما ارسم لهم من خطة ، ولم يبق في صف المعارضة فيما يلوح لي غير الحكومة البريطانية .

فقال المندوب ان اليهود اتوني منذ يومين او ثلاثة واعترضوا بشدة على اشاعة وقف الهجرة ، فقلت اني مستعد ان اؤيد قولي

باستدعاء شرتوك ورسولـه الذي حمل الي ذلك الخبر واجمعه بفخامتكم ، واحمله التصريح امامكم بما ذكرت . ثم قلت اني اكرر طلبي السابق واصر على ان ترسلوه فخامتكم الى الوزارة . وازيد على قولي ان لدي رسالتين من اليهود يقولون فيهما انهم في سرور اذا انا تدخلت في الامر واصلحت الشأن وان الرسالتين قد عرضتا على المعتمد .

وهنا تكلم المعتمد البريطاني في عمان فقال ان اليهود قالوا في الرسالتين انهم لا يرضون بمنع الهجرة ، ولكن اذا اضطرت بريطانيا العظمى الى ذلك فانه خير عمل يعمل لوقف الحركات الحاضرة .

ثم استأنفت الحديث فقلت انني بالنظر لما ابديته من معاضدة على قولي ان لدي رسالتين من اليهود يقولون فيهما انهم ممتنون لكم في اعادة الحالة الى ما كانت عليه من تفاهم حسن ، وبالنظر لتأييد الاردنيين لهذه الخطة فعلا ، فانني اتقدم باسم الاردن وباسم كل شخص فيه طالبا عدم اجراء الحركات العسكرية تفاديا من ازدياد سوء الحالة ، ثم اني اؤكد لفخامتكم بأن العرب لا يعادونكم ، وان حركاتهم هذه ليست بأمر من لجنة العشرة ، ولكنها ، يا فخامة المندوب ، الهجرة اليهودية ــ نعم هي الهجرة اليهودية والخوف من ضياع الوطن بطغيانها ــ هذا هو الذي دفعهم بأجمعهم الى اتباع خطة الدفاع الحاضرة . فقال المندوب نعم . ثم قلت لا شك انكم تعلمون بأنني في وضعي الحاضر لا اقاس بأي ملك او امير عربي آخر، فبين العراق وفلسطين والحجاز وفلسطين رمال وقفار ومسافات شاسعة ، وان بلادي هذه تتصل بفلسطين اتصالا فعليا ، من حيث التجارة والموانيء وسائر المرافق الحيوية. فباسم هذه المنافع العالية الحيوية لي الحق ان اتوسل بكل ما يدفع الحيف عن فلسطين . فقال المندوب نعم ونحن نشكرك وشرقي الاردن على الجهود التي بذلتموها للتسوية بين العرب والحكومة .

ثم ذكرت خبر الكتاب الذي ارسله وزير المستعمرات الى الدكتور وايزمن المنشور في البالستين بوست معترضا عليه ، وقلت ان السير كانليف لستر وزير المستعمرات الاسبق كان لا يقبل مني

اي محادثة بشأن فلسطين ما لم تكن بواسطتكم ، فلماذا الوزير الحاضر يقبل مخابرة وايزمن ويجيبه ، اليس هذا من الوزير تحيزا لليهود ؟! فقال المندوب اني اوافق على انه لم يكن من المناسب نشر ذلك الكتاب ولا ارساله .

دفاع عن فلسطين امام اللجنة الملكية

فخامة الرئيس

حضرات الاعضاء الكرام

اني لأشعر بفادح التبعة التي تتحملونها ، وبالعقبات الكأداء التي تعالجونها . وقد رايت ان اجمع بين يديكم ما تفرق من آراء العرب وما تختلج به صدورهم ويدور في مجالسهم حول القضية الفلسطينية . واذا قلت العرب وخصصت ابناء فلسطين منهم ، فلست لأنسى اخوانهم الآخرين في جوارهم الى اقصى ماتمتد اليه ممالكهم واماراتهم ، فهؤلاء قاطبة يرقبون الحالة في فلسطين بدقة ويقظة ، لما بين العرب من وحدة الشعوب والصلات القومية والدينية ورابطة المصير في ما يعتقدون .

اني لأرجو أن أكون اصدق ناقل عن العرب ، وأصرح معبر عن امانيهم . اما ما يخصني من راي فاني ارجيء الإفصاح عنه الى فرصة اخرى .

على اني اود قبل كل شيء أن الفت نظر اللجنة الملكية الموقرة الى تعريف العرب لبلادهم ، وان أقول ان ذلك التعريف يرجع الى ما قبل الف وثلاثمائة سنة ونيف . ولست أخال امة تحت الشمس ورثت مثل ذلك التخطيط المدون لأمصارها وبيان شتى اقطارها ، من عهد يبلغ من القدم والايغال ما يبلغ ذلك التحديد . وانصع ما يقدمه العرب من دليل على صدق قولهم ما

ذكره عبدالله بن عباس عن بلاد العرب . وابن عباس رضي الله عنه من صحابة الرسول صلوات الله عليه وابن عمه لحاً وحبر الامة الاسلامية .
قال ابن عباس :

« انما سميت بلاد العرب جزيرة ، لاحاطة الانهار والبحار بها من جميع اقطارها واطرافها فصاروا فيها في مثل الجزيرة من جزائر البحر ، وذلك ان الفرات اقبل من بلاد الروم فظهر في ناحية قنسرين ، ثم انحط على اطراف الجزيرة وسواد العراق حتى وقع بناحية البصرة والأبلة وامتد الى عبادان ، واخذ البحر في ذلك الموضع مغربا مطيفا ببلاد العرب منعطفا عليها ، فأتى منها على صفوان على قدر مرحلة من باب المربد بالبصرة ، وكاظمة الى القطيف وهجر واسياف البحرين وعمان والشحر ، ومال عنق منه الى حضرموت وناحية ابين وانعطف مغربا منصبا الى دهلك ، واستطال ذلك العنق فطعن في تهائم اليمن بلاد حكم والاشعرين وعكّ الى جدة ساحل مكة والجار ساحل المدينة ، ثم ساحل الطور وخليج ايلة وساحل راية حتى بلغ قلزم مصر وخالط بلادها ، واقبل النيل في غربي هذا العنق من اعلى بلاد السودان مستطيلا معارضا للبحر ، حتى دفع في بحر مصر والشام ، ثم اقبل ذلك البحر من مصر حتى بلغ بلاد فلسطين في عسقلان وسواخلها ، واتى صور وسواحل الاردن وعلى بيروت وذواتها من سواحل دمشق ، ثم نفذ الى سواحل حمص وسواحل قنسرين ، حتى خالط الناحية التي اقبل منها الفرات منحطا على اطراف قنسرين والجزيرة »

ثم اني لا أريد ان اتجاوز هذا التحديد الى

ما يرويه العرب عن فلسطين قبل ذلك وانها كانت مأوى العمالقة من قبائلهم ، وحتى الملوك الرعاة (الهكسوس)الذين اغاروا على مصر واستولوا عليها مدة من الزمن ، وانما اقول منذ تأسيس المملكة العربية بمعناها الصحيح الذي حدده ابن عباس قد سكن العرب في بلادهم هذه فلسطين فلم يتحولوا عنها ، ولم تقدر الحروب التي طالت مئتين من السنين ان تنزعها منهم او تطمس أثرهم فيها . وما برحوا محكمة بها اسبابهم مشتبكة انسابهم من غير فترة ولا انقطاع .

ان امة هذه عقيدتها في بلادها ، وتلك سيرتهم فيها ومدة حفظهم لها،لايمكن ان تعترف بما يزعمه اي دخيل من حق له فيها كائنا من كان .

ان اليهود لم ينبتوا في فلسطين ولا كانت مهدا لهم ، ولكنهم طرءوا عليها من الخارج كغيرهم من الشعوب الاخرى الغريبة عنها غزاة فاتحين . ولقد قاتلوا الفلسطينيين في حروب طاحنة فاغتصبوا قسما منها نزلوا فيه مدة محدودة ، ثم خرجوا كما دخلوا بقوةالسيف ، وتداولت الأمم الغالبة تلك البلاد حتى استرجع الحق أهله . ولذلك فالعرب لا يجدون لليهود اي مسوغ من ناحية التاريخ للمطالبة بالاقامة في فلسطين كأنه حق لهم دائم . فان العرب قد استرجعوا البلاد من الرومان ، وظلوا فيها حتى اليوم في اقامة متصلة غير منقطعة ، ولن يتزحزحوا عنها قيد أنملة . ثم ان العرب لا يفهمون كيف تصح المطالبة ببلاد كان فيها اليهود على الشكل الذي ذكرته ، ثم خرجوا منها قبل ألفي سنة تقريبا ، ثم تأتي السياسة الأخيرة فتقول ان تلك المطالبة

قانونية . وليت شعري أي قانون من قوانين العالم يعترف بشرعية مثل هذه المدة السحيقة ؟ وكيف تكون حالة أمم الأرض لو أخذت بهذه النظرية ، حتى الأمبراطورية البريطانية نفسها وحتى الشعوب التي تتألف منها عصبة الأمم ؟

واذا انتقل العرب من ناحية التاريخ الى الحالة الاجتماعية ، فانه لا يسع فريقا من عقلائهم الا ان يعرب عن الاسف الشديد لما كان من تصرف اليهود الذي جر عليهم البلاء في كل زمن من الأزمنة ، فلم يعظهم ذلك ولم ينتفعوا به . واقرب شاهد عندهم على ذلك ما وقع لليهود في هذه الأيام في المانيا وفي بولندا وما تتحفز لمثله أمم اخرى عظيمة . فاذا كان اليهود قد عجزوا عن الامتزاج بالامم المتمدنة المثقفة التي عاشروها منذ مئات السنين ، وتكلموا بلسانها ، وسكنوا معها ، واختلط حتى دمهم بدمها ، فظلوا على الرغم من هذا كله جزءا منفصلا عن جسم الوطن ، حتى وقع عليهم الاضطهاد وألجأهم اخوانهم في ذلك الوطن أن يبحثوا عن ملجأ لهم آخر ، فما هو ذنب العرب حتى يرضوا هم بما رفضه غيرهم ، ويحملوا ما عجز سواهم عن حمله ، ويضحوا بوطنهم وأنفسهم اكراما لليهود ؟ ثم كيف يمكن لليهود ان يخالطوا العرب ويمازجونهم بعد ان ثبت لكل أمة سكن اليهود معها ، ان الاتصال بهم باطل وان التآخي معهم مستحيل ؟

ان اليهود يحتجون بتصريح بلفور ، وان لهم بمقتضاه وطنا قوميا في فلسطين ، وقد كان ذلك يجوز شرعا وعقلا لو كانت فلسطين قفرا بلقعا خاليا من الناس ، ولكن فلسطين كانت مأهولة يوم

صدر ذلك التصريح ولها سكانها الاصليون ، فبأي حق تستبد امة بحق وطن آخر فتعطيه لآخرين واهله أحياء يرزقون ؟ لقد قامت الحرب العالمية العامة على أساس ان القوة للحق وليس الحق للقوة ، وما أدري كيف تتلقى الشعوب في ما يقبل من الزمن تصريحات الدول العظمى عن اغراضها من أية حرب اخرى قادمة يمكن ان تنشب ، وكيف يكون موقف تلك الشعوب من تلك التصريحات بعد هذه التجربة القاسية ! ...

ان بلفور لم يجعل لتصريحه حدا البتة ، بل جعله طليقا من كل مدة ينتهي اليها ، وكأنه يريد ان يبقى الى أن تقوم الساعة ، او حتى لا يبقى عربي واحد في فلسطين ، كما يقول اليهود ، ويتم لهم طرد العرب من وطنهم وانشاء مملكة يهودية على انقاضه ، وذلك بفضل بلفور الذي تصدق من مال غيره وعلى غير علم منه او رأي له في الموضوع .

ان عقلاء الساسة من العرب يعتقدون ان تصريح بلفور هذا اكبر مانع لما كان يمكن ان يقع في الوهم من امكان ائتلاف العرب واليهود ، وذلك ان اليهود قد ركبهم بسبب ذلك التصريح غرور أدى بهم الى الخروج عن كل حد معقول ، فملأوا الدنيا تهديدا للعرب وتبجحا بأحلامهم الصهيونية ، وكل ذلك اعتمادا على تصريح بلفور وعلى ان حراب انكلترا طوع أمر اليهود ، وانهم بها يطعنون صدور العرب ، وانهم عليها يشيدون ملكهم المزعوم . وقد نسي أولئك اليهود ان في فلسطين أمة غيرهم ، وانها العرب ، وانها ذات شرف ودين وتاريخ ، وان تلك الأسطر المعدودة التي تصدق بها عليهم بلفور

لا يمكن ان تمحو العرب من الوجود في فلسطين ، مهما نسبوا اليها من سحر ومن قوة . ولقد كان الأجدر باليهود التودد لتلك الأمة واكتساب ثقتها وعدم تخويفها بصياحهم ، وكان يجب عليهم ان يشعروا من الناحية الإنسانية والمنطقية ، بثقل الضربة الموجهة الى العرب بمزاحمة اليهود لهم في عقر دارهم ، ولكن اليهود طغوا طغيانا شديدا ، وجمدت لهم كل عاطفة حيال ذلك ، ولولا تصريح بلفور في ما يعتقدوا اولئك الساسة العرب لكان اليهود أقرب الى التفاهم ، وكان بعض أمانيهم ادنى الى التحقيق .

وهنا يخلق بي ان استرعي انتباه اللجنة الموقرة ، الى أن البغضاء التي عومل بها اليهود في الأقطار الأوروبية لم تكن فاشية في الشرق الإسلامي ولا العربي . وكان لهم فيها المكان الر حب . وانما بعد أن صدر تصريح بلفور يجر وراءه الأقاويل عنهم ، أضاع اليهود ما كان لهم من عطف عليهم في نفوس العرب والمسلمين ، وما ذلك كله الا بعض العواقب السيئة التي وقعت عليهم انفسهم من تصريح بلفور هذا ، وانها لنتيجة مؤلمة محزنة .

ومن الغريب في تصريح بلفور انه اعطي لقوم لم يكن لهم أي وجود سياسي بعد في فلسطين، فكان بمثابة شهادة الميلاد قبل حصول الميلاد . واما الذي كان موجودا في فلسطين فهو العرب لا غير . فكيف يسوغ ان يمنح تصريح لأناس على الأرض ليسوا فيها ، ويتجاهل صاحب التصريح المالك الشرعي لتلك الأرض والمستقر فيها ، مع العلم ان فلسطين كانت في ذلك الحين لا تزال من الناحية الدولية بلاد العدو المحتلة ، لا يصح التصرف

بها مع الهوى والمشيئة ، ولا يظن العرب ان ثمة في الارض تصريحا بمثل هذه الغرابة وذلك الشذوذ ؟

وهنا يجدر بي أن أذكر أعضاء اللجنة الملكية بامر جلل ، وهو ان العرب يطلبون انجاز الوعد الخطي الذي اعطي لهم عن طريق والدي الملك الحسين بن علي ، وبموجبه سفكوا دماءهم في الحرب العامة من أقصى حدود الحجاز الى تخوم حلب ، وسهلوا لجيوش اللورد اللنبي حرية الزحف في بلاد كانت جيوشه آمنة فيها غير مكلفة بما تعانيه الجيوش المقاتلة اثناء وجودها في بلاد اعدائها . ولا يزال العرب يعتقدون أن على عاتق بريطانيا الى الآن الكثير من الالتزامات الواجبة الاتمام نحوهم ، وانها فوق تصريح بلفور قوة ، يؤيدها التعاون الفعلي الذي قام بينهم وبينها منذ أول الحرب العالمية الى أن وضعت أوزارها . ثم ان تلك العهود سابقة لتصريح بلفور ومعززة بعده بغيرها ، وبالتصريح المشترك الذي أصدرته بريطانيا العظمى وفرنسا معا سنة ١٩١٨ فوقع ذلك التصريح البلفوري بين شقين من وعود سابقة واخرى لاحقة ، ولا يدري العرب كيف كتب له البقاء وهذا مكانه وتلك حاله بين حجري الرحى؟

ان لدى العرب عقيدة انبثت بينهم وزادتها الأحوال قوة ، الا وهي ان الحكومة البريطانية لا تنظر في ادارة فلسطين الا من ناحية واحدة هي « جعل البلاد في أحوال سياسية وادارية واقتصادية تكفل انشاء وطن قومي يهودي فيها » . ولعمري ماذا يبقى للعرب من كيان اذا هددوا كما رأينا في شؤنهم السياسية والإدارية والاقتصادية ؟! ...

ان العرب اذا التفتوا الى ما كانوا عليه في

فلسطين قبل الحرب وما وصلوا اليه بعدها ، ونظروا الى ذلك الطوفان المتدفق عليهم من اليهود وانهم بلغوا في نحو اربعة عشر عاما ما اقتضى العرب اربعة عشر قرنا ان يبلغوه ، حق لهم ان ترتجف اعصابهم امام هذا الموت الحثيث ، وأن يسألوا الى أين هم صائرون !!

ان تلك النقطة من صك الانتداب هي التي برهنت الحكومة بالفعل وبالاعمال البينة على انها قامت بتحقيقها ، وركبت لذلك كل سبيل . وأما ما نص عليه صك الانتداب نفسه للسكان الاصليين فلا يزال حتى اليوم حبرا على ورق . فان صك الانتداب مثلا يشير الى اقامة حكومة مستقلة عن الدولة المنتدبة يطلق عليها اسم حكومة البلاد ، فأين هي هذه الحكومة التي يجب أن تتفق في كثير من الأمور مع الدولة المنتدبة ؟ (مادة ١٣) ثم انظر ما تقول المادة (١٧) عن هذه الحكومة من ناحية الجيش والطيارات مثلا . ثم هل نشطت الدولة المنتدبة الاستقلال المحلي والحكم الذاتي المنصوص عليهما في ذلك الصك بمقدار ما نشطت الهجرة اليهودية بجميع أشكالها وأنواعها ؟ ثم قالت المادة السادسة من صك الانتداب : ان على الحكومة في فلسطين كفالة عدم الحاق الضرر بحقوق ومركز جميع طوائف الأهالي ، وان تكون هجرة اليهود في أحوال مناسبة ، فهل قامت الحكومة برعاية هذه المادة من ناحية الضرر بالأهالي ومركزهم ومن جهة الأحوال المناسبة ؟ . . .

ان الحكومة المنتدبة ، في رأي العرب ، قد بلغت اقصى التطرف في حماية مصالح اليهود الذين سمتهم فلسطينيين بالقوة ، وأعطتهم الجنسية

الفلسطينية وهم بعد في مواطنهم البعيدة عن فلسطين أشد البعد ، وقبل ان تطأ أرجلهم فلسطين أو تقع عيونهم على شيء منها ، المانا او روسا او بولونيين او غير ذلك . ولا تزال الدولة المنتدبة ماضية في ذلك السبيل متفانية فيه ، ولما ضاق عنها حتى تصريح بلفور نفسه ابتكرت شيئا جديدا جعلته ذيلا لذلك التصريح ، وذلك الذيل هو ما سمته « القدرة على الاستيعاب » وكما انها تولت اختراعه فهي ألتي تتولى تفسيره وحدها من غير ان يكون للعرب في ذلك اي رأي ، لأنها تعد نفسهامقيدة برأي الوكالة الصهيونية المعترف بها ممثلة لليهود ، وأما العرب فلم تفكر الادارة قط بمن يمثلهم ويعرب عن رأيهم وتركتهم تحت رحمة القضاء .

وكيف لا يقنع العرب ان الحكومة المنتدبة لا يهمها من الأمر الا قضية اليهود وحدهم ، ولديهم البرهان التالي ، وهو انعدد المهاجرين الذين دخلوا فلسطين في خلال اربع عشرة سنة كان مئة الف مهاجر يهودي أو أكثر قليلا ، وكانت البلاد تئن من هذه الكثرة ، فلما رفع العرب صوتهم بالشكوى وجاءت على أثر ذلك لجان بريطانية ثلاث للبحث في الأسباب التي حملت العرب على ما فعلوا ، وعادت الى انجلترا وقدمت تقاريرها في مصلحة السكان الاصليين ، لم يكن من الحكومة الا أنها سمحت بتدفيق الهجرة على فلسطين ، فدخلها في خلال أربع سنوات فقط ثلاثمائة الف مهاجر يهودي آخر فوق المائة الف السابقة ، وذلك ما استفاده العرب من لجان التحقيق وانتهوا اليه .

ثم ان الهجرة التي تسميها الحكومة « غير

مشروعة» وتقصد بهااليهود الذين يدخلون فلسطين تسللا ومن غير ارادتها ومعرفتها ، قد تجاوزت الحدود المعقولة وقاربت الهجرة المشروعة . فماذا فعلت الحكومة ازاء ذلك ؟ هل قللت من اعطاء الرخص للموازنة بين الهجرتين أم هل اخرجت المتسللين من البلاد ؟ كلا ، بل ازدادت في اعطاء الرخص سخاء وكرما ، فانصب على البلاد من الناحية المشروعة وغير المشروعة سيل لا يزال متدفقا ينهمر . فكيف يطلب من العرب ازاء هذه الحالة ان تحصل لهم طمأنينة او تكون لهم ثقة بأنهم لم يصبحوا على عتبة الباب ، وانما هي عشية او ضحاها حتى تدفعهم يد القوة من تلك العتبة الى العراء .

ان العرب قد طالما لفتوا نظر الحكومة البريطانية ، وفي الأخص قبل الحركة الأخيرة في فلسطين ، الى ما اجمع عليه خبراء بريطانيون ولجان تحقيق بريطانية رسمية ، والى احترام التزامات بريطانيا العظمى نحو العرب وحتى الضئيل المثبت منها في صك الانتداب ، وان تذكر أن للعرب حقا طبيعيا في بلادهم وكيانا أصبح مهددا بالزوال . ثم ان العرب يعتقدون أن تصريح بلفور قد تم منذ امد بعيد ، فقد اصبح لليهود وطن قومي في فلسطين ولهم فيها مدنهم وقراهم ومزارعهم ولغتهم وطائفة هائلة من موظفيهم في جميع الدوائر الحكومية الصغيرة منها والكبيرة ، وان مجاوزة هذا الحد معناه جعل فلسطين كلها يهودية لا جعل وطن قومي فيها لليهود. وذلك لا يمكن لعربي، مهما كان اعتداله ومهما شارك المؤيدين لوعد بلفور في شفقتهم على اليهود التي تجاوزت كل حد وعاطفة،

الا أن ينصح بكل ما اعطي من قوة للوقوف عند هذه الغاية وعدم التقدم فيها ولو خطوة واحدة .

ان العرب برهنوا في الحرب العامة وما بعدها الى اليوم ، على انهم اصدقاء اوفياء لبريطانيا ، وان تطورات الظروف زادتهم ايمانا في ذلك واصبح ولاؤهم للامبراطورية البريطانية سياسة تقليدية ثابتة في مملكتهم العراقية ، وامارتهم الاردنية ، ومملكتهم السعودية ، ومملكتهم اليمانية ، وفي جميع اماراتهم الاخرى ، في الكويت ، والبحرين ، وعمان ، وسائر المشيخات العربية ، وانهم على سواحل البحر الابيض وسواحل البحر الاحمر ومن حولهم الملايين من العالم الاسلامي الذي يصح ان ينظر الى بريطانيا العظمى نظرا خاصا ملؤه الاعتماد والثقة، فهم يعتقدون ان هذه الامبراطورية لا تفرط بهذه العلاقات كلها بتضحية فلسطين لليهود الذين نالوا ما صبوا اليه من وطن قومي في فلسطين منذ امد سحيق وفي اسرع مدة ممكنة فتفتح بذلك جرحا عميقا في نفس العالَمين العربي والإسلامي ، لان بريطانيا في معالجة مشكلة فلسطين انما تضع بنانها على العرق الحساس للعرب والاسلام .

واما الخوف على مصالح بريطانيا مما يشاع عن قوة اليهود وسعة حيلتهم ، فلا ادل على بطلان ذلك من عجزهم عن القيام بأي عمل ضد اية امة اخرجتهم من ارضهم ولا تزال تشرد بهم في الآفاق، واما المصالح الامبراطورية ففي معزل عن ذلك ونجوة ، والبرهان على صدق هذا القول قائم في كل مكان . واذا ذكر العرب المصلحة الامبراطورية فانما يعنون في ذلك انفسهم في الوقت عينه لارتباطهم

بها بعلائق متينة ، وانهم معها في هذا العالم الزاخر بالقلق والاضطراب على صلة الموت والحياة، بمقتضى الحلف والمركز الجغرافي والمصلحة المشتركة . اني انا شخصيا لا ازال اعمل على بقاء الصداقة العربية الإسلامية مع بريطانيا ، كما احب وكما يجب ان تكون مكانا وقوة وخلوصا من كل شائبة ، واني ادعو العرب الى الحرص عليها ولا اخلي اصدقاءهم البريطانيين من دعوتي هذه.

وتفضلوا يا صاحب الفخامة والسعادة بقبول فائق التحية والاحترام .

عمان في ١٠ كانون الثاني (يناير) ١٩٣٧

عبد الله

الرد على مكماهون

عزيزي صاحب الفخامة

انه لم يدر لي في خلد البتة ان يجرؤ احد فيعرب عن راي المرحوم والدي الملك حسين بن علي ، بعد انتقاله من هذه الدار الفانية الى جوار الله سبحانه ، حتى سمعت البارحة في الاذاعة عن لسان السير هنري مكماهون ان العهود المقطوعة لوالدي لم تتناول فلسطين ، وان المرحوم نفسه كان يعلم ذلك . ولما كان لتلك التهمة خطورتها كان حقا علي ان اذود عنه واسوغ لنفسي النطق بلسانه فأصرح ان تلك العهود كانت تشمل فلسطين ، وان المرحوم الوالد والذين معه كانوا على تلك العقيدة الراسخة لم يساورهم فيها ريب ، فوق اني كنت اعلم ذلك عنه في حياته . وان في ما بين يدي من مراسلاته مع السير مكماهون ما يعزز حجتي ويؤكد صوابها ، ولقد كنت في ذلك الوقت كاتب يده وامين سره والمتولي تلك المذكرات الى ان

انتهت الثورة .

اني لأرجو بعد ان تطلعوا على بياني هذا ، ان تتكرموا فتعملوا على تصحيح تلك الاذاعة بمثلها ، حرصا على الحقيقة وعلى التاريخ ، ووفاء لعظيم من عظمائه ، ان كان قد انتقل من الدنيا فان على الذين بعده من امثالنا من آله ومن اصدقائهم اجمع ان يدفعوا عنه ما لا يمتّ اليه بصلة ، وفي الأخص ما يختص بكرامته القومية . واني تأييدا لما ألمحت اليه اذكر ما يأتي :

١ ـ لقد كانت مسألة (الحدود) عقبة كؤودا في المراسلات التي دارت بين المرحوم والدي والسير هنري مكماهون نائبا عن بريطانيا العظمى ، وعلى الرغم من اية محاولة لإقناعه بالعدول عنها أو تعديلها فقد اصر على التمسك بها والبت فيها . فقد قال السير هنري مكماهون في كتابه المرسل للشريف حسين بتاريخ ١٩ شوال ١٣٣٣ (٣٠ آب ١٩١٥) ما يأتي :

« اما ما يتعلق بالحدود فقد يكون بحثنا فى مثل هذه التفاصيل ـ والوقت قصير والحرب قائمة ـ سابقا لاوانه ، خاصة وان تركيا لا تزال تحتل قسما كبيرا من الأراضي التي اشرتم اليها فى اقتراحكم احتلالا تاما »

اما تلك (الاراضي) التي يشير اليها السير مكماهون فهي التي وردت في كتاب والدي اليه مع علي افندي أصفر ، وفي المادة الأولى منه ما يأتي:

« آن تعترف انجلترا باستقلال البلاد العربية من مرسين ـ ادنه حتى الخليج الفارسي شمالا ، ومن بلاد فارس حتى خليج البصرة شرقا ، ومن المحيط الهندي للجزيرة جنوبا ـ يستثنى من

ذلك عدن التي تبقى كما هي ـ ومن البحر الاحمر والبحر المتوسط حتى سيناء غربا » .

اما جواب والدي على الكتاب السابق للسير هنري مكماهون فكان بتاريخ ٢٩ شوال ١٣٣٣ (٩ ايلول ١٩١٥) وفيه ما يأتي :

« ان مصالح ابناء «ديانتنا» كلها تطلب الحدود التي ذكرتها لكم »

ثم ان جلالته اشار في ذلك الكتاب بكلمات شديدة اللهجة الى **البرودة** والى **التردد** اللذين ظهرا في كتاب السير هنري مكماهون **في ما يتعلق بالحدود** ثم قال جلالته فيه :

« ان هذه الحدود المطلوبة ليست لرجل واحد نتمكن من ارضائه ومفاوضته ، بل هي مطالب شعب يعتقد ان حياته فى هذه الحدود ، وهو متفق باجمعه على هذا الاعتقاد » .

وبعد ان افاض جلالته في هذا الموضوع عن **اعتقاد** العرب لئلا تعارضهم انجلترا او احدى حليفاتها في ما بعد قال ما نصه :

« ولذلك نرى من واجبنا ان نؤكد لكم اننا سنطلب اليكم فى اول فرصة بعد انتهاء الحرب ما ندعه الان لفرنسا فى بيروت وسواحلها » .

«ولقد اجاب السير هنري مكماهون عن ذلك بكتاب منه مؤرخ في ١٥ ذى الحجة سنة ١٣٣٣ (٢٤ تشرين الاول ١٩١٥) فقال :

« انه يؤسفني انكم لاحظتم فى كتابي الاخير وحديثي عن قضية الحدود شيئا من البرودة والتردد »

وبعد الاعتذار عن ذلك قال :

« فارسلت مضمون كتابكم الى الحكومة

البريطانية وانه يسرني ان ارسل اليكم البيانات التالية التي اثق كل الثقة انها تفوز برضاكم — ان مرسين واسكندرون وبعض الاقسام السورية غربي دمشق وحمص وحماة وحلب لا يمكن ان يقال عنها عربية محضة »

ثم قال السير مكماهون :

«اما الاراضي التي تستطيع انجلترا العمل فيها بملءالحرية دون ان توقع ضررا بحليفتها فرنسا ، فان لي السلطة التامة باسم حكومة صاحب الجلالة ان اعطيكم التامينات التالية جوابا عن كتابكم :

(١) « ان انجلترا مستعدة — على اساس تلك التعديلات — ان تعترف باستقلال العرب وتقديم المساعدة لهم في الحدود التي اقترحها شريف مكة »

الى آخر تلك التعهدات .

ومن هذا ترون فخامتكم ان المقصود بتلك الحدود انما كان **ساحل لبنان** الذي **ندعه لفرنسا في بيروت وسواحلها** على امل المطالبة بها**بكل تاكيد بعد انتهاء الحرب .**

وقد قبل السير هنري مكماهون ارجاء البحث في تلك الانحاء الى فرصة اخرى ، وشكر الملك العربي على ما اظهر من حرص على دوام التحالف بين الحلفاء ، ثم قال في كتابه المؤرخ في ٩ صفر ١٣٣٤ (١٣ كانون الاول ١٩١٥) ما يأتي :

«اما بشان ولايتي حلبوبيروت فحكومة بريطانيا قد فهمت كل ماذكرتم بشانهما ودونت ذلك عندها بعناية تامة ، ولكن لما كانت مصالح حليفتها فرنسا داخلة فيها ، فالمسالة تحتاج الى نظر دقيق ،

وسنخابركم بهذا الشان مرة اخرى فى الوقت المناسب » .

وقد اكد جلالته في كتاب منه بتاريخ ٢٥ صفر ١٣٣٤ (١ كانون الثاني ١٩١٦) واجاب عنه السير هنري مكماهون بتاريخ ٢٤ ربيع الاول ١٣٣٤ (٣٠ كانون الثاني ١٩١٦) بقوله :

« اما ما يتعلق فى الجهات الشمالية فقد كتبت ملاحظة عن رغبتكم فى تجنب كل ما من شانه الاساءة الى تحالف انجلترا وفرنسا » .

من ذلك ترون ان فلسطين لم يكن في عروبتها من شك ، ولم ينكر ذلك عليها احد ، وان فرنسا لم تكن تطالب بها ثم انها من **«البلاد التي تستطيع انجلترا العمل فيها بملء الحرية دون ان توقع ضررا بحليفتها فرنسا » .**

اني لأرجو ان تكون هذه البراهين الساطعة التي ادليت بها ناطقة مقنعة بأن فلسطين كانت داخلة في الحدود العربية التي اقترحها شريف مكة ، وان الجدال في امر الحدود انما ثار عن بيروت وسواحلها رعاية للحليفة فرنسا ، وان البت في أمرها ارجىء الى فرصة اخرى لأنها لم تكن عربية محضة ــ على رأي السير مكماهون ــ ومثلها مرسين والإسكندرون .

ثم ان هنالك ادلة اخرى ، غير المراسلات المنوه بها ، وهي تصريحات رسمية صادرة من حكومة صاحب الجلالة ، واخرى منها ومن حلفائها معها. واني لأشير الى التصريح المشترك الصادر في ٨ تشرين الثاني ١٩١٧ عن اغراض بريطانيا العظمى الى جلالة والدي جوابا عن التحريات التي ارسلها القائد التركي في سورية الى اخي المرحوم الملك

فيصل ، والى شخصي ، والتي بعث بها والدي الى حكومة جلالة الملك فأثنت على وفائه كل الثناء وكررت وعودها بتأييد العرب واستقلالهم ، وكان القائد التركي قد عير العرب بأنهم يساعدون الجنرال اللنبي على فتح البلاد التي دافع عنها صلاح الدين واخراجها من أيدي المسلمين . ولقد ثار الجيش العربي وضباطه عند وصول تلك الرسائل التركية ، ولم يستأنفوا جهادهم الا بعد ان تلقوا التأمينات المقتبسة من تلك البرقية المنوه بها وهذا بعض ما جاء فيها :

« ومما لا يحتاج الى دليل ان السياسة التي تنسج عليها تركيا هي ايجاد الارتياب والشك بين دول الحلفاء والعرب الذين هم تحت قيادة وعظيم ارشادات جلالتكم قد بذلوا الهمة الشماء ليظفروا باعادة حريتهم القومية » .

ثم قالت البرقية : —

« ان حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى وحلفاءها ما زالت واقفة موقف الثابت لكل نهضة تؤدي الى تحرير الامم المظلومة ، وهي مصممة ان تقف بجانب الامم العربية فى جهادها لتبني عالما عربيا يسود فيه القانون والشرع بدل الظلم العثماني » .

ثم قالت البرقية : —

« ان حكومة بريطانيا العظمى تكرر وعدها السالف بخصوص تحرير الامم العربية ، وان حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى قد سلكت مسلك التحرير ، وتقصد ان تستمر عليه بكل أمانة وتصميم ، بان تحفظ العرب الذين تحرروا من السقوط فى وهدة الدمار ، وتساعد الذين لايزالون



هذه صورة احد تحارير فخامة نائب جلالة الملك بتاريخ ١٩ شوال ١٣٣٣ الموافق ٣٠ اغسطس ١٩١٥

الى السيد الحسيب النسيب سلالة الاشراف وتاج الفخار وفرع الشجرة المحمدية والدوحة القرشية الاحمدية صاحب المقام الرفيع والمكانة السامية السيد ابن السيد والشريف ابن الشريف السيد الجليل المبجل دولة الشريف حسين سيد الجميع امير مكة المكرمة قبلة العالمين ومحط رجال المؤمنين الطائعين عمت بركته الناس اجمعين

بعد رفع رسوم وافر التحيات العاطرة والتسليمات القلبية الخالصة من كل شائبة نعرض ان لنا الشرف بتقديم واجب الشكر لاظهاركم عواطف الاخلاص وشرف الشعور والاحساسات نحو الانجليز وليسرنا علاوة على ذلك ان نعلم ان سيادتكم ورجالكم على رأي واحد وان مصالح العرب هي نفس مصالح الانجليز والعكس بالعكس . ولهذه النية فنحن نؤكد لكم اقوال فخامة اللورد كتشنر التي وصلت الى سيادتكم عن يد علي افندي والتي كان موضحا بها رغبتنا في استقلال بلاد العرب وسكانها مع استصوابنا للخلافة العربية عند اعلانها . وانا نصرح هنا مرة اخرى ان جلالة ملك بريطانيا العظمى يرحب باسترداد الخلافة الى يد عربي صميم من فروع تلك الدوحة النبوية المباركة .

واما من خصوص مسئلة الحدود والتخوم فالمفاوضة فيها تظهر انها سابقة لاوانها وتصرف الاوقات سدى في مثل هذه التفاصيل في حالة ان الحرب دائرة رحاها وان الاتراك ايضا لا يزالون محتلين لاغلب تلك الجهات احتلالا فعليا وعلى الاخص ما علمناه وهو مما يدهش ويحزن ان فريقا من العرب القاطنين في تلك الجهات نفسها قد غفل واهمل هذه الفرصة الثمينة التي ليس اعظم منها وبدل اقدام ذلك الفريق على مساعدتنا تراه قد مد يد المساعدة الى الالمان والاتراك نعم مد يد المساعدة لذلك السلوب النهاب الجديد وهو الالمان وذلك الظالم العسوف وهو الاتراك . ومع ذلك فانا على كال الاستعداد لان نرسل الى سماحة دولة السيد الجليل والى البلاد العربية المقدسة والعرب الكرام من الحبوب والصدقات المقررة من البلاد المصرية وستصل بمجرد اشارة سيادتكم وفي المكان الذي تعينونه وقد عملنا الترتيبات اللازمة لمساعدة رسولكم في جميع سفراته الينا ونحن على الدوام معكم قلبا وقالبا مستنشقين رائحة مودتكم الزكية ومستوثقين بعرى محبتكم الخالصة سائلين الله سبحانه وتعالى دوام حسن العلائق بيننا وفي الختام ارجو ان تتقبلوا اسمى تحياتي ... كامن تحياتي وسلامي وفائق احترامي

مطابق للاصل

خواص
السير آرثر مكماهون
نائب جلالة الملك

الهاشمي
رئيس الديوان

وهذه ايضا صورة تحريره بتاريخ ١٥ الحجة ١٣٣٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الى فرع الدوحة المحمدية وسلالة النسب النبوي الحسب الكريم دولة صاحب المقام الرفيع الامير المعظم السيد الشريف ابن الشريف امير مكة المكرمة صاحب السدة العليا جعله الله عزا للاسلام والمسلمين بعونه تعالى امين حضرة دولة الامير الجليل الشريف حسين بن علي اعلى الله مقامه .

قد تلقيت بيد الاحتفاء والسرور رقيمكم الكريم المؤرخ بتاريخ ٢٩ شوال سنة ١٣٣٣ وبه من عبارات الود المحضة والاخلاص ما اورثني رضا وحبورا .
اني متأسف انكم استنتجتم من عبارة كتابي السابق الى انني قابلت مسألة الحدود والتخوم بالتردد والفتور فان ذلك لم يكن القصد من كتابي قط ولكنني رأيت حينئذ ان الفرصة لم تكن قد حانت بعد لبحث في ذلك الموضوع بصورة نهائية . ومع ذلك فقد ادركت من كتابكم الاخير انكم تعتبرون هذه المسألة من مسائل الهامة الحيوية المستعجلة فلذلك فاني قد اسرعت في ابلاغ حكومة بريطانيا العظمى مضمون كتابكم واني بكمال السرور ابلغكم بالنيابة عنها التصريحات الآتية التي لا اشك في انكم تنزلونها منزلة الرضى والقبول . ان ولايتي مرسين واسكندرونة واجزاء من بلاد الشام الواقعة في الجهة الغربية لولايات دمشق الشام وحمص وحماه وحلب لا يمكن ان يقال انها عربية محضة وعليه يجب ان تستثنى من الحدود المطلوبة . مع هذا التعديل وبدون تعرض للمعاهدات المعقودة بيننا وبين بعض رؤساء العرب نحن نقبل تلك الحدود . واما من خصوص الاقاليم التي تضمها تلك الحدود حيث بريطانيا العظمى مطلقة التصرف بدون ان تمس مصالح حليفتها فرانسا فاني مفوض من قبل حكومة بريطانيا العظمى ان اقدم المواثيق الآتية واجيب على كتابكم بما يأتي .

(١) انه مع مراعاة التعديلات المذكورة اعلاه فبريطانيا العظمى مستعدة بان تعترف باستقلال العرب وتؤيد ذلك الاستقلال في جميع الاقاليم الداخلة في الحدود التي يطلبها دولة شريف مكة

(٢) ان بريطانيا العظمى تضمن الاماكن المقدسة من كل اعتداء خارجي وتعترف بوجوب منع التعدي عليها .

(٣) وعندما تسمح الظروف تمد بريطانيا العظمى العرب بنصائحها وتساعدهم على ايجاد هيئات حاكمة ملائمة لتلك الاقاليم المختلفة .

(٤) هذا وان المفهوم ان العرب قد قرروا طلب نصائح وارشادات بريطانيا العظمى وحدها وان المستشارين والموظفين الاوروباويين اللازمين لتشكيل هيئة ادارية قويمة يكونون من الانكليز

(٥) اما من خصوص ولايتي بغداد والبصرة فان العرب تعترف ان مركز ومصالح بريطانيا العظمى الموطدة هناك تستلزم اتخاذ تدابير ادارية مخصوصة لوقاية هذه الاقاليم من الاعتداء الاجنبي وزيادة خير سكانها وحماية مصالحنا الاقتصادية المتبادلة

واني متيقن بان هذا التصريح يؤكد لدولتكم بدون اقل ارتياب ميل بريطانيا العظمى نحو رغائب اصحابها العرب وتنتهي بعقد محالفة راسخة ثابتة معهم ويكون من نتائجها المستعجلة طرد الاتراك من بلاد العرب وتحرير الشعوب العربية من نير الاتراك الذي اثقل كاهلهم السنين الطوال .
ولقد اقتصرت في كتابي هذا على المسائل الحيوية ذات الاهمية الكبرى واذا كان هنالك مسائل اخرى في خطاباتكم لم نذكرها فسنعود الى البحث فيها في وقت مناسب في المستقبل

ولقد تلقيت بمزيد السرور والرضا خبر وصول الكسوة الشريفة وما معها من الصدقات بالسلامة وانها بفضل ارشاداتكم السامية وتدابيركم الحكيمة قد انزلت الى البر بدون تعب ولا ضرر رغما عن الاخطار والمصاعب التي سببتها هذه الحرب المحزنة ونرجو الحق سبحانه وتعالى ان يعجل بالصلح الدائم والحرية لاهل العالم . اني مرسل خطابي هذا مع رسولكم النبيل الامين الشيخ محمد بن عارف بن عريفان وسيعرض على مسامعكم بعض مسائل مفيدة التي هي من الدرجة الثانية من الاهمية ولم اذكرها في كتابي هذا وفي الختام ابلغ دولة الشريف والحسب المنيف والامير الجليل كامل تحيتي وخالص مودتي واعرب عن تحيتي له ولجميع افراد اسرته الكريمة راجيا من ذي الجلال ان يوفقنا جميعا فيه خير العالم وصالح الشعوب انه بيده مفاتيح الامور والغيب وكفى به كفيلا . وختم تعالى بحسن الختام والسلام

مكماهن

نائب جلالة الملك
السير ارثر مكماهون

الهاشمي
دار الديوان

وهذه ايضا صورة الذي ورد من فخامته بتاريخ ٨ صفر ١٣٣٤

بسم الله الرحمن الرحيم

الى صاحب الاصالة والرفعة وشرف المجد سلالة بيت النبوة والحسب الطاهر والنسب الفاخر دولتلو الشريف المعظم السيد حسين بن علي امير مكة المكرمة قبلة الاسلام والمسلمين
ادام الله في رفعة وعلاء

وبعد فقد وصلني كتابكم الكريم بتاريخ ٢٩ الحجة ١٣٣٣ وسرني ما رأيت فيه من قبولكم اخراج ولايتي مرسين واضنة من حدود البلاد العربية. وقد تلقيت ايضا بمزيد السرور والرضى تأكيداتكم ان العرب عازمون على السير بموجب تعاليم الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وغيره من سادة الخلفاء الاولين التي تضمن حقوق كل الاديان وامتيازاتها على السواء. وفي قولكم ان العرب مستعدون ان يحترموا ويعترفوا بجميع معاهداتنا مع رؤساء العرب الآخرين يعلم منه طبعا ان هذا يشمل جميع البلاد الداخلة في حدود المملكة العربية لان حكومة بريطانيا العظمى لا تستطيع ان تنقض اتفاقات قد ابرمت بينها وبين اولئك الرؤساء. اما من جهة ولايتي حلب وبيروت فحكومة بريطانيا العظمى قد فهمت كل ما ذكرتموه بشأنهما ودونت ذلك عندها بعناية تامة. ولكن لما كانت مصالح حليفتها فرنسا داخلة فيهما فالمسألة تحتاج الى نظر دقيق وسنخابركم بهذا الشأن مرة اخرى في الوقت المناسب. وحكومة بريطانيا العظمى كما سبق فأخبرتكم مستعدة لان تعطي كل ضمانات المساعدة التي في وسعها الى المملكة العربية ولكن مصالحها في ولاية بغداد تتطلب ادارة ودية ثابتة كما رسمتم. ومن ان صيانة هذه المصالح كما يجب تستلزم نظرا ادق مما تسمح به الحالة الحاضرة والسرعة التي تجري بها هذه المفاوضات.

ونستصوب تماما رغبتكم في التحذر ولا نريد ان نستعجلكم في عمل سريع ربما يعرقل نجاح اغراضكم ولكننا في الوقت نفسه نرى من الضروري جدا ان تبذلوا مجهوداتكم في جمع كلمة الشعوب العربية الى غايتنا المشتركة وان تحثوهم على ان لا يمدوا يد المساعدة لاعدائنا بأي وجه كان. فانه على نجاح هذه المجهودات وعلى التدابير الفعلية التي يمكن العرب ان يتخذوها اسعافا لغرضنا عندما يجيء وقت العمل تتوقف قوة الاتفاق بيننا وثباته. وفي هذه الاحوال فان حكومة بريطانيا العظمى قد فوضتني ان ابلغ دولتكم ان تكونوا على ثقة من ان بريطانيا العظمى لا تنوي ابرام اي صلح كان الا اذا كان من ضمن شروطه الاساسية حرية الشعوب العربية وخلاصها من سلطة الالمان والاتراك. وعربونا على صدق نيتنا ولاجل مساعدتكم في مجهوداتكم في غايتنا المشتركة فاني مرسل مع رسولكم الامين مبلغ عشرين الف جنيه. واقدم في الختام عاطر تحياتي القلبية وخالص تسليماتي الودية مع مزيد الاحترام والتعظيم المشمولين بروابط الاخلاص والمحبة الصادقة لمقام دولتكم السامي ولافراد اسرتكم الكريمة مع فائق الاحترام

المخلص
نائب جلالة الملك بمصر
السير آرثر هنري مكماهون

مطابق للاصل
الهاشمي
رئيس الديوان

وهذه ايضاً صورة احد تقارير مكماهون بتاريخ ٦ جمادي الاولى ١٣٣٤ يوافق ١٠ مارس ١٩١٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الى ساحة ذي المقام الرفيع ذي الحسب الطاهر والنسب الفاخر قبلة الاسلام والمسلمين معدن الشرف وطيب المحتد سلالة مهبط الوحي المحمدي الشريف ابن الشريف صاحب الدولة السيد الشريف حسين بن علي امير مكة المعظم زاده الله رفعة وعلاء آمين

بعد ما يليق بمقام الامير المعظم من المجد والاحتشام ونقدم خالص التحية والسلام وشرح عواطف الالفة وحسن التفاهم والوداد الممزوج بالمحبة القلبية ارفع الى دولة الامير المعظم انا تلقينا رقيمكم المؤرخ ١٤ ربيع الآخر ١٣٣٤ على يد رسولكم الامين وقد سررنا لوقوفنا على التدابير الفعلية التي تتخذونها وانها الموافقة للاحوال الحاضرة وان حكومة جلالة الملك بريطانيا العظمى تصادق عليها وقد يسرني ان اخبركم بان حكومة جلالة الملك صادقت على [illegible] وان كل شيء رغبتم الاسراع فيه وفي ارساله فهو مرسل مع رسولكم حامل هذا والاشياء الباقية ستحضر بكل سرعة ممكنة وتبقى في بورت سودان تحت امركم حين ابتداء حركتكم [illegible] (كما ذكرتم) وبالمواقع التي يقتضي سوقها اليها والوسائط التي ستكون حاملة الوثائق بتسليمها اياهم . ان كل التعليمات التي وردت في تحريركم قد اعلمنا بها حاكم بورت سودان [illegible] بحسب رغبتكم

وقد تمت جميع التسهيلات اللازمة [illegible] مأمورية التي نسأل الله ان يكللها بالنجاح وسينقلها [illegible] ويعود الى بورت سودان [illegible] بحراسة الله لنقص على مسامع دولتكم نتيجة عمله .
ونغتنم الفرصة لنوضح لدولتكم في خطابنا هذا ما نرجو ان يكون واضحاً لديكم [illegible] النقط المعسكرة فيها بعض العساكر التركية على سواحل بلاد العرب يقال انهم يجاورون للعداء لنا والذين هم يعملون على ضرر مصالحنا الحربية البحرية في البحر الاحمر وعليه نرى انه من الضروري ان نأخذ التدابير الفعالة ضدهم ولكننا قد اصدرنا الاوامر القطعية الى جميع بوارجنا ان نفرق بين عساكر الاتراك الذين يبدأون بالعداء وبين العرب الابرياء الذين يسكنون تلك الجهات ولا نظهر للعرب اجمع الا كل عاطفة ودية . وقد اطلعنا دولتكم ذلك حتى تكونوا على بينة من الامر اذا بلغكم خبراً مكذوباً عن الاسباب التي تضطرنا الى اي عمل من هذا القبيل . وقد بلغتنا اشاعات مؤداها ان اعداءنا الالداء يبذلون جهدهم في اعمال السفن ليبثوا بها الالغام في البحر الاحمر ولالحاق الاضرار بمصالحنا في ذلك البحر وانا نرجوكم سرعة اخبارنا اذا تحقق ذلك لديكم . وقد بلغنا ان ابن الرشيد قد باع للاتراك عدداً عظيماً من الجمال وقد ارسلت الى دمشق الشام ونأمل ان تستعملوا كل ما لكم من التأثير عليه حتى يكف عن ذلك واذا صمم على ما هو عليه يمكنكم عمل الترتيب مع العربان الساكنين بينه وبين سوريا ان يقبضوا على الجمال حال سيرها ولا شك ان في ذلك صالح لمصلحتنا المتبادلة .
وقد يسرني ان ابلغ دولتكم ان العربان الذين ضلوا السبيل تحت قيادة السيد احمد السنوسي وهم الذين اصبحوا ضحية دسائس الالمان والاتراك قد ابتدأوا يعرفون خطأهم وهم يأتون الينا وحداناً وجماعات يطلبون العفو عنهم والتودد اليهم وقد دحرهم هزمنا القوات التي جمعها هؤلاء الدساسون ضدنا وقد اخذت العرب تبصر الغش والخديعة التي حاقت بهم . وان لسقوط ارضروم من يد الاتراك وكثرة انهزاماتهم في بلاد القوقاس تأثير عظيم وهو لمصلحتنا مبادئ وخطوة عظيمة في سبيل الامر الذي نعمل له وإياكم . ونسأل الله عز وجل ان يكلل مساعيكم بتاج النجاح والفلاح وانا نمدكم في كامل [illegible] السبل والمناهج . وفي الختام اقدم لدولتكم وكامل افراد اسرتكم الشريفة عظيم الاحترامات وكامل ضروب المودة والاخلاص مع المحبة التي لا يزعزعها كر العصور ومرور الايام . ا ه

كتبه المخلص
السير ارثر هنري مكماهون
نائب جلالة الملك
بمصر

طبق الاصل
الهاشمية
رئاسة الديوان

تحت نير الظالمين لينالوا حريتهم » .

ثم ان هنالك برقية مرسلة الى جلالتـه مـن حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى عن يد مندوبه بمصر في ذلك الحين ، وهو الشيخ فؤاد الخطيب ، وذلك في ٨ حزيران ١٩١٨ عندما احتج باسـم جلالته على معاهـدة سايكس بيكو التي اذاعها البلشفيك فور استلامهم الحكم في روسيا وهـذا نص تلك البرقية :

« ان البلشفيك لم يجدوا فى وزارة الخارجية فى بتروغراد معاهدة معقودة بل محاورات ومحادثات مؤقتة بين انجلترا وفرنسـا وروسيا فى اوائـل الحرب ، لمنع المصاعب بين الدول اثناء مواصلة القتال ضد الترك ، وذلك قبل النهضة العربية ، وان جمال باشا ، اما عن الجهل او الخبث ، غير مقصدها الاسـاسي واهمل شـروطها القاضيـة بضرورة رضى الاهالي وحماية مصالحهم ، وقـد تجاهل ماوقع بعد ذلك من ان قيام الحركة العربية ونجاحها الباهر وانسحاب روسيا ، قد اوجد حالة اخرى تختلف عما كانت عليه بالكلية منذ امد مضى » .

ثم انه عندما قدم الكولونيل لورنس الى جدة لعقد معاهدة مع جلالةالمرحوم والدي كانت قضية فلسطين بيت القصيد ــ وان في الوكالة البريطانية في جدة نص المفاوضة التي دارت بين المرحـوم شقيقي الملك علي نائبا عن والده وبين الكولونيل لورنس تحت رقم (١٥٢١ م ــ ٢٥١) .. فقد اثار الامير علي مسـالـة فلسطين واجابه الكولونيـل لورنس بأن الوفد الاسلامي المسيحي يتناقش في هذه اللحظة (كانـون الاول ١٩٢١) مع الحكومـة

البريطانية في مصيرهم السياسي ، وبأنه لا يمكن ان يعمل اي تصريح عن فلسطين الى ان تظهر نتيجة المناقشات ، فاذا حصل الوفد على حل مرض لهم **فلا تبقى مسؤولية على الملك حسين** فوافق الامير علي على ذلك ثم قال : **واذا اخفق الوفد فالملك حسين يستانف الدفاع عن مطالب العرب القومية في تلك البلاد ، اي فلسطين**)) .

ذلك ما عنّ لي الالمام به في هذه العجالة ، وانما اقول ان حق العرب في بلادهم فلسطين صريح لا يحتاج الى وثيقة او وعد ، فهم اهلها منذ اجيال وفي اقامة متصلة فيها،وانهم على رغم ما اجتاحهم من حروب ونكاهم من خطوب ، لم يفرطوا فيها ولم يتحولوا عن شبر منها . وان الذي ارجوه من فخامتكم الآن هو ان تثقوا ببطلان ما ذكرته الاذاعة من ان العهود المقطوعة لوالدي لم تتناول فلسطين ، وانه نفسه كان يعلم ذلك،فان الحقيقة التي لا مرية فيها هي ما صرحت به واقمت الدليل عليه من ان فلسطين كانت داخلة في العهود المقطوعة لوالدي الملك وانه لم يكن يعلم غير ذلك.

وأرجو ان تتفضلوا فخامتكم ، بطريقة من الطرق ، بتصحيح تلك الإذاعة التي نحتج عليها ، او ارشادنا الى ذلك لنقوم به بالذات، رعاية لحرمة الاموات ، وحرصا على حقائق التاريخ .

وأقبلوا ياصاحب الفخامة فائق الاجلال والاحترام .

عمان في ٢٥ تموز ١٩٣٧

صديق فخامتكم المخلص

عبد الله

الى الحاج
امين الحسيني

مولانا تولاه الله بتوفيقه

السلام عليكم ورحمةالله وبركاته، ومن العايدين وان قررتم ترك هذه السنــة ، اعادكم الله الــى امثاله والمسلمين في عز ورفاه .

مولانا ، لقد اطلعت على مقال في «اللواء» الاغر فحواه ايقاظي الى ما يجب ان اتصرف فيه عنـــد زيارة اللجنة الملكية البريطانية اياي ، وعدم قول أي كلمة عن اللجنة العليا العربية الى غير ذلك .

مولانا ، لقد تركتكم في رمضان بالقـــدس وانا وانتم على تفاهم تام من عدم التعرض فيما قررتم، وان كنت افهمتكم بأنني ممن لا يرى الاحتباس ، بل انني كنت اريد الادلاء بالحجج والمجادلة عـــن الحق الذي لا مرية فيه . فما الحاجة اذا والحال ما ذكر الى ما فيه المساس بشعوري على صحائف «اللواء» والتعريض بي كأنني سأتطفل على اللجنة واتكلم عنها امام لجنة اجنبية لا علاقة لي بهـــا البتة ، ولا هو من اختصاصها البحث مع امـــير غير فلسطيني لا حق له في عرفهم ان يتدخل في ما لا شأن له به .

ثم ان اللجنة الملكيـــة لم يتقرر زيارتهـــا اياي بصفتهـــا اللجنة الملكية ، ولكن ربما ان اللورد بيل يزورني ورفيقه زيارة خاصة لانه صديقي مـــن القديم ، وبالطبع فان كلامه معي سيتناول مهمته، ولكنني غير جاهز بما ينبغي ان يسمعه رئيس لجنة ملكية له اختصاصه ، اذ ربما يكون قولي له على غير علم واستعداد ضارا غير نافع .

ولقد لفت نظري في «اللواء» امر المؤتمر الذي قيل انه سيعقد في مصر وانه ستتخذ الوســـائل لابلاغ الملـــك غازي استيـــاء الرأي العـــام لنفي

الحكومة العراقية احرار العراق . فيا مولانا ، في الوقت الذي يرجى فيه الملك غازي بذل المساعدة في المسألة الفلسطينية ، كيف تتقدم جريدة «اللواء» بخبر كهذا يسيء الى الملك غازي اساءة شخصية ؟ انه يشتم من خبر المؤتمر العزم على الاتفاق مع اعضاء الحكومة العراقية السابقة ضد الملك غازي وحكومة العراق الحاضرة ، في الوقت الذي احوج ما تكون فيه فلسطين الى عطف كل هيئة عربية لها كيان سياسي . فكأن موجة سياسية تتوجه من فلسطين ضد البيت الهاشمي في كل محل هو فيه ، فلم ومم ؟!..

انني لا اريد بكتابي هذا من سماحتكم الا تنويري عن الموقف : هل هنالك اختلاف بينا وبينكم او سوء ظن او عدم رضى ؟ اما نحن فلا نظن فيكم الا الخير وحسن النية ، وانني منتظر جوابكم العاجل لاكون انا وابن اخي على بصيرة . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

عمان في ٢ شوال ١٣٥٥

عبد الله

الى عوني عبد الهادي

عزيزي عوني عبد الهادي

تلقيت شاكرا جوابكم عن كتابي مع الاستاذ الشنطي ، ثم اطلعت على كتابكم للشيخ فؤاد الخطيب . اما المقترحات* فهي ليست من مبتكرات أي شخص غيري ، ولقد رايت ان دوام الحالة الراهنة هي الويل لفلسطين وللعرب. عدا هذا فانني معك في سحب الاقتراح اذا اقنعتني

* انظر نصها فى ختام الكتاب .

بأن في دوام الحالة الراهنة ما يردع اليهود عن شرقي الاردن بعد فلسطين . ولقد رأيت ان من واجبي الديني والوطني ان امزق هذه الحلقة المحكمة التي وضعت لخنق انفاسي منذ التاريخ الذي كنت استفسرتك فيه بيني وبين اخي فيصل اثناء مروره بمصر عند رجوعه من بريطانيا ليذهب الى مكة ويأخذ التواصي للسفر الى العراق وكل ذلك تعلمونه .

انك ياعزيزي مصر"، ولك ملء الحق في التخوف من أي هجرة تتجاوز الستين الفا من اليهود الى بعض فلسطين او كل فلسطين ، لانها حتما ستضمن لهم التساوي بالعرب في النفوس ؛ ولكن اسأل من يعرف في انه هل ببقاء الحالة الراهنة ما يمنع هذه المخاوف ؟ كلا ثم كلا . ان الهجرة في الوقت الحاضر محددة ولكنها غير مقيدة بوقت ، وان ميناء تل ابيب التي حصلت بفضل الاضراب السابق ترد اليها بواخر يهودية وتفرغ ما فيها الى البر قوارب يهودية، فهل هنالك من يراقب؟. إن هذا الباب فتحه غيري لكي ينيخوا العرب لليهود يركبونهم ظهرا وبطنا . اما الاقتراح فان قدّر وقبل من الانجليز ففيه حصر الهجرة المحددة بالنسبة المعقولة في العدد ، ويضمن لنا عدم بيع اراض في سائر فلسطين ، وعدم السماح في الهجرة اليهودية اليها الا برضى العرب .

اما الحالة الراهنة فليس فيها اي احتياط لمصلحتنا بل هي في مصلحة اليهود المحضة ، يشهد الله على ذلك ، وليس هذا من رايي ،

والصبر عليه ليس من ذنبي ايضـا ، وانا جـار فلسطين وانـا مثير الثورة العربيـة في الحجاز والحامل اباه على قبولها . فمم أجبن الآن ولم يساء الى سمعتي ؟ واي بقعة من بلاد العرب اليوم هي افضل من البقعة التي انا فيها ؟ ان علي واجبا ارجو الله ان يقدرني على القيام به ، وهو عدم الرضا عن اي شيء غير ما رسمته قواعد الثورة العربية من اعمال . واليك يا حبيبي مزيدا من الشكر في حرصك على سمعتي ، وانني ابشرك بانها لله الحمد سالمة من كل شائبة ، فانني لست ممن يعجز عن الدفاع عن سمعته ، ولست بالذي فرط بشبر من ارض او بحق من الحقوق . فلو كان في السياسة التي تعقبتها العرب منذ عشرين عاما من تأثير ، لما امتلأت فلسطين اليوم بما يقارب النصف مليون من اليهود ، وانه لا يوجد منهم في شرقي الاردن شخص واحد . وانه من عناية الله وعملي الحقيقي الـذي تكلل بصيـانة شرقي الاردن مـن وعد اليهود . ولكن هـذه فلسطين فاستعدوا لصلاة الجنازة عليها، ولقد تركت بدون مدبر او مشير ، وان علي لواجبا كما قلت آنفا انا قائم به ولا استثني شيئا يرد علي عن القيام به الا اقناعي بان الحالة الراهنة او سواها أفضل منه . وانت محل ثقتي واعتمادي واخي في الجهاد ، فعليك الاقتناع مني والمشي معي او اقناعي فأمشي معك .

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

عمان في ٢٤ ربيع الأول ١٣٥٧هـ .

٢٤ أيار ١٩٣٨ م .

عبد الله

من عبدالحميد سعيد

حضرة صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن الحسين
امير شرقي الأردن حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد فلا يخفى على سموكم ان المحنة التي تعانيها فلسطين لا تعادلها محنة ، وان الخطر الذي تتعرض له بسبب السياسة الاستعمارية الانجليزية والمطامع اليهودية لا يساويه خطر في اي قطر من الاقطار الاسلامية الشرقية ، وان تلك المحنة وذلك الخطر يقضيان على سموكم وعلى كل عربي ومسلم في مشارق الارض ومغاربها ، ببذل اقصى الجهود للأخذ بناصر أهلها العرب الذين جاهدوا في الله حق جهاده ، وبذلوا نفوسهم ودماءهم واموالهم رخيصة في سبيل صيانة تلك البلاد الاسلامية المقدسة من عدوان المعتدين وطمع الطامعين ، فاستحقوا اعجاب العالم بأسره ، واستطاعوا بفضل صدق عزيمتهم واتحادهم وتصميمهم على الدفاع عن حرمات وطنهم المقدس الذي يضم اولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ان يجعلوا من قضيتهم هذه قضية العالم الإسلامي باجمعه ، وان يفتحوا عيون الامة العربية والشعوب الاسلامية على الخطر الداهم الذي يهدد تلك البقعة الطاهرة الشريفة المقدسة ، حتى اصبح المسلمون جميعا يرون في قضية فلسطين قضيتهم الخاصة ويشعرون الحكومة الانجليزية والدول الغربية وعصبة الأمم بما لها من عظيم التأثير في نفوسهم وكبير اهتمامهم بمصيرها ، فكان لهم بذلك سند عظيم من الامة العربية والعالم الاسلامي ، جعل خصومهم يتهيبون عظم الجريمة التي ارتكبوها ويشعرون في قرارة نفوسهم باحترام الحقوق

والمطالب التي احلطها عرب فلسطين بجهادهم الشريف وتضحياتهم السامية ، حتى كتب الله تعالى اسماء شهدائهم ومجاهديهم في سجل اطهر الشهداء وافضل المجاهدين .

كما انه لا يخفى على سموكم ان الخطر الصهيوني غير قاصر على فلسطين بل يهدد شرقي الأردن وسورية ولبنان ، كما يهدد العراق ومصر. وان المطامع اليهودية الصهيونية تناقض المصالح العربية والإسلامية ، ولا يمكن التوفيق بينها بحال من الاحوال ، وان القضية الصهيونية ليست أكثر من وسيلة يتوسل بها المستعمرون لتثبيت اقدامهم في فلسطين ، وجرثومة فتنة يضعها الانجليز في تلك الرقعة ليصدعوا بها وحدة الاقطار الاسلامية ويفصموا عروتها الوثقى بخلق الدولة اليهودية فيها .

لذلك كان من اكبر دواعي الأسف وأعظم بواعث الألم ان تطالعنا الانباء البرقية والصحف العربية والافرنجية في الأيام الأخيرة بمشروع لسموكم ، يحتوي على اقتراحات لحل قضية فلسطين تخالف كل المخالفة مطالب عرب فلسطين المعروفة التي اقرتها المؤتمرات والهيئات الوطنية الفلسطينية واصبحت ميثاقا مقدسا ، بعد أن اقرتها الشعوب العربية والأمم الاسلامية في مؤتمر بلودان . وانا لنجد في اقتراحات سموكم التي نشرتها الصحف المصرية والصحف الفلسطينية وغيرها ما يضر القضية الفلسطينية في الصميم ، ويمنح اليهود الطامحين حقوقا وامتيازات لا يقرها مسلم ولا عربي على وجه الارض ، وما يمهد لهم سبيل الهجرة الى البلاد ويضاعف عددهم فيها في امد

قريب ، وبذلك يزدادون قوة ومنعة ، ويزداد خطرهم على البلاد واهلها ، وتشتد مطامعهم فيها ، ويطول زمن الفتنة وسفك الدماء والتدمير والتخريب .

يا صاحب السمو :

لقد ملنا اول وهلة الى تكذيب مانقلته البرقيات والصحف عن ذلك المشروع المعزو اليكم ، لاننا لم نشأ ان نصدق أن اميرا عربيا في مثل نسبكم الشريف ومقامكم الكريم، يتقدم بمشروع كهذا الى لجنة التقسيم البريطانية ، فيه ما فيه من هدم لحقوق فلسطين، وقضاء مبرم على أهلها ومستقبل العروبة والاسلام فيها . ولكن حديث سموكم المنشور في جريدة فلسطين ورد اللجنة البريطانية على سموكم بانها لا تستطيع النظر في مشروعكم لانه خارج عن دائرة اختصاصها باعتبارها لجنة تقسيم ، حقق ماخشيناه وخشيه العقلاء والمثقفون على مصير البلاد المقدسة من وقوع سموكم في الخطأ من ناحيتين :

الناحية الاولى : تقدمكم الى لجنة بريطانية أجمعت فلسطين بأسرها ومن ورائها الأمة العربية والعالم الاسلامي على مقاطعتها مقاطعة باتة ، لانها قادمة على اساس مشروع التقسيم الذي رفضته فلسطين ، ورفضه المسلمون والعرب كافة ، فخالفتم بذلك إجماع الامة الذي هو مصدر من مصادر التشريع عند المسلمين .

والناحية الثانية : انكم ويا للأسف تقدمتم بمشروع عظيم الضرر كبير الأذى ، وفيه افتئات ظاهر واعتداء صريح على حقوق عرب فلسطين ، الذين هم اخوانكم في الدين والقومية ، بل على

حقوق شرقي الاردن ايضا التي احسنت الظن بسموكم فاسلمت لكم قيادها وولتكم زمام أمرها، فكان من حقها عليكم أن ترعوا عهودها ، وتنظروا في ما يعود عليها بالخير والفلاح ، لا ان تمكنوا للاستعمار البريطاني فيها بكل انواع التمكين ، ثم تهيئوها لقمة سائغة للصهيونيين الطامعين في تشكيل دولة يهودية في فلسطين وشرقي الاردن معا في ظل المسلمين ، كما ان فيه اعظم الضرر على المملكة المصرية المجاورة لفلسطين ، والتي تربطها بها روابط الدين واللغة والدم والثقافة ، وغيرها من الروابط الاجتماعية والاقتصادية .

يا صاحب السمو :

انا نحب ان نعتقد ان حسن النية هو الذي حملكم على تقديم اقتراحكم الآنف الذكر ، وليس هوى النفس ورغبتها في عرض زائل من اعراض الدنيا ، وعرش لا تقوم دعائمه الا على جماجم اخوانكم عرب فلسطين واجداثهم ، ومن ثم على انقاض العروبة والاسلام في البلاد المقدسة . ولا نشك في انكم اذا رجعتم الى نفسكم وانعمتم النظر في تلك الاقتراحات ايقنتم ان من ورائها شرا مستطيرا ، وانها وياللأسف لا تحقق اية امنية من آماني الامة العربية ، ولا تعود بشيء من الخير على فلسطين ، بل تزيدها ارتكاسا في الهوة التي أوقعها فيها الاستعمار البريطاني والمطامع الصهيونية الاثيمة .

وكلنا امل في أن سموكم بعد ذلك ستشاركون إخوانكم ملوك العرب وامراءهم في مساعيهم الحثيثة لانقاذ فلسطين على اساس بقائها عربية اسلامية . غير مسلمّين فيها لليهود بحق غير حق التابعة

الاقلية لحكم الاكثرية العربية ، وستشدون أزر إخوانكم المجاهدين في فلسطين الذين استرخصوا الحياة وكل عزيز لديهم في سبيل صيانة البلاد المقدسة وقاموا على قلة عددهم وعُددهم ، بعبء الدفاع عنها بالنيابة عن الامم الاسلامية كلها ، وبذلك تصونون مقامكم السامي واسمكم الكريم من ان تعلق بهما اية ريبة ، وتحتفظون بثقة الامة العربية والعالم الاسلامي .

وفق الله سموكم الى ما فيه الخير والرشاد وسدد خطواتكم الى سواء السبيل . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

القاهرة في ٢ ربيع الثاني ١٣٥٧

١ حزيران (يونيو) ١٩٣٨

الرئيس العام

لجمعية الشبان المسلمين العالمية

ورئيس اللجنة العليا المصرية للدفاع عن فلسطين

عبد الحميد سعيد

الرد على عبد الحميد سعيد

بسم الله الرحمن الرحيم

احمده واصلى على نبيه وآله وصحبه اجمعين

من عبد الله بن الحسين بن علي

الى حضرة السري الفاضل عبد الحميد بك سعيد

رئيس جمعية الشبان المسلمين بمصر

سلام عليك ورحمة الله وبركاته ، اما بعد فاني احمد الله اليك الذي لا اله الا هو،واصلي واصلي واسلم على خاتم انبيائه محمد وآله وصحبه ، ولقد تلقيت كتابكم الصادر عن القاهرة بتاريخ ٢ ربيع الآخر ١٣٥٧ في صدد القضية الفلسطينية والاقتراح الذي الهمتنا اياه معرفتنا

بفلسطين ، واننا على كثب منها نسمع ونرى .
اما كتابكم الكريم فملؤه النصيحة والاخلاص لله ولرسوله وللمؤمنين ولنا ، فجزاكم الله عنا افضل الجزاء ، وذلك علمكم فلا ضير . اما الحقيقة فها هي اليكم موضحة على الوجه الآتي ، وبعد الاطلاع عليها فان لكم ما تقولون : لقد وصلت الى شرقي الاردن عام ١٩٢١ على اثر سقوط سوريا بيد الافرنسيين بالطريقة التي اثبتتها الوقائع كما ذاع نبأها وشاع . ويسر الله لي ان سعيت خير سعي في تأسيس الدولة العراقية عن يد اخي المرحوم فيصل، ووفقت الى ايجاد حكومة شرقي الاردن مع استثنائها من تصريح بلفور الذي كان قد شملها ، لان عهد سايكس ــ بيكو جعلها ضمن منطقة النفوذ البريطاني ، وذلك من امد سبقني ، وكانت اول حادثة بين اليهود واهل فلسطين هي التي وقعت في يافا في ربيع ١٩٢١ ثم سكنت ثائرة الناس واخذ الوعد ينفذ بكل سكينة واطمئنان ، ورضي المسلمون برئاسة المؤتمر الفلسطيني للمرحوم موسى كاظم باشا الحسيني وبالافتاء ورئاسة المجلس الاسلامي بفلسطين للحاج امين الحسيني، واليهود يزداد عددهم ويرسخ نفوذهم . اما بعد اعوام ، من وقت هربرت صمويل الى بلومر الى تشانسلر الى ويكهوب فالسير مكمايل ، وبعد ان كان اليهود في عام ١٩٢١ لا يتجاوز عددهم مئة الف اصبحوا اليوم اربعماية وخمسين الفا وقد تملكوا من الارض اخصبها وحلّوا حلولا في كل فج وواد وسهل ووعر ، من بئر السبع الى الحولة ، بحيث لا يمر العربي من قرية الى اختها الا رأى اخرى يهودية تفصل بينهما وبين اخواتها.

والآن ايها الاخ المسلم ، ترى ان دعائم الصهيونية في فلسطين هي ثلاث : **الوعد البلفوري ، والامم الاوروبية التي قررت اخراج اليهود من بلادها** مشيرة اليهم بفلسطين ، **ومتطرفو العرب الذين لا يقبلون أي حل مكتفين بالبكاء والعويل مستصرخين من لا يجديهم نفعا ، وهذه فلسطين تلفظ النفس الاخير** . وعلى ما بلغني ان اليهود طلبوا بقاء الانتداب كي يتسنى لهم ابتياع ارض جديدة وادخال مهاجرين آخرين . وفلسطين لا تشابه في محنتها أي قطر غيرها اذ ان محنة مصر مثلا كانت في الاحتلال الاجنبي ، وكان دواؤه المطالبة بالحق وادامة القلق ، فوصلت مصر اليوم الى بعض امانيها ، وتلك الحال كانت في العراق ومثلها في سوريا . اما فلسطين فتعاني خطر استيلاء شعب آخر عليها **ودواء داء فلسطين هو الاسراع في توقيف الخطر وتحديد الهجمات ، ثم التفكير في دفع ذلك كله دفعا تاما . واما المطاولة فتقتل فلسطين** . ولذلك ، ولاعتقادي الجازم بأنه سوف لا يجدي التشكي شيئا، لان الحكومات الاسلامية الشرقية التي في عصبة الامم لا يمكنها في حالتها الحاضرة مع ارتباطاتها بمعاهداتها المعروفة الطويلة المدى مع الحكومة صاحبة الوعد على فلسطين ، ان تكون في موقف المناضل المؤثر، ولان اهل فلسطين قد اكتفوا بالاحتجاجات ، رأيت من واجبي الديني الذي ادين الله عليه ، ومن مقتضيات قوميتي السعي لحسم الغائلة بايجاد توحد فلسطين وشرقي الاردن فتزيد نفوس فلسطين نصف مليون من اخوانهم هنا كرة واحدة، فوق انهم يقبضون على زمام ادارة هذه الدولة

بيد قادرة ، ومجلس نيابي يمثل الامة، وبجيش يدافع عنها ، موحدة ماليتها ، مراقبة سواحلها ، موصدة ابوابها دون كل هجرة سرية ، فتتنفس نفسا يمكنها من التماسك ويمكن اخواتها من الدول الشرقية المجاورة ، الى ذلك الحين ، من قطع شوط غير قصير تتوثق فيها صلاتها وتشتد روابطها ، فتعالج المسألة عند ذلك بعين ابعد نظرا وبيد اقوى عضدا مع فكرة موحدة . هذا ما ساقني الى ما بلغكم . والآن احب ان اعلم اذا كان لديكم ما هو انفع مما عرضت؟او كنتم ممن يعتقد بأن **لا بأس من دوام الانتداب الحاضر الذي فيه كل الضرر بالرغم عما هو جالبه من مستولين يهود، مع العلم بما اثبتته الحوادث من عدم قدرة رجالات فلسطين الذين يديرون دفتها السياسية على منع اخوانهم من بيع الارض** . كما هو مرئي للجميع في الخارطة التي وضعتها لجنة سمبسون، ثم في الاخرى التي رسمتها لجنة بيل ، ان ذلك يشهد بأفصح بيان كيف ان **العرب يسرفون في في البيع كما يسرفون في العويل والبكاء الذي لاطائل تحته** ، فاذا دققتم النظر في ذلك كله انكشف لديكم القناع ، ووقفتم معنا على حقائق محزنة . **ولقد هالني ان ارى الاجماع على عدم المبالاة بالكارثة الناجمة عن الاستيلاء وابقاء الحالة الحاضرة التي هي سبيل الى جعل فلسطين بعد عامين كلها يهودا . ولذلك اقول ((اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون))** .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

٦ ربيع الآخر سنة ١٣٥٧

وفق ٥ حزيران سنة ١٩٣٨ **عبدالله**

كتاب الى مصطفى النحاس

عزيزي صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا حفظه الله

لقد كنت اتحين الفرص لابث مقامكم الرفيع تحياتي وخالص مودتي ، وكان في هذا الصباح ان تلقيت رسالة من مصر غير موقع عليها من احد ، وفيها قصاصة من جريدة الوفد المصري يبحث فيها صاحب المقال عن عرش مأمول وعن الامير عبد الله . ولذلك ولعلمي بأن مقامكم الرفيع هو الشخص الوحيد الذي قاسى في سبيل وطنه ووطنيته من خصوم عدة،ما لم يقاسه احد،رغبت في ان تؤثروا على الصحافة الوفدية كي لا تنساق الى طريقة تؤيد فيها خصوم الوفد انفسهم وجرائدهم .

ولا بد ان مقامكم الرفيع اطلع على خريطة لفلسطين عملتها لجنة سمسون وعلّمت على الاراضي التي تملكها اليهود من العرب فجعلت فلسطين من بئر السبع الى بحيرة الحولة كوجه المجدور ، معلّمة بعلامات صفراء . ثم علمتم كذلك بما فعلته لجنة بيل من وضعها على تلك الخريطة علاوة على العلامات الصفراء علامات قاتمة دليلا على ما استملكه اليهود في المدة التي مضت بين لجنة سمسون ولجنة بيل . وان العلامات القاتمة بنسبة العلامات الصفراء تقيس قدر الثلث .

وعلى هذا النمط متى بقيت الحالة الراهنة على ما هي عليه ، من دوام الانتداب الحاضر ، وحمايته لوعد بلفور ، واستمرار العرب في بيع اراضيهم ، واستمرار الآخرين الذين ينتفعون من الرئاسة السياسية الكاذبة بالبكاء والعويل،سوف تذهب فلسطين ولا يجدي البكاء والعويل شيئا.

اما انا فلكوني احد قادة الثورة العربية لا تأخذني في الحق لومة لائم .

ان ما يتطلبه الذين يتزعمون فلسطين لا يمكن الحصول عليه الا بالقوة،وان هذه ليست موجودة بيد العرب اليوم بكل اسف . لذلك فمن واجب كل ذي حمية ان يسعى لتحديد الخطر وتوقيفه ، ثم يعاد النظر في ازالته كليا . والوفد قوة والحق معها ، وما كنت لأكتب لاحد غير مقامكم الرفيع لإجلالي لشخصيته واعجابي بسياسته ، ولا اظنه الا رادعا الجرائد الوفدية عما نوهت به عن حق وحقيقة . والله في عون المرء ما زال المرء في طاعة الباري .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ملحوظات

١ ــ يجب على الصحف التي تنتقد سياسة هذه البلاد العلم باحوال الامم المغلوبة والسياسة الايجابية والسياسة السلبية .

٢ ــ النظم اللامركزية فى الدنيا .

٣ ــ الادارة المختارة ونظام لبنان الصغير .

٤ ــ ما يمكن ان يتخذ مقياسا للامة المغلوبة المتشابهة فى الاوضاع : مصر فى جهادها لا تماثل فلسطين ، لانها كانت انما تريد التحرر من احتلال اجنبي يمكن الوصول اليه بالاساليب التي تمشت عليها مصر فنالت بعض ما ارادت ، اما فلسطين فتشتكي من استيلاء شعباخر على بلادها بالهجرة وبالتفوق المالي والثقافة العلمية . فالمطاولة اذا ليست فى مصلحة فلسطين بل السرعة هي دواؤها.

٥ ــ طمع اليهود فى كل فلسطين ورغبتهم فــي استمرار الفوضى لتدعيم الاستيلاء عليها .

٦ ـ حالة فلسطين اليوم اقتصاديا وسهولة تسرب الاراضي والهجرة .

٧ ـ الاضطرابات والاحتقاد بين العائلات في القرى بسبب الاغتيالات .

٨ ـ استمرار الاضطرابات يسهل للانكليز حشد جيش كبير يقيم في البلاد لاغراض حربية استعمارية ويفرض الحل الاستعماري الذي يريده الانكليز واليهود .

٩ ـ نظام المقاطعات في المعاهدة السورية قائم على الاسس المذهبية .

ترون مقامكم الرفيع من رؤوس الاقلام التي اثبتها لكم حقيقةراينا وكيفانه يخفى علىالبعيدين عن دقائقه ، فكل حكم يصدر مع هذا او ذاك ان هو الا حكم قد صدر من غير شك عن غير وقوف على الحقائق وهذا ما لا ترضونه .

ثم انه ليسرني ان لو شرفتم هذه البلاد في هذا الصيف ، ووقفتم على أشياء ينبغي اطلاعكم عليها ، ونحظى بمقامكم الرفيع بيننا .

عمان في ٥ ربيع الآخر ١٣٥٧ عبد الله

٤ حزيران ١٩٣٨

محمدعلي علوبة

عزيزي صاحب السعادة محمد علي باشا علوبة حفظه الله .

تلقيت كتابكم الكريم المؤرخ في ٢١ ربيع الآخر ١٣٥٧ وما فيطيه منالقرارات التياتخذها حضرات الشيوخ والنواب المصريين بشأن اخوانهم عرب فلسطين ، واخذت علما من سعادتكم بان تلك القرارات تعبر عن رأي الامة المصرية . ولقد اثلج صدري وحملني على بثكم اجزل الشكر ، لما ابديتم

من الحميّة وما عقدتم النية عليه من المثابرة للاحتفاظ بالبلاد الفلسطينية .

ولقد لاح لي ان الفت انظاركم الى ان كل مطاولة في الأمر تذهب بفلسطين الى حيث الخطر بسرعة حثيثة ، وان المقتضى الآن التعاون والتفاهم على ما يحدد الخطر ويوقفه ، ثم النظر في المشكلة بذاتها بعد ذلك . فما شاهدت من روح الإخاء والاعتماد في كتابكم الكريم سيكون المشجع الاكبر لكل من يتناول مثله ليقوم من ناحية بهذا الواجب الديني والقومي . واني لأكرر شكري واستحسن اذا راق ذلك للجنتكم كوسيلة لدرء الخطر ، واذا صح وقبل هذا الراي فلا يكون منه بأس لو طال امد حل القضية ، وهو الدعوة لتبرع خفيف العبء — على ان يكون عموميا وسنويا — من كل مسلم وعربي لشراء الاراضي العربية التي يبيعها اهلها على ان تبقى مصونة ، وبذلك لا يتم للجهة المعاكسة شراء ارض او جلب مهاجر حيث لا ارض تشرى لسكناهم .

واني مع شكري للجنة البرلمانية المحترمة على استنهاضها همم الدول العربية في هذا السبيل ، ومع علمي بالمكانة الرفيعة التي للدول المشار اليها اميل الى الاعتقاد بأنه للاحوال المعلومة لا يمكن الوصول الى مانريده جميعا في فلسطين الا بوسيلة واحدة هي الاحتفاظ بالارض ، وذلك لا يتم الا بمال عام يجمع كما المعت الى ذلك آنفا ، عن يد لجنة حيادية كلجنتكم المحترمة .

واني مستعد للتعاون معكم ومع اية هيئةاخرى يكون رائدها الانصاف والنظر الى الحقائق ، دون سوق الأمة الى طريق طويلة لا يراد منها الا الظهور

بمظهر الوطنية ، ومن ورائها اكتساب شهرة أو نيل مركز ، وان يكون ذلك ممكن التطبيق . وانني ارجو ان يكون ما بينته مقبولا لدى لجنتكم المحترمة . مع تمني التوفيق لكم وانتظار الرد .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

عمان في ٢٥ ربيع الثاني ١٣٥٧

٢٤ حزيران ١٩٣٨ — **عبد الله**

احتجاج على جرائم الصهيونية في القدس وحيفا

فخامة المندوب السامي لشرقي الاردن

لقد كان لحادث حيفا الفاجع في الافكار العمومية في شرقي الاردن التأثير العميق من الحزن والغضب ، ولحادث القدس الشريف مثله ، وانني لحزين مع علمي ان فخامتكم والحكومة بفلسطين قائمة بمسؤولياتها ازاء السلام بكل ما أوتيت من وسيلة وحكمة .

غير انه من واجبي لفت انظار فخامتكم الى ان هذه الاعتداءات الفظيعة من جانب اليهود ، قضت على كل امل مما تسعى اليه الحكومة من ايجاد الجو الصالح لحل المعضلة الفلسطينية . وانني ارجو ان يعلم الذين يديرون دفة السياسة الصهيونية من رجال اليهود ، انما يصلون بعملهم هذا الى نتيجة واحدة ، وهي العقم الحقيقي في ما ينشدون من حياة سكينة وسلام مع العرب .

وانني بالنسبة لما هو واقع على ابناء قومي العرب في اقدس نقطة من بلاد عزيزة علي وعلى امتي ، اوجه اشد الاحتجاج على هذه التصرفات العدوانية من جانبهم ، وانتظر بسرعة ما سيترتب من عقاب صارم على المتجاسرين على هذه الفظاعة.

وتفضلوا يا صاحب الفخامة بقبول فائق التحية والاحترام .

عمان في ٨ تموز ١٩٣٨ صديق فخامتكم
عبد الله

مطالبه بالافراج عن المعتقلين

حضرة صاحب المقام الجليل السير هارولد مكمايكل المندوب السامي الافخم
يا صاحب الفخامة

ابعث لفخامتكم بنسختين من عريضيتين وردتا علي من سجن المزرعة ، في الوقت الذي تشيع فيه جنازات العرب الابرياء بالعشرات من قنابل اليهود. اني اقدر حرج الموقف ، ولذلك احب المعاونة على تفريجه بالطريقة التي اراها ناجعة ومؤدية الى الفائدة . وان في السكينة المستتبة في شرقي الاردن ما يجعل لنظريتي هذه قوتها وبرهانها القائم .

لقد احس العرب بخطر اليهود ، ودفعتهم غريزة الذود عن النفس الى ركوب خطة عنيفة لسنا من الموافقين عليها ، ولكننا نحب تهدئة الاعصاب وان نصدق اولئك الذين يقسمون تحت خطهم وامضائهم بانهم « وايم الله يبراون من كل ما نسب الينا من اخلال امن او بث دعاية من اجل اشخاص او جماعة معينة او خطب تحريضية او ما شابه ذلك من اشياء تعتبر مشوشة للرجال المسؤولين » واؤكد لفخامتكم ان مثل هذه الطبقة من علماء الدين اذا اقسمت على امر فقسمها لا يذهب باطلا .

لا شك ان فخامتكم تعلمون صداقتي للحكومة البريطانية وثقتي بها ، ثم اني اعلم كذلك ان لرأيي لدى فخامتكم مكانة من الاعتبار ، فاذا كانت

هنالك موانع محلية تحول دون انفاذ هذه الرغبة بالإفراج عن مثل هذه الطبقة من علماء الدين ، ومن العرب الذين مضى عليهم في الاعتقال امد ليس من الحكمة ولا من العدل في ما اظن ان يطول ويمتد الى اكثر مما حصل ، بل يزيد في مرارة النفوس ، فانني باسم السلام وصداقتي المعروفة ارجو ان يبرق بطلبي الى الوزارة .

اني احب ياصاحب الفخامة ان اجتنب امرين: الاول ان لا يرسخ في اذهان الجمهور في فلسطين وفي الخارج ان هنالك غرضا مخصوصا من اهانة الاسلام في اشخاص العلماء من اهله ، والثاني ان العصبية لليهود هي التي تدفع بأولئك المئات من العرب الى أماكن الاعتقال . ثم ان لي غرضا آخر وهو ان اغتنم هذه الفرصة لمحاربة تينك الفكرتين من ناحية ، ولكي تستطيع الحكومة في فلسطين من جهة اخرى ان تؤلف نراة من العرب تكون من اعوانها على تهدئة الخواطر وتضرب مروجي الأباطيل في الصميم . اني اعلم ما اقول يا صاحب الفخامة وأزيد على ذلك اني مستعد ان اضمن اولئك الناس ان شئتم في شرقي الاردن ، وان اجعلهم فيها تحت رعايتي ورقابتي الى ان تنفرج ازمة فلسطين ان شاء الله .

واختم باهدائكم تحيتي واحترامي وانتظر الرد العاجل عزيزي

عمان في ٢٦ تموز ١٩٣٨

صديق فخامتكم المخلص

عبد الله

الجزء الثالث : التكملة

الاقتراحات المرسلة
الى الحكومة البريطانية
لحل المشكلة الفلسطينيــة

١ ــ تتشكل مملكة موحدة عربية من فلسطين وشرقي الاردن تحت يد ملكية عربية قادرة على القيام بمهمتها وتنفيذ تعداتها .

٢ ــ تعطي هذه المملكة إدارة مختارة لليهود في المناطق اليهودية التي تتعين خريطاتها بواسطة لجنة تتألف من رجال بريطانيين وعرب ويهــود .

٣ ــ يكون لليهود التمتع بكامل ما تتمتع به اية ادارة مختارة.

٤ ــ يمثل اليهود في برلمان الدولة العربيــة بنسبة عددهــم ويؤخذ في وزارة الدولة الموحدة وزراء منهم .

٥ ــ تنحصر الهجرة اليهودية بنسبة معقولة الى تلك الاراضي التي ستكون فيها الإدارة المختارة .

٦ ــ لا حق لليهود في ان يطلبوا شراء ارض او ادخال اي مهاجر خارج المناطق اليهودية .

٧ ــ يكون هذا التكيّف لمدة عشر سنوات ، منها ثمان سنوات للتجربة ، والسنتان الباقيتان لإعطاء القرار النهائي بالمصير ، واعلان استقلال البلاد وانهاء الانتداب .

٨ ــ اذا آنس العرب مــن اليهود حسن النيــة والامتزاج ، وراوا انه لا بأس من هجرة عدد مناسب الى اراضي الدولة الموحدة، فذلك من حق العرب .

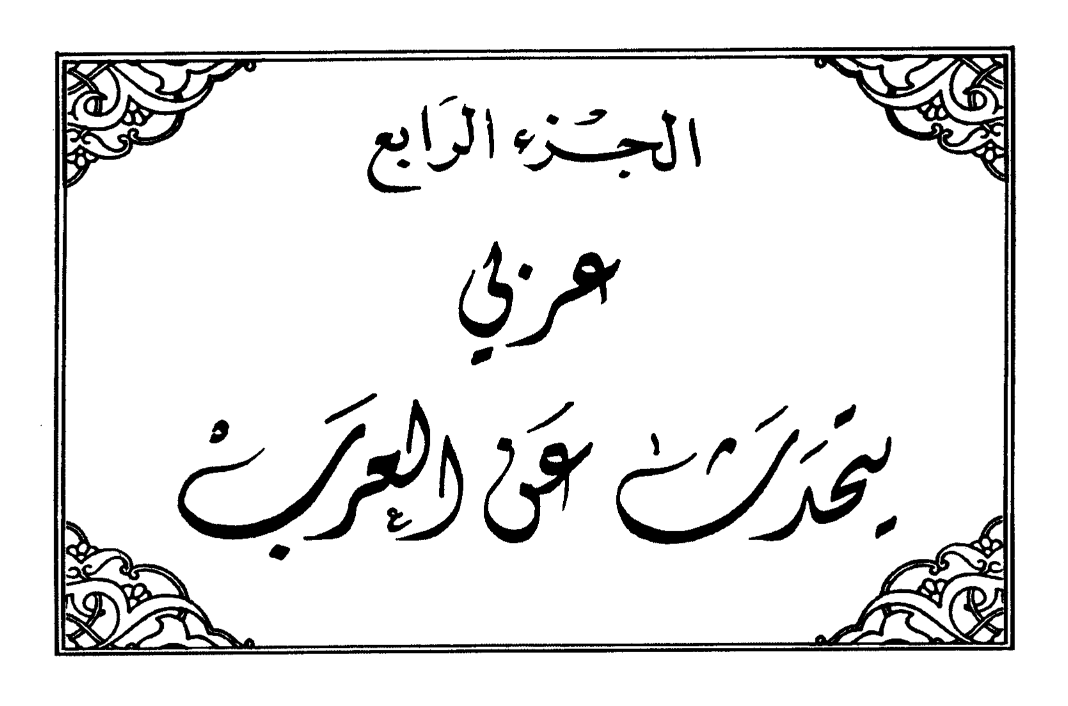
٩ ــ يبقى الانتداب في هذه المدة بشكل أدبي صرف ، لايتجاوز حدود الملاحظة والمراقبة في الدولة الموحدة .

١٠ ــ لا اعتراض على بقاء الجيش البريطاني مــدة العشــر السنوات هذه .

١١ ــ عند مضي السنة الثامنة ودخول السنة التاسعة يجب على حكومة الدولة الموحدة وبرلمانها اعلان القرار النهائي وتنفيذ مايقع عليه الاختيار .

١٢ ـ ان ما لبريطانيا العظمى من مصالح تجري المذاكرة فيها من الان كمشروع معاهدة تهيأ لتبرم عند نهاية العشر السنوات واعلان استقلال البلاد ، اما مشاريع الاصلاحات العامة في المالية والري والجيش وطرق المواصلات وغيرها من سائر فروع الدولة فتجري على وتيرة واحدة وبيد واحدة .




الجزء الرابع
عزمي
يتحدث عن العرب

الآلى يقتفون اثر نبي

خير من بشرت به حواء

صاحب الحوض ناصر الحق يأتي

يوم حشر وفي يديه اللواء

الرسول الامي يطرح عنهم

وزرهم والقيود فهي هباء

ورؤوف بالمؤمنين رحيم

نعمه الله نوره الوضآء

كل يسر يجيء من بعد عسر

ولك البشر ان يزول العناء

عبد الله بن الحسين

مقدمة ..

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي يعلم الجهر وما يخفى ، والذي وهب فأعطى ، والصلاة والسلام على رسوله المجتبي صلى الله عليه وسلم .

اما بعد ، فلما رايت الحاجة ماسة الى ايجاد رسالة للنشء العربي سهلة المتناول ، يعرف بها من هو وما دينه ومن هم قومه ، فيعتز بذلك ويباهي به وينشأ عليه غير محتاج الى الاطلاع على مفاخر الأغيار ، ومحاسن الديار في سائر الملل والأقطار ، فأكببت في ليال وايام من هذا الشهر المبارك وامليت ما حضرني مستفيضا من كتاب الله وهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن كتب الاعلام ، فلخصت للنشء ماسيطلع عليه في هذه الرسالة ،راجيا التوفيق للامة، وحسن القبول من الله ، وجميل التقدير ممن اطلع عليه من رجال بالفضل معروفين ، وبالحمية موصوفين من ابناء ديني ، ومن اخوان جنسيتي ، والله حسبي ونعم الوكيل .

عمان : جمادي الثانية سنة ١٣٥٩

((عبدالله))

الفصل الأول

من انا

من انت

انا عربي انتسب الى العرب وبهم افخر .

ما هي مفاخرك ؟

ديني ونسبي .

ما هو دينك ؟

ديني الاسلام ، وربي الله،ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم.

اخبرني عن معرفتك بالله .

الله ، الموجود ، الواحد ، الاحد ، الصمد ، بديع السموات والارض ، الاول ، والآخر ، والظاهر ، والباطن ، الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفؤا احد .

اخبرني عن الايمان بالله ما هو ؟

هو أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وبالقدر ، خيره وشره من الله تعالى .

اخبرني عن معرفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم .

هو محمد بن عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم ، المبعوث بالحق بشيرا ونذيرا ، رسول الرحمة والهدى الى العالمين جميعا ، والمصدق لما بين يديه من كتب الله ، والآمر لنا بالايمان باخوانه المرسلين السابقين ، عيسى بن مريم ، وموسى ، وابراهيم ، ونوح وآدم ، ومن بينهم ممن ذكرت اسماؤهم في الكتاب العزيز ، عليه وعليهم الصلاة والسلام .

هل يمكنك ان تصف لي الحلية الشريفة ؟

نعم ، فقد كان علي بن ابي طالب ، رضي الله عنه وكرم وجهه ، اذا وصف النبي (صلعم) قال : لم يكن بالطويل الممغط ، ولا بالقصير المتردد ، كان ربعة من القوم ، ولم يكن بالجعد القطط ، ولا بالسبط ،

كان جعدا رجلا ، ولم يكن بالمطهم ولا بالمكلثم ، وكان في الوجه تدوير ، أبيض مشرب ، أدعج العينين أهدب الأشفار ، جليل المشاش والكتد ، أجرد ذا مسربة . شثن الكفين والقدمين ، اذا مشى يتقلع كأنما يمشي في صبب ، واذا التفت التفت معا ، بين كتفيه خاتم النبوة ، وهو خاتم النبيين ، أجود الناس صدرا ، وأصدقهم لهجة ، وألينهم عريكة ، وأكرمهم عشيرة ، من رآه بديهة هابه ، ومن خالطه معرفة أحبه ، يقول ناعته لم ار قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم . اللهم صل وسلم على نبي الرحمة ، وشفيع الامة ، وصحبه الطيبين الطاهرين .

الايمان واركانه

هل تعلم شيئا مما اوجبه الله على عباده او كتبه فتخبرنا به ؟

نعم سأخبرك ان شاء الله تعالى بما قد أوجب الله على عباده من الايمان به ، ثم الوسيلة اليه ، وقد تكلمنا عما نعرفه عن الله ، والآن نخبرك بالايمان وكيفيته ، فلقد سئل رسول الله (صلعم) وأجاب بقوله : الايمان ، أن تؤمن بالله وملائكته ، وبلقائه ورسله وتؤمن بالبعث . والاسلام ، ان تعبد الله ولا تشرك به ، وتقيم الصلاة ، وتؤدي الزكاة المفروضة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت عند الاستطاعة .

ما هي كيفية الايمان بالله ؟

تؤمن بوجوده تعالى ، وبصفاته العشرين ، كالوجود ، والقدم ، والبقاء ، والوحدانية ، ومخالفة الحوادث ، والقدرة ، والارادة ، والسمع ، والبصر . وما يستحيل في حقه تعالى من ضد تلك الصفات العشرين ، كالعدم ، والحدوث ، والمماثلة للحوادث ، والعجز ، والجهل ، وما يجوز في حقه تعالى ، كفعل كل ممكن وتركه ، وغير ذلك مما تجده في مطولات كتب التوحيد .

كيف هو الايمان بالملائكة ؟

نؤمن بأنهم عباد مكرمون ، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون

ما يؤمرون . وانهم من أجسام نورانية ، لا يجوز وصفهم بالذكورة ولا الأنوثة .

وكيف الايمان بلقائه وبالبعث ؟

تؤمن برؤيته تعالى ، وانك مبعوث من قبرك ، ومحاسب على كل عمل تفعله في هذه الدنيا ، في يوم كان مقداره خمسين الف سنة ، وتؤمن بما في ذلك اليوم من الميزان والحساب والصراط ، وشفاعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الكبرى ، لفض الناس ، والبدء بمحاسبتهم بعد لجوئهم الى جميع الانبياء الكبار ، واعتذار كل واحد منهم بعذر ، الى ان يتذكروه صلى الله عليه وسلم ويأتوه فيقول : « أنا لها ، أنا لها » . وتؤمن بوجود الجنة والنار .

والرسل ، كيف الايمان بهم ، وكم عددهم ؟

تؤمن بأنهم عباد مكرمون ، اصطفاهم الله تعالى لتبليغ رسالته ، وهدي عباده لما فيه صلاحهم من أمور الدنيا والآخرة ، وانهم صادقون ذوو امانة ، قد بلغوا ما أمروا بتبليغه ، ويستحيل في حقهم الكذب والخيانة والكتمان ، ويجوز في حقهم المرض والأكل ، وغيرهما من الاعراض البشرية . وقد أكرمهم الله تعالى بظهور معجزات على ايديهم ، كاحياء الموتى ، وابراء الكمه ، وانطاق الجمادات ، دليلا على نبوتهم ، وهديا لمن سبقت له في الازل هدايته .

والرسل ، قيل انهم ثلاثماية وثلاثة عشر ، والأولى الايمان بمجموعهم ، لقوله تعالى (منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك) وأولهم آدم عليه السلام وآخرهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

ما هي اركان الدين ؟

شهادة ان لا اله الا الله ، وان محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت من استطاع اليه سبيلا .

اخبرني عن الصلاة تفصيلا .

الصلاة هي الوقوف بين يدي الله ، بالطهارة الكاملة والوضوء ، خمس مرات بالنهار والليل ، وقوفا ، وركوعا ،

وسجودا ، اولها الفـداة ، أي صلاة الصبح ، وهي ركعتان سنـّة ، وركعتان فرضا ، ثم الظهر وهي اربع ركعات سنـّة قبلية ، واربع ركعات فرضا ، وركعتان سنـّة تتبعان الفرض ، ثم العصر ، وهي أربع ركعات سنـّة قبلية ، واربع ركعات فرضا ، ثم المغرب ، وهي ثلاث ركعات فرضا ، وركعتان سنة تتلوان الفرض ، ثم العشاء وهي اربع ركعات سنة قبلية ، وأربع ركعات فرضا ، وركعتان سنة ، وثلاث ركعات وترا .

اخبرني عن الزكاة .

الزكاة هي فريضة للفقـير على الغني ممن بلغ ماله حـد النصاب ، كما ذكر في كتب الفقه ، مكتوبـة على الرجال والنساء .

اخبرني عن الصوم .

الصوم هو الامساك عن الاكل والشرب ، وعن سائر الشهوات، وعن الخصام ، والنميمة ، وايذاء الناس ، من حين دخول الفجر ، الى وقت غروب الشمس ، شهر رمضان من كل عام ، لمن بلغ سن التكليف من الرجال والنساء .

اخبرني عن الحج .

الحج هو ان تحج بيت الله الحرام على الشروط والواجبات والسنن ، كما هي مذكورة في كتب الفقه ، والوقوف بعرفة والمشعر الحرام ، وان تنحر هديك بمنى ، وان تقذف الجمرات في أيام التشريق ، وان تطوف بالبيت الحرام ، وأن تسعـى بين الصفـا والمروة ، كما هو مذكور في كتب المذاهب .

اخبرني عن بيت الله .

بيت الله هو الكعبة ، وهي قبلة الاسلام والبيت الحرام ، مربعة البنيان تقريبا في وسط المسجد ، وبابها الى المشرق ، والحجر الاسود بين الركن اليماني والشرقي ، وميزابها في الركن الشمالي ، وبه الحطيم ، وما بين الباب والحجر الأسـود يسمى الملتـزم ، لأن رسول الله (صلعم) حين فرغ من طوافه التزمه ، ودعا فيه ، ثم التفت ورأى عمر فقال : « ههنا تسكب العبرات » .

اخبرني عن عرفات .

عرفات كما قيل عنه ، ملتقى الخليطين من شام ويمن ، ومجمع البحرين من الزعقة الى عدن ، به يتجلى الله تعالى على عباده ويهبهم المغفرة .

اخبرني عن المزدلفة .

المزدلفة جمع ، وكلها مشعر الا بطن محسر،ومنها تؤخذ حصى الجمرات وبها مسجد المزدلفة عن يمينك اذا مضيت الى عرفات ، وهي التي عنى الشريف الرضي حيث قال :

عارضا بي ركب الحجاز نسائله متى عهده بأيام سلع
واستملاً حديث من سكن الخيف ولا تكتباه الا بدمعي
فاتني ان ارى الديار بطرفي فلعلي ارى الديار بسمعي
لهف نفسي على ليال تقضت لي بجمع وأين ايام جمع ؟

اخبرني عن المشعر الحرام .

المشعر الحرام ما بين جبلي المزدلفة الى مأزمي عرفة ، الى وادي محسر وهو الذي قال الله تعالى فيه « واذكروا الله عند المشعر الحرام » والمشعر الحرام قزح ، وهو الجبل الذي يقف عليه الإمام .

ما هي اعلام الحرم ؟

هي علامات حدوده ، وحدوده دون التنعيم عند بيوت نفار (بكسر النون) على ثلاثة اميال ، ومن طريق اليمن اضاة لبن في ثنية لبن (بكسر الباء) على سبعة أميال ، ومن طريق العراق على ثنية جبل بالمنقطع ، على سبعة اميال ، ومن طريق الجعرانة في شعب آل عبدالله بن خالد ، على تسعة أميال ، ومن طريق جدة منقطع الأعشاش (جمع عش) ، على عشرة أميال وتعرف اليوم بالشميسي ، ومن طريق الطائف على عرفات من بطن نمرة ، على سبعة أميال .

هذا عرفات ، فاذكر لنا ما تعرفه عن منى .

منى حيث ترمى الجمرات وتنحر البدنات وتهمي العبرات ، هي بطحاء بين جبلين قائمي الجوانب ، والمحصب من مني ، هو موضع الجمرات ، وبمنى مسجد الخيف ومسجد الكبش .

لقد احسنت ، فهل تحدثني الآن عن الصفا والمروة .

سأفعل ان شاء الله تعالى فأقول ان الله تعالى قال في كتابه العزيز « ان الصفا والمروة من شعائر الله ، فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم » وكما قيل هما فرقدا الأرض ، وجارا البيت الحرام ، طوبى لمن وقف عليهما وسعى بينهما أو اليهما ، وسأصفهما فأذكر قائلا :

أما الصفا فحجر ازرق عظيم في أصل جبل أبي قبيس قد كسر بدرج الى آخر موضع الوقوف ، وأما المروة فحجر عظيم الى أصل جبل متصل بجبل قعيقعان ، كأنه قد انقسم الى جزئين وبقيت بينهما فرجة بينة منها درج عليها الى آخر الوقوف .

كيف كان حفر زمزم ؟

لما اخذ ابراهيم ابنه اسماعيل وأمه هاجر الى موضع البيت عمد الى موضع الحجر فآوى فيه هاجر واسماعيل ، وأمر هاجر ان تتخذ عريشا ، ولما أراد ابراهيم أن يخرج ورات أم اسماعيل انه ليس بحضرتها أحد من الناس ولا ماء ظاهر ، تركت ابنها في مكانه وتبعت ابراهيم ، وانصرف ابراهيم راجعا الى الشام ، ورجعت أم اسماعيل الى ابنها ، فجعلت عريشا في موضع الحجر ألقته عليه ومعها شن فيه ماء ، فلما نفد الماء عطش اسماعيل وعطشت امه ، فانقطع لبنها ، فأخذ اسماعيل كهياة الموت ، فظنت أنه ميت فجزعت وخرجت جزعا ، وقالت يموت وأنا غائبة عنه اهون علي .

ثم انها انطلقت فنظرت الى جبل الصفا فاشرفت عليه تستغيث ربها وتدعوه ، ثم انحدرت الى المروة ، فلما كانت في الوادي خببت حتى انتهت الى المروة فقامت عليها ، وقال ابن عباس قال النبي (صلعم) فلذلك سعى الناس بينهما ، يعني صار ذلك من شعائر الحج ، وقد فعلت ذلك مرات ، كلما اشرفت على الصفا نظرت الى أبنها فتراه على حاله ، واذا اشرفت على المروة فمثل ذلك ، وكان ذلك اول سعي بين الصفا والمروة ؛ فلما كان الشوط السابع ويئست ، سمعت صوتا فاستمعت ، فظنت انه شيء عرض لسمعها من الظمأ والجهد فقالت : ايها الذي قد سمعت ، ان كان

عندك غوث فأغثني ؛ وكان الصائت جبريل ، فخرج الصوت يصوت بين يديها ، وخرجت تتلوه قد قويت له نفسها ، حتى انتهى الصوت عند رأس اسماعيل ، ثم بدا لها جبريل فانطلق بها حتى وقف على موضع زمزم ، فضرب بعقبه مكان البئر ، فظهر الماء فوق الارض حين فحص بعَقِبه ، وجعلت أم اسماعيل تحظر الماء بالتراب وتحوّضه خشية ان يفوتها قبل ان تأتي بشنها ؛ وبادرت الى ابنها فسقته .

وكانت تقول وهي تجمّع الماء زم زم فسميت البئر لذلك زمزما . قال ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : « يرحم الله ام اسماعيل لو لم تغرف من الماء لكانت عينا معينا » .

كيف ترى ان يكون الحج ؟ وما هي الوسائط ؟

ان افضل الوسائط التي يحج عليها المؤمن السير على القدمين، وقد حج الكثير من افاضل الامة على ارجلهم من المدينة او بغداد او دمشق ، وان الحج ترويض النفس واذلالها ، والابتعاد بها عن الترف والكبرياء ، ومساواةالضعيف . فمن لم يستطع ذلك فعليه‌ان يحج على الضوامر من الابل عليها اقتابها وقد قال الله تعالى لسيدنا ابراهيم عليه السلام (واذّن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق) شعثا غبرا محرمين ملبين تائبين من ذنوبهم الى الله لاجئين .

كيف ترى الحج على الوسائط الحديثة ؟

ارى ان الحج على الوسائط الحديثة غير السفن ليست من الحج وثوابه في شيء ، فان السيارات والطيارات والسكك الحديدية لو انشئت ، فانها تسوق الى الترف والتجبر والكبرياء ، وان هذه الصفات تتنافى مع ما يجب على الحاج من التواضع له والخشوع . واظهار الخوف الحقيقي من الذنوب ، فعلى أهل الاسلام الانتباه الى هذه الحقائق ، والا اصبح الحج وكأنه متنزه وسياحة .

اخبرني عن المواقيت واعني كل مواقع الاهلال بالحج والإحرام به .

أخبرك ، روى ابن عباس ان رسول الله (صلعم) وقت لاهل المدينة (ذا الحليفة) وأهل الشام (الجحفة) وأهل نجد (قرن المنازل)

ولاهل اليمن (يلملم) وقال هنّ لهن ولمن اتى عليهن من غير اهلهن ممن اراد الحج والعمرة ، ومن كان دون ذلك فمن حيث انشأ ، حتى اهل مكة من مكة . اخرجاه في الصحيحين . فهذه المواقيت التي وقتها رسول الله (صلعم) لا يجوز لاحد يريد الحج والعمرة أن يتجاوزها الاّ مُحرما ، وان اردت الزيادة فراجع كتب الفقه .

فاما ذو الحليفة فهو ابعد المواقيت ، على عشرة مراحل من مكة او سبع منها ، وبه آبار تسمى آبار علي ، وبعض الناس يقول بئر المحرم ، واما الجحفة فهذا الموضع على ثلاث مراحل من مكة ، واسمها القديم (مهيعة) ، فجاء سيل فاجتحف اهلها ، فسميت الجحفة . وهي شرقي رابغ . واما قرن المنازل فموضع على مرحلتين من مكة الى الشرق ، ويسمى الان بالسيل ، واما يلملم ويقال الملم فموضع معروف على مرحلتين من مكة الى اليمن .

زيارة النبي (صلعم)

الا تحدثنا عن زيارة النبي صلى الله عليه وسلم ومسجده ؟

كيف احدثك عن شيء هو مبدأ لكل مسلم يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ؟

وقد قال (صلعم) لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الاقصى ، وروي عنه (صلعم) انه قال ما معناه ــ من حج ولم يزرني فقد جفاني . (١)

وكيف تريد ان يرى المسلم من واجبه الصلاة في مسجده والتشرف بالمثول في مواجهته الشريفة (صلعم) وهو لم يبعث الا رحمة للعالمين ، فمن الادب والاعتراف بالجميل والانتظام في زمرة المؤمنين الذين هداهم الله به (صلعم) هذه الزيارة المطلوبة من كل

(١) عن عبد الله بن عمر عن النبي (صلعم) انه قال : «من حج ولم يزرني فقد جفاني» اخرجه الدارقطني فى كتاب العلل وابن حيان فى صحيحه ، وابن عدي في الكامل ، واخرجه ايضا الدارقطني فى غرائب الامام مالك ، وقد استدل به الامام داوود الظاهري فى وجوب زيارة النبي (صلعم) .

مؤمن وقد حرم رسول الله (صلعم) ما بين لابتي المدينة ، فهي في هذا المعنى كمكة ، حرم ثابت ومحجة مقصودة ، وقد قال الله تعالى في حقه ـ (صلعم) ـ «وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا ، وانك لتهدي الى صراط مستقيم ، صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض ، الا الى الله تصير الامور» فافهم .

وما من مؤمن ولا مسلم عرف رسول الله (صلعم) وانه بعث لتحطيم الشرك وقتل المشركين ونفيهم وتشتيتهم من الارض فيؤلّه احدا غير غير الله بعد ذلك ، ولا يزور النبي (صلعم) الا كل من يريد الاقرار بفضله (صلعم) وكونه بعث رحمة لنا ونبراسا وهداية للخلق اجمعين ، وان الله سبحانه وتعالى كما ترى قد وضح في الآيتين الكريمتين اعلاه ، بأن الكتاب هو الروح ، وقد اوحاه اليه بقوله «وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه (اي الكتاب) نورا نهدي به من نشاء من عبادنا (أي بالكتاب)وانك لتهدي الى صراط مستقيم » (اي كما الكتاب) . فالتارك لاحدى الهدايتين تارك لهما فافهم ، فطوبى لمن وقف بين يديه (صلعم) وقال الصلاة والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ، اشهد انك رسول الله ، واشهد انك بلّغت الرسالة ، واديت الامانة، وجاهدت في الله حق جهاده .

يا خير من يمم العافون ساحته ... سعيا وفوق متون الاينق الرسم
ومن هو الآية الكبرى لمعتبر ... ومن هو النعمة العظمى لمغتنم
سريت من حرم ليلا الى حرم ... كما سرى البدر في داج من الظلم
وبت ترقى الى ان نلت منزلة ... من قاب قوسين لم تدرك ولم ترم

نعوذ بالله من موسوس في دينه ، غير عارف بحق رسول الله (صلعم) .

العبادة

ما معنى العبادة ؟

العبادة طاعة الله تعالى مع تذلل وخضوع لما امر به واجتناب ما نهى عنه .

والاحسان الذي ذكرت لي في الحديث ما معناه ؟

لا بد انك قرات في القرآن الكريم «للذين احسنوا الحسنى وزيادة » وهو كناية عن الاخلاص في جميع اعمالك وتذكرك عند اي عمل تقوم به ان تشاهد الله تعالى او يشاهدك على الاقل ، ومن كانت هذه حاله يجب عليه ان يبتعد عن كل ما نهي عنه ، ويخجل من فعل كل شنيع .

اما ترى انك اذا كنت امام والدك او اميرك تجتنب كل ما يغضبهما ؟وكذلك يجب ان تكون امام ربك الذي يشاهدك دائما ويطلع على حركاتك وسكناتك ، ولا شك انك ان عملت بذلك كنت من الفائزين بخير الدنيا والآخرة .

هل تحدثني عن الادلة على وجود ذي العزة الالهية ووحدانيته؟

احدثك بقولي ان طلب الدليل على الدال على نفسه ضرب من الجنون ، وبحث اهل الكلام في ايجاد الادلة على وجود ذي العزة ووحدانيته لهو من هذا القبيل . اذ ان الانسان يولد وقد اوتي الحواس الخمس ، الا انه لا يدرك من المنظورات والمسموعات والمحسوسات اي شيء ، وقد لا يشعر بالالم ، غير انه يصرخ ويبكي اذا جاع او ظمىء او أوذي ، وهو لا يعلم لم بكى وماذا ابكاه . ثم بمرور الايام والاسابيع ، يأخذ اول حظ من الشعور بعد البكاء،وهو التبسم . والتبسم علامة الانبساط والسرور ؛ فممَّ ابتسم هذا الطفل وما الذي ساقه الى هذه الابتسامة ؟ هو لا شك السرور والصحة لما يعرض له من خيال امّ او اب او لمسة يد ، فتأتي حاسة السرور في الدرجة الثانية ، وفي الثالثة حاسة الابصار واللمس ، وتأتي بعد ذلك نوبة الادراك ومعرفة الاشباح ، ثم النطق والتدرج لفهم الغرض من الاصوات في الكلام ، وهكذا حتى يستطيع ادراك الكائنات بالحواس الخمس ، فلمَ ادرك بعد خمس سنوات ولم يدرك يوم ولد ؟ وقريب من هذا ما يحصل للناس متى سمعوا لغة غير لغتهم ، فانهم يسمعون الاصوات ولكن لا يفقهون المعاني ، فاذا احبوا تعلم تلك اللغة اخذوا يتلقنونها كالاطفال عندما يأخذون لغة قومهم عن الوالدين ، وكذلك يعرف اسماء المكونات مما هي تحت

اقدامهم وفوق رؤوسهم وفي مجال ابصارهم ضمن الافق المحيط بهم ، فالمدال عليه بهذه الكائنات ، والمعطي هذه الحواس لهذه الحاجات ، لا يحتاج الى التدليل عليه ؛ لاننا لم نعط من قوات مدركة فوق ما نحن في حاجة اليه لدوام حياتنا والتماس معاشنا . ويبقى فوق هذه القوات قوة ندرك بها ما وراء المرئيات ، ونتعقل بها المسببات ، وكيفية تماسك الموجودات ، وسير الافلاك في السموات ، وهي قوة العقل ، والعقل هو بناء الشيء بالشيء ، وقياس الشيء على الشيء ، فمن ضعفت قواه ضلّ ، ومن اشتدت قواه اهتدى او بالمهتدين اقتدى . فالكتب السماوية هي بنفسها دالة على نظامها الذي لو اجتمع على الاتيان بمثلها المشترعون بالارض لعجزوا ؛ وان من آكد الدلائل على صحة ما قلنا هو طروء التغيير والتبديل على الاشتراعات الارضية ؛ وعدم حصول ذلك على الاشتراع السماوي الصالح لكل ملة وزمان ، وبالنتيجة فكما قلنا : التدليل على الدال على نفسه ضلال .

الاذكار والطرق

ما تقول في هذه الاذكار والطرق ؟

الذكر فرض وسنّة . قال الله تعالى « فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم » وقال تعالى «ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعدّ الله لهم مغفرة واجرا عظيما » . وقال الله تعالى في افتتاحيات السور « سبّح اسمَ ربّك » وقال « وسبح لله » .

وقد عمل بهذا النبي (صلعم) والاصحاب . ومن هذا يفهم ان اهل الطرق يذكرون الله كما جاء في القرآن الكريم ، وكل امر في القرآن هو فرض . ويتبعون عمل النبي (صلعم) وكل عمل له سنّة فهذا قولنا عنه انه فرض وسنة . وقد امر الله سبحانه وتعالى

بصيفة الجمع « اذكروا الله قياما وقعودا » فذكرهم لله بهــذه الصيفة هو تنفيذ لامر الله تعالى .

الوحي

بورك فيك فهل تذكر لنا شيئا عن مبدا الوحي وكيف كان ؟

سأذكر ان شاء الله تعالى قائلا : انه لما بلغ محمد رسول الله (صلعم) اربعين سنة ، بعثه الله تعالى رحمة للعالمينَ وكافة للنــاس بشيرا ، وانه اول ما بدىء رسول الله (صلعم) من الوحي الرؤيا الصادقة ؛ فكان لا يرى حين اراد الله كرامته ورحمة العباد به رؤيا في نومه الا جاءت كفلق الصبح ، وقد حبب الله تعالى اليه الخلوة ، فلم يكن شيء احب اليه من انيخلو وحده . وفي السنة الاربعين من عمره (صلعم) وفي شهر رمضان المبارك ــ وقــد كان في غار حراء نائما ــ جاء جبريل عليه السلام بأمر الله تعالى. قال (صلعم) فجاءني جبريل وانا نائم بنمط من ديباج فيه كتاب فقال : اقرأ . قال : قلت ما اقرأ ؟ قال ففتّني به حتى ظننت انه الموت ، ثم ارسلني فقال اقرأ . . . قال قلت ما اقرأ ، قال ففتني به حتى ظننت انــه الموت ثم ارسلني فقال اقرأ . . . قلت ماذا اقرأ ، ما اقول ذلك الا افتداء منه ان يعود لي بمثل ما صنع بي فقال : (اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الاكرم الذي علّم بالقلم ، علّم الانسان ما لم يعلم) قال فقرأتها ثم انتهى فانصرف عني وهببت من نومي فكأنما كتبت في قلبي كتابا . قال فخرجت حتى اذا كنت في وسط من الجبل سمعت صوتا من السماء يقول يا محمد انت رسول الله وانا جبريل ، فرفعت راسي الى السماء انظر ، فاذا جبريل في صورة رجل صافّ قدميه في افق السماء يقول يا محمد انت رسول الله وانا جبريل ، قال فوقفت انظر اليه فما اتقدم وما اتأخر ، وجعلت اصرف وجهي عنه في آفاق السماء . قال فلا انظر في ناحية منها الا رايته كذلك ، فما زلت واقفا ما اتقدم امامي وما ارجع ورائي حتى بعثت خديجة رسلها في طلبي ، فبلفوا اعلى مكة ورجعوا اليها وانا واقف مكاني ذلك . ثم انصرف عني وانصرفت راجعا الى اهلي حتى اتيت خديجة ، فجلست الى فخذها مضيفا اليها، فقالت

يا ابا القاسم اين كنت ؟ فوالله لقد بعثت رسلي في طلبك حتى بلغوا اعلى مكة ، ورجعوا الي . ثم حدثتها بالذي رايت ، فقالت ابشر يا ابن عم واثبت ، فوالذي نفس خديجة بيده لأرجو ان تكون نبي هذه الامة .

هذا ما كان مما ابتدىء به رسول الله (صلعم) من الوحي ، ومن هذا ترى كيف ان الله سبحانه وتعالى اشار الى انه علّم الانسان بالقلم ما لم يعلم ، وان اول امر نزل من لدنه جل وعز هو الامر بالقراءة ورفع الامية ليعلم الانسان ما يخفى عليه بالقلم وبالقراءة ، فهو نبي الرحمة ونبي العرفان من طرف العزيز العليم . وان كل مؤمن سمع هذا الامر وتبلغه يجب عليه ان يتعلم القراءة والكتابة حتى يصل الى علم ما في هذا الكتاب العزيز من عجائب، وجائب ، لا يعرفها الا من توغل في العلم الصحيح . ومن هذا تعرف ايضا ان النبوة الاخيرة والخاتمة هي نبوة تشريع وتعليم ، نبوة تثقيف وتقدم، نبوة الدعوة الى توحيد الله والايمان بكتبه ورسله ، وان ما اوحي الى آدم ونوح وابراهيم وعيسى وموسى ومحمد — عليهم الصلاة والسلام — هو شيء واحد ، اساسه التوحيد والتصديق والاعتراف بالربوبية ونبذ الفساد في الارض ؛ ونبذ عبادة الاوثان ، وانها تلزم بعد اعتقاد صحة المعتقدات العمل لما فيه صلاح البشر ، وتجنب الفساد في الارض ؛ وانها نبوة تقريب بين اهل الاسلام واهل الكتاب . وقد قال الله تعالى في اول الجزء الواحد والعشرين « ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن الا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنّا بالذي انزل الينا وانزل اليكم ، والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون » .

« وكذلك انزلنا اليك الكتاب . فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ، ومن هؤلاء من يؤمن به ؛ وما يجحد بآياتنا الا الكافرون. وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذن لارتاب المبطلون . بل هو آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم وما يجحد بآياتنا الا الظالمون » .

« وقالوا لولا انزل عليه آيات من ربه قل انما الآيات عند الله

وانما انا نذير مبين . او لم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون » . فهل فهمت .

هل تذكر لنا شيئا عن الحلال والحرام ؟

سأفعل ان شاءالله تعالى : المحرمات انواع ثلاثة : نوع يتعلق بالمأكولات والمشروبات ، ونوع يتعلق بالافعال ، ونوع يتعلق بالاقوال ؛ فالحرام من المأكولات هو ما جاء في الآية الكريمة في سورة المائدة «حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهلّ لغير الله به والمنخنقة والموقودة والمتردية والنطيحة وما اكل السبع ، الا ما ذكيتم ، وما ذبح على النصب وان تستقسموا بالازلام » الآية . وفي سورة الانعام « قل لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة او دما مسفوحا او لحم خنزير ، فانه رجس ، او فسقا أهلّ لغير الله به ، فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان ربك غفور رحيم » . وحرم الله من المشروبات كل مسكر : الخمر وانواعه . وحرم التبرج على النساء والخروج سافرات ، وحرم اختلاطهن بغير آبائهن وابنائهن واخوانهن وبني اخوانهن وبني اخواتهن وبغير اجدادهن ، مهما علت طبقاتهم ، وابناء ابنائهن وابناء بناتهن واعمامهن واخوالهن ، ولم يحظر على المرأة المسلمة ان تخرج لحاجتها بوقار ، عليها خمارها ، تنظر الى حاجتها وتدبر امرها وتسأل عن دينها بشرطه ، وان المحظور على النساء ابداء الزينة التي مقتها الله تعالى، والاختلاط بالرجال اختلاطا يقصد منه التمتع بالرقص والمجالسة والخلوة ، فهذا هو الممقوت شرعا واخلاقا . وحرم من الافعال المتعلقة بالاخلاق والنسب الزنى والفاحشة الاخرى التيعذب من اجلها قوم لوط ؛ وحرم كل ما يضر بالنفس ، حتى حرم الماء الحار واستعماله حتى يبرد ، والبارد الشديد البرودة حتى يطاق ، وحرم الحشيشة وانواعها التي تذهب العقل ؛ وحرم قتل النفس ، وقال : «ولا تقتلوا انفسكم» وهذا عن الانتحار ، وحرم قتل النفس من حيث هي، فقال : « ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها ، وغضب الله عليه ولعنه واعدّ له جهنم وساءت مصيرا » . وحرم قتل النفس

مطلقا في مُعاهد او ذمي ، وقد قال النبي (صلعم) ما معناه في رواية ابي داوود كما يلي « الا من ظلم معاهدا او تنقصه او كلفه فوق طاقته او اخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا خصمه يوم القيامة » ورواه البيهقي « الا من قتل معاهدا له ذمة الله وذمة رسوله ، حرم الله ريح الجنة عليه ، وان ريحها ليوجد من مسيرة سبعين خريفا » ورواه الخطيب « من آذى ذميا فأنا خصمه ، ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة » .

ولا حلال في قتل النفوس الا في جهاد اهل الشرك ، ولاعلاء كلمة الله او في الحدود ــ زان محصّن ، او قاتل متعمد او مرتد عن دينه ، او صائل لا يدفع الا بالقتل ، او تارك للصلاة جحودا . وحرم انفاق المال في معصية ، وحرم الميسر وهو القمار ، وحرم الخمر في اية واحدة ، وقال عز من قائل : « يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون » وهناك شبيه لكل محرم فهو ملحق به ، وان اردت الاستقصاء فعليك بكتاب (الزواجر) للعلامة ابن حجر . ومن اكبر المحرمات عقوق الوالدين .

هل اوصى النبي صلى الله عليه وسلم بشي تحب ان تذكره؟

لقد اوصى النبي (صلعم) بالجار،وكرر ذلك حتى قال لاصحابه عليهم الرضوان : « ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه » . واوصى بمكارم الاخلاق وذم الشح والبخل ، وقد جاء هذا في الكتاب العزيز ، واوصى في النساء خيرا في خطبته بحجة الوداع مع سائر وصاياه ، وهذه هي برمتها مثبتة لتكرير التبليغ عنه (صلعم) .

خطبة الوداع

ان الحمد لله نحمده ونستغفره ونتوب اليه ونعوذ بالله من شرور انفسنا ومن سيئات اعمالنا . ومن يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله ، اوصيكم عباد الله بتقوى الله ،

واحثكم على طاعة الله ، واستفتح بالذي هو خير ، اما بعد ايها الناس اسمعوا مني ابين لكم ، فاني لا ادري لعلي لا القاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا . ايها الناس ، ان دماءكم واموالكم عليكم حرام الى ان تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ، الا هل بلّغت ، اللهم اشهد ، فمن كانت عنده امانة فليؤدها الى الذي ائتمنه عليها . وان ربا الجاهلية موضوع ، وان اول ربا ابدأ به ربا عمي العباس بن عبد المطلب . وان دماء الجاهلية موضوعة ، وان اول دم ابدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن المطلب . وان مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية والعمد قَوَد ، وشبه العمد ما قتل بالعصي والحجر ، ففيه مائة بعير ، فمن زاد فهو من اهل الجاهلية . ايها الناس ، ان الشيطان قد يئس ان يعبد في ارضكم هذه ، ولكنه رضي ان يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من اعمالكم . ايها الناس انما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا ، يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله . وان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض ، وان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض ، منها اربعة حرم ، ثلاثة متواليات وواحد فرد ، ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب ، الذي بين جمادى وشعبان ، الا هل بلّغت ، اللهم اشهد . ايها الناس ان لنسائكم عليكم حقا ، وان لكم عليهن حقا ان لا يوطئن فرشكم غيركم ، ولا يدخلن احدا تكرهونه بيوتكم الا بإذنكم ، ولا يأتين بفاحشة ، فان فعلن فان الله قد اذن لكم ان تعضلوهن وتهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضربا غير مبرح ، فان انتهين واطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، وانما النساء عندكم عوار لا يملكن لانفسهن شيئا ، اخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، فاتقوا الله في النساء واستوصوا بهن خيرا . ايها الناس انما المؤمنون اخوة فلا يحل لامرىء مال اخيه الا عن طيب نفسه ، الا هل بلغت ، اللهم اشهد ، فلا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم اعناق بعض ، فاني قد تركت فيكم ما ان اخذتم به لم تضلوا ــ كتاب الله

وسنتي (وفي رواية) واهل بيتي ـ الا هل بلغت ، اللهم اشهد . ايها الناس ان ربكم واحد ، وان اباكم واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب ، اكرمكم عند الله اتقاكم ، ليس لعربي على عجمي فضل الا بالتقوى ، الا هل بلغت ؟ قالوا نعم قال فليبلغ الشاهد منكم الغائب . ايها الناس ان الله قسم لكل وارث نصيبه من الميراث ، ولا يجوز لوارث وصية في اكثر من الثلث ، والولد للفراش ، وللعاهر الحجر ، من دعي الى غير ابيه او تولى الى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الوسيلة والقتال

واما الوسيلة فقد قال الله تعالى « يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة ، وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون » اي اتقوا معاصيه واجتنبوا ، واطلبوا اليه القربة بالطاعة في كل الاعمال والاقوال . وكتب علينا القتال فقال « كتب عليكم القتال وهو كره لكم ، وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم ، وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم » . فتعلم من هذا ان الوسيلة الاولى الايمان بالله وملائكته ورسله وتوحيده والعمل بما امر به في كتابه وعلى لسان رسوله (صلعم) والجهاد في سبيله لاعلاء كلمته .

وبهذا افاخر بنسبتي الى العرب،لانهم يكرهون القتال وسفك الدماء ، فهم بطبيعتهم اهل انسانية ومدنية ، وقد شهد الله بأن القتال كره لهم ولكنهم جند كتب عليهم القتال لاعلاء كلمته،واجتباهم من بين الامم وسماهم المسلمين . فهذه اول مفخرة نسبية اعرفها واعلنها ، وقد قاموا بالرغم من كرههم للقتال بما اوجبه الله عليهم حق قيام ، فكانت العشر السنوات الاولى من مبعثه (صلعم) سنوات دعوة وارشاد ؛ ولما اشتد عناد اهل الشرك واشتدت وطاتهم على من دخل في الاسلام من العرب ، وفتنوا المسلمين ، فمنهم من هاجر الى الحبشة ، ومنهم من هاجر الى المدينة المنورة ، وكانت تدعى اذ ذاك يثرب ، ومنهم من اختبأ في بيته حتى اشتد الامر على رسول الله (صلعم) وعلى المسلمين وكان (صلعم) قد شد عقده فيما بينه

وبين انصاره بالمدينة عن يد النقباء الاثني عشر ، على رأس سعد بن معاذ وسعد بن عبادة . اذن الله تعالى لرسوله بالهجرة الى مهاجرة ومحل مسجده وحجرته ، واذن له ولمن معه بالقتال ، وكان قبل ذلك محظورا عليه ، فقال عز مِن قائل في سورة الحج «أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وان الله على نصرهم لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله،ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ، ولينصرن الله من ينصره ، ان الله قوي عزيز . الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، ولله عاقبة الامور » فمن هذا يتبين لك ما اوجبه الله وكتبه واختص به هذه الامة من عهد نبينا الى يومنا هذا .

اعمال الرسول (صلعم)

وسأذكر لك اذا احببت وسألت ما كان من عمله (صلعم) في العشر السنوات الاول وهو في مكة ، ثم ما اسسه في العشر السنوات الاخيرة وهو في المدينة المنورة من تأسيسات زمنية واحكام دينية ، الى ان اختاره الله تعالى الى جواره في اعلى عليين ، بعد ان نزلت الآية الشريفة وهي قوله تعالى « اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا » وكيف ان ابا بكر الصديق بكى حتى اخضلت لحيته عندما سمع الآية وقال ان الله نعى الينا نبيه .

اما عمله (صلعم) في العشر السنين الاول بمكة فكان مقتصرا على الدعوة وتبليغ الرسالة بعرضها على قومه قريش ، وكان اول من آمن به (صلعم) من الخلق خديجة الكبرى عليها سلام الله ، ثم ابن عمه ووصيه علي عليه السلام ، ثم مولاه زيد بن حارثة ، ثم خليفته ابو بكر الصديق ، رضي الله عنهما. ثم كان صدّ كبراء قريش وعظمائها الناس عن قبول هذه الدعوة الالهية ؛ وموقفهم من عمه ابي ابي طالب ومشيهم اليه ، ثم تطاولهم على من اسلم ، ثم تمرد ابي جهل بن هشام ، فاسلام حمزة ثم اسلام عمر واعتزاز الدين به ، ثم ما كان من امر الصحيفة التي كتبتها قريش ضد بني هاشم ، ثم

انحصار بني هاشم في الشعب ، ثم الهجرة الاولى الى الحبشة الثانية ، ثم الهجرة الى المدينة للاصحاب ، ثم خروجه الى الطائف (صلعم) بعد وفاة عمه ابي طالب ، ثم موت خديجة الكبرى وفرض الصلوات ، ثم الهجرة . ولما هاجر (صلعم) في السنة العاشرة من النبوة وبلغ دار هجرته ، نزل بقِباء على بني عمر بن عوف ، وبنى هنالك مسجد قباء ، وهو الذي قال الله فيه « َلمسجد أسس على التقوى من اول يوم أحق ان تقوم فيه؛فيه رجال يحبون ان يتطهروا، والله يحب المطهرين » ثم انتقل من قباء الى المدينة ، وكانت الانصار؛ تعترضه كل قبيلة على حدتها ، يقولون هلم يارسول الله الى العز والمنعة والحلقة والسلاح ، فيقول (صلعم) : «دعوها فانها مأمورة» يعني راحلته ، وهي تسير به حتى اذا بلغت على تلك الحالة الى حيث مسجده (صلعم) ، وكانت هناك دار ابي ايوب الانصاري ، فالتفتت يمينا وشمالا ، ثم بركت به ، فلم ينزل ، ثم قامت فسارت الى حيث دار ابي ايوب ، فبركت ، وارزمت ، وتحلحلت ، ثم حنّت والقت جرانها بالارض ، ثم قال هذا المنزل المبارك ان شاء الله فنزل (صلعم) ونقل متاعه الى دار ابي ايوب ؛ ثم تتالت اعماله الشريفة من اشتراعية وزمنية ، فبنى المسجد وجمّع الجمع ، وآخى بين المهاجرين والانصار ، وترك اليهود على ما هم عليه من رابطة بين الاوس والخزرج الى ان نقضوا العهد ايام الخندق ، وانضموا الى الاحزاب ، فبعد ان ارجع الله الاحزاب بخزيهم لم ينالوا خيرا « انزل الذين ظاهروهم من اهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب » ، كما جاء في الذكر الحكيم ، وكما سترى ذلك في قصة بني قريظة ، وكيف ان حكم فيهم سعد بن معاذ ونفذ الحكم فيهم . واليك عدد بعوثه وسراياه وغزواته (صلعم) على وجه الاختصار ، وان اردت وسألت فسأذكر لك الشيء المفيد عن صلح الحديبية وتأجيل العمرة التي كان اعتزمها رسول الله (صلعم) الى العام القابل، وعما تم من أمر الهدنة بينه (صلعم) وبين قريش ان شاء الله تعالى ، وما ذكر في غزوة الخندق ايضا من ان الله تعالى سيفتح على امته الشام وفارس والقسطنطينية العظمى .

الزواج في الجاهلية

جزيت خيرا فهل يمكنك ان تذكر لي شيئا عن انكحة الجاهلية؟

سأفمل ان شاء الله تعالى ، اما انكحة الجاهليـــة فكثيرة ، اولها ما نعرفه من نكاح السنّة ، بخطبة وصداق وايجاب وقبول واذن الولي ، وتلك سنة اسماعيل وابراهيم عليهما السلام ؛ ثم نكاح البدل ، وهو ان يبدّل الرجل مع من شاء زوجته هذه لذاك ، وتلك لهذا ، ثم نكاح الاستبضاع ، وهو ان الرجل اذا اراد تحسين نسله امر زوجتـــه ان تمكن نفسها من نجيب قـــوم او فارسهم او خطيبهم او كريمهم ، ثم تأتي فتمكّن زوجها ايضا على جمامه ، وهذا هو نكاح الاستبضاع ، ثم نكاح المقت ، وهو انه اذا مات الرجل عـــن امرأة فلكبير اولاده ان يلقي رداءه عليها وتصبح له زوجة بلا نكاح ولا صداق ؛ ونكاح الشّغار وهو ان يتبادل الواحد مع الآخر اخت هذا او ابنته لذاك ، او اخت ذاك او ابنته لهذا ، ثم كان للرجل ان يتزوج ما شاء بلا عدد ، فجاء الاسلام وقضى على هذه كلها ، وحدد اربعا للحرائر وما ملكت اليمين ، بشرط العدالة ، ثم عرّف كيفية الطلاق ومنع الكثير مما لا يتناسب مع الانسانية ، ومنع وأد البنات، فمن ظن ان الاسلام هو الذي جاء بتعدد الزوجات فقد اخطأ ، ولكنه انزل العدد الكثير الى ذلك الحد ، بالرغم من شبق القوم ورغبتهم في المناكحات . وكذلك ما كان من امر تحريم الخمر والميسر ، فقد جاء فيهما ما نصه « يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطـــان فاجتنبوه لعلكم تفلحـــون » . فحرمت وابقى لاهل الربا رؤوس اموالهم ، ونهى عن اخذ الربح ، وآذن من لم يطعه بحرب من الله ورسوله ، فافهم ، جزيت خيرا .

المكاتبات النبوية

لقد كان اسلوب رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتبه ان يفتتحها باسمه ، ويثنّي باسم المكتوب له ، كقوله : « مـــن محمد رسول الله الى فلان » او يقول : « سلم انت » او « اما بعد » او « هذا كتاب » . ثم يأتي في صدرها بقوله : « سلام عليك » وفي خطاب غير المسلم « والسلام على من اتبع الهدى » وكان كذلك يأتي بالتحميد بعد السلام، كقوله : «احمد اليك الله الذي لا اله الا هو» .

وقد يأتي بعد التحميد بالتشهد ، وفي كثير من الاحيان يتركه . اما المكتوب اليهم فكان يذكر القابهم بعد اسمائهم ، كقولـه : « عظيم الروم » ويخاطبه بكاف الخطاب ، مثل «عليك» وتاء المخاطب مثل «فعلت» ثم يجري في التثنية والجمع بألفاظهما المعروفة . وكان يعبّر عن نفسه بلفظ الافراد « انا » و «وردني» وقلما يأتي بلفظ الجمع،كقوله وردنا وعلينا . ومن ذلك كتابه الى هرقل قيصر الروم، وهذا نصه :

« من محمد رسول الله ، الى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدى ، اما بعد ، فاني ادعوك بدعاية الاسلام ، أسلِم تسلَم يؤتك الله أجرك مرتين ، فان توليت فعليك اثم الإريسيينَ ؛ ويا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم،الاّ نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » . (انظر الصحيحين) .

ومن ذلك كتابه الى كسرى ملك الفرس وهذا نصه :

« من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس ، سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله ، وادعوك بدعاية الله عز وجل ، فاني انا رسول الله الى الناس كافة لانذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين ، وأسلم تسلم فان توليت فان اثم المجوس عليك » (انظر ابن الجوزي) .

ومن ذلك كتابه الى المنذر بن ساوى :

« سلم انت ؛ فاني احمد اليك الله الذي لا اله الا هو ، امـا بعد فان من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا واكل ذبيحتنا ، فذلك المسلم ، له ذمة الله وذمة الرسول ، فمن احب ذلك من المجوس فانه آمن ، ومن ابى فان عليه الجزية » . (انظر كتاب الاموال لابي عبيد).

صلح الحديبية

وجهت قريش الى النبي (صلعم) وهو بالحديبية حين صدوه عن البيت سهيل بن عمرو فقال للنبي (صلعم) : (هات اكتب بيننا وبينك كتابا) فدعا النبي (صلعم) الكاتب وقال له اكتب ، باسم الله الرحمن الرحيم ؛ فقال سهيل اما الرحمن فوالله لا ادري ما هو ،

ولكن اكتب باسمك اللهم . ثم قال النبي (هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله) فقال سهيل : والله لو كنا نعلم انك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ، ولكن اكتب محمد بن عبد الله . ثم قال النبي (صلعم) (والله اني لرسول الله ، وان كذبتموني ؛ اكتب محمد بن عبد الله) . ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم (على ان تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به) فقال سهيل : والله لا تتحدث العرب اننا اخذنا ضغطة ، ولكن ذلك من العام المقبل ، فكتب . ثم قال سهيل : وعلى ان لا يأتيك منا رجل وان كان على دينك الا رددته الينا ، قال المسلمون ؛ سبحان الله ، كيف يرد الى المشركين وقد جاء مسلما . فبينما هم كذلك ، اذ جاء ابو جندل (وهو ولد سهيل المذكور) يرسف في قيوده ، وقد خرج من مكة حتى رمى بنفسه بين اظهر المسلمين ، فقال سهيل هذا يا محمد اول ما اقاضيك عليه ، ان ان ترده الي فقال النبي (صلعم) إنا لم نقض الكتاب بعد ، قال سهيل فوالله اذن لا اصالحك على شيء ابدا ، قال النبي فأجزه لي ، قال سهيل ما انا بفاعل قال مكرز بن حفص بلى قد اجزناه لك ؛ قال ابو جندل اي معشر المسلمين ارد الى المشركين وقد جئت مسلما ؟ الا ترون ما قد لقيت ؟ وقد كان عذب عذابا شديدا في الله تعالى ؛ فقال عمر بن الخطاب ، فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت الست نبي الله حقا ؟ فقال بلى ؛ قلت الستَ على الحق وعدونا على الباطل ؟ قال بلى ، قلت فلم نعطى الدنية في ديننا اذن ؟ قال : اني رسول الله ولست اعصيه وهو ناصري . وكان الكاتب علي بن ابي طالب ، وهذه نسخة الكتاب :

« هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو : وضع الحرب عن الناس عشر سنين ، وانه من احب ان يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ، ومن احب ان يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه » . واشهد على الكتاب بالصلح رجالا من المسلمين والمشركين .

ولما وقعت الحرب بين امير المؤمنين علي بن ابي طالب ـ كرم الله وجهه ـ وبين معاوية ـ رضي الله عنه ـ في صفين في سنة سبع

وثلاثين من الهجرة ، توافقا على ان يقيما حكمين بينهما ، فأقام امير المؤمنين علي ابا موسى الاشعري حكما عنه ، واقام معاوية عمرو ابن العاص حكما عنه ؛ فاتفق الحكمان على ا ن يكتبا بينهما كتابا بعقد الصلح ، واجتمعا عند علي ـ رضي الله عنه ـ وكتبا كتاب القضية بينهما بحضرته فكتب بعد البسملة :

« هذا ما تقاضى امير المؤمنين علي .. فقال عمرو هذا اميركم، اما اميرنا فلا .. فقال الاحنف لا تمح اسم امير المؤمنين فاني اخاف ان محوتها ان لا ترجع اليك ابدا ؛ لا تمحها وان قتل الناس بعضهم بعضا . فأبى ذلك علي مليا من النهار » .

ثم ان الاشعث بن قيس قال امح اسم امير المؤمنين ، فأجاب علي ومحاه ، ثم قال علي : الله اكبر سنة بسنة . والله اني لكاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية فكتب محمد رسول الله .. فقالوا لست برسول الله ولكن اكتب اسمك واسم ابيك فأمرني رسول الله بمحوه فقلت لا استطيع افعل. فقال : اذن ارنيه، فأريته فمحاه بيده وقال « انك ستدعى الى مثلها فتجيب » .

سراياه وغزواته (صلعم)

هل تذكر لنا الفرق بين الغزوة والسرية ، وعدد سراياه وغزواته صلى الله عليه وسلم ؟

اعلم وفقني الله واياك باتباع هدي نبيه (صلعم) ان الغزوة ما خرج فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه ؛ والسرية هي التي لم يخرج فيها . والمغازي سبع وعشرون ، والسرايا سبع واربعون . فأول السرايا سرية عمه حمزة بن عبد المطلب ، فقد بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سيف البحر من ناحية العيص في ثلاثين راكبا ، فلقي ابا جهل في الساحل في ثلاثماية راكب من اهل مكة ، فلما تصافّوا حجز بينهما مجدي بن عمرو الجهني ، وكان موادعا للفريقين حليفا لهما ، ثم انصرفوا من غير قتال ، وكان حامل لواء حمزة ابا مرثد الغنوي .

ثم سرية عبيدة بن الحارث الى بطن رابغ ، ويعرف بودان ، وقد امّره على ستين رجلا من المهاجرين ليس فيهم من الانصار احد

فلقي جمعا عظيما من قريش فتراموا بالنبل ، وكان اول من رمى في وجوه المشركين بسهم سعد بن ابي وقاص ، فكان اول سهم رمي به في الاسلام ، ولم يقع بينهم ضرب بالسيوف ، فظن المشركـون ان للمسلمين مددا فخافوا ، وانهزموا ولم يتبعهم المسلمون ؛ فانحاز من المشركين الى المسلمين رجلان : المقداد بن عمرو وعتبة بن غزوان المازني ، وكانا مسلمين ، لكنهما خرجا ليتوصلا بالكفار الى المسلمين.

سرية سعد بن ابي وقاص

ثم سرية سعد بن ابي وقاص في عشرين رجلا الى الخرار (واد بالحجاز يصب في الجحفة) ، فخرجوا على اقدامهم يكمنون بالنهار ويسيرون بالليل ، حتى انتهوا اليه صبح خامسة ، فلم يجدوا شيئا، وقد سبقتهم العير بيوم ، فرجعوا الى المدينة .

سرية عبد الله ابن جحش

ثم سرية عبدالله بن جحش الى نخلة ، على ليلة مـن مكة ، وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين ليس فيهم من الانصار احد ، وقيل اثني عشر رجلا ، وقد كتب صلى الله عليه وسلم كتابا وامره ان لا ينظر فيه حتى يسير يومين ، ثم ينظر فيه فيمضي لما امره به ، ولا يستكره احدا من اصحابه على المسير معه . فلما سار عبدالله يومين فتح الكتاب ونظر فيه ، فاذا هو يأمره ان يمضي حتى ينزل مكة والطائف ، فيترصد بها قريشا ، ويأتي منهم بخبر ؛ فقال سمعا وطاعة فذكر ذلك لاصحابه وقال:من كان منكم يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق ، ومن يكره ذلك فليرجع ، اما انا فماض لامر رسول الله صلى الله عليه وسلم . فمضى ومضى معه اصحابه ولم يتخلف منهم احدا عنه ، حتى نزلوا نخلة ، فمرت بهم عير قريش تحمل زبيبا وادما وتجارة من تجارة قريش ، فقاتلوهم وغنموا ما معهم واسروا منهم اثنين ، وعادوا بالغنائم حتى قدموا على رسول الله المدينة ؛ فقال ما امرتكم بقتال في الشهر الحرام ، فسقط في ايدي القوم ، وظنوا انهم قد هلكوا وعنفهم اخوانهم من المسلمين في ما صنعوا ، وقالت قريش ، قد استحل محمد واصحابه الشهر الحرام،وسفكوا فيه الدماء ، واخذوافيه الاموال ، واسروا فيه الرجال ، وكتبوا في

ذلك تعييرا وتشنيعا . فانزل الله علي رسوله « يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه ، قل قتال فيه كبير ، وصد عن سبيل الله ، وكفر به ، والمسجد الحرام واخراج اهله منه اكبر عند الله ؛ والفتنة اشد من القتل » .

سرية عمير بن عدي الخطمي

ثم سرية عمير بن عدي الخطمي ، لقتل العصماء بنت مروان اليهودية ؛ وكانت تعيب وتؤنب الانصار في اتباعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتؤذي رسول الله وتقول الشعر في هجوه ، فجاءها عمير ليلا وكان اعمى ، فدخل عليها بيتا وحولها من اولادها نفر نيام، منهم من ترضعه في صدرها ، فجستها بيده فنحى الصبي عنها ، ووضع ذبابة سيفه في صدرها حتى انفذها من ظهرها ، ثم صلى الصبح مع النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، فقال له رسول الله (صلعم) اقتلت ابنة مروان ؟ قال نعم ، قال ، لا ينتطح فيها عنزان – اي لا يعارض فيها معارض – ولا يسأل عنها فانها هدر . وكانت هذه الكلمة اول ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا من الكلام الموجز البديع الذي لم يسبق اليه .

سرية سالم بن عمير

ثم سرية سالم بن عمير الى ابي عفك اليهودي وقد كان سالم بن عمير احد البكائين ، وممن شهد بدرا ، وكان ابو عفك من بني عمرو بن عوف شيخا كبيرا قد بلغ عشرين ومائة سنة ، وكان يحرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول فيه الشعر ، فقال سالم بن عمير علي نذر ان اقتل ابا عفك ، او اموت دونه ، فقتله .

سرية محمدبن مسلمة

ثم سرية محمد بن مسلمة لقتل كعب بن اشرف اليهودي ، وكان كعب جسيما شاعرا ، وهجا المسلمين بعد وقعة بدر ، وخرج الى مكة وانشدهم الاشعار وبكى على اصحاب القليب من قريش ، وقد خرج مع ابن مسلمة ملكان بن سلامة بن وقش ، وعباد بن بسر ابن وقش ، والحارث بن اوس بن معاذ ، وابو عبس بن جبر ، وهؤلاء

الخمسة من الاوس ؛ وقدموا ملكان بن سلامة لانه كان اخا كعب بن الاشرف من الرضاعة ، فانطلقوا حتى انتهوا الى حصن كعب ، فهتف به ابو نائلة ، وكان كعب حديث عهد بعرس ، فوثب في ملحفته ، فأخذت امراته بناحيتها وقالت ، اني اسمع صوتا يقطر منه الدم ، فقال كعب ، لو يدعى الفتى لطعنة لأجاب ، فلما خرج كعب الى ذلك الرهط اعتوروه ، واختلفت عليه اسيافهم حتى قتلوه ، ورجعوا الى المدينة ، فلما بلغوا بقيع الفرقد كبّروا ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي فسمع صوت تكبيرهم فعلم انهم قتلوا كعبا ، فلما انتهوا الى النبي صلى الله عليه وسلم قال : أفلحت الوجوه ، قالوا ووجهك يا رسول الله ، واتوه برأس عدو الله تعالى فحمد الله واثنى عليه .

سرية عبد الله بن عبدالاسد

ثم سرية عبد الله بن عبد الاسد المعروف بأبي سلمة الى قطن، ومعه مائة وخمسون رجلا من المهاجرين والانصار ، وكان قد بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ان طليحة وسلمة ابني خويلد يحرضان جماعة من قومهما من بني اسد ومن تبعهما على قتال النبي صلى الله عليه وسلم . فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك السرية بالاغارة عليهم بغتة قبل ان يعلموا او يجمعوا الجيش ، فخرجت اليهم ومعها دليل هو الوليد بن الزبير الطائي ، حتى وصلت قطنا فأغارت على سرحهم ودوابهم واصابت ثلاثة اعبد كانوا رعاة ،وهرب الباقون ولحقوا بقومهم واخبروهم بمجيء ابي سلمة وكثرة جيشه ، فخافوا وهربوا عن منازلهم ، ثم نزلها ابو سلمة واغار وجمع ما قدر عليه من الاموال ورجع الى المدينة ، واعطى الدليل الطائي ما رضي به من الاموال .

سرية عبد الله ابن انيس

ثم سرية عبد الله بن انيس الى عرنة ، وقد بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده الى قتل سفيان بن خالد الهذلي وكان يجمع الناس لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج عبدالله بن انيس متوشحا بسيفه حتى وقع الى سفيان بن خالد وهو في

ظعن له يرتاد لهن منزلا ، وكان وقت العصر ، قال عبد الله بن انيس، فلما رايته اقبلت نحوه وخشيت ان يكون بيني وبينه مجالدة تشغلني عن الصلاة ، فصليت وانا امشي نحوه اومىء براسي ، فلما انتهيت اليه قال من الرجل ؟ قلت رجل من العرب سمع بك وبجمعك لهذا الرجل فجاءك لذلك، قال اجل انا في ذلك . فمشيت معه شيئا ، حتى اذا امكنني حملت عليه بالسيف فقتلته ، ثم خرجت وتركت ظعائنه باكيات عليه ، فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ورآني قال افلح الوجه ، قلت قد قتلته يا رسول الله ، قال صدقت : ثم قام وادخلني بيته واعطاني عصا وقال : امسك هذه العصا عندك يا عبد الله بن انيس ، قال ، فخرجت بها على الناس ، فقالوا ما هذه العصا ، قلت اعطانيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وامرني ان امسكها عندي ، قالوا افلا ترجع اليه تسأله لم ذاك ؟ فرجعت فقلت له لم اعطيتني هذه العصا؟ قال آية بيني وبينك يوم القيامة ... فقرنها عبد الله بن انيس بسيفه فلم تزل معه حتى مات ؛ ثم امر فضمت الى كفنه ، ثم دفنا جميعا .

سرية عاصم بن ثابت

ثم سرية عاصم بن ثابت للرجيع ، وهو لهذيل وبني لحيان بين مكة وعسفان ، وكان من خبرها انه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد احد رهط من عضل والقارة ، فقالوا يا رسول الله ان فينا اسلاما فابعث معنا نفرا من اصحابك يفقهوننا ، فبعث معهم جماعة من اصحابه ، فخرجوا مع القوم حتى اتوا على الرجيع فغدروا بهم ، فاستصرخوا عليهم هذيلا فلم يرع القوم وهم في رحالهم الا الرجال بأيديهم السيوف وقد غشوهم ، فأخذوا اسيافهم ليقاتلوا القوم ، فقالوا لهم انا والله ما نريد قتلكم ، ولكننا نريد ان نصيب بكم شيئا من اهل مكة ، ولكم عهد الله وميثاقه ان لا نقتلكم ، فأبوا . واما مرثد وخالد وعاصم فقالوا : والله لا نقبل من مشرك عهدا ، فقاتلوا حتى قتلوا ، واما زيد بن الدثنة وخبيب بن عدي وعبد الله ابن طارق فلانوا ورقوا ورغبوا في الحياة فأعطوا بأيديهم فأسروهم ثم

خرجوا الى مكة ليبيعوهم بها ، حتى اذا كانوا بالظهران انتزع عبدالله ابن طارق يده من القران ثم اخذ سيفه واستأخر عنه القوم فرموه بالحجارة حتى قتلوه ، واما خبيب بن عدي وزيد بن الوثنة فقدموا بهما مكة فباعوهما من قريش بأسيرين من هذيل كانا بمكة ، ثم ان صفوان بن امية اراد ان يقتل زيدا بأبيه امية بن خلف فبعث به مع مولى يقال له انسطاس الى التنعيم ليقتله ، واجتمع رهط من قريش ، منهم ابو سفيان بن حرب ، فقال له ابو سفيان حين قدّم ليقتل انشدك الله يا زيد .. اتحب ان محمدا عندنا الآن في مكانك تضرب عنقه وانك في اهلك ؟ قال : والله ما احب ان محمدا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه ، واني جالس في اهلي .. فقال ابو سفيان : ما رأيت احدا من الناس يحب احدا كحب محمد محمدا ، ثم قتله انسطاس ، يرحمه الله . ثم ان خبيب بن عدي صلب في التنعيم ، وصلى قبل القتل ركعتين ، فكان اول من سنّ هاتين الركعتين عند القتل للمسلمين .

سرية المنذر بن عمرو

ثم سرية المنذر بن عمرو الى بئر معونة ، وكان من حديثها ان أبا براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الاسنة ، قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فعرض عليه رسول الله الاسلام ودعاه اليه فلم يسلم ولم يبعد ، وقال يا محمد لو بعثت رجالا من اصحابك الى اهل نجد فدعوهم الى امرك رجوت ان يستجيبوا لك ، فقال رسول الله (صلعم) اني اخشى عليهم اهل نجد ، قال ابو براء : انا لهم جار ، فابعثهم فليدعوا الناس الى امرك ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمرو اخا بني ساعدة في اربعين رجلا من اصحابه من خيار المسلمين فساروا حتى نزلوا بئر معونة وبعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عامر بن الطفيل ، فلما اتاه لم ينظر في كتابه حتى عدا على الرجل فقتله ، فاستصرخ عليهم بني عامر فأبوا وقالوا : لن نخفر ابا براء ، وقد عقد لهم عقدا وجوارا ، فاستصرخ قبائل بني سليم فأجابوه وخرجوا حتى غشوا القوم واحاطوا بهم في رحالهم ، فلما رأوهم

اخذوا سيوفهم ثم قاتلوهم حتى قتلوا عن آخرهم ، الا كعب بن زيد من بني النجار ، فانهم تركوه وبه رمق ، فارتث من بين القتلى فعاش حتى قتل يوم الخندق شهيدا ، ورثاهم حسان بن ثابت بقوله :

على قتلى معونة فاستهلي   بدمع العين سحا غير نزر
على خيل الرسول غداة لاقوا   ولاقتهم مناياهم بقدر

سرية زيد بن حارثة

ثم سرية زيد بن حارثة الى قردة ـ ماء بنجد ـ وذلك ان قريشا بعدما وقعت وقعة بدر خافوا سلوك طريقهم التي كانوا يسلكونها الى الشام اي طريق الحجاز فعدلوا عنها وسلكوا طريق العراق وكان في هذه العير ابو سفيان بن حرب وكانت معهم فضة كثيرة وهي معظم تجارتهم ، فسار زيد بن حارثة ـ رضي الله عنه ـ في خمسماية راكب حتى ادركوا القافلة بقردة ، فهرب رؤساء القوم وساقوا العير والاموال الى المدينة .

سرية عبد الله ابن رواحة

ثم سرية عبد الله بن رواحة لقتل اليسير بن رزام وكان اليسير هذا بخيبر يجمع غطفان لغزو رسول الله صلى الله عليه وسلم فسار اليه عبد الله في نفر من الاصحاب فلما قدموا عليه كلموه وقربوا له وقالوا له انك ان قدمت على رسول الله استعملك واكرمك فلم يزالوا به حتى خرج معهم في نفر من يهود ، فلما بلغوا القرقرة ندم اليسير على مسيره ، ففطن له عبد الله بن انيس وهو يريد السيف ، فاقتحم به ثم ضربه بالسيف فقطع رجله،وضربه اليسير بمخراش(١) في يده من شوحط فأمّه ، ومال كل رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على واحد من اصحابه فقتله الا رجلا واحدا أفلت على رجليه ، فلما قدم عبد الله بن انيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم تفل على شجته فلم تقح ولم تؤذه .

سرية عمرو بن امية الضمري

ثم سرية عمرو بن امية الضمري الى ابي سفيان بن حرب بمكة

(١) المخراش هو المحجن من العصي

بعد مقتل حبيب واصحابه الى مكة وبعث معه جناد بن صخر الانصاري فخرجا حتى قدما مكة ليلا لانه ارسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من يقتله من العرب غدرا فمضى عمرو بن امية يطوف بالبيت ليلا ، فرآه معاوية بن ابي سفيان فأخبر قريشا بمكانه ، فخافوه ، وكان فاتكا في الجاهلية ، فحشد له اهل مكة وتجمعوا ، فهرب عمرو ولقي عبد الله بن مالك التيمي فقتله ، وقاتل آخر فقتله ، ولقي رجلين لقريش بعثتهما يتجسسان الخبر فقتل احدهما واسر الآخر ، فقدم به المدينة ، فجعل عمرو يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك .

معركة مؤتة

ثم سرية زيد بن حارثة الى مؤتة وقد تجهز لها الناس وتهيأوا للخروج وهم ثلاثة آلاف ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يشيعهم حتى اذا ودعهم قال : « ان اصيب زيد فجعفر بن ابي طالب على الناس ، فان اصيب جعفر فعبد الله بن رواحة » . ومضوا حتى نزلوا معان من ارض الشام ، فبلغهم ان هرقل قد نزل موآب من ارض البلقاء في مئة الف من الروم ، وانضم اليهم من لخم وجذام والقين وبهراء وبلي ، مئة الف ، عليهم رجل من بلي يقال له مالك بن رافلة ؛ فلما بلغ ذلك المسلمين اقاموا على معان ليلتين يفكرون في امرهم ، وقالوا نكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره بعدد عدونا ، فاما ان يمدنا بالرجال ، واما ان يأمرنا بأمر فنمضي له ؛ فشجع الناس عبد الله بن رواحة وقال يا قوم : والله ان التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون الشهادة ، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ، ولا نقاتلهم الا بهذا الدين الذي اكرمنا الله به ، فانطلقوا ، فانما هي احدى الحسنيين ، اما ظهور واما شهادة . فقال الناس قد والله صدق ابن رواحة . فمضوا حتى اذا كانوا بتخوم البلقاء ، لقيتهم جموع هرقل من الروم والعرب بقرية من قرى البلقاء يقال لها مؤتة ، فالتقى الناس عندها واقتتلوا ، فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى شاط في رماح القوم ، ثم اخذها جعفر فقاتل بها حتى اذا الحمه القتال اقتحم

عن فرس له شقراء فعقرها ، ثم قاتل القوم واللواء بيمينه فقطعت، فأخذها بشماله فقطعت ، فاحتضنها بعضديه حتى قتل ــ رضي الله عنه ــ وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة ، ثم اخذ الراية عبد الله بن رواحة وتقدم بها وهو على فرسه ، ويتردد بعض التردد ، ثم نزل فأتاه ابن عم له بعرق من لحم فقال شد بهذا صلبك، فأخذه من يده ثم انتهس منه نهسة ، ثم سمع الحطمة في ناحية الناس فألقاه من يده واخذ سيفه فتقدم يقاتل حتى قتل . ثم اخذ الراية ثابت بن ارقم من بني العجلان ، فقال يا معشر المسلمين ، اصطلحوا على رجل منكم ، قالوا انت ، قال ما انا بفاعل . فاصطلح الناس على خالد بن الوليد ، فلما اخذ الراية دافع القوم ، ثم انحاز وانحيز عنه حتى انصرف الناس . ولما اصيب القوم قال رسول الله (صلعم) «اخذ الراية زيد بن حارثة فقاتل بها حتى قتل شهيدا ، ثم اخذها جعفر فقاتل بها حتى قتل شهيدا ، ثم صمت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تغيرت وجوه الانصار ، وظنوا انه قد كان في عبدالله بن رواحة بعض ما يكرهون ثم قال : ثم اخذها عبد الله بن رواحة فقاتل بها حتى قتل شهيدا ، ثم قال لقد رفعوا لي في الجنة فيما يرى النائم على سرر من ذهب ، فرايت في سرير عبدالله بن رواحة ازورارا عن سريري صاحبيه فقلت عم هذا ؟ فقيل لي مضيا وتردد عبد الله بن رواحة بعض التردد . ثم مضى» وقد ذكرت اسماء[1] ابنة عميس انه لما اصيب جعفر واصحابه ، دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لها آتيني ببني جعفر ، قالت فأتيته بهم فتشممهم وذرفت عيناه : فقالت له بأبي انت وامي ما يبكيك؟ ابلغك عن جعفر واصحابه شيء ؟ قال نعم اصيبوا هذا اليوم . فقامت تصيح ، واجتمع اليها النساء وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اهله فقال : لا تغفلوا آل جعفر من ان تصنعوا لهم طعاما ، فانهم قد شغلوا بأمر صاحبهم . اما خالد بن الوليد فانصرف بالناس قافلا حتى اذا دنوا من المدينة تلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون ولقيهم

---

(١) وهي زوج سيدنا جعفر رضي الله عنه .

الصبيان يشتدون وراء رسول الله ثم جعل الناس يحثون على الجيش التراب ويقولون يا فرّار فررتم في سبيل الله فقال رسول الله (صلعم) ليسوا بالفرار ولكنهم الكرار ان شاء الله تعالى .

سرية
اسامة بن زيد

وآخر سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت سرية اسامة بن زيد الى ارض فلسطين وقد امره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يوطىء الخيل تخوم البلقاء والداروم من ارض فلسطين ، فتجهز الناس واوعب مع اسامة المهاجرون الاولون .

ومن اراد التوسع في معرفة تفاصيل السرايا فانه يجدها مبسوطة في كتب السير والتاريخ .

الغزوات الكبرى

كنت وعدت ان تذكر لنا شيئا عن الغزوات الكبرى : بدر واحد والخندق والحديبية .. فهل انت فاعل ؟

بطيبة نفس اذكر فأقول : انه لما استتب الامر للنبي صلى الله عليه وسلم بدار هجرته ولما كان قوام امر قريش على التجارة رأى بحكمته صلى الله عليه وسلم ان يضيّق عليهم الخناق بتهديد الطرق التجارية لهم ، وايصادها في وجوههم . فبث سراياه تتلقط الاخبار عن اية قافلة تجارية قد تكون خارجة من مكة الى الشام ، او راجعة من الشام الى مكة ، وقد اقضّ هذا مضاجع قريش واخافها على موقفها ، واني مستشهد على ما قلته بنقضهم الشرط المهم في كتاب الهدنه بينه صلى الله عليه وسلم وبين قريش الملزم المسلمين ارجاع من يخرج اليهم مسلما . ولقد صح ان قدم ابو بصير عتبة بن اسيد الى المدينة مسلما فجاء اهله يطلبون تسليمه لهم بموجب العهد فأسلمهم اياه . ولما خرجوا به فكانوا دون مرحلة من المدينة قالوا ، فقال المسلم لابيه او لاخيه انني ارى سيفك صارما ، فقال انه لصارم ، فقال ارنيه ، فأعطاه السيف ، فاستله على الفور وقتل اباه ورفيق ابيه .

فرجع الى المدينة ، فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم قال ما معناه : انه لمذعور او انه احدث حدثا ، فلما وصل سلم وقال

يا رسول‌الله اسلمتني وبرئت ذمتك فلا ترجعني اليهم وقد احدثت هذا الحدث. فقال‌رسول الله (صلعم) ما معناه،انه لا يستطيع ذلك ما دامت الهدنة قائمة ، وقال (صلعم) ، ويل امه محش حرب لو وجد رجالا. .،فقام الرجل فخرج الى العيص ببلاد جهينة . وكان كل من اراد الهجرة يلحق به هناك ؛ فقطعوا السابلة على قريش ، فأرسل ابو سفيان بن حرب وفدا يطلب الغاء هذا الشرط من كتاب الهدنة لتسلم قريش من ابي بصير ومن معه ، فألغي الشرط والتحق من بالعيص بالنبي صلى الله عليه وسلم فكان تهديد الطرق التجارية هو السائق لغزوة بدر الكبرى .

غزوة بدر

وبدر كان موسما من مواسم العرب يجتمع لهم به سوق كل عام وفيه ماء تغشاه القوافل المسافرة بالتجارة بين مكة والشام ، وقد نشبت وقعة بدر يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة من شهر رمضان ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع بابي سفيان ابن حرب مقبلا من الشام في عير لقريش عظيمة ، فيها اموال لقريش وتجارة من تجارتهم ، فندب رسول الله المسلمين اليهم وقال : هذه عير قريش ؛ فيها اموالهم فاخرجوا اليها لعل الله ينفلكموها. فانتدب الناس فخف بعضهم وثقل بعض ؛ وذلك انهم لم يظنوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى حربا ، وكان ابو سفيان حين دنا من الحجاز يتجسس الاخبار ويسال من لقي من الركبان تخوفا عن امر الناس ، حتى اصاب خبرا من بعض الركبان ان محمدا قد استنفر اصحابه لك ولعيرك فحذر عند ذلك ، فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري ، فبعثه الى مكة وامره ان ياتي قريشا فيستنفرهم الى اموالهم .

فمضى ضمضم الى بطن الوادي بمكة ووقف على ظهر بعيره وقد جدع انفه وهو يصرخ ، يا معشر قريش ، اللطيمة ! اللطيمة ، اموالكم مع ابي سفيان قد عرض لها محمد في اصحابه ؛ الا ان تدركوها ! الغوث الغوث . فتجهز الناس سراعا وكانوا بين رجلين ، اما خارج ، واما باعث مكانه رجلا . وأوعبت قريش فلم يتخلف من اشرافها احد ، الا ان ابا لهب بن عبد المطلب قد تخلف وبعث

مكانه العاصي بن هشام بن المغيرة ، وكان قد لاط له بأربعة آلاف درهم كانت له عليه افلس بها ، فاستأجره بها على ان يجزي عنه بعثا ، فخرج عنه ، وكان امية بن خلف اجمع على القعود ، وكان شيخا جسيما جليلا ثقيلا ، فأتاه عقبة بن ابي معيط ، وهو جالس في المسجد بين ظهراني قومه بمجمرة يحملها فيها نار ، حتى وضعها بين يديه ، ثم قال يا ابا علي ! استجمر فأنما انت من النساء ؛ قال قبّحك الله وقبح ما جئت به ، ثم تجهز فخرج مع الناس .

ثم تحاجزت كنانة وقريش عند وقعة بدر ، فلما بلغ خبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم استشار الناس واخبرهم عن قريش ، فقام ابو بكر الصديق فقال واحسن . ثم قام عمر بن الخطاب فقال واحسن . ثم قام المقداد بن عمرو فقال يا رسول الله امض لما اراك الله فنحن والله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى « اذهب انت وربك فقاتلا أنا ها هنا قاعدون » . ولكن اذهب انت وربك فانا معكما مقاتلون . فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا الى برك الغماد لجالدنا معك من دونك حتى نبلغه . فقال رسول الله خيرا ودعا له به .

ثم قال (صلعم) اشيروا علي ايها الناس ـ وانما يريد الانصار ـ وكان يتخوف الا تكون الانصار ترى عليها نصره الا ممن دهمه بالمدينة من عدوه ، وان ليس عليهم ان يسير بهم الى عدو من بلادهم ، فقال سعد بن معاذ ، والله لكأنك تريدنا يا رسول الله ، قال اجل . قال فقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامض يا رسول الله لما اردت فنحن معك ، فوالذي بعثك بالحق ، لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره ان تلقي بنا عدونا غداً ، انا لصبُر في الحرب صُدق في اللقاء لعل الله يريك منا ما تَقَرّ به عينك ، فسر بنا على بركة الله . فسرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول سعد ونشّطه ذلك ، ثم قال سيروا وابشروا ، فان الله قد وعدني احدى الطائفتين ، والله لكأني الآن انظر الى مصارع القوم .

ثم ارتحل رسول الله من ذفران حتى نزل قريبا من بدر ، فركب هو ورجل من اصحابه ، وكان ابا بكر الصديق ، حتى وقف على شيخ من العرب ، فسأله عن قريش وعن محمد واصحابه وما بلغه عنهم . فقال الشيخ لا اخبركما حتى تخبراني من انتما ، فقال رسول الله اذا اخبرتنا اخبرناك . قال او ذاك بذاك ، قال نعم . قال الشيخ : فانه بلغني ان محمدا واصحابه خرجوا يوم كذا وكذا للمكان الذي فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ، وقد علمت ان قريشا خرجوا من مكة يوم كذا ، فان كان الذي اخبرني قد صدق فانهم في مكان كذا الى المكان الذي فيه قريش . فلما فرغ من خبره قال من انتما ؟ فقال رسول الله نحن من ماء . ثم انصرف عنه . فقال الشيخ أمن ماء العراق ؟

ثم رجع الرسول الى اصحابه . فلما امسى بعث عليا بن ابي طالب والزبير بن العوام وسعد بن ابي وقاص في نفر من اصحابه الى ماء بدر يلتمسون الخبر له ، فأصابوا راوية لقريش فيها اسلم غلام بني الحجاج ، وعريض ابو يسار غلام بني العاص بن سعيد ، فأتوا بهما وسألوهما ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي . فقالا نحن سقاة قريش بعثونا نسقيهم من الماء . فكره القوم خبرهما ورجوا ان يكونا لأبي سفيان فضربوهما ، فلما أذلقوهما قالا نحن لابي سفيان ، فتركوهما وركع رسول الله وسجد سجدتيه ثم سلّم وقال : اذا صَدَقاكم ضربتموهما ، واذا كذباكم تركتموهما ، صدقا والله انهما لقريش . أخبراني عن قريش . قالا : هم والله وراء هذا الكثيب الذي ترى بالعدوة القصوى . فقال لهما رسول الله (صلعم) كم القوم ؟ قالا كثير . قال ما عدتهم ؟ قالا لا ندري . قال كم ينحرون كل يوم ؟ قالا يوما تسعا ويوما عشرا . فقال (صلعم) القوم فيما بين التسعماية والالف . ثم قال لهما فمن فيهم من اشراف قريش ؟ قالا عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وابو البختري بن هشام ، وحكيم ابن حزام ونوفل بن خويلد ، والحارث بن عامر بن نوفل ، وطعيمة ابن عدي بن نوفل ، والنضر بن الحارث ، وزمعة بن الاسود ، وابو جهل بن هشام ، وامية بن خلف ، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج ، وسهيل

بن عمرو ، وعمرو بن عبد ود . فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس فقال : « هذه مكة قد القت اليكم افلاذ كبدها» .
اما ابو سفيان ابن حرب فتقدم العير حذرا حتى ورد الماء ، فقال لمجدي بن عمرو : هل احسست احدا ؟ فقال ما رأيت احدا نكره الا اني رأيت راكبين قد اناخا الى هذا التل ثم استقيا في شن لهما ثم انطلقا . فأتى ابو سفيان مناخهما ، فأخذ من ابعار بعيريهما ففته فاذا فيه النوى ، فقال والله هذه علائف يثرب ، فرجع الى اصحابه سريعا فصرف وجه عيره عن الطريق فارتحل بها وترك بدرا بيسار . ولما رأى انه احرز عيره ، ارسل الى قريش انكم انما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم واموالكم ، فقد نجاها الله فارجعوا . فقال ابو جهل ابن هشام والله لا نرجع حتى نرد بدرا فنقيم عليها ثلاثا ، فننحر الجزر ، ونطعم الطعام ، ونسقى الخمر، وتعزف علينا القيان، وتسمع بنا العرب بمسيرنا وجمعنا ، فلا يزالون يهابوننا ابدا بعدها .. فامضوا .
اما الاخنس الثقفي حليف بني زهرة ، وكانوا بالجحفة ، فقال لهم ان الله نجى لكم اموالكم وخلّص لكم صاحبكم مخرمة بن نوفل ، وانما نفرتم لتمنعوه وماله ، فاجعلوا بي جبنها وارجعوا ، فانه لا حاجة اليكم بأن تخرجوا في غير ضيعة ، لا ما يقول هذا ، يعني ابا جهل ، فرجعوا ولم يشهدها زهري ؛ ثم انه لم يكن بقي من قريش بطن الا وقد نفر منه ناس الا بني عدي بن كعب ، فلم يخرج منهم رجل واحد . وكان بين طالب بن ابي طالب وبين بعض قريش محاورة . فقالوا والله لقد عرفنا يا بني هاشم وان خرجتم معنا ان هواكم لمع محمد ، فرجع طالب الى مكة مع من رجع .
ثم مضت قريش حتى نزلوا بالعدوة القصوى بين بدر وبين العقنقل ، وبعث الله السماء وكان الوادي دهسا فأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منها ماء لبّد الارض ولم يمنعهم عن السير ، واصاب قريشا منها ماء لم يقدروا على ان يرتحلوا معه . فخرج رسول الله يبادرهم الماء ، حتى اذا جاء ادنى ماء من بدر نزل به ، فقال له الخباب بن المنذر بن الجموح يا رسول الله : أرايت هذا

المنزل امنزلا انزلكه الله ليس لنا ان نتقدمه ولا نتأخر عنه ، ام هو الراي والحرب والمكيدة ؟ قال بل هو الراي والحرب والمكيدة . قال يا رسول الله فان هذا ليس بمنزل ، فانهض بالناس حتى نأتي ادنى ماء من القوم ننزله ثم نغوّر ما وراءه من القلب ، ثم نبني عليه حوضا فنملأه ماء ، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون .

فقال رسول الله (صلعم) لقد اشرت بالراي ، فنهض رسول الله ومن معه من الناس ، فسار حتى اذا اتى ادنى ماء من القوم نزل عليه ثم امر بالقلب ففوّرت وبنى حوضا على القليب الذي نزل عليه فملىء ماء ثم قذفوا فيه الآنية ، ثم قال سعد بن معاذ رضي الله تعالى عنه يا نبي الله الا نبني لك عريشا تكون فيه ونعد عندك ركائبك ثم نلقى عدونا فان اعزنا الله واظهرنا على عدونا كان ما احببنا ، وان كانت الاخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا من قومنا فقد تخلف عنك اقوام يا نبي الله ما نحن بأشد لك حبا منهم ، ولو ظنوا انك تلقى حربا ما تخلفوا عنك ليمنعك الله بهم ؛ يناصحونك ويجاهدون معك ؛ فأثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه خيرا ودعا له بخير وبني لرسول الله عريش فكان فيه .

اما قريش فارتحلت حين اصبحت ، فلما رآها رسول الله تصوّب من العقنقل ، قال اللهم هذه قريش قد اقبلت بخيلائها وفخرها تحادّك وتكذب رسولك ، اللهم فنصرك الذي وعدتني ، اللهم احنهم(١) الغداة . فلما نزل الناس اقبل نفر من قريش حتى وردوا حوض الرسول صلى الله عليه وسلم فيهم حكيم بن حزام ، قال رسول الله دعوهم ، فما شرب منه يومئذ رجل الا قتل ، الا ما كان من حكيم بن حزام فانه لم يقتل ثم اسلم بعد ذلك فحسن اسلامه .

ولما اطمأنت قريش بعثوا عمير بن وهب الجمحي ، فقالوا احزر لنا اصحاب محمد ، فاستجال بفرسه حول العسكر ، ثم رجع اليهم فقال ثلاثماية رجل يزيدون قليلا او ينقصون ؛ ولكن امهلوني حتى

---

(١) اي اهلكهم .

انظر القوم كمين او مدد ؟ فضرب في الوادي حتى ابعد ، فلم ير شيئا ، فرجع اليهم فقال ما وجدت شيئا ، ولكني قد رايت يا معشر قريش البلايا تحمل المنايا ، نواضح يثرب تحمل الموت الناقع ؛ قوم ليس معهم منعة ولا ملجأ الا سيوفهم ، والله ما ارى ان يقتل رجل منهم حتى يقتل رجلا منكم ، فاذا اصابوا منكم اعدادهم فما خير العيش بعد ذلك ؛ فرَوا رأيكم .

فلما سمع حكيم بن حزام ذلك مشى في الناس فاتى عتبة بن ربيعة فقال يا ابا الوليد ، انك كبير قريش وسيدها المطاع فيها ، الا تريد ان تذكر فيها بخير الى آخر الدهر ؟ قال وما ذاك يا حكيم ؟ قال ترجع بالناس وتحمل امر حليفك عمرو بن الحضرمي ؛ قال قد فعلت ؛ انت علي بذلك (أي كفيل) انما هو حليفي فعليّ عقله (اي الدية) وما اصيب من ماله . فأت ابن الحنظلية ، يعني ابا جهل (وكانت امه من حنظلة) فاني لا اخشى ان يشجر امر الناس غيره .

ثم قام عتبة بن ربيعة خطيبا فقال : يا معشر قريش ، انكم والله ما تصنعون بأ ن تلقوا محمدا واصحابه شيئا ، والله لئن اصبتموهم لا يزال الرجل منكم ينظر في وجه رجل يكره النظر اليه ، قتل ابن عمه او ابن خاله او رجلا من عشيرته ؛ فارجعوا وخلوا بين محمد وسائر العرب . فان اصابوه فذاك الذي اردتم ، وان كان غير ذلك الفاكم ولم تعرضوا منه ما تريدون .

فانطلق حكيم حتى اتى ابا جهل ، فقال الم يجد رسولا غيرك ، قد انتفخ سحر عتبة حين رأى محمدا واصحابه اكلة جزور وما بعتبة من بأس ، ولكنه تخوّفكم على ابنه ابي حذيفة ، ثم قال لعمرو ابن الحضرمي : هذا حليفك يريد الانصراف بالناس فقم فانشد خفرتك ودمك ، فقال ابن الحضرمي : قد خلعت حلفي من بني عبد شمس وقلدته بني مخزوم ، ثم قام فتكشف فصرخ واعمراه ! فأفسد على عتبة الراي فحميت الحرب . ولما بلغ عتبة قول ابي جهل انتفخ سحره ، قال سيعلم مصفّر استه من انتفخ سحره ، انا ام هو ، ثم التمس عتبة بيضة ليدخلها في راسه فما وجد في الجيش بيضة تسعه من عظم هامته ، فلما رأى ذلك اعتجز ببرود له ،

وخرج الاسود بن عبد الاسد المخزومي ، وكان رجلا شرسا سيء الخلق فقال : اعاهد الله لأشربن من حوضهم او لاهدمنه او لاموتن دونه .

فلما اقبل خرج اليه حمزة بن عبد المطلب ــ رضي الله تعالى عنه ــ فلما التقيا ضربه حمزة فأطنّ قدمه بنصف ساقه وهو دون الحوض ، فوقع على ظهره تشخب رجله دما ، ثم جاء الى الحوض حتى اقتحم فيه يريد ان تبر يمينه ، واتبعه حمزة فضربه حتى قتله في الحوض ، ثم خرج بعده عتبة بن ربيعة وابن اخيه شيبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة ، حتى اذا فصلوا من الصف دعوا الى المبارزة ، فخرج اليهم فتية من الانصار ، ثلاثة معهم عبد الله بن رواحة ، فقالوا من انتم ؟ فقالوا رهط من الأنصار ، قالوا ما لنا بكم من حاجة، ثم نادى مناديهم يا محمد اخرج الينا اكفاءنا من قومنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قم يا عبيدة بن الحارث ، قم يا حمزة ، قم يا علي .

فلما قاموا ودنوا منهم قالوا من انتم ؟ فانتسبوا ، قالوا : نعم أكفاء كرام . فبارز عبيدة ، وكان اسن القوم ، عتبة بن ربيعة . وبارز حمزة شيبة بن ربيعة ، وبارز علي بن الوليد عتبة ، فأما حمزة فلم يمهل شيبة أن قتله . واما علي فلم يمهل الوليد ان قتله . واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين ، كلاهما اثبت صاحبه ، وكرّ حمزة وعلي باسيافهما على عتبة فذففا عليه ، واحتملا صاحبهما فحازاه الى اصحابه ، ثم تزاحف الناس ودنا بعضهم من بعض ، وامر رسول اللهصلى الله عليه وسلم اصحابه ان لا يحملوا حتى يأمرهم ؛ وقال ان اكتنفكم الفوم فانضحوهم عنكم بالنبل. ثم عدّل صفوف اصحابه وفي يده قدح يعدّل به الصفوف . فمر بسوّاد بن غزّية حليف بني عدي بن النجار وهو مستنتل من الصف ، فطعن في بطنه بالقدح وقال : استو يا سوّاد . فقال يارسول الله اوجعتني وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقدني . قال . فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه وقال استقد . قال فاعتنقه فقبّل بطنه ، قال ما حملك على هذا يا سوّاد ؟ قال يارسول الله قد حضر ما ترى

فأردت ان يكون آخر العهد بك ان يمس جلدي جلدك فدعا له رسول الله بخير وقال له خيرا .

ثم خرج الى العريش فدخله ومعه فيه ابو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ ليس معه فيه غيره ورسول الله صلى الله عليه وسلم يناشد ربه ما وعده من النصر ويقول : اللهم ان تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد . وابو بكر يقول : يا نبي الله مناشدتك ربك ، فان الله منجز لك ما وعدك . ثم رمي مهجع مولى عمر بن الخطاب بسهم فقتل ، فكان اول قتيل من المسلمين رحمه الله . ثم رمي حارثة بن سراقة ، احد بني عدي بن النجار ، وهو يشرب من الحوض بسهم فأصاب نحره فقتل ـ رحمه الله تعالى ـ ثم خرج رسول الله الى الناس فحرضهم وقال : والذي نفس محمد بيده لايقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر الا ادخله الله الجنة . فقال عمير بن الحمام أخو بني سلمة ، وفي يده تمرات يأكلهن بخ‌بخ!! انما بيني وبين ان ادخل الجنة إلا ان يقتلني هؤلاء ، ثم قذف التمرات من يده ، واخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل رحمه الله . ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حفنة من الحصباء فاستقبل قريشا بها . ثم قال شاهت الوجوه . ثم نضحهم بها ، وامر اصحابه فقال : شدوا . فكانت الهزيمة .

فقتل الله تعالى من قتل من صناديد قريش ، واسر من اسر من اشرافهم . فلما وضع القوم ايديهم يأسرون رسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش ، وسعد بن معاذ قائم على باب العريش الذي فيه رسول الله متوشحا السيف في نفر من الانصار يحرسون رسول الله صلى الله عليه وسلم يخافون كرة العدو ، ورأى رسول الله في وجه سعد بن معاذ اكراهية لما يصنع الناس فقال له : والله لكأنك يا سعد تكره ما يصنع القوم ؛ قال اجل والله يا رسول الله ، كانت اول وقعة اوقعها الله بأهل الشرك فكان الاثخان في القتل بأهل الشرك أحب الي من استبقاء الرجال .

ثم قال النبي (صلعم) لأصحابه يومئذ اني قد عرفت رجالا من بني هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرها لا حاجة لهم بقتال ، فمن

لقي منكم من بني هاشم احداً فلا يقتله ، ومن لقي العباس بن عبد المطلب فلا يقتله ، فانه أخرج مستكرها . فقال ابو حذيفة . انقتل آباءنا وابناءنا واخواننا وعشيرتنا ونترك العباس !! والله لئن لقيته لألحمنّه السيف . فبلغت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لعمر بن الخطاب يا ابا جفص ــ قال عمر والله انه لاول يوم كناني فيه رسول الله بأبي حفص ــ «أيضرب وجه عم رسول الله بالسيف» فقال عمر يا رسول الله دعني فلأضرب عنقه بالسيف ، فوالله لقد نافق فكان ابو حذيفة يقول ما انا بآمن من تلك الكلمة التي قلت يومئذ ولا ازال منها خائفا الا ان تكفّرها عني الشهادة فقتل يوم اليمامة .

وانما نهى رسول الله (صلعم) عن قتل ابي البختري لانه كان أكفّ القوم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة ، وكان لا يؤذيه ولا يبلغه عنه شيء يكرهه . وكان ممن قام في نقض الصحيفة ، فلقيه المجذّر بن عمرو البلوي وقال له : قد نهانا رسول الله (صلعم) عن قتلك . وكان مع ابي البختري زميل له قد خرج معه من مكة قال وزميلي . فقال له المجذّر لا والله ما نحن بتاركي زميلك ، ما امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الا بك وحدك . قال لا والله اذن لأموتن انا وهو جميعا ، لاتتحدث عني نساء مكة اني تركت زميلي حرصا على الحياة . فاقتتلا فقتله المجذر بن عمر ، ثم المجذر اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والذي بعثك بالحق لقد جهدت عليه ان يستأسر فآتيك به فأبى الا ان يقاتلني فقاتلته فقتلته .

وكان شعار اصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم يوم بدر (أحد ، أحد) اما ابو جهل فيممه معاذ بن عمرو بن الجموح ، فحمل عليه بضربة أطنّت قدمه بنصف ساقه ، فطاحت كالنواة من تحت مرضخة النوى . وضرب معاذا عكرمة بن ابي جهــل فطرح يده فتعلقت بجلدة من جنبه ، وكان يسحبها في القتال خلفه . فلما آذته وضع عليها قدمه وتمطى عليها حتى طرحها ، ثم مر به عبد الله بن مسعود ، فوضع رجله على عنق ابي جهل فقال : لقد ارتقيت مرتقى صعبا يا رويعي الغنم ، ثم احتز رأسه واخذه حتى القاه بين يدي

رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم امر رسول الله بالقتلى ان يلقوا بالقليب وقال لهم : « بئس عشيرة النبي كنتم لنبيكم . كذبتموني وصدقني الناس ، واخرجتموني وآواني الناس ، وقاتلتموني ونصرني الناس . هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا !! فاني قد وجدت ماوعدني ربي حقا » فقال المسلمون يا رسول الله اتنادي قوما قد جيّفوا ، قال ما انتم بأسمع لما اقول منهم ، ولكنهم لا يستطيعون ان يجيبوني .

المعجزات في بدر

حصلت في بدر معجزات نبوية مأثورة ، فمنها ان عكاشة بن محصن بن حرثان الاسدي قاتل بسيف حتى انقطع في يده ، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم جذلا من حطب ، فلما هزه عاد سيفا طويل القامة شديد المتن ابيض الحديدة ، فقاتل به حتى فتح الله على المسلمين وكان يسمى ذلك السيف العون . ثم لم يزل عند عكاشة يشهد به المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل في حرب الردة .

ومنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خفق خفقة وهو في العريش ثم انتبه فقال لابي بكر : اتاك نصر الله ، هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده على ثناياه النقع . ثم ما ظهر من الملائكة للناس وان سيماهم كانت عمائم بيضاء قد ارسلوها على ظهورهم ، الا جبريل فانه كانت عليه عمامة صفراء .

وما حدّث به رجل من بني غفار احد مشركي قريش قال : اقبلت انا وابن عم لي حتى اصعدنا في جبل يشرف بنا على بدر ونحن مشرفان ننتظر على من تكون الدبرة ، فننتهب مع من ينتهب . قال فبينا نحن في الجبل ، اذ دنت منا سحابة فسمعنا فيها حمحمة الخيل ، وسمعت قائلا يقول اقدم حيزوم ، اما ابن عمي فانكشف قناع قلبه فمات مكانه ، واما انا فكدت اهلك ثم تماسكت . ثم ما حدّث به عبد الله بن ابي بكر عن ابي اسيد بن مالك بن ربيعة وكان شهد بدرا . قال بعد ان ذهب بصره : لو كنت اليوم ببدر ومعي بصري لاريتكم الشعب الذي خرجت منه الملائكة لا اشك فيه ولا اتمارى .

وما حدّث بـه اسحق بن يسار عن ابي داوود المازني ــ وكان شهد بدرا ــ قال : انني لأتبع رجلا من المشركين يوم بدر لاضربه اذ وقع راسه قبل ان يصل اليه سيفي فعرفت انه قتله غيري. وقال ابن عباس ــ رضي اللهتعالى عنه ــ ولم تقاتل الملائكة في يوم سوى يوم بدر من الايام ، وكانوا يكونون فيما سواه من الايام عددا ومددا لا يضربون . وفي الجملة كان المشركون في بدر (٩٥٠) رجلا فيهم مائة فارس ، والنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه (٣١٣) رجلا منهم سبعون من المهاجرين والباقون من الانصار،ولم يكن معهم غير فرسين وسبعين جملا . وكان شهداء المسلمين في المعركة (١٤) رجلا ، ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار . وخسرت قريش سبعين رجلا . وفيهم من اشراف كل بطون قريش خصوصا بني امية وبني مخزوم وبني أسد . واسر منهم سبعون رجلا . ولما وقع من خلاف في الغنائم نزلت سورة الانفال . وهلك اكبر عدوّي الاسلامابو جهل فقد ذهب قتيلا ببدر وابو لهب مات كمدا في مكة .

غزوة احـد

ثم تأتي غزوة أحد بعد عام ، وقد جاءت قريش يقودها ابو سفيان بن حرب فالتقت قريش بالنبي صلى الله عليه وسلم فيجوار جبل أحد وكان القتال . وقد رتبهم رسول الله ووضع الرماة في الثنية من أحد ، واكد عليهم ان لا يتركوا مكانهم في حالتي الهزيمة او الغنيمة . ولما هزمت قريش واخذ المسلمون ينتهبون المعسكر ، ترك الرماة محلهم الا اميرهم فانه لم يبرح متمسكا بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما راى امير خيل قريش خلوّ المكان من الثنية ، كر مقتحما بخيله محلّ الرماة ، واصاب المسلمين في مؤخرتهم ، ورجع المسلمون يضرب بعضهم بعضا ؛ وكان ذلك اليوم يوم تمحيص وامتحان ، قتل فيه من المسلمين عدادَ من قُتل من المشركين يوم بدر ، وقتل حمزة بن عبد المطلب اسد الله واسد رسوله ، عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكانت التعبئة النبوية في الجيش النبوي وعدده سبعماية رجل على هذه الصورة : حيث جعل عكاشة بن محصن الاسدي على

الميمنة وابا سلمة بن عبد الاسد على الميسرة وابا عبيدة عامر بن الجراح وسعد بن ابي وقاص على المقدمة وهما فاتحا سوريا والعراق فيما بعد ، والمقداد بن عمرو على الساقة ، فجعل احدا خلف ظهره واستقبل المدينة وجعل عينين ــ وهو جبل على شفير قناة قبلي مشهد حمزة ــ عن يساره ، وكانت فيه ثغرة فأقام عليها خمسين رجلا من الرماة كما ذكر ؛ وامّر عليهم عبد الله بن جبير اخا بني عمرو بن عوف وهو معلم بثياب بيض ؛ فقال انضح الخيل عنا لا يأتوننا من خلفنا ان كانت لنا او علينا ؛ فاثبت في مكانك لا نؤتين من قِبَلك . وكان شعار رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد (أمت ! امت) وتعبّت قريش وهم ثلاثة آلاف ومعهم مائتا فرس ، فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد ، وعلى ميسرتها عكرمة ابن ابي جهل ، وامّروا على الخيل بمجموعها صفوان بن امية وعمرو ابن العاص ، وعلى الرماة عبد الله بن ربيعة وكانوا مائة رام ، ودفعوا اللواء الى طلحة بن ابي طلحة ، وكان معه يوم بدر ، وجعلوا شعارهم (يا لعزّى ، يا لهبل) . ثم صف المسلمون بأصل احد وصف المشركون بالسّبخة ، فسأل رسول الله (صلعم) عمن يحمل لواء المشركين ، قيل عبد الدار . قال نحن احق بالوفاء منهم . أين مصعب بن عمير ؟ فقال ها أنا ، قال : خذ اللواء ! فأخذه وكان يمشي أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاءت قريش على مصافها ومعهم النساء يضربن بالدفوف ويحرضن ويرتجزن ويقلن :

نحن بنات طارق نمشي على النمارق
مشي القطا النوازق
الدر في المخانق والمسك في المفارق
ان تقبلوا نعانق ونفرش النمارق
او تدبروا نفارق فراق غير وامق

بدء المعركة

ولما دنا الناس بعضهم من بعض قامت هند بنت عتبة في النسوة اللائي معها تحرض وتقول (ويها بني عبد الدار ، ويها حماة الادبار) ثم جاء ابو عامر الراهب في خمسين رجلا ونادى انا ابو عامر الراهب،

فقال المسلمون لا مرحبا بك ولا اهلا . فتراموا حتى ولى مـدبرا فاقتتل الناس حتى حميت الحرب ، وقاتل ابو دجانه سماك بن خرشة اخو بني ساعدة حتى امعن في الناس ، وقد كان رسول الله اخذ سيفا بيده وكان مكتوبا في احدى صفحتيه :

في الجبن عار وفي الاقـدام مكرمـة
والمرء بالجبـن لا ينجو من القـدر

وقال من يأخذ هذا السيف بحقه ؟ فطلبـه ناس فلم يعطهم اياه ، فقال ابو دجانة ما حقه يا رسول الله ؟ قال : ان تضرب به في العدو حتى ينحني فقال انا آخذه بحقه فأعطاه السيف . فأخـذه واهوى الى ساق خفه فأخرج منها عصابة حمراء وعصب بها رأسه ، وكان مكتوبا في احد طرفيها : «نصر من الله وفتح قريب» وفي طرفها الآخر «الجبانة في الحرب عار ومن فر لم ينج من النار» . وكان اذا اعتصب بها علم الناس انه سيقاتل .

فخرج وجعل يتبختر بين الصفين ، فقال رسول الله (صلعم) حين رآه يتبختر: والله انها لمشية يبغضها الله الا في مثل هذا الموطن . وقال الزبير بن العوام قد كنت طلبت السيف من الرسول فلم أعطَه، فاتبعت ابا دجانة لأنظر ما يفعل به فلما رأت الانصار عصابته قالت : اخرج ابو دجانة عصابة الموت فتقدم نحو المشركين يضربهم ويقول :

انـا الذي عـاهدني خليلي ونحن بالسفح لدى النخيل
ان لا اقوم الدهر في الكيّول أضرب بسيف الله والرسول

والكيّول بفتح الكاف وتشديد الياء مؤخر الصفوف ، فقاتل رضي الله عنه حتى انقطع في يده .

وكان ان انهزم المشركون شر هزيمة ، واخذ المسلمون يغتنمون فترك الرماة مراكزهم حبا بالغنيمة . الا ما كان من اميرهم عبد الله ابن جبير وعشرة معه وقد انبهم وذكرهم بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يصغوا . وكرت خيل قريش من الساقة فأراد الله لمن اراد من المؤمنين بالشهادة على رأسهم سيد الشهداء عم نبيـه حمزة بن عبد المطلب ، وكسرت يد علي بن ابي طالب رضي الله عنه ، وكان وقع النبي صلى الله عليه وسلم على شقته في حفرة من الحفر

التي احتفرها ابو عامر الراهب مكيدة للمسلمين ، فأصيبت رباعيته وكلمت شفته صلى الله عليه وسلم فكان يأخذ الدم فيرمي به الى السماء وهو يقول : اشتد غضب الله على من ادمى وجه رسوله . وكان يقول : اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون . ثم استند ومن معه الى المهراس من الجبل .

مقتل حمزة ابن عبدالمطلب

وكان من الفظائع التي وقعت في ذلك اليوم اعتداء هند بنت عتبة بن ربيعة على سيد الشهداء حمزة وبقرها بطنه واكلهـا من كبده . ثم كان ان كر الامام علي عليه السلام على المشركين مع كسر في يده ، وكان ذلك بعد ان فقد المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم وما اعتراهم من ارتباك ، فكشفهم عن مصافهم وقد باهى الله به الملائكة ؛ ثم توقف الطرفان عن القتال واستند النبي صلى الله عليه وسلم الى الجبل . ثم اقبل ابو سفيان مصعدا ونادى : افيكم محمد؟ فقال النبي (صلعم) دعوه . ثم قال : افيكم ابن ابي قحافة ؟ فقال النبي (صلعم) دعوه . ثم قال : افيكم ابن الخطاب؟ فقال النبي (صلعم) دعوه . فقال يا معشر قريش ! قد قتل هؤلاء ، ولو كان احد منهم حيا لأجاب . فقال عمر اخزاك الله يا عدو الله ، هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم حي سليم . ثم نادى (أعلُ هبل) فقال (صلعم) أجيبوه (الله اعلى واجل) . ثم نادى ابو سفيان ، لنا العزّى ، ولا عزّى لكم ؛ فقال (صلعم) اجيبوه ، الله مولانا ولا مولى لكم . فنادى ابو سفيان عمر ليحدثه ، فأذن له النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما جاءه قال: ستجدن مثلة في قتلاكم ما امرت بها ولا نهيت ولا كرهت. ثم رجع بقريش وقال : الوعد بيننا وبينكم في مثل هذا اليوم من العام القادم .

غزوة الخندق

لقد كانت غزوة الخندق في شوال سنة خمس في الارجح ، وسميت بالاحزاب لاجتماع طوائف المشركين على حرب المسلمين ، وهم قريش وغطفان ، واليهود ومن معهم . وأنزل الله تعالى في ذلك صدر سورة الاحزاب .

وكان من حديثها ان نفرا من اليهـود ، منهم سلام بن ابي الحقيق النضري ، وحيي بن اخطب النضري ، وكنانة بن الربيع بن ابي الحقيق النضري ، وهوذة بن قيس الوائلي ، وابو عمار الوائلي ، في نفر من بني النضير ، ونفر من بني وائـل ، وهم الذين حزّبوا الاحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قدموا مكة على قريش . فدعوهم الى حرب رسول‌الله صلى‌الله عليه وسلم ، وقالوا انا سنكون معكم حتى نستأصله . فقالت لهم قريش يا معشر يهود ، انكم اهل الكتاب الاول واهل العلم بما اصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد ، أفديننا خير ام دينه ؟ قالوا بل دينكم خير من دينه وانتم اولى بالحق منه . وهم الذين نزل فيهم قوله تعالى « الم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ، ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا . اولئك الذين لعنهم الله ، ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا » . فلما قال اليهود ذلك لقريش سرهم ونشطوا لما دعوهم اليه من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم . فاجتمعوا لذلك واتعدوا له .

ثم خرج اولئك النفر من اليهود حتى جاؤا غطفان من قيس عيلان فدعوهم الى حرب رسول الله واخبروهم انهم سيكونون معهم عليه ، وان قريشا قد تابعوهم على ذلك . فاجتمعت الاحزاب على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت مؤلفة من قريش ، وقائدها ابو سفيان بن حرب ، ومن غطفان ، وقائدها عيينة بن حصن ابن حذيفة بن بدر في بني فزارة ، ومن بني مرّة ، يقودها الحارث بن عوف بن ابي حارثة المرّي ، ومن اشجع ، يقودها مسعر بن رخيلة ابن نويرة بن طريف بن سمحة بن عبد الله بن هلال بن اشجع بن زيد ابن غطفان فيما تابعه من قومه اشجع . فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم وما اجمعوا له من الامر ، ضرب الخندق على المدينة ، فعمل فيه رسول الله ترغيبا للمسلمين في الأجر ، وعمل معه المسلمون فيه وكان الرسول (صلعم) وهو ينقل التراب يقول في جملة ما يقول :

ان الذين قـد بغوا علينـا   اذا ارادوا فتنـة ابينـا

ويرفع بها صوته ، ثم التفت الى عمار بن ياسر فقال له : بؤسى ابن سمية تقتلك الفئة الباغية .

وكان الذياشار على رسولالله صلى الله عليه وسلم بالخندق سلمان الفارسي وهو يومئذ حر ، فقد قال لـــه : كنا بفارس اذا حوصرنا خندقنا علينا ، وكان حفر الخندق في زمان عسرة ومجاعة. حتى ان الاصحاب كانوا يشدون الحجر على بطونهم من الجهـــد والضعف الذي بهم . ولما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرين والانصار يحفرون الخندق في غداة باردة وما بهم مـــن النصب ، وليس لهم عبيد يعملون ذلك قال : « اللهم لا خير الا خير الآخرة ، فبارك في الانصار والمهاجرة » فقالوا له :

نحن الــذين بــايعوا محمــدا على الجهاد مابقينا أبدا

المنــافقون

ولقد ابطأ عن رسول الله وعن المسلمين في عملهم رجــال من المنافقين وجعلوا يورّون بالضعف من العمل ويتسللون الى اهلهم بغير علم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا اذن . وجعل من المسلمين من اذا نابته النائبة من الحاجة التي لا بد منها يذكر لرسول الله ويستأذن في اللحوق لحاجته فيأذن له ، فاذا قضى حاجته رجع الى ما كان فيه من عمله رغبة في الخير واحتســـابا له . فأنزل الله تعالى فيهم : « انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ، واذا كانوا معه على امر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه . ان الذين يستأذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله » . ثم قال الله تعالى في الفريق الآخر من المنافقين « قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لِواذا فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم» . ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق اقبلت قريش حتى نزلت بمجمع الاسيال من رومة من الجرف وزغابة في عشرة آلاف من احابيشهم ومن تبعهم من كنانة واهل تهامـــة ، واقبلت غطفان ومن تبعهم من اهل نجد حتى نزلوا بذنب نقمي الى جانب أحد :

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى جعلوا

ظهورهم الى سلع في ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب هنالك معسكره والخندق بينه وبين القوم . واستعمل على المدينة ابن ام مكتوم . وامر بالذراري والنساء فجعلوا في الاطام . وقد مر ببعض تلك الحصون احد اليهود ، وجعل يطيف بالحصون ، وكان مع الذراري والنساء حسان بن ثابت ، فقالت صفية بنت عبد المطلب لحسان — وقد رات اليهودي المطيف بالحصن — انزل اليه يا حسان فاقتله ، فقال : يغفر الله لك يا بنت عبد المطلب ، ما انا بصاحب هـذا ، فاعتجرت صفية واخـذت عمودا ثم نزلت من الحصن ، فضربت اليهودي بالعمود فقتلته . فلما فرغت منه رجعت الى الحصن ، وقالت لحسان ، انزل اسلبه ، فقال : ما لي في سلبه من حاجة .

المؤامرة

اما ما كان من امر عدو الله حيي بن اخطب ، فانه خرج حتى اتى كعب بن اسد القرظي — صاحب عقد بني قريظة وعهدهم — وكان قد وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعاقده على ذلك وعاهده . فلما سمع بحيي بن اخطب اغلق دونـه باب حصنه ؛ فاستأذن عليه فأبى ان يفتح له ؛ وقال له : انك امرؤ مشؤوم ، واني قد عاهدت محمدا ، فلست بناقض ما بيني وبينه ولم ار منه الا وفاء وصدقا . ولكن حييا لم يرجع حتى فتح له كعب فدخل . ثم قال لكعب جئتك بعز الدهر وبحر طام ، جئتك بقريش على قادتها وسادتها حتى انزلتهم بمجتمع الاسيال بين رومة وزغابة ؛ وبغطفان على قادتها وسادتها حتى انزلتهم بذنب نقمي الى جانب احد ، قد عاهدوني وعاقدوني على ان لا يبرحوا حتى نستأصل محمدا ومن معه . فقال له كعب جئتني والله بذل الدهر ، وبجهام هريق ماؤه فهو يرعد ويبرق وليس فيه شيء ؛ ويحك يا حيي ! دعني وما انا عليه ، فاني لم ار من محمد الا صدقا ووفاء .

فلم يزل حيي بكعب يفتله بالذروة والغارب ، حتى سمح له على ان اعطاه عهداً وميثاقا ، لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمدا ان ادخل معك في حصنك حتى يصيبني ما اصابك . فنقض كعب عهده وبرىء مما كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما انتهى الى رسول الله الخبر والى المسلمين ، بعث الرسول صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ سيد الاوس ، وسعد بن عبادة سيد الخزرج ، ومعهما عبد الله بن رواحة وخوّات بن جبير ، فقال انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم ام لا؛ فان كان حقا فالحنوا لي لحنا اعرفه . ولا تفتّوا في أعضاد الناس ؛ وان كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس . فخرجوا حتى اتوهم فوجدوهم على اخبث ما بلغهم عنهم ، فشاتمهم سعد وشاتموه ، وكان رجلا فيه حدّة ؛ فقال سعد بن عبادة : دع عنك مشاتمتهم ، فما بيننا وبينهم اربى من المشاتمة .

ثم رجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلموا عليه فقالوا «عضل والقارة» أي كغدر عضل والقارة بخبيب واصحابه . فقال رسول الله : الله اكبر ؛ ابشروا يا معشر المسلمين . وعظم البلاء عند ذلك واشتد الخوف ، واتاهم عدوهم من فوقهم ومن اسفل منهم ، حتى ظن المؤمنون كل ظن ، ونجم النفاق من بعض المنافقين حتى قال بعضهم ، كان محمد يعدنا ان نأكل كنوز كسرى وقيصر ، وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه ان يذهب الى الغائط . فغبرت بضع وعشرون ليلة لم يكن فيها حرب غير الرمي بالنبل والحصار ، حتى اشتد على الناس البلاء . ففكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بصلح منفرد مع عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر ، ومع الحارث بن عوف بن ابي الحارث المرّي ، وهما قائدا غطفان . فلما استشار سعد بن معاذ وسعد بن عبادة وذكر لهما انه يصنع ذلك لهم ، لأنه رأى العرب قد رمت المسلمين عن قوس واحدة ، وكالبوهم من كل جانب ، وانه اراد ان يكسر عن المسلمين شوكتهم الى امد ما ؛ قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم اننا لا نعطيهم الا السيف . فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون وعدوهم محاصرهم ، ولم يكن بينهم قتال سوى ما كان من فوارس من قريش، تلبسوا للقتال وخرجوا على خيلهم تعنق بهم ، حتى وقفوا على الخندق . فلما رأوه قالوا والله ان هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها .

ثم تيمموا مكانا ضيقا من الخندق . فضربوا خيولهم فاقتحمت منه ؛ فجالت بهم في السبخة بين الخندق وسلع ، وخرج علي بن ابي طالب — عليه السلام — في نفر من المسلمين معه ، حتى اخذوا عليهم الثغرة ؛ فخرج عمرو بن عبد ود معلما ليرى مكانه ، وقال : من يبارز ؟ فبرز له علي بن ابي طالب ، فقال له يا عمرو : انك كنت قد عاهدت الله لا يدعوك رجل من قريش الى احدى خلتين الا اخذت احداهما منه . قال : اجل . قال علي : فاني ادعوك الى الله والى رسوله والى الاسلام . قال : لا حاجة لي بذلك . قال : فانني ادعوك الى النزال . يا ابن اخي فوالله ما احب ان اقتلك . قال له علي ولكني والله احب ان اقتلك . فحمي عمرو عند ذلك فاقتحم عن فرسه فعقره وضرب وجهه . ثم اقبل على علي فتنازلا وتجاولا فقتله علي — رضي الله عنه وكرم وجهه — وخرجت خيل المشركين منهزمة .

ولبث المسلمون فيما وصف الله من الشدة لتظاهر عدوهم عليهم ، واتيانهم اياهم من فوقهم ومن اسفل منهم . فقد شرع المسلمون في القتال من جميع جوانب الخندق ، فقاتلوا سائر اليوم ، حتى فاتتهم صلاة الظهر والعصر والمغرب . وبعد ذلك امر رسول الله (صلعم) بالاقامة لكل صلاة وقضوها ، واصيب سعد بن معاذ بسهم على اكحله فحسمه النبي صلى الله عليه وسلم ؛ ومن حديث سلمان انه قال : اني ضربت في ناحية من الخندق فغلظت عليّ صخرة ورسول الله صلى الله عليه وسلم قريب منها ، فلما رآني اضرب ورأى شدة المكان علي ، نزل فأخذ المعول من يدي فضرب به ضربة لمعت تحت المعول برقة . قال : ثم ضرب به ضربة اخرى فلمعت تحته برقة اخرى . قال : ثم ضرب به ضربة اخرى فلمعت تحته برقة ثالثة . ثم قال : قلت بأبي انت وامي يا رسول الله ، ما هذا الذي رايت لمع تحت المعول وانت تضرب ؟ قال : او قد رايت ذلك يا سلمان ؟ قال : قلت نعم ، قال : اما الاولى فان الله فتح علي بها اليمن ، واما الثانية ، فان الله فتح علي بها الشام والمغرب ؛ واما الثالثة ، فان الله فتح علي بها المشرق . وكان ابو هريرة يقول حين فتحت هذه الامصار في زمان عمر وزمان عثمان وما بعده ، افتتحوا

مابدا لكم ؛ فوالذي نفس ابي هريرة بيده ما افتتحتم من مدينة ولا تفتحونها الى يوم القيامة الا وقد اعطى الله سبحانه محمدا صلى الله عليه وسلم مفاتيحها قبل ذلك .

ثم حدث بعد ذلك ان نعيم بن مسعود بن عامر بن انيف بن ثعلبة بن قنفذ بن هلال بن خلاد بن اشجع بن ريث بن غطفان اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، اني قد اسلمت ، وان قومي لم يعلموا باسلامي فمرني بما شئت ! فقال رسول الله (صلعم) ، انما انت فينا رجل واحد فخذّل عنا اذا استطعت ، فان الحرب خدعة . فخرج نعيم بن مسعود حتى اتى بني قريظة ، وكان لهم نديما في الجاهلية ، فقال : يا بني قريظة قد عرفتم ودي اياكم ، وخاصة ما بيني وبينكم ؛ قالوا : صدقت . فقال لهم : ان قريشا وغطفان ليسوا كأنتم ، البلد بلدكم ، فيه اموالكم وابناؤكم ونساؤكم ، لا تقدرون على ان تحولوا عنه الى غيره ، وان قريشا وغطفان جاؤا لحرب محمد واصحابه وقد ظاهرتموهم ، وبلدهم واموالهم ونساؤهم بغيره فليسوا كأنتم ، فان رأوا نهزة اصابوها ، وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ، ولا طاقة لكم به ان خلا بكم ، فلا تقاتلوه مع القوم ، حتى تأخذوا منهم رهنا من اشرافهم يكونون بأيديكم ، ثقة لكم على ان تقاتلوا معهم محمدا حتى تناجزوه ، فقالوا لقد اشرت بالرأي .

ثم خرج حتى اتى قريشا فقال لأبي سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش : قد عرفتم ودّي لكم وفراقي محمدا ، وانه قد بلغني امر قد رايت علي حقا ان ابلغكموه نصحا لكم فاكتموا عني . قالوا نفعل . قال : تعلمون ان معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد ، وقد ارسلوا اليه انا قد ندمنا على ما فعلنا ، فهل يرضيك عنا ان نأخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان رجالا من اشرافهم فنعطيكهم فتضرب اعناقهم ثم نكون معك على من بقي منهم حتى نستأصلهم ؟ فأرسل اليهم أن نعم . فان بعثت اليكم يهود يلتمسون منكم رهنا من رجالكم فلا تدفعوا اليهم منكم رجلا واحدا .

ثم خرج حتى اتى غطفان فقال : يا معشر غطفان ، انكم اصلي

وعشيرتي وأحب الناس الي ، ولا اراكم تتهموني ، قالوا : صدقت ، ما انت عندنا بمتهم ؛ قال فاكتموا عني ، قالوا نفعل ؛ فما امرك ؟ ثم قال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم ما حذرهم .

فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس ، وكان من صنع الله لرسوله صلى الله عليه وسلم ان ارسل ابو سفيان بن حرب ورؤوس غطفان الى بني قريظة ، عكرمة بن ابي جهل في نفر من قريش وغطفان ، فقالوا لهم : انا لسنا بدار مقام ، قد هلك الخف والحافر ، فاغدوا للقتال حتى نناجز محمدا ونفرغ مما بيننا وبينه . فأرسلوا اليهم ان اليوم يوم السبت لا نعمل فيه شيئا ، وقد كان احدث فيه بعضنا حدثا فأصابه ما لم يخف عليكم ؛ ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم محمدا حتى تعطونا رهنا من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمدا ، فاننا نخشى ان ضرّستكم الحرب واشتد عليكم القتال ان تنشمروا الى بلادكم وتتركونا ، والرجل في بلدنا ولا طاقة لنا بذلك منه . فلما رجعت اليهم الرسل بما قالت بنو قريظة ، قالت قريش وغطفان : والله ان الذي حدثكم نعيم بن مسعود لحق . فأرسلوا الى بني قريظة : انا والله لا ندفع اليكم رجلا واحدا من رجالنا ، فان كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا . فقالت بنو قريظة حين انتهت اليهم الرسل بهذا ، ان الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق ؛ ما يريد القوم الا ان تقاتلوا ؛ فان رأوا فرصة انتهزوها ، وان كان غير ذلك انشمروا الى بلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل في بلدكم .

فأرسلوا الى قريش وغطفان : انا والله لا نقاتل معكم محمدا حتى تعطونا رهنا ؛ فأبوا عليهم ، وخذل الله بينهم ، وبعث عليهم الريح في ليال شاتية باردة ، فجعلت تكفأ قدورهم ، وتطرح ابنيتهم . فلما انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اختلف من امرهم وما فرق الله من جماعتهم ؛ دعا حذيفة بن اليمان فبعثه اليهم لينظر ما فعل القوم ليلا . فذهب فدخل في القوم والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل لا تقر لهم قدر ولا نار ولا بناء . فقام ابو سفيان فقال : يا معشر قريش لينظر كل امرىء من جليسه ، قال حذيفة : فأخذت

بيد الرجل الذي كان الى جنبي فقلت من انت ؟ فقال فلان بن فلان .
قال ابو سفيان يا معشر قريش : انكم والله ما اصبحتم بدار مقام ،
لقد هلك الكراع والخف ، واخلفتنا بنو قريظة ، وبلغنا عنهم الذي
نكره ، ولقينا من شدة الريح ما ترون ؛ ما تطمئن لنا قدر ولا تقوم
لنا نار ولا يستمسك لنا بناء ، فارتحلوا فاني مرتحل . ثم قام الى
جمله وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب به على ثلاث ، فوالله
ما اطلق عقاله الا وهو قائم .

فرجع حذيفة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم
يصلي في مرط لبعض نسائه فيه مراجل ــ ضرب من وشي اليمن ــ
فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم ادخله الى رجليه وطرح
عليه طرف المرط ، ثم ركع وسجد فلما سلم اخبره حذيفة بالخبر .
ثم ان غطفان سمعت بما فعلت قريش فانشمروا الى بلادهم راجعين.
وكان شعار اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق
وبني قريظة (حم لا ينصرون) ولما اصبح رسول الله صلى الله عليه
وسلم انصرف عن الخندق راجعا الى المدينة والمسلمين ووضعوا
السلاح .

غزوة بني قريظة

رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة من غزوة
الخندق يوم الاربعاء لسبع ليال بقين من ذي القعدة . فلما كان الظهر
اتاه جبريل فقال له غفر الله لك قد وضعت السلاح ؟ قال فلم ؟
قال جبريل ما وضعت الملائكة السلاح بعد ، وما رجعت الآن الا من
طلب القوم . ان الله عز وجــل يأمرك يا محمد بالمسير الى بني
قريظة ، فاني عامد اليهم فمزلزل بهم . فأمر رسول الله صلى الله
عليه وسلم مؤذنا فأذن في الناس : « من كان سامعا مطيعا فــلا
يصلين العصر الا ببني قريظة» . واستعمل على المدينة ابن ام مكتوم .
وقدّم رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب ــ رضوان
الله عليه ــ برايته الى بني قريظة وابتدرها الناس . فســار علي بن
ابي طالب حتى اذا دنا من الحصون سمع منها مقالة كرهها ، فرجع
حتى لقي رسول الله بالطريق . فقال يا رسول الله : لا عليك ان

لا تدنو من هؤلاء الاخابث . قال لم ؟ اظنك سمعت منهم لي أذى ، قال نعم يا رسول الله . قال لو قد راوني لما قالوا من ذلك شيئا .

فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم قال ياأخوان القردة والخنازير هل اخزاكم الله وانزل بكم نقمته . قالوا يا ابا القاسم ما كنت جهولا . فاحمر وجهه صلى الله عليه وسلم . ثم مر بنفر من اصحابه بالصورين قبل ان يصل الى بني قريظة . فقال هل مر بكم احد ؟ قالوا يا رسول الله قد مر بنا دحية بن خليفة الكلبي على بغلة بيضاء عليها رحالة عليها قطيفة ديباج . فقال رسول الله : ذلك جبريل ، بعث الى بني قريظة يزلزل بهم حصونهم ويقذف الرعب في قلوبهم . ولما اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بني قريظة نزل على بئر من آبارها من ناحية اموالهم ، وتلاحق به الناس . فأتى رجال منهم من بعد العشاء الآخرة ، ولم يصلّوا العصر لقول رسول الله (صلعم) لا يصلّين احد العصر الا ببني قريظة . فشغلهم ما لم يكن منه بد في حربهم وابوا ان يصلّوا لقول رسول الله (صلعم) ذلك ، ولذلك صلوا العصر بها بعد العشاء الآخرة؛ فما عابهم الله في كتابه ، ولا عنّفهم بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم . وحاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم بني قريظة خمسا وعشرين ليلة ، حتى جهدهم الحصار،وقذف الله في قلوبهم الرعب. وكان حيي بن اخطب دخل مع بني قريظة في حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغطفان وفاء لكعب بن اسد بما كان عاهده عليه .

ولما ايقن بنو قريظة ان رسول الله غير منصرف عنهم حتى يناجزهم . قال كعب بن اسد لهم يا معشر يهود : قد نزل بكم من الامر ما ترون ، اني عارض عليكم خلالا ثلاثا ، فخذوا ايها شئتم . قالوا وما هي ؟ قال : نتابع هذا الرجل ونصدقه ، فوالله لقد تبين لكم انه لنبي مرسل ، وانه الذي تجدونه في كتابكم ، فتأمنون على دمائكم واموالكم وابنائكم ونسائكم . قالوا لا نفارق حكم التوراة ابدا ولا نستبدل به غيره . قال : فاذا ابيتم معي هذه ، فهلمّ فلنقتل ابناءنا ونساءنا ، ثم نخرج الى محمد واصحابه رجالا مصلتين السيوف ، لم نترك وراءنا ثقلا ، حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ؛

فان نهلك نهلك ولم نترك وراءنا نسلا نخشى عليه ، وان نظهر فلعمري لنجدن النساء والابناء . قالوا نقتل هؤلاء المساكين، فما خير العيش بعدهم ؟ قال : فان ابيتم علي هذه فان الليلة ليلة السبت ، وانه عسى ان يكون محمد واصحابه قد امنوا فيها ، فانزلوا لعلنا نصيب من محمد واصحابه غرّة . قالوا : نفسد سبتنا علينا ، ونحدث فيه ما لم يحدث من كان قبلنا الا من علمت ، فأصابه ما لم يخف عليك من المسخ . قال : ما بات رجل منكم منذ ولدته امه ليلة واحدة من الدهر حازما .

ثم ان اليهود بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابعث الينا ابا لبابة بن عبد المنذر اخا بني عمرو بن عوف ـ وكانوا حلفاء الاوس ـ نستشيره في امرنا ، فأرسله صلى الله عليه وسلم اليهم . فلما رأوه قام اليه الرجال وجهش النساء والصبيان يبكون في وجهه ، فرقّ لهم . وقالوا يا ابا لبابة ، اترى ان ننزل على حكم محمد ؟ قال نعم ، واشار بيده الى حلقه انه الذبح ؛ قال ابو لبابة ، فوالله ما زالت قدماي من مكانهما حتى عرفت اني قد خنت الله ورسوله . ثم انطلق ابو لبابة على وجهه ولم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ارتبط في المسجد الى عمود من عمده ، وقال : لا ابرح من مكاني هذا حتى يتوب الله علي مما صنعت ، واعاهد الله ان لا أطأ بني قريظة ابدا ولا ارى في بلد خنت الله ورسوله فيه ابدا . فنزل فيه « يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا الله ورسوله وتخونوا اماناتكم وانتم تعلمون » .

فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره ـ وكان قد استبطأه ـ قال : اما انه لو كان جاءني لاستغفرت له فأما اذ قد فعل ما فعل فما انا بالذي اطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه . فأقام ابو لبابة ست ليال تأتيه امراته في كل وقت صلاة فتحله للصلاة . ثم يعود فيرتبط بالجذع حتى نزل فيه قوله تعالى : « وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا ، عسى ان يتوب الله عليهم ، ان الله غفور رحيم » . وقد بشّرته بذلك ام سلمة ـ رضي الله تعالى عنها ـ من باب حجرتها ، وذلك قبل ان يضرب عليهن

الحجاب . فثار الناس اليه ليطلقوه ، فقال لا والله ، حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يطلقني بيده . فلما مر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خارجـا الى صلاة الصبح أطلقه .

أما ما كان من امر بني قريظة فانهم لما اصبحوا نزلوا على حكم رسول الله . فتواثب الاوس فقالوا : يا رسول الله صلى الله عليك وسلم ، انهم كانوا موالينـا دون الخزرج ، وقد فعلت في موالي اخواننا بالامس ما قد علمت ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بني قريظة ، قد حاصر بني قينقاع،وكانوا حلفاء الخزرج، فنزلوا على حكمه ، فسأله اياهم عبد الله بن ابي سلول فوهبهم له فلما كلمته الاوس قال (صلعم) الا ترضون يا معشر الاوس ان يحكم فيهم رجل منكم ؟ قالوا بلى . قال فذلك الى سعد بن معاذ ، وكان جريحا في خيمة لامراة من اسلم يقال لها رفيدة تداوي الجرحى وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين . فأتى قوم سعد اليه فحملوه على حمار وطأوا له بوسادة من أدم ، وكان رجلا جسيما جليلا ، ثم اقبلوا معه الى رسول الله وهم يقولون : يا ابا عمرو احسن في مواليك ، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما ولاّك ذلك لتحسن فيهم . فلما اكثروا عليه قال لقد أنيَ لسعد ان لا تأخذه في الله لومة لائم . فرجع من كان معه من قومه الى دار بني عبد الاشهل ، فنعى لهم رجال بني قريظة . فقاموا اليه ، فلما انتهى سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين قال رسول الله : قوموا الى سيدكم . فأما المهاجرون من قريش فيقولون انما اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصار ، واما الانصار فيقولون قد عم بها الجميع .

ثم ان المسلمين قاموا الى سعد . فقالـوا يا ابا عمرو : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولاك امر مواليك لتحكم فيهم . فقال سعد بن معاذ : عليكم بذلك عهد الله وميثاقه ، ان الحكم فيهم لما حكمت به ، قالوا نعم . ثم التفت الى الناحية التي فيها رسول الله وهو معرض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اجلالا له فقال :

وعلى من في هذه الناحية ؟ فقال رسول الله نعم . قال فاني احكم فيهم ان تقتل الرجال ، وتقسم الاموال ، وتسبى الذراري والنساء. فقال رسول الله (صلعم) لسعد لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة ارقعة . ثم استنزل بني قريظة من حصونهم وحبسوا في دار بنت الحارث امرأة من بني النجار . ثم خرج صلى الله عليه وسلم الى سوق المدينة فخندق بها خنادق . ثم بعث اليهم فضرب اعناقهم في تلك الخنادق ، يخرج بهم اليه ارسالا ، وفيهم عدو الله حيي بن اخطب ، وكعب بن اسد رأس القوم . وكانوا ست مائة او سبعمائة ، والمكثر لهم يقول ثمانمائة . ولم يقتل من نسائهم الا امرأة واحدة لحدث احدثته .

ثم قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم اموال بني قريظة ونساءهم وابناءهم على المسلمين . ومن الحوادث الخليقة بالذكر ما وقع بين ثابت بن قيس بن شماس ، وبين الزبير بن باطا القرظي ــ وكان للزبير هذا يد على ثابت في الجاهلية ــ فاستوهب الرسول صلى الله عليه وسلم دمه ، فقال له رسول الله هو لك . فأتاه فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وهب لي دمك فهو لك . قال شيخ كبير لا أهل له ولا ولد فما يصنع بالحياة فأتى ثابت رسول الله فقال بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، هب لي امرأته وولده . قال هما لك . فأتاه فقال قد وهب لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أهلك وولدك فهم لك . قال أهل بيت بالحجاز لا مال لهم فما بقاؤهم على ذلك ؟ فأتى ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما له ! قال هو لك ، فأتاه ثابت فقال : قد أعطاني رسول الله مالك فهو لك . قال : أي ثابت ! ما فعل الذي كأن وجهه مرآة صينية يتراءى فيها عذارى الحي ، كعب بن أسد ؟ قال : قتل. قال : فما فعل سيد الحاضر والبادي حيي بن اخطب ؟ قال : قتل. قال فما فعل مقدمتنا اذا شددنا وحاميتنا اذا فررنا عزال بن سموال ؟ قال : قتل . قال : فما فعل المجلسان ؟ يعني بذلك بني كعب بن قريظة وبني عمرو بن قريظة قال : قتلوا . قال : فاني أسألك يا ثابت بيدي عندك الا ما الحقتني بالقوم ، فوالله ما بعد هؤلاء من

خير ، فما أنا بصابر لله فتلة دلو ناضح حتى القى الأحبة . فقدمه ثابت فضربت عنقه . فلما بلغ أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه قوله «القى الاحبة» قال يلقاهم والله في نار جهنم خالدا مخلدا .

غزوة خيبر

تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم لقتال خيبر في بقية المحرم سنة سبع ، واستعمل على المدينة نميلة بن عبدالله الليثي . ولما اشرف رسول الله على خيبر قال لأصحابه : قفوا ! ثم قال : « اللهم رب السموات وما اظللن ، ورب الارضين وما اقللن ، ورب الشياطين وما اضللن ، ورب الرياح وما اذرين ، فإنا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها ، ونعوذ بك من شرها وشر اهلها وشر ما فيها . أقدموا باسم الله » ولقد حدث أبو معتب بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول ذلك لكل قرية دخلها ، وكان حين خرج من المدينة سلك على عصر فبني له فيها مسجد ، ثم على الصهباء . ثم أقبل صلى الله عليه وسلم بجيشه حتى نزل بواد يقال له الرجيع ، فنزل بينهم وبين غطفان ليحول بينهم وبين أن يمدوا أهل خيبر ، وكانوا لهم مظاهرين على رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما سمعت غطفان بمنزل رسول الله من خيبر جمّعوا له . ثم خرجوا ليظاهروا يهود عليه . حتى اذا ساروا سمعوا خلفهم في اموالهم واهليهم حسا ، فظنوا أن القوم قد خالفوا اليهم . فرجعوا على أعقابهم فأقاموا في أموالهم واهليهم ، وخلوا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين خيبر .

ولما أصبح رسول الله استقبله عمال خيبر غادين قد خرجوا بمساحيهم ومكاتلهم . فلما رأوه صلى الله عليه وسلم والجيشَ ، قالوا محمد والخميس معه ، فادبروا هربا . فقال رسول الله : الله اكبر خربت خيبر . إنا اذا نزلنا بساحة قوم ، فساء صباح المنذرين . وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر الصديق ــ رضي الله تعالى عنه ــ برايته الى بعض حصون خيبر ، فقاتل . فرجع ولم يكن فتح ، وقد جهد . ثم بعث الغد عمر بن الخطاب فقاتل . ثم رجع ولم يكن فتح ، وقد جهد . فقال رسول الله

لأعطيـّن الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ، يفتح الله على يديه ، ليس بفرّار . فدعا عليا ـ رضوان الله عليه ـ وهو أرمد ، فتفل في عينيه ، ثم قال : خذ الراية ! وكانت بيضاء ، فامض بها حتى يفتح الله عليك . فخرج بها يهرول هرولة حتى ركزها في رضم من حجارة تحت الحصن ، فأطلع عليه يهودي من راس الحصن فقال من أنت ؟ قال علي بن أبي طالب . فقال اليهودي علوتم ، وما أنزل على موسى أو كما قال . ثم تناول عليّ عليه السلام بابا كان عندالحصن فتترس به عن نفسه ، فلم يزل وهو في يده وهو يقاتل ، حتى فتح الله تعالى عليه . ثم ألقاه من يده حين فرغ . قال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقد رأيتني في نفر سبعة أنا ثامنهم نجهد على أن نقلب ذلك الباب فما نقلبه .

ولقد حدّث كعب بن عمرو قال : والله إنا لمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر ذات عشية اذ اقبلت غنم لرجل من يهود تريد حصنهم ونحن محاصروهم ، فقال (صلعم) من يطعمنا من هذه الغنم؟ قال ابو اليسر : فقلت انا يا رسول الله ، قال فافعل . فخرجت اشتد مثل الظليم . فلما نظر الي رسول الله موليّا قال اللهم امتعنا به . قال فأدركت الغنم وقد دخلت أولاها الحصن . فأخذت شاتين من آخرها فاحتضنتهما تحت يدي ، ثم اقبلت بهما اشتد كأنه ليس معي شيء ، ثم القيتهما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فذبحوهما ، فأكلوهما . فكان ابو اليسر من آخر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وفاة ، فكان اذا حدث هذا الحديث بكى . ثم قال امتعوا لي لعمري ، حتى كنت من آخرهم هلكا .

ثم افتتحت الحصون حصنا حصنا وكان اول ما فتح حصن ناعم ، ثم القموص حصن بني ابي الحقيق . واصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم سبايا واتي بصفية ابنة حيي بن اخطب وبأخرى معها ، ومر بهما بلال ـ وهو الذي جاء بهما ـ على قتلى من قتلى يهود . فلما رأتهم التي مع صفية صاحت وصكت وجهها وحثت التراب على رأسها فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال اعزبوا عني هذه الشيطانة. وقال رسول الله لبلال حين راى بتلك اليهودية ما راى ، انزعت منك الرحمة يا بلال حتى تمر بامراتين على قتلى رجالهما ؟ وكانت صفية قد رات في المنام وهي عروس بكنانة ابن الربيع بن ابي الحقيق ، ان قمرا وقع في حجرها فعرضت رؤياها على زوجها ، فقال ما هذا الا انك تمنين ملك الحجاز محمدا ، فلطم وجهها لطمة اخضرت عينها منها .

ثم صالح رسول الله اهل خيبر على النصف في اموالهم ؛ وقد قالوا للمسلمين : نحن اعلم بها منكم واعمر لها ، على ان المسلمين اذا شاؤا ان يخرجوا اليهود منها اخرجوهم . وصالحه اهل فدك على مثل ذلك ، فكانت خيبر فيئا بين المسلمين ، وكانت فدك خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب . ولما اطمأن رسول الله عليه الصلاة والسلام اهدت اليه زينب بنت الحارث امراة سلام بن مشكم شاة مصلية ، وقد سألت أي عضو من الشاة احب الى رسول الله ؟ فقيل لها الذراع، فأكثرت فيها من السم . ثم سمت سائر الشاة . وجاءت بها . فلما وضعتها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم تناول الذراع فلاك منها مضغة ولم يسغها ومعه بشر بن البراء بن معرور ، قد اخذ منها كما اخذ رسول الله . اما بشر فأساغها ، واما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلفظها . ثم قال ان هذا العظم ليخبرني انه مسموم . ثم دعا بزينب فاعترفت . فقال ما حملك على ذلك ؟ قالت بلغت من قومي ما لم يخف عليك . فقلت ان كان ملكا استرحت منه ، وان كان نبيا فسيخبر ، فتجاوز عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات بشر من اكلته التي اكل . ولما فرغ صلى الله عليه وسلم من خيبر توجه الى وادي القرى فحاصر اهله ليالي ، ثم انصرف راجعا الى المدينة .

فتح مكة

هل تحدثني كيف كان فتح مكة ؟

سافعل ان شاء الله تعالى فاقول : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اقام بالمدينة بعد بعثه الى مؤتة جمادى الآخرة ورجبا . ثم ان بني بكر بن عبد مناة بن كنانة عدوا على خزاعة ، وهم على ماء لهم بأسفل مكة يقال له الوتير . وكان الذي هاج بين بني بكر وخزاعة رجل حضرمي يقال له مالك بن عباد . وحدث يومئذ ان خرج الاسود بن رزن تاجرا . فلما توسط ارض خزاعة عدوا عليه فقتلوه واخذوا ماله . فعدت بنو بكر على رجل من خزاعة فقتلوه . فعدت خزاعة قبيل الاسلام على بني الاسود بن رزن الديلي ، وهم منخر بني بكر واشرافهم ، سلمى وكلثوم وذئيب فقتلوهم بعرفة عند انصاب الحرم . فبينا بكر وخزاعة على ذلك ، حجز بينهم الاسلام ، وتشاغل الناس به .

فلما كان صلح الحديبية بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش ، كان فيما شرطوا على رسول الله وشرط لهم انه من احب ان يدخل في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعقده دخل فيه ، ومن احب ان يدخل في عهد قريش وعقدهم دخل فيه . فدخلت بنو بكر في عقد قريش ، ودخلت خزاعة في عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما كانت تلك الهدنة ، اغتنمها بنو الديل من بني بكر بن خزاعة ، وارادوا ان يصيبوامنهم بأولئك النفر الذين اصابوا منهم بني الاسود بن رزن . فخرج نوفل بن معاوية الديلي في بني الديل ، وهو يومئذ قائدهم ، ليس كل بني بكر تابعة له ؛ حتى بيّت خزاعة وهم على الوتير ـ ماء لهم ـ فأصابوا منهم رجلا وتحاوزوا واقتتلوا . ورفدت قريش بني بكر بالسلاح ، وقاتل معهم من قريش من قاتل بالليل مستخفيا حتى حازوا خزاعة الى الحرم . فلما انتهوا اليه قالت بنو بكر يا نوفل : انا قد دخلنا الحرم الهك الهك . فقال كلمة عظيمة : لا اله له اليوم ، يا بني بكر اصيبوا ثأركم ، فلعمري انكم لتسرقون في الحرم . افلا تصيبون ثأركم فيه ؟ وقد اصابوا منهم ليلة بيّتوهم بالوتير رجلا يقال له منبه . وكان منبه رجلا مفؤودا خرج هو ورجل من قومه يقال له تميم بن اسد .

فقال له منبه : يا تميم انج بنفسك فأما انا فوالله اني لميت ، قتلوني او تركوني ؛ لقد انبت فؤادي . فانطلق تميم فأفلت . وادركوا منبها فقتلوه

فلما دخلت خزاعة مكة لجأوا الى دار بديل بن ورقاء الخزاعي، ودار مولى لهم يقال له رافع . قال : فلما تظاهرت قريش على خزاعة واصابوا منهم ما اصابوا ، ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من العهد والميثاق بما استحلوا من خزاعة – وكانوا في عقده وعهده – خرج عمرو بن سالم الخزاعي ، ثم أحد بني كعب ، حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وكان ذلك مما هاج فتح مكة . فوقف عليه وهو في المسجد جالس بين ظهراني الناس فقال :

لا هم اني ناشد محمدا	حلف ابينا وابيه الاتلدا
فوالدا كنا وكنت ولدا	ثمت اسلمنا فلم ننزع يدا
فانصر رسول الله نصرا أعتدا	وادع عباد الله يأتوا مددا
فيهم رسول الله قد تجردا	ابيض مثل البدر ينمو صعدا
ان سيم خسفا وجهه تربدا	في فيلق كالبحر يجري مزبدا
ان قريشا أخلفوك الموعدا	ونقضوا ميثاقك المؤكدا
وجعلوا لي في كداء رصدا	وزعموا ان لست ادعو احدا
وهم أذل واقل عددا	هم بيتونا بالوتير هجدا

فقتلونا ركعا وسجدا

فقال رسول الله (صلعم) حين سمع ذلك ، قد نصرت يا عمرو ابن سالم ثم عرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم عنان من السماء فقال : ان هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب . ثم خرج بديل ابن ورقاء في نفر من خزاعة حتى قدموا على رسول الله المدينة فأخبروه بما اصيب منهم وبمظاهرة قريش بني بكر . ثم انصرفوا راجعين الى مكة ، ومضى بديل بن ورقاء واصحابه فلقوا ابا سفيان بعسفان قد بعثته قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشد العقد ويزيد في المدة . وقد رهبوا الذي صنعوا ؛ فلما لقي ابو سفيان بديلا قال : من اين اقبلت يا بديل ؟ وظن انه قد اتى رسول الله

صلى الله عليه وسلم قال : سرت في خزاعة في هذا الساحل وفي بطن هذا الوادي . قال : أو ما اتيت محمدا ؟ قال لا . قال ، فلما راح بديل الى مكة قال ابو سفيان : لئن جاء المدينة لقد علف بها النوى. فعمد الى مبرك ناقته ، فأخذ من بعرها ففتته، فرأى فيه النوى فقال: احلف بالله لقد جاء بديل محمدا .

ثم خرج ابو سفيان حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل على ابنته ام حبيبة بنت ابي سفيان . فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم طوته عنه، فقال يا بنيّة! والله ما ادري! ارغبت بي عن هذا الفراش ام رغبت به عني؟ قالت : بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانت رجل مشرك نجس ؛ فلم احب ان تجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : والله لقد اصابك يا بنية بعدي شر . ثم خرج حتى اتى رسول الله فكلمه ، فلم يرد عليه شيئا . ثم ذهب الى ابي بكر فكلمه ان يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ما انا بفاعل . ثم اتى عمر بن الخطاب فكلمه ، فقال : انا اشفع لكم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فوالله لو لم اجد الا الذر لجاهدتكم به . ثم خرج فدخل على علي بن ابي طالب رضي الله عنه وعنده فاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعندها الحسن بن علي غلام يدب بين يديها ؛ فقال يا علي : انك امس القوم بي رحما ، واقربهم مني قرابة؛ وقد جئت في حاجة فلا ارجعن كما جئت خائبا؛ اشفع لنا الى محمد . قال : ويحك يا ابا سفيان ! والله لقد عزم رسول الله على امر ما نستطيع ان نكلمه فيه .

فالتفت الى فاطمة وقال : يا ابنة محمد ! هل لك ان تأمري بنيك هذا فيجير بين الناس فيكون سيد العرب الى آخر الدهر ؟. قالت : والله ما بلغ مني ذلك ان يجير بين الناس ، وما يجير على رسول الله صلى الله عليه وسلم احد ، قال : يا ابا الحسن اني ارى الامور اشتدت علي فانصحني . فقال له : والله ما اعلم لك شيئا يغني عنك شيئا ؛ ولكنك سيد بني كنانة ، فقم فأجر بين الناس ، ثم الحق بأرضك . قال : او ترى ذلك مغنيا عني شيئا ؟

قال : لا والله ما اظن ؛ ولكن لا أجد لك غير ذلك . فقام ابو سفيان في المسجد ، فقال : ايها الناس قد أجرت بين الناس . ثم ركب بعيره فانطلق . فلما قدم على قريش قالوا ما وراءك ؟ قال : جئت محمدا فكلمته ؛ فوالله ما رد علي شيئا . ثم جئت ابن ابي قحافة فلم اجد عنده خبرا ؛ ثم جئت ابن الخطاب فوجدته اعدى القوم . ثم جئت علي بن ابي طالب فوجدته الين القوم ؛ وقد اشار علي بشيء صنعته. فوالله ما ادري هل يغنيني شيئا ام لا . قالوا وبماذا امرك ؟ قال : امرني ان اجير بين الناس ففعلت . قالوا : فهل اجاز ذلك محمد ؟ قال لا ! قالوا ويلك ! والله ان زاد على ان لعب بك ، فما يغني عنا ما قلت ! قال لا والله ما وجدت غير ذلك .

قال . وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجهاز ، وامر اهله ان يجهزوه ، فدخل ابو بكر على ابنته عائشة ، وهي تحرك بعض جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال اي بنية : امركم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن تجهزوه ؟ قالت نعم فتجهز . قال اين ترينه يريد ؟ قالت والله ما ادري . ثم ان رسول الله اعلم الناس انه سائر الى مكة ؛ وامرهم بالجد والتهيؤ وقال : اللهم خذ العيون والاخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها . فتجهز الناس .

ولما اجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم المسير الى مكة كتب حاطب بن ابي بلتعة كتابا الى قريش يخبرهم بالذي اجمع عليه رسول الله من الامر في المسير اليهم ؛ ثم اعطاه امراة يزعم محمد بن جعفر انها من مزينة ، وزعم غيره انها سارة – مولاة لبعض بني عبد المطلب – وجعل لها جعلا على ان تبلغه قريشا ، فجعلته في رأسها . ثم فتلت عليه قرونها . ثم خرجت به . واتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما صنع حاطب . فبعث علي بن ابي طالب والزبير بن العوام ؛ فقال : ادركا امراة قد كتب معها حاطب بكتاب الى قريش يحذرهم ما قد اجمعت له في امرهم . فخرجا حتى ادركاها بالحليفة ، حليفة بن ابي احمد . فاستنزلاها . فالتمسا في رحلها فلم يجدا شيئا . فقال لها علي بن ابي طالب : اني احلف ما

كذب رسول الله ولا كذبنا ، لتخرجن الي هذا الكتاب او لنكشفنك . فلما رات الجد منه قالت اعرض عني ، فأعرض . فحلت قرون راسها فاستخرجت الكتاب منه فدفعته اليه . فجاء به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعا رسول الله حاطبا فقال ، يا حاطب ما حملك على هذا ؟ فقال يا رسول الله : والله اني لمؤمن بالله ورسوله ما غيرت ولا بدلت ؛ ولكني كنت امرءا ليس لي في القوم اصل ولا عشيرة ؛ وكان لي بين اظهرهم اهل وولد فصانعتهم عليهم. فقال عمر بن الخطاب دعني فلأضرب عنقه فان الرجل قد نافق . فقال رسول الله (صلعم) ما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع الى اصحاب بدر يوم بدر . فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم . فأنزل الله عز وجل في حاطب « يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة . . . »

ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره واستخلف على المدينة ابا رهم كلثوم بن حصين بن خلف الغفاري . وخرج لعشر مضين في شهر رمضان . فصام رسول الله صلى الله عليه وسلم وصام الناس معه؛حتى اذا كان بالكديد ما بين عسفان وامج افطر . ثم مضى حتى نزل مر الظهران في عشرة آلاف من المسلمين ؛ فسبعت سليم ، وألفت مزينة ، واوعب المهاجرون والانصار مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل مر الظهران وقد عميت الاخبار عن قريش فلا يأتيهم خبر عن رسول الله ولا يدرون ما هو فاعل . فخرج في تلك الليلة أبو سفيان بن حرب ، وحكيم بن حزام ، وبديل بن ورقاء ، يتحسسون الاخبار ، هل يجدون خبرا او يسمعون به ؟ وقد كان العباس بن عبد المطلب تلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض الطريق ، وقد كان ابو سفيان بن الحارث وعبد الله بن امية بن المغيرة قد لقيا رسول الله ، فكلمته أم سلمة فيهما فقالت : يا رسول الله : ابن عمك وابن عمتك وصهرك . قال لا حاجة لي بهما . اما ابن عمي فهتك عرضي ، واما ابن عمتي وصهري فهو الذي قال لي بمكة ما قال .

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة ؛ فقائل يقول يريد قريشا ، وقائل يقول يريد هوازن ، وقائل يقول يريد ثقيفا . وبعث الى القبائل فتخلفت عنه ، ولم يعقد الالوية ولم ينشر الرايات حتى قدم قديدا ، فلقيته بنو سليم على الخيل والسلاح التام ، ولحقه الاقرع بن حابس بالسقيا . فقال عيينة : يا رسول الله ، والله ما ارى آلة الحرب ولا تهيئة الاحرام ، فأين تتوجه يا رسول الله ؟فقال (صلعم) حيث شاء الله . ثم دعا ان تعمى الاخبار .

اسلام ابي سفيان

فنزل رسول الله مر الظهران ، ولقيه العباس بالسقيا ، ولقيه مخرمة بن نوفل بنيق العقاب . فلما نزل مر الظهران ، قال العباس ابن عبد المطلب : يا صباح قريش ! والله لئن يفتحها رسول الله صلى الله عليه وسلم عنوة انه لهلاك قريش آخر الدهر . فجلس على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم البيضاء . وقال : اخرج الى الاراك لعلي أرى حطابا او صاحب لبن او داخلا يدخل مكة فيخبرهم بمكان رسول الله فيأتونه فيستأمنونه . قال فخرجت ؛ فوالله اني لأطوف في الاراك ألتمس ما خرجت له ، اذ سمعت صوت ابي سفيان ابن حرب ، وحكيم بن حزام ، وبديل بن ورقاء ، وقد خرجوا يتحسسون الخبر عن رسول الله . فسمعت ابا سفيان وهو يقول والله ما رأيت كالليلة قط نيرانا ؛ فقال بديل : هذه والله نيران خزاعة حمشتها الحرب . فقال ابو سفيان : خزاعة ألأم واذل . فعرفت صوته . فقلت يا ابا حنظلة ! فقال ابو الفضل ! قلت نعم . فقال : لبيك فداك ابي وامي فما وراءك ؟ فقلت : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ورائي ، دلف اليكم بما لا قِبَل لكم به ؛ بعشرة آلاف من المسلمين . قال فما تأمرني ؟ قلت تركب عجز هذه البغلة فأستأمن لك رسول الله ، موالله لئن ظفر بك ليضربن عنقك .

فردفني فخرجت به أركض بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو رسول الله فكلما مررت بنار من نيران المسلمين ونظروا الي قالوا عم رسول الله على بغلة رسول الله . حتى مررت بنار

عمر بن الخطاب ، فقال ابو سفيان ! الحمد لله الذي امكن منك بغير عقد ولا عهد . ثم اشتد نحو النبي صلى الله عليه وسلم وركضت البغلة وقد اردفت ابا سفيان حتى اقتحمت على باب القبة وسبقت عمر بما تستبق به الدابة البطيئة الرجل البطيء . فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هذا ابو سفيان عدو الله قد امكن الله منه بغير عهد ولا عقد ، فدعني اضرب عنقه . فقلت يا رسول الله : اني قد أجرته ؛ ثم جلست الى رسول الله فأخذت برأسه فقلت والله لا يناجيه اليوم احد دوني . فلما اكثر فيه عمر ، قلت : مهلا يا عمر . فوالله ما تصنع هذا الا لانه رجل من عبد مناف ، ولو كان من بني عدي بن كعب ما قلت هذا . فقال : مهلا يا عباس ، فوالله لاسلامك يوم اسلمت كان احب الي من اسلام الخطاب لو اسلم ؛ وذلك لاني أعلم ان اسلامك كان احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اسلام الخطاب لو اسلم . فقال رسول الله (صلعم) اذهب به يا عباس فقد أمناه حتى تغدو به علي الغداة . فرجع به الى منزله .

فلما اصبح غدا به على رسول الله ، فلما رآه قال : ويحك يا ابا سفيان الم يئن لك ان تعلم ان لا اله الا الله ؟ فقال : بأبي وانت وامي ما اوصلك واحلمك واكرمك ! والله لقد ظننت ان لو كان مع الله غيره لقد اغنى عني شيئا . فقال : ويحك يا ابا سفيان ! ألم يئن لك أن تعلم اني رسول الله ؟ فقال بأبي انت وامي ما اوصلك واحلمك واكرمك ، اما هذه ففي النفس منها شيء . فقال العباس ، فقلت له : ويلك تشهّد شهادة الحق قبل والله ان تضرب عنقك . قال فتشهّد . قال فقال رسول الله (صلعم) للعباس حين تشهّد ابو سفيان : انصرف يا عباس فاحبسه عند خطم الجبل بمضيق الوادي حتى تمر عليه جنود الله . فقلت له يا رسول الله ان ابا سفيان يحب الفخر ، فاجعل له شيئا يكون في قومه . فقال نعم . من دخل دار ابي سفيان فهو آمن ؛ ومن دخل المسجد فهو آمن ؛ ومن اغلق عليه بابه فهو آمن .

فخرجت به حتى جلست عند خطم الجبل بمضيق الوادي فمرت عليه القبائل فيقول من هؤلاء يا عباس ؟ فأقول سليم ، فيقول مالي ولسليم ؛ فتمر به قبيلة فيقول من هؤلاء ؟ فأقول أسلم ، فيقول مالي ولأسلم ! وتمر جهينة فيقول مالي ولجهينة ؛ حتى مر رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخضراء كتيبة رسول الله من المهاجرين والانصار في الحديد لا يرى منهم الا الحدق . فقال من هؤلاء ؟ فقلت هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المهاجرين والانصار . فقال يا ابا الفضل لقد اصبح ملك ابن اخيك عظيما ؛ فقلت : ويحك انها النبوة . فقال نعم اذا . فقلت : إلحق الآن بقومك فحذرهم . فخرج سريعا حتى اتى مكة ، فصرخ في المسجد يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم بما لا قِبَل لكم به . قالوا فمه ؟ فقال : من دخل داري فهو آمن . فقالوا : ويحك وما تغني عنا دارك ؟ فقال ومن دخل المسجد فهو آمن ، ومن اغلق عليه بابه فهو آمن . وكان بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين قريش صلح يوم الحديبية،وعهد مدة . فكانت بنو بكر في ذلك الصلح مع قريش. فاقتتلت طائفة من بني كعب ، وطائفة من بني بكر ؛ وكان بين رسول الله وبين قريش في ذلك الصلح الذي اصطلحوا عليه لا اغلال ولا اسلال . فأعانت قريش بني بكر بالسلاح،فاتهمت بنو كعب قريشا، فمنها غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل مكة ؛ وفي غزوته تلك لقي ابا سفيان وحكيما وبديلا بمر الظهران ، ولم يشعروا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل مر الظهران حتى طلعوا عليه .

فلما رأوه بمر دخل عليه ابو سفيان وبديل وحكيم بمنزله فبايعوه . فلما بايعوه بعثهم بين يديه الى قريش يدعوهم الى الاسلام ، ولما خرج ابو سفيان وحكيم من عند النبي صلى الله عليه وسلم عامدين الى مكة ، بعث في اثرهما الزبير واعطاه رايته وامّره على خيل المهاجرين والانصار ، وامره ان يفرز رايته بأعلى مكة بالحجون . وقال للزبير : لا تبرح حيث امرتك ان تفرز رايتي حتى آتيك . ومن ثم دخل رسول الله وامر خالد بن الوليد فيمن كان

اسلم من قضاعة وبني سليم واناس انما اسلموا قبيل ذلك ، ان يدخل من اسفل مكة ، وبها بنو بكر قد استنفرتهم قريش ، وبنو الحارث بن عبد مناة ومن كان من الاحابيش أمرتهم قريش ان يكونوا بأسفل مكة . فدخل عليهم خالد بن الوليد من اسفل مكة . وقال النبي (صلعم) لخالد والزبير حين بعثهما لا تقاتلا الا من قاتلكما . فلما قدم خالد على بني بكر والاحابيش بأسفل مكة قاتلهم ، فهزمهم الله عز وجل ؛ ولم يكن بمكة قتال غير ذلك . غير ان كرز بن جابر احد بني محارب بن فهر ، وابن الاشعر — رجلان من بني كعب — كانا في خيل الزبير فسلكا كداء ولم يسلكا طريق الزبير الذي سلك والذي امر به ، فقدما على كتيبة من قريش مهبط كداء فقتلا . ولم يكن بأعلى مكة من قبل الزبير قتال . ومن ثم قدم النبي صلى الله عليه وسلم وقام الناس اليه يبايعونه فاسلم اهل مكة ، واقام النبي صلى الله عليه وسلم عندهم نصف شهر ولم يزد على ذلك حتى جاءت هوازن وثقيف فنزلوا بحنين . وقد قتل من المشركين عدد كبير ، وانهزم آخرون ، وخرج جماس منهزما حتى دخل بيته . ثم قال لامراته : اغلقي علي بابي ، قالت — ساخرة — فأين ما كنت تقول ؟ وكان وعدها ان يأتيها بمسلم يخدمها . فقال لها :

انك لو شهدت يوم الخندمة ... اذ فرّ صفوان وفرّ عكرمة
وابو زيد قائم كالمأتمة ... واستقبلتهم بالسيوف المسلمة
يقطعن كل ساعد وجمجمة ... ضربا فلا تسمع الا غمغمة
لهم نهيت خلفنا وهمهمة ... لم تنطقي في اللوم ادنى كلمة

ولما استقر الامر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بايعه الرجال ثم بايعه النساء ، وقام قائما حين وقف على باب الكعبة وخطب خطبته المشهورة قائلا : « لا اله الا الله وحده لا شريك له، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الاحزاب وحده . الا كل مأثرة او دم او مال يدّعى فهو تحت قدمي هاتين ، الا سدانة البيت وسقاية الحاج . الا وقتيل الخطأ مثل العمد السوط والعصا فيهما الدية مغلّظة ، منها اربعون في بطونها اولادها ... يا معشر قريش ، ان الله قد اذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء ؛ الناس من

آدم ، وآدم خلق من التراب . « يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم » . يا معشر قريش ، ويا اهل مكة ، ما ترون اني فاعل فيكم ؟ قالوا خيرا ، اخ كريم وابن اخ كريم . فقال اذهبوا فأنتم الطلقاء . فأعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان امكنه الله من رقابهم عنوة وكانوا له فيئًا ؛ فبذلك يسمى اهل مكة الطلقاء. وكان فتح مكة لعشر ليال بقين من شهر رمضان سنة ثمان .

حجة الوداع

تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم للحج لخمس ليال بقين من ذي القعدة ، وامر الناس بالجهاز ، حتى اذا كان بسرف ، وقد ساق صلى الله عليه وسلم الهدي ، امر الناس ان يحلّوا بعمرة الا من ساق الهدي . ودخل صلى الله عليه وسلم مكة فحلّ كل من كان لا هدي معه ، وحل نساؤه بعمرة ، فقلن له ما يمنعك يا رسول الله ان تحل معنا ؟ قال اني اهديت ولبيت فلا احل حتى انحر هديي . ولقد قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الحج وارى الناس مناسكهم واعلمهم بما فرض الله عليهم حجهم وما حرم عليهم. فكانت حجة البلاغ وحجة الوداع ؛ وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يحج بعدها ، وقد خطب خطبته التي اوردناها فيما سبق .

كيف كانت الخاتمة النبوية القدسية ؟

الخاتمة القدسية

لقد اخبرتك عن بكاء الصدّيق عليه الرضوان عندما نزلت الآية الشريفة : « اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الاسلام دينا » . وقوله : (لقد نعى الله نبيه لنا) . وعليّ ان اقول : ان هذه الشخصية الكبرى التي لم تتمالك ان بكت لهذه الخاتمة القدسية ، وهي لا تزال على وجه الارض ، تمكنت من كبح جماح الجزع وقت وقوع المصيبة العظمى التي حلت بالاسلام، لارتحاله ــ عليه الصلاة والسلام ــ حيث كان يقول عمر (من قال ان محمدا قد مات علوت رأسه بالسيف) . وارتجّت له المدينة

بالبكاء والنحيب ، جاء من مزارعه بعالية المدينة فدخل الحجرة النبوية وقد كان عليه الصلاة والسلام مسجى فكشف الغطاء عن الوجه النبوي وقال بأبي انت وامي طبت حيا وميتا ، ثم قبله وسجاه وخرج الى المسجد وعمر يقول : ان الله قد رفع نبيه اليه ، كما رفع موسى ، وانه سيعود بعد اربعين يوما ، ووالله لاضربن بالسيف راس من يقول انه قد مات . فقال له ابو بكر ـ رضي الله عنه ـ على رسلك يا عمر ، ثم خطب الناس وقال لهم (ايها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات . ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت) . ثم تلا الآية : « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ، افإن مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ؛ ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا ، وسيجزي الله الشاكرين » .

هل تحدثني عما حدث في السنة العاشرة من النبوة ؟

خلافة الصديق

ان ما حدث في السنة العاشرة من النبوة هو ادعاء مسيلمة الكذاب صاحب اليمامة ، النبوة ، ثم ادعاء طليحة الاسدي النبوة ايضا ، فالاسود العنسي . وقد ادعت سجاح الكاذبة النبوة ايضا . فأما طليحة فعاد وتاب ، وهو من فرسان العرب ، وقد حضر حرب القادسية بالعراق . واما مسيلمة فقد قتله الله على يد خالد بن الوليد في حروب الردة باليمامة . واما الاسود العنسي فقد قتل غيلة بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم . واما سجاح فقد هلكت بعد ان تزوجت مسيلمة . ولا يزال المشرق كما ورد في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم محلا للفتن والقلاقل والكذب ، نعوذ بالله من ذلك . ثم كانت خلافة الصديق ، فقد انفذ ـ رضي الله عنه ـ اسامة بن زيد بالجيش الذي عقد لواءه النبي صلى الله عليه وسلم لاسامة ، ثم كانت ردة من ارتد من العرب ، وعصيان من عصي عن تأدية الزكاة . فكان ان جهز اثني عشر جيشا بعث ستة منها الى اليمن ، وستة الى نجد ؛ فقتل من ارتد وادب من عصي عن الزكاة. ثم كر بالجيوش الاسلامية الى الشام والعراق ، وكانت هذه دعوته (نقاتلكم على ان تؤمنوا بالله ورسوله ، وتدخلوا في دينه ، فان فعلتم

ذلك قبلنا ورجعنا عنكم ، وان رفضتم فعليكم الجزية وان رفضتم الجزية فنقاتلكم حتى يحكم الله بينا وبينكم». وكانت خلافته ـ رضي الله عنه ـ عملا لاأذكر انه قد اتي بمثله بعد رسول الله (صلعم) احد. فقد وفقه الله الى توحيد الجزيرة ، ثم الى الشروع في الدعوة الى الاسلام على الوجه الذي رسمه رسول الله وبشر بـه . وكانت خلافته سنتين واشهراً .

خلافة عمر

ثم عهد الى عمر بالخلافة فتولاها ـ عليه الرضوان ـ بالامانة والصرامة ، حتى فتح الله عليه بلاد فارس كلها ، والشام ومصر وفلسطين . وكان في زمنه ان مسح الارض بالعراق ، وقسم الارضين بالشام ، ودون الدواوين ، وبنى البصرة والكوفة ، وجر الانهر بخلجان وترع الى ارض لم تكن تروى بها من قبل ووضع اساس الاموال ، فكل ذلك كان تأسيسه ـ عليه الرضوان ـ ثم طعن على الشكل الذي يعرفه التاريخ ؛ ثم انتظر الناس ان يعهد الى احد فلم يفعل ، وامر بالشورى بين الستة ، وجعل ابنه فيهم ، غير انه لا حق له بالخلافة ، ونعم ما فعل . فقد كان في حالة على اثر الطعنة رجح فيها ترك الامر لستة ، شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة ، عن استعمال بعهد ، وهو في حالة لا تمكنه من الحكم الصحيح في امر عظيم كهذا . وكان ان نزل احد الستة عن حقه في الخلافة ، وهو عبد الرحمن بن عوف ـ رضي اللهتعالى عنه ـ على ان يترك له الخمسة الآخرون حق الانتخاب ، وهم عثمان بن عفان ، وعلي بن ابي طالب ، والزبير بن العوام ، وطلحة بن عبيد الله ، وسعد ابن ابي وقاص .

خلافة عثمان

فاختار لهم عثمان ـ رضي الله عنه ـ وبايعه ؛ فبايعه الناس . فتولاها وسار بالناس في الست السنين الاولى على طريقة الشيخين ابي بكر وعمر ، وكان ان وقع الخاتم النبوي من يده الكريمة ـ ذلك الخاتم الذي كان يستعمله الخلفاء ـ في بئر اريس ، فأمر بنزح البئر فلم يعثر على الخاتم النبوي . وكان حليما رضيا لينا يحب عشيرته؛

وقد تولى الاعمال رجال من امية ساروا بسيرة شغب الناس بسببها عليه ــ رضي الله عنه ــ وقد استكتب مروان بن الحكم وهو طريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان ما كان من نقمة اهل العراق ومصر ، الى ان حوصر وقضى الله بما قضاه في امره .

خلافة علي

فبويع علي ــ رضي الله عنه ــ على تجنّب منه وكره . ثم قبل البيعة رجاء ان يقوم بما يجب عليه من اعادة نظام الاسلام على ما كان عليه ، وعمل جهد المستطاع ؛ فغلبت ارادة الله ، فاستأذنت عائشة ام المؤمنين ــ رضي الله عنها ــ بالحج ، واستأذن طلحة والزبير ايضا ، فأذن لهم ، وقد لحق هؤلاء ــ عليهم الرضوان ــ بالعراق من مكة مطالبين بدم عثمان . وقد رفض معاوية بن ابي سفيان البيعة ، وهو امير الشام ، وطلب القصاص من قتلة عثمان ــ رضي الله عنه ــ وعلي بالمدينة قبل ان تهدأ ثائرة الفتنة ، وقادة الثورة بمن معه كانوا لا يزالون على عصبيتهم . فخرج الى العراق ومعه البقية من المهاجرين والانصار لرتق الفتق ، فاستعمل كل ما اوتي من حكمة لاصلاح ذات البين فلم يتوفق ؛ وكان ما كان من امر الجمل وفوزه عليه السلام . وقد قتل طلحة ــ رضي الله عنه ــ ذلك اليوم ، والزبير ؛ ثم ارجع عائشة ــ عليها السلام ــ الى بيتها حيث امرها الله ان تقر فيه .

جزيت خيرا فهل تذكر لنا انه سبق هذا من اشارة نبوية ؟

الاشارات النبوية

سأذكر لك ما بلغني من ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى عليا والزبير يتداعبان ؛ فقال (صلعم) : أتداعبه وسيقاتلك وهو ظالم لك ؟ او كما قال . وعما بلغني عنه عليه الصلاة والسلام من انه كان وبين يديه امهات المؤمنين ؛ فقال لهن : أيتكنّ التي تنبحها كلاب الحواب ؟ تقاتل اميرها وهي ظالمة له ؛ ثم قال اني لأظنك انت يا حميراء ؛ واشار لعائشة ، وقد وقع ذلك . فانه كان في مسيرها يوم الجمل ان سمعت ليلا كلابا تنبح ، فقالت : ما هذه النابحة وما هذه القرية ؟ فقيل لها هذه الحواب . فقالت : ردوني ردوني !!

وذكرت الحديث . فقال لها ابن اختها عبد الله بن الزبير : ليست بالحوأب ولكنها الحوائب ؛ فكانت هذه منه اول كذبة قيدت بالاسلام .

سبحان الله فهل تذكر لنا شيئا من هذا عن صفين ؟

اذكر لك حديث المسجد النبوي يوم بنائه عندما قال (صلعم) لعمار حين شكا اليه بعض الاصحاب قائلا : ان اصحابك يريدون قتلي . فقال له : ولم ؟ قال يحملون لبنة لبنة ويحمّلونني لبنتين لبنتين . فقال له : يا عمار ما تقتلك اصحابي ؛ ولكن تقتلك الفئة الباغية . هذا عدا ما كان من امر سفير قريش يوم الحديبية عند كتاب العهد ، فقد قال (صلعم) هذا ما تعاقد عليه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وسهيل بن عمرو . فقال سهيل لا . . اكتب محمد بن عبد الله ولو علمنا انك رسول الله لما قاتلناك ؛ فقال لعلي — وهو كاتب الصحيفة — امح ذلك ! فقال لا والله ، فمحا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده تينك الكلمتين . وقال لعلي ستدعى الى مثلها فتجيب ، مشيرا الى قول معاوية ومن معه عندما قال (هذا ما تعاقد عليه امير المؤمنين علي بن ابي طالب ومعاوية بن ابي سفيان) فقال له لو كنت امير المؤمنين لما قاتلناك .

هذا ما حدث من محنة والكل يعمل مجتهدا بانه مصيب ؛ ثم ما كان من عمل ابن ملجم وخلافة الحسن ، ثم تنازل الحسن عليه السلام عن الامر لمعاوية — رضي الله تعالى عنه — وفق ما جاء في حديث جده عليه الصلاة والسلام عندما قال عنه : ان ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين . فهو بعد الصدّيق اول شخصية اسلامية عملت خير عمل ، مضحية بالنفس ، مرجحة للجماعة ؛ رضي الله عنه وارضاه .

كل راع مسؤول عن رعيته

ونلخص لك هنا كتاب الامام علي —رضي الله عنه— الى الاشتر النخعي عندما ولاه مصر واعمالها . قال — رضي الله عنه — في جملة ما قال :

ثم اعلم يا مالك ، ان الناس ينظرون من امورك في مثل ما كنت تنظر فيه من امور الولاة قبلك ؛ ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم . ولا تكونن عليهم سبعا ضاريا تغتنم اكلهم ، فانهم صنفان : اما اخ لك في الدين ، أو نظير لك في الخلق ؛ أنصف الله وانصف الناس من نفسك ، وليكن أحب الامور اليك اوسطها في الحق ، وأعمّها في العدل ، واجمعها لرضى الرعية . واعلم ان الرعية طبقات لا يصلح بعضها الا ببعض ، ولا غنى ببعضها عن بعض ؛ فمنها جنود الله ، ومنها كتاب العامة والخاصة ، ومنها قضاة العدل ، ومنها عمال الانصاف والرفق ، ومنها اهل الجزية والخراج من اهل الذمة ومسلمة الناس ، ومنها التجار واهل الصناعات ، ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة . وكلا قد سمى الله بسهمه ووضع على حده فريضة في كتابه ، او سنة نبيه صلى الله عليه وسلم وآله عهدا من عندنا محفوظا .

دستور الحكم

ثم اختر للحكم بين الناس افضل رعيتك في نفسك ممن لا تضيق به الامور ، ثم انظر في امور عمالك ، فاستعملهم اختبارا ، ولا تولهم محاباة واثرة ؛ وولّ على امورك خير كتابك ، واستوص بالتجار وذوي الصناعات ؛ واجعل لذوي الحاجات منك قسما تفرغ لهم فيه شخصك ، وتجلس لهم مجلسا عاما . وتفقد امر الخراج بما يصلح اهله ، فان في صلاحه وصلاحهم صلاحا عن سواهم ، ولا صلاح لمن سواهم الا بهم ، لان الناس كلهم عيال على الخراج واهله ؛ وليكن نظرك في عمارة الارض ابلغ من نظرك في استجلاب الخراج ، لأن ذلك لا يدرك الا بالعمارة ، ومن طلب الخراج بغير عمارة اخرب البلاد واهلك العباد ولم يستقم أمره الا قليلا . وان العمران محتمل ما حمّلته وانما يؤتى خراب الارض من اعواز اهلها ، وانما يعوز اهلها لاشراف انفس الولاة على الجمع وسوء ظنهم بالبقاء ، وقلة انتفاعهم بالصبر .

ولا تطولنّ احتجابك عن رعيتك ، ولا تدفعن صلحا دعاك اليه عدوك ولله فيه رضى . وان عقدت بينك وبين عدوك عقدة او البسته منك ذمة ، فحُط عهدك بالوفاء ، وارع ذمتك بالامانة ، ولا تعقد

عقدا تجوز فيه العلل ، ولا تعولن على لحن قول بعد التاكيد والتوثقة ؛ واياك والدماء وسفكها بغير حلها ؛ واياك والاعجاب بنفسك ؛ واياك والمنّ على رعيتك باحسانك ، او ان تعدهم فتتبع وعدك بخلفك . قال الله تعالى « كَبُرَ مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون » . واياك والعجلة بالامور قبل اوانها، فضع كل امر موضعه؛ واوقع كل امر موقعه والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله الطيبين الطاهرين .

بعد ان حدثتني عن الخلفاء الراشدين بايجاز ، هل لك ان تحدثني عن المحور السياسي لدولتهم ؟

المحور السياسي للخلافة

كان المحور السياسي للدولة الراشدية القضاء على الفساد في العالم ، باقامة النظام الاسلامي القائم على خلاصة الديانات السماوية الثلاث ؛ الضامنة لصلاح الدنيا والدين . وقد قال الله سبحانه وتعالى : « ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس » . والقضاء على الجبروت الملكي الذي يسوم الناس الخسف ، ويجعلهم طبقات بين مالك ومملوك . فمحور سياسة الخلفاء الراشدين هو محور السياسة النبوية : التشريع السماوي وتطبيقه بالارجح ممن يختاره اهل الحل والعقد على غير وراثة .

كيف كان محور الادارة في عهد الخلفاء الراشدين في الاموال والقضاء والعمل واعمار الارض ؟

المحور الاداري للخلافة

كان الاساس في الاموال الفيء وتقسيمه معروف ؛ ثم اراضي البلاد المفتوحة ، وكذلك اساسها معروف . اما القضاء فيتولاه قضاة ينظرون في اختلافات الناس في الدماء والاموال والاعراض ؛ وقد احدثت دولة بني العباس وظيفة هامة اسمت القائم بها بصاحب المظالم ؛ وهو الذي يقبل الشكاوى ضد الوزراء والامراء واعاظم الناس ، ويرفعها الى الخليفة ، وهي بمثابة النائب العام اليوم . واما العمال وواحدهم (العامل) وسلطته قائمة في حدود عمله ، فهو ما يعني اليوم الولاة والمتصرفين او المدراء في مثل مصر،وهم القائمون بالامور الادارية ، ثم جباة الاموال ، ثم قواد الجيش .

الخليفةوالسلطان والملك

هل لك ان تحدثني عن الفرق بين الخليفة والملك والسلطان وقد انتهينا من الحديث عن خلافة الراشدين ؟

ان الخليفة هو امير المؤمنين ، الذي يتولى امور المسلمين على العمل بالكتاب ، والسنة ، والمشورة العامة ، والخروج في الجمع ، وتلقي الاسئلة على منبر الخطابة ، والاجابة عنها . وهذه هي الخلافة النبوية غير الوراثية ، والمشترط فيها القرشية . اما السلطان ، فهو القانون ، وقد قال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ في غير موضع لشيء عرض عليه وطلب منه ان يعمله بقوله : (اما ولي سلطان فلا) . واما الملك ، فهو الرأس الاعلى للامة ، الوارث لهذه الرئاسة باحدى الطرق المعروفة من الاب للابن الاكبر ، كما هي الحال في اوروبا ، او عن الاكبر فالاكبر من البيت المالك ، كما كانت الحال في سلطنة آل عثمان وفي زمن بني العباس .

ما هو الفرق بين الخلافة الانتخابية والسلطنة الوارائية وايهما اقرب للديمقراطية ؟

الفرق بينهما ظاهر ، وهو الانتخاب والوراثة ؛ فالديمقراطية اقرب للخلافة الانتخابية منها الى الملك الوراثي .

كيف سارت دولة بني امية ؟

الدولة الاموية

لما كانت خلافة معاوية ، اخذ يقوم باحداث تمهيدات لبيعة ابنه يزيد وترك فضلاء الصحابة . فقد راى تفضيل الخلافة الوراثية على البيعة المرسلة وقد تمكن . فلم يكن لبني حرب بن امية حظ السلطنة والملك . فهلك يزيد وعاف الامر معاوية الثاني بن يزيد ؛ وكان ما كان من امر ابن الزبير . ثم استتب الامر بيد مروان بن الحكم ، وهو اول ملك عربي في الاسلام اسس ملكا ثابتا ؛ وقد قال المفسرون : ان ما ذكر في سورة القدر انها خير من الف شهر ، اشارة لملك بني مروان ، وقد كان الف شهر . ومن جملة الاحداث المؤلمة مما وقع في عهد بني حرب ، وفي عهد يزيد بن معاوية ، حادث شهادة الحسين ـ عليه السلام ـ نذكرها على سبيل اثباتها بأنها تتعلق بشخصية عظيمة ، نهضت منكرة للملك الوراثي ، ساعية لاعادة

الخلافة النبوية الى ما كانت عليه . واما الدولة المروانية فقد سارت على طريقة الفتح القديم ، فاستولت على كل افريقيا والاندلس ، وكانت بمجموعها للعرب ، وعهدها عهد عز ورفعة .

بدء التطور

علام قام المحور السياسي في الدولة المروانية ؟

قام المحور السياسي في الدولة المروانيـة على اساس الملك الوراثي ، وكان الخليفة اولا هو الملك ، يتولى كل شيء بلا وزير او وزارة ؛ ما عدا عمال الاقطار ، وقضاة الامصار ، وقواد الجيوش ؛ على انه كانت اموال الاعمال يتصرف بها العامل ، ينفقها على العطاءات المكتوبة والجيش ؛ وما زاد عن ذلك فهو تحت تصرف الخليفة .

ثم كان بعد ذلك ان ظهرت الدعوة الخراسانية ؛ وكانت في ظاهرها تدعو للعلويين ، ثم تجلت وظهرت باسم العباسيين وقضت على الدولة المروانية . وبهذا اصبحت مملكة بني العباس تضم اليها بلاد فارس وما وراءها ، وكل بلاد العرب ، وارمينيا ، وما افتتح من آسيا الصغرى ، ومصر ، وافريقيا ؛ غير ما كان من دخول عبد الرحمن الداخل اول ملوك بني مروان بالاندلس . فأصبح الاسلام وله دولتان ، دولة المشرق العباسية ، ودولة المغرب الاندلسية . ومن دراسة التاريخ يفهم كيف كان انتهاء الدولتين وسنيّهما ، ثم كيف كان ظهور الدول الاسلامية غير العربية . وكما قال الله تعالى: « قل اللهم مالك الملك ، تؤتي الملك من تشاء ، وتنزع الملك ممن تشاء ، وتعز من تشاء ، وتذل من تشاء ، بيدك الخير ، انك على كل شيء قدير » .

الدولة العباسية

كيف كان المحور السياسي في الدولة العباسية ؟

كان المحور السياسي في الدولة العباسية قائما على الملكية الوراثية تحت جناح القوة الداعية لهذه الدولة ؛ وقد كان التاريخ يذكر عاقبة ابي مسلم الخراساني حينما اراد ابو جعفر المنصور التخلص منه ؛ ثم يذكر التاريخ ما وقع من الرشيد ضد البرامكة ؛

فكان رجال الدعوة العباسية يطلبون الاثرة لانفسهم على الخليفة والامام ؛ وكان الخلفاء الوراثيون يسعون الى التخلص منهم للرجوع الى الحكم الذاتي ؛ وكان الصراع بين الوزير والخليفة مستمراً ، يتقوى الوزير تارة على الامير ، ويتقوى الامير احيانا على الوزير ، على قدر علم ذلك الخليفة وشجاعته وعصبيته ، او ذلك الوزير .

من مفاخر العرب

اما مفاخر العرب في الدولتين الاموية والعباسية بعد الراشدين، غير تأسيس الملك ، فهي اقتباسهم ما لم يكن لديهم وفي بلادهم من علوم وصناعات ، وترجمتهم الكتب مما سنأتي عليه ؛ ثم صناعاتهم التي كانوا يحتاجون اليها في ذلك العصر ، وكلياتهم الكبرى من طبية وفلسفية ودينية وغيرها ؛ ورحلات علمائهم من بلاد الى بلاد رغم المتاعب والمشاق السفرية ؛ وبالخلاصة فما تركوه من آثار في مصر وافريقيا والاندلس ، القائم منها والمندثر ، هي مفخرة قومية لكل عربي . اما افتخاري بنسبي ، فلكل ما ذكرت . وللدور الجاهلي مفاخره ايضا؛فالتاريخ يشهد بأن العرب بالرغم من مجاورتهم لدولتي الارض الكبيرتين ، فارس والروم ، لم تطأ الجيوش بلادهم ، ولم يحكم الاجنبي ارضهم ، عدا ما كانوا يمتازون به من صفات ، قلّت أن توجد في غيرهم من الامم ؛ فالوفاء والكرم ، والنجدة والاقدام ، والفصاحة والنبل ، وحب الخير وفك العاني ، ومساعدة الملهوف والاسراع الى الصريخ ؛ كل هذه من مفاخرهم . وكان لهم نظامهم في سنّتهم ، وكانت لهم الاشهر الحرم ، يضعون فيها السلاح ، وكان يرى ذو الثأر ثأره في هذه الاشهر الحرم فلا يعترضه بسوء ، وكانوا يعظمون البيت ويحجون اليه ويكرمون حجّاجه ، طباع فطرية جبلهم الله تعالى عليها .

اسلوب المعاهدات

كانت المكاتبات في صدر الاسلام ساذجة الى أوائل الدولة العباسية ، ثم طرأ عليها تبديل كبير في الاسلوب وفي الالقاب ؛ فاصبح اسلوب المعاهدات كما يلي :

١ ــ يتعاقد ملوك الاسلام على المسالمة والمصافاة ، فيطنبون

في المعاهدات بتحسين موقع الصلح ، ويمن عاقبته ، وعلى التعاضد والتناصر ، وعلى الامداد بجيش ، وعلى امتثال الاوامر والنواهي ، وعلى كف الاذية والاضرار .

٢ ــ واذا كانت المعاهدات بين ضعيف وقوي ، اشترط الاضعف منهم للاقوى تسليم بعض ما في يده ، والتفادي منه ، ثم الانقياد الى اتباعه او اشترط على نفسه اتاوة يحملها اليه .

واما اذا كانت المعاهدات بين ملوك المسلمين وغيرهم ، فتنطوي على ما يأتي من الاصول والشروط :

١ ــ ذكر السبب الذي اوجب عقد المعاهدة .

٢ ــ تبجيل المتعاقدين او احدهما .

٣ ــ ان يكون في ذلك مصلحة للمسلمين ، كأن يكون في المسلمين ضعف او في المال قلة .

٤ ــ ان يكون هنالك امل باسلامهم باختلاطهم بالمسلمين .

٥ ــ ان يكون هنالك طمع في قبولهم الجزية من غير قتال وانفاق المال .

٦ ــ ان لا يكون في العقد شرط يأباه الاسلام ؛ كما لو شرط ان يكون بأيديهم مال مسلم ؛ او يردّ عليهم اسير مسلم . فاذا كان في المسلمين ضعف فانه تجوز المهادنة الى عشر سنين . فقد هادن رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل مكة عشر سنين .

٨ ــ اذا كان المسلم قويا وغير المسلم ضعيفا ، اشير في المقدمة الى انبساط القدرة ، ووفور الجند ، وعجز العدو عن المطاولة ، وذكر ماللاسلام من العزة وتوالي النصرة ، والوقائع التي كان فيها نصر المسلمين في المواطن المشهورة . واذا كان المسلم ضعيفا وغير المسلم قويا ، وجبت الاشارة الى اظهار الجلاد ، وتماسك القوة . واشير الى الرغبة في الصلح المأمور به المسلم « وان جنحوا للسلم فاجنح لها » لا عن خور طباع وضعف قوة .

٩ ــ ان تبين مدة العقد .

١٠ ــ ان يذكر أن كان العقد وقع بين الملكين أو نائبيهما او بين احدهما ونائب الآخر .

١١ ـ ان ينص على حضور كتاب من الملك الغائب بتفويض الامر الى نائبه ، وانه وصل على يده او يد غيره ، وانه معنون بعنوانه مختوم بختمه المتعارف عنه او مختوم وكالة عنه . ثم تقام البينة على ذلك ويشار الى ثبوتها .

١٢ ـ ان يذكر ان الكتاب قرىء على النائب ، وبيّن له فصلا فصلا ، وترجم له بموثوق به ان كان لا يعرف العربية .

١٣ ـ ان يذكر في المعاهدة الوفاء بها ، وعدم النكث والاخلال بشيء من الشروط والخروج عن شيء من الالتزامات ، أو محاولة التأويل في شيء من ذلك او السعي الى نقضه .

١٤ ـ أن يحرر امر التاريخ بالعربية ، وما يؤرخ به في مملكة الملك المعاهد .

١٥ ـ ان يقع الاشهاد على كل من المتعاقدين .

١٦ ـ اجتناب أي لفظ مشترك يوقع شبهة توجب السبيل الى التأويل .

١٧ ـ بعد ان تدون الشروط بأسرها ، تكتب فيها يمين يحلف بها الملك او نائبه القائم بعقد المعاهدة على التوفية بفصولها وشروطها، ويمين يحلف عليها القائم عند الملك غير المسلم ممن يأذن له في عقدها بكتاب يصدر عنه بذلك ، او تجهز نسخة المعاهدة الى الملك غير المسلم ليحلف عليها ويكتب خطه بذلك .

١٨ ـ وبعد ان استفحل الخلاف بين المسلمين والافرنج جرت هناك عقود صلح وتجارة ومودة ومصادقة ؛ وكان يقع الاتفاق والتراضي من الجهتين على فصل فصل ؛ فيكتبه كاتب من كل جهة من جهتي المسلمين والافرنج ، وفي كثير من الاحيان بألفاظ غير رائقة طلبا للسرعة ؛ الى ان ينتهي بهم الحال في الاتفاق والتراضي الى آخر الفصول ، فيكتبها كاتب الملك المسلم على صورة ما جرى في المسودة يطابق ما كتب بها كاتب الافرنج ؛ اذ لو عدل فيها كاتب الملك المسلم الى الترتيب وتحسين الالفاظ وبلاغة التركيب ، لاختل الحال عما وافق عليه كاتب الافرنج اولا فينكرونه حينئذ ، ويرون انه غير ما وقع عليه الاتفاق ؛ لقصورهم في اللغة العربية ، فيحتاج الكاتب الى

ابقاء الحال على ما توافق عليه الكاتبان في المسودة .

نماذج من المعاهدات

هذا عقد صلح انتظمت به عقود المصالح ، واشتقت بواسطته سبل المناجح ، عاقد عليه فلان فلانا ، القائم في عقد هذا الصلح عن مرسله فلان حسب ما نعرض اليه الامر في ذلك في كتابه الواصل على يده المؤرخ بكذا وكذا ، المعنون بعنوانه ، المختوم بطابعه ، المتعارف عنه ، على ان يكون الامر كذا وكذا (وتذكر الشروط التي يقع عليها الاتفاق الى آخرها) .

١ ـ صورة ما كتبه صمصام الدولة بن عضد الدولة بأمر امير المؤمنين الطائع لله الخليفة العباسي ببغداد ، الى وردس المعروف بسفلاروس ملك الروم ، حين حيل بينه وبين بلاده ، والتمس ان يفرج طريقه اليها على شروط التزمها ، وحصون يسلمها :

« هذا كتاب من صمصام الدولة ، وشمس الملة ، ابي كاليجار ابن عضد الدولة تاج الملة، ابي شجاع ركن الدولة بن علي مولى امير المؤمنين ؛ كتبه لوردس بن بنير المعروف بسفلاروس ملك الروم ـ انك سألت بسفارة أخينا وعدتنا وصاحب جيشنا ابن حرب . تأمل حالك في تطاول حسك واعتياقك عن مراجعة بلدك وبذلت متى افرج عنك وخلي طريقك وأذن لك في الخروج الى وطنك والعود الى مقر سلطانك ، ان تكون لولينا وليا ، ولعدونا عدوا ، ولسلمنا سلما ، ولحربنا حربا ، بترجيع الناس كلهم على اختلاف احوالهم واديانهم واجناسهم واجيالهم ومقارهم واوطانهم ، فلا تصالح لهم ضدا مباينا، ولا تواطىء علينا عدوا مخالفا ، وان تكفّ عن تطرق الثغور والاعمال التي في ايدينا وايدي الداخلين في طاعتنا ، فلا تجهز اليها جيشا ، ولا تحاول لها غدرا . . . »

ثم يقول : « وان تفرج عن جميع المسلمين واهل ذمتهم الحاصلين في محابس الروم ، وتمكنهم من المسير بحرمهم ونفوسهم واولادهم وعيالاتهم واتباعهم واصناف اموالهم، موفورين مضمونين».
ثم يقول : «وان تسلّم سبعة حصون» . وبعد ان يسميها ويحددها يقول : «وتمضي ماعقدته على نفسك بابا بابا ، وتفي به اولا اولا ، منذ

وقت وصولك الى اوائل اعمالك والى غاية استيلائك عليها ونفاذ أمرك فيها ، ولا ترجع عن ذلك ولا عن بعضه » ..

ثم يقول في الختام : « امضى وانفذ صمصام الدولة ذلك كله على شرائطه وحدوده ، والتزمه وردس بن بنير المعروف بسفلاروس ملك الروم واخوه قسطنطين وابنه ارمانوس بن وردس بن بنير ، وضمنوا الوفاء به ؛ واشهدوا كل واحد منهم على نفوسهم بالرضى به طائعين غير مكرهين ولا مجبرين ، لا علة بهم من مرض وغيره ، بعد ان قراه عليهم وفسره لهم وخاطبهم باللغة الرومية من وثق به ، وفهموا عنه وفقهوا معنى لفظه ، واحاطوا علما ومعرفة به بعد ان ملكوا نفوسهم وتصرفوا على اختيارهم وراوا ان في ذلك حظا لهم وصلاحا لشأنهم ؛ وذلك في شعبان سنة ست وسبعين وثلاثمائة . وقد كتب هذا الكتاب على ثلاث نسخ متساويات ، خلدت اثنتان منها بمدينة السلام وسلمت الثالثة الى وردس بن بنير ملك الروم واخيه وابنه المذكورين معه فيه » .

معاهدة بين ملك القسطنطينية والملك قلاوون

واليك نص الاتفاق المعقود بين ملك القسطنطينية والملك المنصور قلاوون صاحب الديار المصرية والبلاد الشامية .

«انه لما رغب حضرة الملك الجليل كرميخائيل الدوقس الانجالوس الكمينوس المالاولوغوس، ضابط مملكة الروم والقسطنطينية العظمى، اكبر ملوك المسيحية ــ ابقاه الله ــ ان يكون بين مملكته وبين عز سلطاني محبة وصداقة لا تتغير بتغير الايام ، ولا تزول بزوال السنين والاعوام ، واكد ذلك يمين حلف عليها تاريخها يوم الخميس ثامن شهر ايار سنة ستة آلاف وسبعمائة وتسع وثمانين لآدم ــ صلوات الله عليه ــ بحضور عز سلطاني الامير ناصر الدين بن الجزري ، والبطرك الجليل ابناسيوس بطرك الاسكندرية ، وحضر رسولاه الى عز سلطاني بنسخة اليمين ملتمسين ان يتوسط هذا الامر ايضا يمين واتفاق من عز سلطاني ، لتدوم المحبة فيما بين مملكته وعز سلطاني، وتكون ثابتة مستمرة على الدوام والاستمرار .

فعز سلطاني من هذا اليوم ، وهو يوم الاثنين مستهل رمضان

المعظم ، سنة ثمانين وستمائة للهجرة النبوية المحمدية ـ على صاحبها افضل الصلاة والسلام ـ يحلف بالله العظيم ، الرحمن الرحيم ، عالم الغيب والشهادة والسر والعلانية وما تخفي الصدور، وبالقرآن العظيم ، وبمن انزله وبمن انزل عليه وهو النبي الكريم ـ محمد صلى الله عليه وسلم ـ على استمرار الصداقة ، واستقرار المودة النقية للملك الجليل كرميخائيل ، ضابط مملكة الروم والقسطنطينية العظمى ، ولولد مملكة الحبيب الكمينوس الانجالوس الدوقس البالاولوغس الملك ايراند روبتفوس ولوارثي مملكته ؛ ولايحرك عز سلطاني ابدا على مملكته حربا ، ولا على بلاده ، ولا على قلاعه ، ولا على عساكره في بر ولابحر .. » الى آخر المعاهدة .

كتاب السلطان سليمان الى المطهر ابن شرف الدين

واليك صورة عن الكتاب الذي ارسله السلطان سليمان العثماني الى السيد مطهّر بن شرف الدين الزيدي اليماني :

« هذا مثالنا الشريف السلطاني ، وخطابنا المنيف الخاقاني ، لا زال نافذا مطاعا بالعون الرباني ، والمن الصمداني ، ارسلناه الى الامير الكبير ، العون النصير ، الهمام الظهير ، الشريف الحسيب ، الاديب النسيب ، فرع الشجرة الزكية ، طراز العصابة العلوية ، نسل السلالة الهاشمية ، السيد مطهر بن الامام شرف الدين ، نخصه بسلام أتم ، وثناء اعم ، ونسند لعلمه الكريم انه لم يزل يتصل بمسامعنا الشريفة العالية المنيفة ، اخلاصه لدينا ، وقيامه بقلبه وقالبه في مرضاة سلطنتنا ؛ والانقياد لجانبنا . وبمقتضى ذلك كان حصل شكرنا التام ، وثناؤنا العام على مناصحته » .

« ولما برزت اوامرنا الشريفة سابقا بتعيين وزيرنا الاعظم الدستور المكرم سليمان باشا الى البلاد الهندية لفتح تلك الولاية السنية ، احياء لسنة البلاد ؛ وقطعا لدائرة اهل الكفر والعناد . فاستبشر لذلك كل مسلم فرحا وسرورا ، ووقع ما قدر الله وكان امر الله قدرا مقدورا . فرجع وزيرنا المشار اليه ووجد طائفة من اللوندية تملك بلاد زبيد من المملكة المحمية ، وحصل منهم غاية المشاق واذى الرعية ، وزاد ظلمهم وجورهم على العباد ، وعم ضررهم كل حاضر

وباد . فتتبع آثارهم وقطع دابرهم ، واستنقذ الرعايا من ايديهم ، وصارت مملكة زبيد من جملة ممالكنا الشريفة ، وعادت الى اعتابنا العلية المنيفة ، وابرز بريده مكتوبكم ومكتـوب والدكم يتضمنان الاخلاص في طاعتنا ، واتباع مرضاتنا ، وانهما صارا من اتباعنا ومن اللائذين بأعتابنا » .

« وتحققنا ما بلغنا عنهما من الاخبار على السنة المترددين الى شرائف اعتابنا من تلك الديار ، وانهما صارا من توابعنا ومملكتهما من جملة ممالكنا . ثم بلغنا عنهما خلاف ذلك ، وتغيير ما كاتبانا عليه في السابق ، وانه وقع بينهما وبين امرائنا من تلك الجهـات خلف كبير ، ووقائع متناقضة عم ضررها المأمور والامير . وهذا عين الخطأ المحض المترتب عليه ذهاب الارواح لمن عقل وفهم . (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) . فان مقامنا الشريف السلطاني الخنكار الخاقاني ، قد ملك بعون الله بساط الارض شرقا وغربا ، وبعدا وقربا . وصارت سلطنتنا الباهرة كالابريز المصفى ؛ والخلاص المستسفى . ورقم سجل سعادتنا بآيات النصر. وختم لنا في شرقها وغربها على اهل العصر . واستدين فخرنا على سائر الملوك ؛ باحياء سنة جهادنا الى يوم العرض . (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) . (واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض) » .

«وعساكرنا المنصورة حيث سلكت ملكت،وحيث حلت فتكت. لا يعجزهم صغير ولا كبير . ولا همّ جليل ولا حقير . ولو شئنـا لجاءكم منا شرذمة قليلون . مئة الف او يزيدون . وسنتبع العسكر بالعسكر . والجيش بالجيش حتى تصير عساكرنا المنصورة ، اولهم في البلاد اليمنية ، وآخرهم في مملكتنا المصرية . ولا يخفاه قـدرة سلطنتنا وتشييد اركان دولتنا . وان أكابر الملوك ذوي التيجـان واصحاب القوة والامكان ، لا يزالون خاضعين لمرتبتنا العاليـة ، مطأطئين رءوسهم خشية مما يحل بهم عند المخالفة من القضايـا القاضية ، وذلك مشهود معلوم ، ظاهر ليس بمكتوم . لكـن غلب حلمنا عليه كونه من سلالة سيد المرسلين ، ومن آل بيت النبـوة الطاهرين ، فلزمنا ان ننبهه قبل اتساع الخرق عليه ، ونعرّفه بما

يؤول امرء اليه ، وكونه اوى الى جبال يتحصن بها ، ويزعم ان ذلك ينجيه عين المحال ، وتدبيره تدميره على كل حال ، جهل ذلك او علم ، (لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم) ، اين المفر ولا مفر لها » .

« وقد اقتضت اوامرنا الشريفة تعيين افتخار الامراء الكرام ، محترم ذوي القدر والاحترام ، مصطفى باشا ان يكون باشا على العساكر المنصورة المشاة والرماة ، والعادة والحماة ، معونة للامير اوزدمير باشا بلغه الله ما شاء ، وحال وصوله الى تلك الديار لا بد لك من الحضور الى خدمته والسعي الى مقابلته بقلب منشرح وصدر منفسح ، وتمشي تحت سنجقنا الشريف العالي المنيف ، وتدخل تحت طاعتنا المعظمة واحكامنا المكرمة ، وتكون مع عساكرنا المنصورة على قلب رجل واحد ، مواليا لمن والانا معاديا لمن عادانا ، من كل معاند وجاحد ، فان مصطفى باشا راس عساكرنا المنصورة وامير جنودنا المبرورة ، خليفتنا في امرنا ، كلامه من كلامنا وحكمه من حكمنا ، ومن اطاعه فقد اطاعنا ، ومن خالفه فقد خالفنا ، والعياذ بالله من المخالفة . فليتفكر العاقل لنفسه ، ويتدبر بآراء حسه ، قبل حلول رمسه ، وينبه من رقدته ، ويصح من غفلته وسكرته . فمن انضم الى سلطتنا وانقاد لامرنا فقد رحم نفسه ، وصان مهجته ، وحقن دمه وحفظ حرمته ، وله في دولتنا العادلة كل جميل ورعاية ، وما نتمناه من الزيادة الى حد النهاية » .

« وقد امرنا مصطفى باشا بأنه اذا دخل تحت طاعتنا ومشى على الاستقامة ، وان انضم الى عساكرنا ، ان ينعم عليه بأمرنا الشريف بسنجق منيف ، لا معارض له في ذلك ، وليكن مستقلا فيما هنالك ، فان فعلت فأنت من الفائزين ، لا تخف ولا تحزن ، انك من الآمنين ، وان حصل والعياذ بالله مخالفة ، واستمر في العناد والضلال ، وخاض في بحر الوبال ، فاثمه في رقبته ، وهو المهلك لنفسه بطلبته ، ويكون من الداخلين في قول اصدق القائلين (يخربون بيوتهم بأيديهم وايدي المؤمنين) . وينتقل من الوجود الى العدم ، ويندم حيث لا ينفع الندم . وقد حذرناه رأفة به وتحننا عليه ، فاذا خالف آتيناه بجنود لا قبل له بها ، واخرجناه منها ذليلا صاغرا لا

ملجأ له من سلطنتنا الا اليها ، ومثله لا يدل على صواب ؛ فليعتمد ذلك ، وعلامتنا الشريفة حجتنا عليه ، وهذا آخر ما انتهى منا اليه .

حرر بمعمور قسطنطينية بأوائل شوال سنة سبع وخمسين وتسعمائة وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم » .

جواب المطهر ابن شرف الدين الى السلطان سليمان

نوّر الله شموس الاسلام واطلعها ، وفجّر عين معين الشريعة النبوية ومتّعها ، وفتح اكمام ثمار السعادة الابدية واينعها ، ولألأ كواكب الدين الحنيف واسطعها ، واعلى منار الملة الحنيفية البيضاء ورفعها ، وكسر نواجم قرون الشرك والبغي وقمعها ، وزلزل جموع الظلم والعدوان وزعزعها ، وارعد قلوب الجبابرة المردة وافزعها ، والف بين قلوب المسلمين وجمعها ، بدوام دولة مولانا السلطان العظيم ذي الملك الباهر القاهر العقيم ، القاطع بسيوف عزمه عنق كل جبار اثيم هماز مشاء بنميم ، الهادي بأوامره ونواهيه الى سواء الصراط المستقيم ، الذي أوتي الحكمة والتحية ، والله يؤتي من يشاء من فضله العميم ، شمس سماء الخلافة وقمرها المضيء في الليل البهيم ، ظل الله في ارضه القائم باحياء سنته وفرضه ودينه القويم ، حجة الله الواضحة ودلالته الناصحة للخلق على التعميم ، امين الله على خلقه وخليفته القائم على حقه بتقدير العزيز العليم ، المستنم بحماية آل الرسول وابناء فاطمة البتول وسلالة النبي الكريم ، الباسط عليهم ظلال عدله ، فلا ينالهم حر الجحيم ، فهم راتعون في رياض من احسانه لها نبت ونسيم ، وكارعون من حياض امتنانه التي لا يشوب صفوها صرف الدهر الحليم ، سامي الفخار وزاكي الاصل والنجار ، الفائز في حوز قصبات السبق في الحسب الصميم ، الكاف لاكف من تجافى عن الهداية وسلك مسالك الغواية وكان له في الجهالة والعجرفة تصميم ، الذي لا تحصى صفاته تعدادا ولو كان الشجر أقلاما والبحر مداداً ! وسل بذلك كل خبير عليم . الخنكار الكبير والخاقان الاعظم الشهير سليمان بن سليم ، وواصل الى جنابه الشريف نجائب ركائب التحية والتسليم ، ورحمته الطيبة وبركاته الصيبة الموصلة بنعيم دار النعيم ، حرس الله مقامه

العالي وحرّمه المحرم من صروف الايام والليالي بما حفظ من الآيات والذكر الحكيم » .

«وبعد فانه ورد الينا من تلقائه ، أطال الله للاسلام والمسلمين في بقائه ، مرسوم سطعت انواره،وطلعت للمسرات شموسه واقماره، وتضاحكت في عرصات المجد كمائمه وازهاره ، وجرت في جداول رياض المحامد انهاره ، وزخرفت بما تقرّبه العيون وتصلح به الاحوال — ان شاء الله تعالى — والشئون بحاره ، وتحاسد على شرفه ليل الزمان ونهاره ، فوجدناه اشفى من الدرياق ، وابهى من الاثمد في دعج الاحداق ، يفوق اللؤلؤ الثمين منثورا ، ويفضح شقائق النعمان زهورا ، ويجعل ممدود الثناء عليه مقصورا ، فتعطرت الافئدة بنشره ، واعلنت الالسن بحمده وشكره ، وهب في الوادي والأمصار نسيم ذكره ، ودخلت الناس افواجا تحت نهيه وامره .

حبذا مدرج كريم جليل زانه منشأ كريم جليل
لفظه الدر في السموط وفحواه ومعناه سلسل سلسبيل
فاذا المدرجات كانت ملوكا فهو فيها وبينها اكليل
مدرج فيه للبهاء غدو ورواح ومسرح ومقيل

« فلله انامل رصعته بجواهر البلاغة ، وضمنته ما يعجز عنه قدامة وابن المراغة ، لو رآه الملك الضليل لطأطأ خاضعا ، أو لبيد البليغ لخرّ ساجدا او راكعا ، وعرفنا ما ذكره سلطان الامم ومالك رقاب العرب والعجم ، المختص بحماية الحرم المحترم ، من الاحاطة بطاعتنا لجداله ، ودخولنا تحت لواء اقواله وافعاله ، فالحمد لله الذي وفقنا لطاعته ، وذادنا عن السلوك في مسالك مخالفته ، وان لنا بذلك الحظ الاسنى والنصيب الاوفر من الخير والحسنى . ونرجو — ان شاء الله تعالى — نيل الشرف الكامل وبلوغ المنى ، ومن استمسك بعروتكم الوثقى فاز بمطالبه ، وحاز الغاية القصوى بمآربه ، وكان في امن من حوادث الدهر ونوائبه ، تختضع له رقاب البرية ، وترفع له الدرجات السامية العلية ، وتمم له كل مسئول ومأمول وامنية ، ويحظى بعيشة هنية راضية مرضية ، لا يخاف دركا ولا يخشى من قضية ، وهذه طريقة لنا معروفة ، وشنشنة

قديمة مالوفة ، لا نميل عن الوفا ، ولا نكدر من ذلك المشرب ما صفا ، وكيف وطاعتكم من طاعة الملك الخالق ، ومعصيتكم تظلم منها المغارب والمشارق ، ونحن من مودتكم على يقين ، ونرجو انكم لا تصغون الى قول الفاسقين ولا تهملون رعاية الصالحين والمتقين ، ولا تقطعون حقا للذرية النبي الامين وابناء علي الانزع البطين — كرم الله وجهه في عليين — « قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى » ذلك نص الكتاب المبين وانتم اولى برعاية ما امر الله به ان يرعى ، واحق من اولى ما تقربه عترة النبي عينا وسمعا ، وكم لكم من محامد مذكورة ، ومفاخر مشهورة ، ومعادن حميدة منشورة. نؤمل ان تشقوا بحسامها يوافيخ الوشاة ؛ وتقطعوا طوق الواصلين بالاكاذيب والمشاة ، وتردوا كيد كل كائد لا يراقب الله ولا يخشاه » .

«والذي نقلهاليكم اربابالزور وذوو الافك منالناس والفجور، من تحولنا من طاعة السلطان الاعظم ، ومخالفتنا لما سبق من مودتنا وتقدم ، كذب يعلمه الداني والقاصي ومعنى المين الذي لناقله اشد الاختصاص . وحاشا الله وكلا ان نرضى مخالفة ، او نميل عن تلك الاحوال السالفة . او ننكر تلك المعارف . نعوذ بالله من الحور بعد الكور ، او نكون من تعدّى الحد والطور ، او نتقاعد عن طاعتكم وهي التي يجب السعي اليها على الفور ، أفنكون كمن اشترى الضلالة بالهدى ، وتحول عن مواقف السلامة الى مخاوف الردى ؟ وآل الرسول صلى الله عليه وسلم اعرف الناس بالصواب ، وادراهم بمعاني السنّة والكتاب . أطيعوا الله واطيعوا السلطان — الحديث — فكل من نسب الينا خلاف ما ذكرنـاه فهو مأفون خبيث ، فاتقوا بالمودة الراسخة اطنابها ، والمحبة الشامخة قبابها ، والرعاية المفتحة ابوابها » .

«والذي اشرتم اليه في ساقة الكتاب وبطاقة الخطاب من بلوغ مخالفتنا لعساكركم المنصورة ، وكتائبكم الواسعة الموفورة ، ليس له صحة ولا ثبات ، ولا كان منا الى حربهم اي التفات . بل قصدونا الى هذه الاقطار والجهات ، وجلبوا علينا تركا وارواما ، وهتكوا عهودا بيننا وذماما ؛ وما راعوا لاوامركم الشريفـة فينا احكاما ،

وضيقوا علينا خلفا واماما ، ورمونا بمدافع لا يرمى بها الا الذين يعبدون اوثانا واصناما ، ولم يعلموا انا ممن اوجب الله له رعاية واحتراما ، نحيي الشرائع ، ونميت البدائع ، ولم نلق آثاما ، ومن الذين يبيتون لربهم سجدا وقياما ، فدافعنا عن نفوسنا واولادنا من الدفاع ، وذدنا عن محارمنا وترك الذياد عنها لا يستطاع،واخذنا بدينار(١) الحكم مع الصبر طريقا ، وقرانا بها ان الباطل كان زهوقا . ونحن في مهاجر يسير ومكان يأوي اليه الضعيف من الانام والصغير، لا يناقش من اعتصم به واقتصر فيه على طاعة ربه،ولو ان عساكركم المنصورة الالوية ، المسلمة ـــ ان شاء الله تعالى ـــ من صروف الاقضية ، وجهوا هممهم العلية ، وعزائمهم الصلبة القوية ، الى الجهات العاصية الكفرية ، اذن لنالوا من الخير نيلا عظيما ، وسلكوا الى السعادة طريقا مستقيما ، واصلوا افئدة الكفار نارا وجحيما ، وادركوا من فضل الله ـــ سبحانه وتعالى ـــ جنة ونعيما » .

« غير انهم تشاغلوا بحربنا عن جميع الحروب ، وفوّتوا بذلك

كل غرض مطلوب ، واهملوا جهاد الكفار حتى سقطوا للجنوب ، وهب في ديار الاسلام صبا للشرك وجنوب . وحين وصل المرسوم المشرّف والمثال الكريم المفوّف ، والخطاب الفخيم المزخرف ، طبنا به نفوسا، وسكنّا به محلا من الامن مأنوسا ، ورفعنا به عن وجه المسرة ظلاما وعبوسا وبوسا . فان امتثل من حولنا من الامرأء الاكابر ، ما صدر منكم من النواهي والاوامر ، وثبّتوا ما ذكرتم من الموارد والمصادر ، فذلك البغية المقصودة ، والضالة المنشودة ، والدرة الثمينة المفقودة ، والنعمة الشاملة المحمودة . وان خالفوا اوامركم المطاعة ، وقابلوا نواهيكم اللازمة بالاضاعة ، فحسبهم عذابكم الوبيل ، وما تعدونه لمن خالفكم من التنكيل ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وحرر ثالث‌عشر رجب‌الحرام سنة ثمان‌وخمسين‌وتسعماية» .

---

(١) هكذا فى الاصل ولعل الكلمة تكون هذه (واخذنا لمداراة الحكام الصبر طريقا)

كتاب السلطان رشاد الى امير مكة

جناب مآب الامارة ومكتسب السعادة ، المنتسب الى السيادة، ذي النسب الطاهر ، والحسب الظاهر ، المستجمع لجميع المعالي والمفاخر ، كابرا عن كابر ، جمال السلالة الهاشمية ، فرع الشجرة الزكية النبوية ، طراز العصابة العلوية المصطفوية ، صفوة آل الرسول وقرة عين الزهراء البتول ، المحفوف بصنوف عواطف الملك الاعلى ، احد اعاظم وزراء سلطنتي السنية ، امير مكة المكرم ، الحائز والحامل نيشان الامتياز المرصع ونيشان الافتخار ، والنيشانين العثماني والمجيدي من الدرجة الاولى،وزيري سمير الفطانة الشريف حسين باشا دام سعده ، وادام الله تعالى اجلاله .

بوصول توقيعي الرفيع الملكي ، ليعلم اليكم انتم الشريف ، الذي هو للنباهة اليف . المشار اليه بمقتضى ما هو موروث في عنصر فطرتكم الاصلية . وما هو كامن في جبلتكم النسبية . من نقاء جوهر العراقة العدنانية ، وصفاء الطوية في الاصالة القحطانية ، وبمقتضى كل ذلك ، ولما تبذلونه من المساعي الجميلة والمآثر الحميدة ، لايفاء لوازم حسن التوقير واتمامها للحرمين المحترمين ، ولاكمال سعادة حال الاهلين والمجاورين للبلدتين المكرمتين وهدوء بالهم ، ولاقامة دعائم النظام ، واستمرار قواعد ضوابط الانتظام في تلك الديار المباركة ، من كل فج عميق ، متزملين زوامل الفرج والتوفيق ، من قوافل الحجاج الذين سبيلهم منهاج للهداية ، وللزوار وابناء السبيل والتجار وذلك معروف لدينا ومأمول لدى ذاتنا الملكية ، ولسابق هممكم المشهورة ، والمنتظرة فيما بعد ، ولما هو مقرر نحوكم ، من محاسن انظارنا السلطانية ،ومرامي عواطفنا الشاهانية » .

« فاعلاما بذلك ودلالة على عطفنا السامي في هذه المرة ، ايضا نرسل الى جانبكم المستحوذ على مناقب السعادة خلعة منمقة ياقتها بالقصب واللؤلؤ ، ومحفوفة قبتها (بمصك) من ماس البرلنت مهداة الى شرافتكم العليا ، رفق من امر بابلاغ هذا الامر الهمايوني، وايصاله المستلزم لمزيد الشرف والافتخار ، وهو احد الممتازين بخدمة البردة النبوية افتخار الاكابر والاكارم ، احمد نوري بك زيد

علوه . نبعث ونسري بها الى ناديكم الشريف برفقته . فلما نعهده منذ القدم من صفاء سريرتكم نحو اسرتنا العظيمة الشأن ، ودولتنا الرصينة الاركان ، بصورة خصوصية ، ولوفرة خصائص استقامتكم ومبتغاها ، فبوصول تلك الهدية السنية اليكم ، نروم استقبالها مع مراعاة مراسيم التوقير والاجلال ، والعناية بمقتضى صنوف التفخيم والتبجيل ، ولتلقيها واستقبالها ، ووضعها على كاهل استحقاقكم واستبهالكم بمراسم المباهاة والمفاخرة،والاكتساء بها على تلك الحالة، نؤمل ان تظهروا بهذا ما هو مستبين على جبينكم ، وظاهر على ناصية نجابتكم ، من انوار الاصالة وشعاع الفتوة ، الساطع واللامع على الجبهة الهاشمية والامارة العدنانية » .

«وانكم ستظهرون كل ذلك عند الاكتساء بها ، وانكم ستخابرون والي ولاية سوريا احد اعاظم رجال دولتنا العلية افتخار الاعالي والاعاظم مختار الاكابر والافاخم مستجمع جميع المعالي والمكارم خلوصي بك دام علوه لتأمين من يؤم تلك الرحاب من اقطار المعمورة الاسلامية للطواف بالبيت الشريف ، وزيارة ضريح نبينا باهر التشريف ، من حداة النوق المتجهين والعازمين الى ذلك النادي المقدس ، والسائقين ركابهم من هذه الاقطار من حجاج ومن تجار ومن وجوه . وما يقتضي بذله لحمايتهم وصيانتهم من تأمين طرق الحرمين المحترمين ، ولرفاهية قاطني ومجاوري المقامين المنيفين من همة مبذولة وعزة مأمولة ، ولاستجلاب الادعية الطيبة من ساكني البلاد المقدسة ، الزاخرة بالمحاسن من الصالحين والاخيار ، والعباد والزهاد والابرار . والحاصل القيام بما هو متحتم على عهدة الامارة الجليلة ، من الوظائف بشكل حسن ووجه مستحسن ، وعلى الاخص بأن يستقبل الحجاج من مدائن صالح ، ويشيعوا اليها بالحراسة والوقاية التامتين من تعديات الاشقياء ، ومن هجمات سائر الطوائف الضارة والمؤذية ، بأن تجلبوا جواد الدقة ، وتهزوا رماح الحماية ، وتمكنوا ساعد المكنة في هذا الباب المهم ، وان صلاح الامور الصحية وحسن جريانها مطلوب وملتزم لدى ذاتنا الملوكية . ولاتمام كل ما اوصينا به من الامور والشئون واكمالها وفق مطلوبنا

بذل القدرة العدنانية . وان تكون هذه المساعي موافقة لشأننا المقرون بالشوكة ، ومطابقة للحصافة والشهامة الهاشمية ، فاصرفوا من المآثر الجليلة في ذلك ، مع الدعاء لنا اعقاب الصلوات ، واوقات الاجابات ، عند زمزم والمقام ، ومع معتكفي البيت الحرام ، من خلص العباد ، ومن المشايخ الذين لهم الصلاح معتاد . وان يداوموا جميعا على الدعاء لدوام عمران دولتنا بهدوء البال ، وان تهتموا بذلك نحو مكانتنا الهمايونية .

تحريرا في اليوم الخامس عشر من شهر شعبان المعظم لسنة ثلاث وثلاثين وثلثماية والف لهجرة من له العز والشرف » .

مراسم تلاوة الفرمانات السلطانية في الامارة الهاشمية

١ ــ الفرمان يصدر بالتركية والعربية .

٢ ــ النسخة التركية تكتب بالخط الديواني وتقرا اولا . وهي متوجة بالطغراء السلطانية ومختومة بخاتم الديوان الهمايوني .

٣ ــ النسخة العربية متوجة كذلك بالطغراء السلطانية ومختومة بخاتم الديوان الهمايوني وتقرا بعد التركية .

٤ ــ يقرا النسخة التركية رئيس الديوان التركي للامارة الجليلة في مكة .

٥ ــ يقرا النسخة العربية رئيس الديوان العربي للامارة الجليلة في مكة .

٦ ــ يقرا الفرامان في منى في اليوم الثاني لعيد الاضحى صباحا .

٧ ــ يحضر الجنود بالبستهم الرسمية ــ وموسيقى الجيش ، فيعزف السلام السلطاني ويقرا الفرمان .

٨ ــ يحضر القراءة الوالي العثماني ، وقائد الجيش ، وامين الصرة ، وامير الحج الشامي ، وامير الحج المصري . وكلهم بالالبسة الرسمية والاوسمة . ويحضر كذلك كبراء الاشراف ، وشيخ السادة ، ورئيس العلماء ، والعلماء ، والمفتون . وبعد ذلك يقبّلون يد الامير الشريف ويهنئونه .

٩ ــ يستعرض الجيش العثماني ، ثم القوات الهاشمية .

١٠ ـ عند قفول الحج الشامي، ياتي امين الصرة والقفطان اغاسي حامل الهدايا السلطانية فيسلم اليهما الرد الاميري على الفرمان .
١١ ـ يكون الرد الاميري مكتوبا باللغة العربية فقط .
١٢ ـ يكون التوقيع الاميري على ظهر نسخة الرد لا في اعلاها ولا في اسفلها .

الرد الاميري على فرمان السلطان

وهذه احدى صور الرد الاميري .
الى حضرة الخاقان الاعظم ، والخنكار الافخم . البادشاه العظيم . والولي الحميم . محب آل بيت الرسول . وسلالة الزهراء البتول . من انتشرت الويته على الخافقين . خادم الحرمين الشريفين . ملك البرين والبحرين سلطان الروم . السلطان بن السلطان ، السلطان عبد الحميد بن عبد المجيد خان الثاني : لازالت الويته على الخافقين منشورة ، وعساكره على اعداء الدين منصورة ، بجاه جدنا سيد المرسلين . عليه افضل الصلاة وازكى التسليم » .

«اما بعد فإنا ننهي الى الاعتاب الملوكية الشريفة ، والجهات الخاقانية المنيفة ، ورود فرمانه السلطاني ، وخطابه الخاقاني ، المحتوي على عواطف المودة ، واكيد المحبة ، يرفعه امين الصرة السلطانية ، افتخار الاكابر والاماجد المحتوي على كافة المحامد ، احمد بك . وقفطان اغاسي ، عزت بك . فتلقيناه كما اشار السلطان الاعظم ، والبادشاه الافخم ، بكمال التفخيم والتعظيم . وتلوناه بالاجلال والتكريم ، على ملأ من حجاج المسلمين ، وسكان البلد الامين ، ومن حضر من طيبة مدينة سيد المرسلين ، وشهرنا الهدايا السلطانية ورفعنا الخلعة السنية على الاعطاف الهاشمية ، شاكرين الايدي الملوكية ، والعواطف الرحيمة السلطانية ، ادامها رب البرية . وقد حج المسلمون في تمام الراحة والصحة والسكينة ، وسينصرفون ان شاء الله كلهم الى اقطارهم ، وقد تقبل الله حجهم وسعيهم وزيارتهم . داعين للسلطان الاعظم والخاقان الاكرم بطول العمر والتمكين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله اجمعين » .

كانت الخلعة التي تهدى الى امير مكة ، عبارة عن جبـة من الجوخ الاسود مطرزة الصدر بسلوك من الذهب الابريز الحر ، مزهرة بأشكال مطرزة باللؤلؤ النافر في الصدر والظهر واليدين ، وفي الزيق مصك على هيئة نصف شمس من فاخر الالماس ، تتلوها خلع للجمعة ، مطرزة بسلوك الذهب في الزيق واليدين فقط .

العلوم العربية

بعد ان حدثتني عن تاريخ امتي ، هل لك ان تحدثني عن علومها بايجـاز ؟

نعم احدثك عن العلوم ، فأبدأها بعلم اللغة وضبط اللسـان فأقول :

للغة علمان اساسيان : علم النحو ، وعلـم الصرف . فعلم النحو هو علم تضبط به اواخر الكلم . والكلام يتضمن ثلاثة اصول : اسم وفعل وحرف . فالاسم ما دل على مسمى ، كاسم الذات الذي يدل على شخصية حية . مثل رجل وذئب ، وسبع ، واسم المعنى ، مثل الجمال ، والقوة ، والذكاء ، واسم الجماد مثل بحر ، وارض ، وشمس . ومن الاسماء ما يدل على الافعال ، كالقيام ، والقعود ، والاكل . فان كلا من القيام والقعود فعل ، وهذا اسمه الدال عليه ؛ والسرور والحزن والنوم والالم طوارىء وهذه اسماؤهـا ، فهي مسميات لافعال ولطوارىء فافهم .

والفعل هو الذي يدل على حدوث عمل ما في زمن ما ، مثل اكل ، وسافر ويشرب . والحرف اما ان يكون احد الحروف الهجائية ، وهي من الالف الى الياء ، او يكون لفظة مركبة من حرفين او ثلاثة ، ولكنها لا تدل على معنى الا اذا سبقت الاسم او الفعل . مثل من ، وعلى ، وعن . فتقول جلست على الكرسي ، وجئت من البيت ، او تكون سابقة للفعل ، مثل قد يكون ، وهل جئت ؟

ضبط اصول النحو

كيف تضبط هذه الاصول ؟

لضبط الكلام ثلاث حركات : الرفع ، والنصب ، والجر . ولكل حركة عوامل مسببة ، فاذا كان الاسم مبتدأ او خبرا او فاعلا

كان مرفوعا . فتقول الشمسُ طالعة ، وطلعت الشمس . ففي الاولى مبتدأ وخبر ، وفي الثانية فاعل .

والمبتدأ هو الاسم الذي يبدأ به الكلام ، والخبر هو تتمة الابتداء . والفاعل هو صاحب الفعل . وعلامة الرفع في المفرد الضمة، وفي المثنى الالف والنون ، وفي الجمع ـ عادة ـ الضمة ، وفي جمع المذكر السالم الواو والنون .

واما المنصوبات فهي الاسماء التي تكون في حالة المفعولية ، كقولك شربت الماء . وعلامة النصب في المفرد الفتحة ، وفي المثنى الياء والنون ، كقولك رايت الرجلين ، وفي الجمع ـ عادة ـ الفتحة ، وفي جمع المذكر السالم الياء والنون، وفي جمع المؤنث السالم الكسرة، مثال ذلك اعطيت الفقراءَ وسمعت للعلمين واعطيت الفقيرات .

وهناك منصوبات اخرى هي الحال ، والاستثناء ، والتمييز . كقولك سافر خالد راكبا ، وجاء التلاميذ الا واحدا ، ورايت احد عشر كوكبا . فالاولى حال ، والثانية استثناء ، والثالثة تمييز . وهذا كل ما يتعلق بالاسماءَ بشكل موجز .

واما المجرورات ، فهي الاسماء المسبوقة بحرف من حروف الجر ، كقولك نزلت في البيتِ ، وعلامة الجر في المفرد الكسرة ، وكذلك في الجمع ـ عادة ـ وفي المثنى الياء والنون ، وكذلك في جمع المذكر السالم .

ولا يفوتني ان اخبرك عن التوابع . وهي التي تتبع الاسم الذي قبلها . فاذا كان مرفوعا كانت مرفوعة ، او منصوبا منصوبة ، او مجرورا مجرورة . وهي العطف ، والبدل والنعت والتوكيد . كقولك جاء علي ومحمد ورايت عليا ومحمدا وجلست مع علي ومحمد، ورايت محمدا الرئيسَ ، وجاء محمد الرئيسُ ، وجلست مع محمد الرئيسِ . وهذا محمد نفسه ، وشاهدت محمدا نفسَه ، وسلمت

على محمد نفسيه .

اما الافعال فهي الفعل الماضي كذهب ، والفعل الحاضر او المستقبل (وهو ما نعرفه بالفعل المضارع) مثل يذهب ، والامر مثل اذهب . واما الفعلان الماضي والامر فلا يتغير آخرهما . واما المضارع فيلحق آخره السكون اذا سبقه حرف جزم ، مثل محمد لم يذهبْ ، وتلحقه الفتحة اذا سبقه حرف نصب ، مثل رضيت ان اذهبَ . واذا اردت التفصيل فعليك بكتب النحو التفصيلية .

ضبط اصول الصرف

حدثتني عن علم النحو فما هو علم الصرف ؟

علم الصرف هو علم يبحث في الكلمة الواحدة والتغييرات التي طرات عليها ، وذلك ان الفعل الماضي هو اصل الافعال ، وان اصل تركيبه ثلاثة أحرف او اربعة ثم زيد عليها . فاذا كان خاليا من الزيادات سمي فعلا مجردا ، مثل ضرب وسمع ونزل في الثلاثي ، وزلزل ودحرج في الرباعي ، واذا زيد عليه حرف او حرفان او ثلاثة، ولا يزاد اكثر من ذلك ، سمي مزيدا ، فتقول من سمع ، أسمع واستمع واستسمع .

لماذا وجدت هذه الزيادات ؟

الافعال

علة هذه الزيادات تغيير معنى الفعل بتغيير صيغته ، او تغيير صيغته لتغيير معنى الفعل . ففعل قَبِلَ يختلف معناه عن فعل اقبل وقبّل وقابل وتقبّل واستقبل ، وهذه احدى ميزات لغتنا الشريفة .

ثم ليس هناك فعل مركب من حرفين ابدا ، ولكنه ثلاثة احرف أدغم الثاني منها بالثالث وهذا ما يسمى الفعل المضاعف ، وقد يفك هذا الادغام في الفعل المضارع فتقول لم يشدُد ، وفي فعل الامر فتقول اشدد .

هل للفعل من حيث تركيبه انواع ؟

نعم ، فهناك الفعل المعتل ، وهو الذي في احد اصوله حرف

علة ، مثل وهم ونام ، ونسي . ففي الاول واو ، وفي الثاني الف ، وفي الثالث ياء . وهناك المهموز ، وهو الذي في أحد أصوله همزة مثل أخذ وسأل وقرأ . والفعل المضاعف ، وقد ذكرناه ، والفعل السالم وهو الذي خلت اصوله من العلة او التضعيف او الهمز مثل كتب وسمع .

حسنا ، فهل تحدثني عن ابواب اخرى يتناولها علم الصرف ؟

نعم يتناول ايضا مشتقات الكلمة ، فالفعل هو اصل تتفرع عنه اسماء مصوغة هي :

١ ــ اسم الفاعل ، وهو من الفعل الثلاثي على وزن فاعل ، فمن كتب كاتب ، ومن جلس جالس . ومن غير الثلاثي على وزن فعله المضارع بابدال حرف المضارعة ميما مضمومة ، فمن اخبر مخبر ومن انتقل منتقل ومن استخدم مستخدم .

٢ ــ واسم المفعول وهو الذي يدل على معنى وقوع الفعل عليه، وهو من الثلاثي على وزن مفعول ومن غير الثلاثي على وزن المضارع المجهول بابدال حرف المضارعة ميما مضمومة فمن اكرم مكرم ، ومن انتزع منتزع ، ومن استخدم مستخدم .

٣ ــ واسم المكان وهو الاسم الدال على مكان الفعل ، وهو من الثلاثي الصحيح على وزن مَفعَل اذا كان مضموم العين او مفتوحها في المضارع مثل مَرصَد ، ومسبح ، وهناك بعض الشواذ . وعلى وزن مفعِل ، اذا كان مكسور العين او معتل الفاء مثل معقِل وموردِ . ومن غير الثلاثي على وزن اسم المفعول مثل مجتمع .

٤ ــ واسم الزمان وهو الاسم الدال على زمان الفعل ، وحكمه حكم اسم المكان مثل موعِد ومنتظَر .

٥ ــ واسم المرّة وهو ما يدل على مرّة واحدة من مرات حدوث الفعل ويكون دائما على وزن فَعلة (بفتح الفاء) مثل اكلة ووثبة .

٦ ــ واسم الهيئة (وهو المعروف باسم النوع) وهو ما يدل على هيئة حدوث الفعل ، ويكون على وزن فعلة (بكسر الفاء) مثل جِلسة فتقول جلست جلسة الاسد .

٧ ــ والصفة (وتدعى بالصفة المشبهة) وهي التي تدل على صفة الاسم ، ولها اوزان مختلفة كقولك جميل وحذر وجبان ، وتشتق من الفعل اللازم ..

٨ ــ وهناك بحثان لا بد من الاشارة اليهما وهما الابدال والاعلال . اما الاول فهو ابدال حرف بحرف لضرورة لفظية ، كابدال التاء بالطاء في قولنا اصطدم ، وابدال التاء بالدال في قولنا ادّكر من ادتكر ، واذا كان الحرفان المبدلان حرفي علة سمي ذلك اعلالا ، كقولك شوهد من شاهد ، ونام من نوَم ، والاصل في هذا كله سهولة النطق صحيحا . فراجع كتب الصرف للتفصيل في كل ما ذكرنا .

كتب التاريخ

هل تدلني على الكتب التي ارجع اليها لمعرفة تاريخ امتي ؟

نعم . فهناك كتب الفتوح والمغازي ، ككتاب فتوح الشام للواقدي ، وفتوح البلدان للبلاذري ، وفتوح مصر لابن عبد الحكم . وهناك تواريخ البلدان والمدن . كتاريخ مكة للازرقي ، وتاريخ بغداد، للخطيب البغدادي ، وتاريخ مصر والقاهرة لابن تغري بردي ، وتاريخ دمشق ، لابن عساكر ، وتاريخ جزيرة العرب واليمن للانباري . وهناك التواريخ العامة ، كتاريخ الطبري ، وابن الاثير ، والمسعودي ، وابن خلدون ، وتاريخ الخميس ، والفخري لابن الطقطقى . وهناك كتب السير التي تحدث عن السيرة النبوية الطاهرة .

كتب الطب

هل تذكر لي اشهر الاطباء العرب وما وضعوه من مؤلفات طبية؟

اشهر شخصيات الطب العربي هم ابو بكر محمد بن زكريا الرازي ، الذي وضع نحوا من مائتي كتاب في الطب ، ذكرها ابن النديم في كتابه (الفهرست). واعظم مؤلفاته الطبية ، كتاب (الحاوي) الذي يضم الطب اليوناني والسرياني والعربي . وخلف بن العباس المجوسي ، وكتابه المشهور (كامل الصناعة الطبية) الذي وضعه لعضد الدولة البويهي . وابو القاسم الزهراوي طبيب بلاط قرطبة وكتابه يدعى (التصريف فيمن عجز عن التاليف) . وهو في ثلاثين مجلدا ، صوّر فيه مائتي شكل للآلات الجراحية . وابو علي الحسين بن

سينا صاحب كتاب (القانون) اشهر ما كتب في الطب العربي ، والذي نقل الى اللاتينية وطبع عشرات المرات . واشتهر عدد كبير من الاطباء العرب غير من ذكرنا . وقدم العرب للعالم فنونا في الطب من جراحة وصنع ادوية وانشاء مستشفيات ، وكل ما كان قواعد للطب الحديث .

العلماء

حسنا فهل تذكر لنا اهم علماء الكيمياء ؟

اذكر لك جابر بن حيّان الذي الف مئة وخمسين كتابا في الكيمياء وصلنا منها اثنان وعشرون كتابا ، اشهرها كتاب (الملك) وكتاب (الموازين) الصغير وكتاب (الرحمة) وكتاب (الزئبق الشرقي) وكتاب (التجميع) . وقد ترجم كثير من كتب جابر الى اللاتينية في اوروبا ، ومنهم ماسويه الماردیني وكتابه جامع للادوية في اثني عشر جزءا وكثير غيرها . وأشهر ما عمل العرب في علم الكيمياء استخراج الحوامض وتحويل المعادن .

اول من اشتهر من علماء العرب في علم الحيوان الاصمعي الذي عني كثيرا بالحيوان . وعلي الطبري صاحب كتاب (فردوس الحكمة) . والجاحظ مؤلف (كتاب الحيوان) . والدميري . والفيلسوفان ابن الطفيل وابن باجة .

واشهر علمائه البيروني، انبغ عالم في الرياضيات والفلك وعلم الارض والنبات وسواها . وابن وحشية ، صاحب كتاب (الفلاحة النبطية) . ووصف الادريسي ثلاثماية وستين دواء من ادوية النبات . وابو جعفر الغافقي . أشهر نباتيي الاندلس ، وهو ادق وصّاف لنباتات الاندلس .

اشهرهم البيروني ابو الريحان ، وضع اشهر كتاب في علم الارض هو (كتاب الاحجار) . والتيفاشي، الذي يبحث فصول خمسة وعشرين حجراً وانتشائها ، والمازني الاندلسي ، الذي يذكر معلوماته

عن طبقات الارض التي زارها .

واما الفلك ، فقد قاس العرب حجم الارض وطول محيطها ومقياس درجتها ، واشتهر منهم في الفلك الخوارزمي ، الذي وضع المبدأ العشري في تقسيم الارقام . والفرغاني ، صاحب كتاب (الحركات السماوية وجوامع علم الكلم) .

وللعرب مآثر في الرياضيات ، فقد حلوا معادلة الدرجة الثالثة والرابعة ووضعوا قواعد جديدة في الحساب والجبر ، وحلوا الهندسة بالجبر ، وحلوا الجبر بالهندسة ، وهم الذين اثبتوا نظرية كروية الارض ، وقسموها الى أقاليم ، وقاسوا الدرجة فكانت ٥٦ ٢/٣ الميل اي باختلاف ١/٤ في المئة عن احدث مقياس .
هذه لمحة خاطفة عن مآثر قومي في العلوم ، واني لافخر بكل ما ذكرت .

خاتمة الكتاب

هذه اجوبتنا على ما سألت ، ومنه يعلم كيف ان العرب بالهداية الالهية ، والرسالة النبوية ، والمؤهلات العنصرية ، أسسوا المجد العظيم في سنوات معدودة . وعندما نجمت بوادر الفتن في نكبة الامة بما حصل على ذي النورين – عليه الرضوان – حدث التوقف في سير الامة ، ثم الانقسام والاضمحلال . ولكن بقي هدى الاسلام ونوره وثقافته . وعندما شاخت دولة بني عثمان ، وسلك رجالها مسلكا يتعارض مع المبادىء العربية دنيا ودينا ، وبدأ الخلاف المسلح بين الامتين ، وبارادة الله تعالى اتحدت كلمة الامة مرة اخرى ، مقتدية بالمنقذ الاعظم رحمه الله تعالى ، ملبية لدعوته ومن معه ، فسارت حثيثا الى المجد حتى يوم الهدنة . وعقب ذلك كانت الممالك العربية بسورية والعراق والحجاز ، رغم اعتراض صاحب الثورة ، ورغم رفضه لكل عمل يجر الى الانشقاق ويضر بالاتحاد ، فكان ما كان من الارتباك الذي أخر العرب كثيراً . لذلك وللحادثتين

التاريخيتين من التفرقة ــ الاولى في زمن عثمان ، والتفرقة الاخيرة بعد الهدنة ــ يجب على كل عربي ان يحكم بأن السلامة في الوحـــدة وان الهلاك في التفرقة .

هذه خلاصة عن الموقف العربي في الثورة الكبرى ، وقد علم كل عربي نتيجة ما حصل . والمهم اليوم لفت الانظار الى الناحية التي لم تمحص درسا ، ولم يوقف على كنهها وحقيقتها ، حيث ــ ويا للأسف ــ قد اصبح من الواضح الملموس ان البلاد العربيـــة تقسمت زعامتها فئة من الناس تضع نصب العين الحرص عـــلى الحكم والتحكم ؛ مرة بالعصبية واخرى بالحزبية ، واحيانا بالقوى الاجنبية . ولم يكن للامة أي نصيب في زعمائها من ناحية النزاهة والابتعاد عن الاغراض والفوائد الشخصية والحزبية والعصبية المذهبية ، واخيرا السمسرة ، فربّ صحيفة بيضاء ناصعة قد عمل على تسويدها ، فأبى الله الا ان تبقى ناصعة البياض ، ورب صحائف سوداء ملوثة اجتهد أولو الاغراض على ان ترى بيضاء ، وقد ابى الله الا ان تبقى قاتمة السواد . والامور بخواتمها ، والاعمال بنتائجها . والعرب امة واحدة في بقعة واحدة ، تحدها آسيا الصغرى مـــن شماليها ، وبلاد فارس من شرقيها والخليج المعروف بها ، ومـــن الجنوب يحدها بحر الهند،ومن الغرب حدها البحر الاحمر فالحدود المصرية ثم بحر الروم . وقد عرف من القديم ان في بلاد العرب من العرب امارات وممالك ، اوجبها وجود الصحراء في قلب الجزيرة او شبه الجزيرة ، وبعد الشقة وقلة وسائط النقل ووسائل المخابرة .

اما اليوم وقد اصبحت هذه الارض تضيق بسكانها لتزايد النفوس وتحسن وسائل المخابرة ووسائط النقل ؛ فعلى هذه الامة التآخي ، وتوحيد الثقافة ، وانشاء الطرق والمواصلات ، ثم ايجاد ائتلاف اقرب الى الوحدة من حيث الامور الاقتصادية والدفاعيـــة وما يتعلق بالمسائل الخارجية . وان هذه هي النصيحة التي يحملها القلب العربي النقيّ ، الذي يرى ان الوحدة بعيدة المدى والمتناول في الوقت الحاضر . ثم انه من اهم الامور استخدام ذوي الكفاءات واعطاء القوس لباري القوس . وليست الامة بتراث يورث. وليست

مصالح الشعب منحة للمتغلبين . وليس القول لمن يحسن القول . ولكن جل هذا التراث للامين بعد الامين ممن يظهره الله ــ سبحانه وتعالى ــ ويثبت هو جدارته في تأدية واجبه بامانة واخلاص .

هذا ما نراه من واجب علينا . وفقنا الله جميعا الى ما فيه سدادنا ، بحرمة كتابه الكريم ، ونبيه سيد المرسلين ، عليه افضل الصلاة واتم التسليم . والحمد لله تعالى وبه نستعين. والله حسبنا ونعم الوكيل .

الفصل الثاني

جواب السائل عن الخيل الأصائل

بسم الله الرحمن الرحيم

عزيزي الشيخ فؤاد باشا الخطيب :

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين . اما بعد ، فانك طلبت الي ان اكتب كتابا في الخيل العراب ، وعما عرف عنها قديما ، وما هو معروف عنها اليوم . وانني لفي مثل ما انت فيه من حاجة الى معرفة الشيء الكثير عن الخيل ؛ ولقد كلفت شططا ،اذ لست اعلم ـ ويا للاسف ـ ان هنالك كتابا خاصا بالصافنات الجياد ، يشفي الغليل . ومع ذلك فقد بحثت والتقطت ماً تيسر في المعتمد من الكتب العربية، وما ورد في بعض اشعار العرب من وصف الخيل واصنافها ، وما يستحسن من صفاتها ويستقبح ، والله المستعان .

لا جَرم ان العرب عنيت بالخيل واسهبت في الكتابة عنها ، وانما لم يصل الينا من ذلك الا ثمد من قطر ، ووشل من بحر . فقد قيل ان الاصمعي صنّف للرشيد كتابا في الخيل مجلدا واحدا ، وان ابا عبيدة صنّف في ذلك خمسين مجلدا ، ولكن الرشيد امتحنهما ، فقرب لهما فرسا فلم يعرف ابو عبيدة اعيان الاعضاء. واما الاصمعي، فجعل يسمي كل عضو ، ويضع يده عليه ، وينشد ما قالت العرب فيه . فقال له الرشيد خذه ، فأخذه الاصمعي .

فضائل الخيل واصنافها

اما الخيل وما لها من مكانة فحسبك أن تعلم ان الله ـ سبحانه وتعالى ـ ذكرها في عدة مواقع من الكتاب العزيز ، كقوله تعالى في الآية الشريفة في سورة (ص) « اذ عرض عليه بالعشيّ الصافناتُ الجياد » . وكقوله تعالى في سورة (العاديات) «والعاديات ضَبْحا»

مقسما بها . وقوله تعالى في سورة (الانفال) « ومِن رِباط الخيل ترهبون به عدوّ الله وعدوّكم » . وان النبي صلى الله عليه وسلم قال فيها : « اعرافها ادفاؤها ، واذنابها مذابّها ، والخيل معقود في نواصيها الخير الى يوم القيامة » وقال (صلعم) «بطونها كنز ، وظهورها حرز ، واصحابها معانون عليها » . وقال الشاعر :

احبوا الخيلَ واصطبروا عليها فان العزّ فيها والجَمالا
اذا ما الخيلُ ضيّعها اناس ربطناها فشاركَتِ العِيالا

وسئل بعض الحكماء : اي الاموال أشرف ؟ قال : فرس يتبعها فرس في بطنها فرس . اما اصناف الخيل فثلاثة : العراب ، والعجميات ، والمولّدات . فالعراب هي افضلها واغلاها قيمة ، تطلب للسبق والغزو ، وتتغالى ملوك العرب في أثمانها ، وتعدها لمهام الحرب ؛ ويوجد احسنها في الحجاز ونجد واليمن والعراق والشام. واما العجميات ، وهي البراذين ، ويقال لها الهماليج ، وتعرف اليوم بالاكاديش ، فهي من مجلوبات بلاد الترك والروم ، وتطلب لسرعة السير والصبر على الاسفار مع شيء من الحمل . والثالثة المولّدات وهي بين العِراب والبراذين ، فان كان الاب عجميا والام عربية ، قيل لها هجين ، وان كان الاب عربيا والام عجمية ، قيل له مقرف ، وهو متوسط في السير والجري بين النوعين .

الوان الخيل

اما ألوان الخيل ،فقد ذكر ابن ابي اصبع ان اصول الالوان فيها ترجع الى اربعة ، وما سواها مفرّع عنها . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحب من الخيل الشقر . وقال : لو جمعت خيل العرب في صعيد واحد ما سبقها الا اشقر .

اما اولها فالابيض : ولون البياض قل ان يخلص من لون يخالطه . فان صفا بياضه قيل فيه اشهب قرطاسي ، فان كانت أذناه وقوائمه وعرفه وذيله سودا قيل اشهب كافوري ، وان كان السواد فيه اغلب ، قيل اشهب حديدي واشهب اشمط واشهب مخلس ، فان كان فيه نكت سود قيل اشهب مفلّس ، فان اتسعت قليلا قيل أشهب مدنر ؛ فان كان في شهبته طرائق قيل اشهب مجذّع ؛ فان

كان فيه بقع من أي لون كان دون البياض ، قيل مبقع ؛ فان صغرت تلك البقع قيل ابقع ؛ فان تفرقت واختلفت مقاديرها قيل أشيم ، فان تعادل ذلك اللون مع البياض مع صغر النقط من اللونين قيل انمش ؛ فان تناهت في الصغر قيل أبرش ، فان كان البياض نكتا صغيرة في ذلك اللون ، قيل مفوّف ؛ فان كان شيء من ذلك كله في عضو واحد قيّد به ، مثل قولك مفوف القطاة وانمش الصدر وما اشبه ذلك .

الثاني السواد : فان كان الفرس شديد السواد قيل فيه ادهم ؛ فان اشتد سواده قيل أدهم غيهبي ؛ فان علا السواد خضرة قيل احوى والجمع حوّ . فان خالط سواده شقرة قيل أدبس ؛ فان انضم اليه ادنى حمرة أو صفرة قيل أحم ، فان ضرب سواده الى يسير بياضه قيل أورق ، وهو الاكهب وفي دونه من السواد يقال أربد .

الثالث الحمرة : اذا كان الفرس خالص الحمرة وعرفه وذيله أسودين قيل فيه ورد وورد وأوراد ، والأنثى وردة ؛ فان خالط حمرته سواد فهو كميت — الذكر والأنثى فيه سواء — فان صفت حمرته شيئا قليلا قيل كميت مدمى ؛ فان كان صافيا قليل الحمرة وعرفه وذيله اشقرين قيل اشقر ؛ فان كان أحمر وذيله وعرفه كذلك قيل أمفر ، فان خالط شقرة الأشقر او الكميت شعرة بيضاء قيل صنابيّ ، أخذا من الصناب وهو الخردل بالزبيب فان كانت حمرته كصدأ الحديد قيل أصدأ ، فان زاد فيه السواد شيئا يسيرا قيل أجوأ والمؤنث جأواء والاسم الجؤة .

الرابع الصفرة : فان كانت صفرته خالصة تشبه لون الذهب وعرفه وذيله اصهبين مائلين الى البياض قيل أصفر خالص ؛ فان كان أبيض قيل اصفر فاضح ؛ فان كانا أسودين قيل اصفر مطرّف ، وهو يسمى في زماننا بالحبشي ؛ فان كان اصفر ممتزجا ببياض قيل أشهب سوسني ، فان كان في آكارعه خطوط سود قيل موشّى .

صفات جياد الخيل

ومن صفات جياد الخيل ما ذكره مسلم أبن عمرو لابن عم له بالشام وقد ساله ان يشتري له خيلا ، فقال له لا علم لي بالخيل، فقال الست صاحب قنص ؟ قال بلى . قال انظر كل شيء تستحسنه في الكلب فاطلبه في الفرس . فأتى بخيل لم يكن في العرب مثلها .
وسال معاوية بن ابي سفيان صعصعة بن صوحان اي الخيل افضل؟ قال : الطويل الثلاث ، القصير الثلاث ، العريض الثلاث ، الصافي الثلاث . قال : فسر لنا . قال : أما الطويل الثلاث فالأذن والعنق والحزام ، وأما القصير الثلاث ، فالصلب والعسيب والقضيب ، وأما العريض الثلاث ، فالجبهة والمنخر والورك ؛ وأما الصافي الثلاث ، فالاديم والعين والحافر . والمحفوظ أن عمرا رضي الله عنه شك في العتاق والهجون ، فدعا سلمان بن ربيعة وقد كان سلمان يفرق بين العتاق والهجن فدعا بطست فيه ماء ، فوضعت في الارض ، ثم قدمت الخيل اليها واحدا واحدا ، فما ثنى سنبكه منها ثم شرب هجنه ، وما شرب ولم يثن سنبكه جعله عتيقا لأن في اعناق الهجن قصرا فلا تنال الماء حتى تثني سنابكها . وقد روي انه هجّن فرس عمرو بن معدي كرب ، فاستعدى عليه امير المؤمنين عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — فقال سلمان ادع بإناء فيه ماء ثم أتى بفرس عتيق لا شك في عتقه ، فأشرع في الإناء فصف بين سنبكيه ومد عنقه فشرب ؛ ثم قال ايتوني بهجين لا شك فيه ، فأشرع فبرك فشرب ، ثم أتي بفرس عمرو بن معد يكرب فأشرع فصف بين سنبكيه ومد عنقه ثم ثنى احدى سنبكتيه قليلا فشرب ، فقال عمر انت سلمان الخيل .

ويستدل على عتاقة الفرس برقة جحافله وارنبته وسعة منخريه وعري نواهقه ، ودقة حقوبه ، وما ظهر من اعالي اذنيه ورقة سالفته واديمه وشعره . وابين من ذلك كله لين شكير ناصيته وعرفه ؛ وكانوا يقولون اذا اشتدت نفسه ورحب متنفسه وطال عنقه واشتد حقبه وانهر شدقه وعظمت فصوصه ، وصلبت حوافره ، ووقحت ، الحق بجياد الخيل .

ذكر الاصمعي ان هارون الرشيد ركب في سنة خمس وثمانين

ومئة الى الميدان لشهود الحلبة . قال الاصمعي ، فدخلت الميدان لشهودها فيمن شهد من خواص امير المؤمنين ، والحلبة يومئذ أفراس للرشيد ، ولولديه الأمين والمأمون ، ولسليمان أبي جعفر المنصور ، ولعيسى بن جعفر ، فجاء فرس أدهم يقال له الربيد لهارون الرشيد سابقا . فابتهج لذلك ابتهاجا عظيما علم ذلك في وجهه ، وقال : عليّ بالأصمعي . فنوديت له من كل جانب ؛ فأقبلت سريعا حتى مثلت بين يديه . فقال : يا أصمعي خذ بناصية الربيد ثم صفه من قونسه الى سنبكه ، فانه يقال إن فيه عشرين اسما من أسماء الطير . فقلت نعم يا أمير المؤمنين ، وانشدك شعرا جامعا من قول ابي حزرة . قال فانشدنا لله ابوك فانشدته :

واقب ١ كالسرحان ٢ تم له ... ما بين هامته ٣ الى النسر ٤
واناف٥ بالعصفور ٦ من سعف٧ ... هم أشم ٨ موثق ٩ الجذر ١٠
واذان بالديكين ١١ صلصله ١٢ ... ونبت دجاجته ١٣ عن الصدر
والناهضان١٤ أمر ١٥ جلزهما١٦ ... فكأنما عثما ١٧ على كسر
مسحنفر ١٨ الجنبين ملتئم ١٩ ... ما بين شيمته ٢٠ الى الغر ٢١
وصفت سماناه ٢٢ وحافره ... واديمه ٢٣ ومنابت الشعر
وسما الغراب ٢٤ بموقعيه معا ... فأبين بينهما على قدر ٢٥
وتدمت عنه القطاة(٢٦) له ... فنأت بموقعها عن الحر ٢٧
يدع الرضيم٢٨ اذا جرى فلقا٢٩ ... بتوائم ٣٠ كمواسم٣١ سمر٣٢
ركّبن في محض الشوى٣٣ سبط ٣٤ كفت ٣٥ الوثوب مشدد الأسر٣٦

---

١ ـ ضامر البطن . ٢ الذئب . ٣ اعلى الراس وهو من اسماء الطير . ٤ ما ارتفع من بطن الحافر وهو من اسماء الطير . ٥ اشرف . ٦ منبت الناصية والعصفور عظم نائيء في كل جبين والعصفور من الغرر ايضا وهي التي سالت ودقت ولم تجاوز الى العينين ولم تستدر كالقرحة وهو من اسماء الطير . ٧ يقال فرس بين السعف وهو الذي سالت ناصيته منتشر . ٨ مرتفع . ٩ شديد قوي . ١٠ الاصل من كل شيء . ١١ الديكان واحدهما ديك وهو العظم الناتيء خلف الاذن. ١٢ الصلصل بياض الناصية . ١٣ الدجاجة اللحم الذي على زوره والديك والصلصل والدجاجة من اسماء الطير . ١٤ الناهضان واحدهما ناهض وهو لحم =

فامر لي بألف درهم .

ومما يشبّه من خلق الفرس بخلق حمار الوحش غلظ اللحم وتعبيره . والتعبير أن يجتمع اللحم على رؤوس العظام فيصير كالعير الذي في وسط نصل السهم ، وهو الناشز في وسطه، وكذلك عير الكتف الناشز في وسطه وظماء فصوصه وسراته ، وهو أعلى ظهره ، ولذلك قال الشاعر (له متن عير وساقا ظليم) ، وتمكن أرساغه وتمحيصها ، والتمحيص ان لا يكون على قوائمه لحم ولذلك قال الشاعر :

واحمر كالديباج أما سماؤه فريّ وأما ارضه فمحول

سماؤه أعاليه ، وارضه قوائمه وعرض صهوته ، والصهوة موضع اللبد من الفرس حيث الراكب ، وصهوة كل شيء اعلاه .

ولذلك قال امرؤ القيس :

له أيطلا ظبي وساقا نعامة وصهوة عير قائم فوق مرقب

شيات الخيل

وأما شيات الخيل ، وهي البياض المخالف للونها ، فمنها الغرّة ؛ وهو البياض الذي يكون في وجه الفرس اذا كان قدره فوق الدرهم . فان كان دون الدرهم قيل في الفرس أقرح ؛ فإن جاوز البياض قدر الدرهم فهو أعرم . ثم أول رتبة الغرّة يقال له النجم ؛

= المنكبين والناهض فرخ القطا وهو من اسماء الطير . ١٥ فتل واحكم . ١٦ الجلز الشد . ١٧ العشم الجبر اي كأنهما كسرا ثم جبرا . ١٨ منتفخ . ١٩ معتدل . ٢٠ شيمته منخره . ٢١ عضلة الساق . ٢٢ السماني طائر والدائرة في سالفة الفرس . ٢٣ الجلد . ٢٤ راس الورك . ٢٥ فابين بينهما على قدر اي فرق بينهما على اعتدال . ٢٦ القطاة مقعد الردف وهي من اسماء الطير . ٢٧ الحر سواد يكون في ظاهر أذني الفرس وهو من اسماء الطير لذكر الحمام . ٢٨ الرضيم الحجارة . ٢٩ مكسرة قطعا . ٣٠ التوائم جمع توام اي مثنى ويقصد بذلك حوافره . ٣١ جمع ميسم وهو الحديد في صلابتها . ٣٢ سمر اي ذات لون واحد . ٣٣ جمع شواة وهي القوائم . ٣٤ سهل . ٣٥ كفت الولوب اي مجتمع من قولك كفت الشيء اذا جمعته ولممته . ٣٦ مشدد الاسر اي الخلق .

فان سالت الغرة ورقّت ولم تجاوز جبهته قيل فيها أغرّ عصفوري؛ فان تمادت حتى جلت خيشومه ولم تبلغ جحفلته قيل أغر شمراخيّ ؛ فان ملأت جبهته ولم تبلغ العينين قيل اشدخ ؛ فان اصابت جميع وجهه الا انه ينظر في سواد قيل مبرقع ، فان فشت حتى جاوزت عينيه وابيضت منها اشفاره قيل مغرب ، فان اصابت منه خدا دون خد قيل لطيم ايمن او لطيم ايسر ؛ فان كان بشفته العليا بياض قيل أرثم ؛ وان كان بالسفلى بياض قيل ألمظ، فان نالهما جميعا قيل ارثم المظ . ومنها التحجيل في الرجلين وما في معنى ذلك ، فان كان البياض في مؤخر الرسغ لم يستدر عليه قيل في الفرس منعل ؛ وان كان في الاربع قيل منعل الاربع ، او في بعضها ، اضيف اليه ، فقيل منعل اليدين او الرجلين او اليد او الرجل اليمنى او اليسرى ، فان استدار الى الرسغ ، وهو المفصل الذي يكتنفه الوظيف والحافر وكان في احدى الرجلين قيل ارجل ، وان كان في الرجلين جميعا قيل مُخدّم واخدم ؛ فان جاوز رسغ الرجل واتصل بالوظيف ، وهو ما بين الكعب وبين اسفله ، ولم يجاوز ثلثيه قيل محجّل اخدم ، من الحجل وهو الخلخال . فان كان في رجل واحدة قيل محجل الرجل اليمنى او الرجل اليسرى ، فان كان في الرجلين جميعا قيل محجل الرجلين ، فان كان معه في احدى اليدين بياض يجاوز الرسغ الى دون ثلثي الوظيف قيل محجل الثلاث مطلق اليد اليمنى او اليسرى ، فان كان البياض في اليد الاخرى كذلك قيل محجل الاربع ، فان كان البياض في اليدين فقط قيل اعصم ، سواء جاوز الرسغ ام لا ، ولا يطلق التحجيل على اليدين او احداهما الا بانضمام الى تحجيل الرجلين او احداهما . فان كان في اليد الواحدة قيل اعصم اليد اليمنى او اليسرى ، وان كان فيهما قيل اعصم اليدين، وان كان التحجيل في يد ورجل من جانب واحد قيل ممسك، وان كان ذلك من الجانب الايمن قيل ممسك الايامن مطلق الاياسر ، وان كان بالعكس قيل ممسك الاياسر مطلق الايامن ، وان كان التحجيل في يد ورجل من خلاف فهو الشكال ، وقيل الشكال بياض القائمتين من جانب ، وقيل بياض ثلاث قوائم ، فان تعدى البياض

حتى جاوز عرقوبي الرجلين او ركبتي اليدين قيل فيه مجبّب ، فان بلغ البياض حنوي رجليه ومرفقي يديه قيل ابلق ، فان زاد على ذلك حتى بلغ الافخاذ والاعضاد قيل ابلق مسرول ، فان اختص البياض بيديه وطال حتى بلغ مرفقيه قيل اقفز ومقفز ، فان كان البياض في الوظيف غير متصل بالرسغ ولا بالعرقوب ولا بالركبة قيل موقّف ، ومنها الشيات التي تتخلل سائر جسدها ، فان كان الفرس مبيضّ الاذنين او ان في اذنيه نقش بياض دون سائر لونه قيل فيه اذرا ، وان كان مبيض الراس قيل اصقع ، فان ابيض قفاه قيل اقنف ، فان شابت ناصيته قيل اسعف ، فان ابيضت جميعها قيل اصبغ الناصية ، فان غشي البياض جميعراسه قيل اغشى ، وربما قيل فيه ارخم ، فان ابيض راسه وعنقه جميعا قيل ادرع ، فان ابيض ظهره قيل ارحل ، فان كان ذلك البياض من اثر الدبر قيل مسرّد ، فان ابيض بطنه قيل انبط ، فان ابيض جنباه قيل اخسف، فان كان البياض في احد جنبيه قيل اخسف الجنب الايمن او الايسر ، فان ابيض كفله قيل آزر ، فان ابيض عرض ذنبه من اعلاه قيل اشعب ، فان ابيض بعض هلبه دون بعض قيل مخصّل ، فان ابيض جميع هلبه قيل اصبغ هلب الذنب ، فان عدا عرقوبه البياض جملة قيل بهيم ومصمت من اي لون كان .

اوصاف الخيل المستحسنة

واما ما يستحسن من اوصاف الخيل ، فقد قال العلماء بأمر الخيل : يستحب في الفرس دقة الأذنين وطولهما وانتصابهما ، ودقة اطرافهما وقرب ما بينهما ، وكل ذلك من علامات العتق. ويستحسن في الناصية اعتدال شعرها في الطول ، بحيث لا تكون خفيفة الشعر ولا مفرطة في كثرته . ويقال لهذه الناصية الجثلة ، ويستحب مع ذلك لين الشكير ، وهو ما طاف بجنب الناصية من الزغب،ويستحب عظم الرأس وطوله وسعة الجبهة واسالة الخد وملاسته ودقته ، وقلة لحم الوجه وعرى الناهضين ، وهما عظمان في الخد وسعة العين وصفاء الحدقة ، وذلك كله من علامات العتق . ويستحب في العين السمو والحدة ورقة الجفون وبعد نظره .

قال ابن قتيبة : وهم يصفونها بالقبل والشوس والخوص ، وليس ذلك فيها عيبا ولا هو خلقة،وانما تفعله لعزة نفسها. ويستحب في المنخر السعة لانه اذا ضاق شق عليه النفس ، قال وربما شق منخره لذلك ، وبعد ما بين المنخرين ، ويستحب في الفم الهرت، وهو طول شق شقيه من الجانبين ، لانه اوسع لخروج نفَسه ورقة الجحفلتين وهما الشفتان لانه دليل العتق ، وطول اللسان ليكثر ريقه فلا ينبهر ، ورقته لانه اسرع لقضمه العلف ، وصفاء الصهيل ، لانه دليل صحة رئته وسهولة نفَسه ، ويستحب في العنق الطول ، ويستحب في الخيل الكبر ، لانه اقرب لانقياده وعطفه وغلظ مركب عنقه ودقة مذبحه .

ويستحب ارتفاع الكتفين والحارك والكاهل وقصر الظهر وعرض الصهوة ، وهي مقعد الفارس من الظهر ، وارتفاع القطاة ، وهي مقعد الردف من الظهر ايضا ، وقلة لحم المتنين ، وهما ما تحت دفتي السرج من الظهر . ويستحب في الكفل الاستواء والاستدارة والملاسة والتدوير . ويستحب طول السبيب ، وهو الشعر المسترسل في ذيله، وقصر العسيب، وهو عظم الذنب وجلده، ولذلك قال بعض الاعراب (اختره طويل الذنب قصير الذنب) يعني طويل الشعر قصير العسيب .

قال ابن قتيبة ويستحب ان يرفع ذنبه عند العدو ، ويقال ان ذلك من شدة الصلب ، ويستحب عرض الصدر وهو ما عرض حيث ملتقى اعلى لبيه ، ويسمى اللبان والكلكل ؛ وكذلك ارتفاعه عن الارض مع دقة الزور ، وهو ما استدق من صدره بين يديه بحيث يقرب ما بين المرفقين لانه اشد له وأقوى لجريه ، ويستحب فيه عرض الكتف وغلظه وقصر النسا ، وهو عرق في الساق مستبطن الفخذ ، وشنجه وقصر وظيف اليد وهو قصر يديه ، وقصر الرسغ ، ودقة ابرة العرقوب وتحديده لانه اشد لقصب الساق ، وطول وظيف الرجل ليخذف الارض بها فيكون اشد لعدوه ، وغلظ عظم القوائم ، وغلظ الحبال وهي عصب الذراعين ، ولطف الركبة ، وقرب مابين الركبتين ، وشدة كعبه ، لان ضعف الكعب داعية الجرد والجرد في لسان العرب

ورم في مؤخر عرقوب الفرس يعظم حتى يمنعه المشي والسعي ، وانحناء الرجلين وتوترهما وبعد ما بين الرجلين ، وهو الفحج لانه اشد لتمكن رجليه من الارض .

ويستحب صفاء الحافر وصلابته وسعته ، وكونه ازرق او اخضر غير مشوب ببياض ، لان البياض دليل الضعف فيه ، وان يكون مع ذلك فيه تقعب ، ولطف نسوره ، وهو شيء في بطن حافره كالنوى ، لانه اذا ضاق موقعها كان اصلب لحافره ، وان تكون اطراف سنابكه ، وهي مقادم حوافره ، رقيقة ، ويستحب فيه مع ذلك كله اتساع اهابه وهو جلده ، ورقة اديمه ، وصفاء لونه ، ولين شعره ، وكثرة عرفه ، وكثرة نومه ، وسعة خطوه وخفة عنانه ، ولين ظهره ، وحسن استقلاله في اول سيره ، وخفة وقع قوائمه على الارض اذا مشى ، وشدة وقعه اذا عدا ، مع حدة نفسه وسرعة عدوه ، واتساع طرقته ، وقد يغتفر القطاف في المشي في دواب الجري ، ثم انه قد يحتمل فوات آلة الحسن والفراهة في المشي ، ولا يغتفر النقص في آلة الجودة وشدة العدو والصبر لانه بهما يدرك ما يطلب وينجو مما يهرب .

المستقبح من صفات الخيل

واما ما يستقبح ويذم من اوصاف الخيل ، فقد ذكروا للفرس عدة عيوب ، بعضها خلقية وبعضها حادثة . فمن العيوب الخلقية البدد وهو بعد ما بين اليدين ، والصمم ، وهو ان لا يسمع ، وعلامته ان يراه يصر اذنيه ابدا الى خلف ، واذا جرّت خلفه خشبة ونحوها لا يشعر ولم ينفر عنها . والخذاء ، وهو ان تكون اذناه مسترخيتين منكوستين نحو العينين او الخدين كآذان الكلاب السلوقية ، والطوَل وهو ان تطول احدى اذنيه وتقصر الاخرى ، وكونه أسك ، وهو ان يكون صغير الاذن .

ومنها السفا ، وهو قلة شعر الناصية ، والفمم ، وهو ان يكثر شعر الناصية ويطول حتى يغطي العين وهو عيب خفيف والسفار وهو خفة الناصية . ومنها القرح ، وهو ان يكون البياض الذي في الوجه دون قدر الدرهم كما تقدم ، الا ان يكون معه بياض آخر من

تحجيل ونحوه ، فلا يكره حينئذ . فان كان في وسط البياض في الوجه سواد كان عيبا يتشاءم به . ومنها العشا ، وهو ان لا يبصر ليلا فيصير بمثابة نصف فرس ، لانه لا ينتفع به في الليل دون النهار، وكونه قائم العين وهو الذي يكون على ناظره سواد يضرب للخضرة والكدرة يقل معها بصره ، والحول ، وهو ان يكون باحدى عينيه بياض خارج سواد الحدقة من فوق ، ويكون خلاف العين الاخرى ، وهو مع ذلك مما يتبرك به بعض الناس ، ويقول اذا كان ذلك في العينين كان اعظم لبركته ، والخيَف ، وهو ان تكون احدى عينيه زرقاء وهو ما يتشاءم به لا سيما اذا كانت الزرقة في العين اليسرى ، فان ازرقت العينان جميعا كان اقل لشؤمه ، وغؤور العينين ، وهو دخولهما في وجهه ، والغرب ، وهو بياض اشفار العينين وينجم عن ذلك ضعف بصره في القر والحر الشديد ، والكمنة ، وهو ان يبصر قدامه ولا يبصر عن يمينه وشماله .

ومنها القنا ، وهو احدداب في الانف ، ويكون في الهجن ؛ والخنفس ، وهو ان يرى فوق منخريه لانه يضيق نفسه اذا ركض . ومنها الفطس ، وهو ان تكون اسنانه العليا داخلة في أسنانه السفلى ؛ والطبطبة ، وهو ان تسترخي جحفلته السفلى ، فاذا سار حركها وطبطبها كالبعير الاهدل ، وان يكون في حنكه شامة سوداء وسائر فمه ابيض . ومنها قصر اللسان ، لانه اذا قصر لسانه قل ريقه فيسرع اليه العطش والخرس ، وعلامته ان تراه يصهل ولا يحمحم ، وهو عيب لطيف . ومنها القصر ، وهو غلظ في العنق ، واللفف وهو استدارة فيه مع قصر ، والهنع وهو طمأنينة في وسط العنق ، والقود ، وهو يبس في العنق بحيث لا يقدر الفرس ان يدير عنقه لا يمينا ولا شمالا ولا يرفع رأسه اذا مشى وهو عيب شديد . والجساء ، وهو يبس المعطف ، ومنها الكتف ، وهو انفراج يكون في اعالي كتفي الفرس مما يلي الكاهل ، والقعس ، وهو ان يطمئن الصلب من الظهر وترتفع القطاة ، والبزخ ، وهو ان يطمئن الصلب والقطاة جميعا وهو عيب رديء يضر بالعمل . ومن العيوب كون الكفل فيه تحديد ، وان

يكون العجز صفيرا . ومنها الفرق ، وهو نقصان احدى حرقفتي الوركين فانْ نقصتا جميعا فهو ممسوح الكفل ولا عيب فيه . ومنه الدنن ، وهو تطامن الصدر ودنوه من الارض وهو من اسوأ العيوب ، والزوَر ، وهو دخول احدى فهدتي الصدر وخروج الاخرى ، ومنها الهضم ، وهو استقامة الضلوع ودخول اعاليها ، والاخطاف ، وهو لحوق ما خلف المحزم من بطنه ، والشجل وهو خروج الخاصرة ورقة الصفاق . ومنها العصل ، وهو التواء عسيب الذنب حتى يبرز بعض باطنه الذي لا شعر عليه ، والكشف ، وهو اكثر من ذلك ، والصبغ ، وهو بياض الذنب ، والشعل وهو ان يبيض عرض الذنب ، وهو وسطه .

ومنها الفحج ، وهو افراط بعد ما بين الكعبين ، والحلل ، وهو رخاوة الكعبين ، ويلحق به تقويس اليدين وهو عيب فاحش ، والطرق ، وهو ان ترى ركبتيه مفسوختين كالمقوستين الى داخل ، وهو عيب فاحش ، والقسط ، وهو ان ترى رجليه منتصبتين غير محنيتين ، والبدد وهو بعد ما بين اليدين ، والقفد ، وهو انتصاب الرسغ واقباله على الحافر ، ولا يكون الا في الرجل ، والصدف ، وهو تداني الفخذين وتباعد الحافرين في التواء من الرسفين بحيث ترى رسفي يديه مفتوحتين ، والتوجيه ، وهو نحو منه الا انه اقل من ذلك ، والفدغ ، وهو التواء الرسغ من عرضه الوحشي من الجانبين من رأس الشظى ووطؤه على وحشي حافريه جميعا وهو الجانب الخارج . والارتهاش ، وهو ان يصك بعرض حافره عرض عجانيه من اليد الاخرى وذلك لضعف يده ، والحنف ، وهو ان يكون حافرا يديه مكبوبين الى داخل ، والنقد ، وهو ان يرى الحافر كالمتقشر ، والشرج ، وهو ان يكون ذو الحافر له بيضة واحدة . ومنها البدد في اليدين ، وهو ان يكون اذا مشى يدير حافره الى خارج عند النقل ، وليس فيه ضرر في العمل ، والتلقف ، وهو ان يخبط بيديه مستوى في استنانه لا يرفعهما الى بطنه وهو خلاف البدد ، ومنها التلويح ، وهو ان يكون الفرس اذا ضربته حرك ذنبه ،

وهو عيب فاحش في الحجورة ، لانه ربما بالت الحجرة ورشت به صاحبها .

العيوب الحادثة

العيوب الحادثة هي ما يعرض له بعد ان يكون سليما . وهي عدة عيوب ، منها الحدب ، ويكون في الظهر بمثابة حدبة الانسان وهو عيب فاحش ، والفدة ، وتكون في الظهر ايضا بازاء الصرة . ومنها العنق،وهو انتفاخ وورم بقدر الرمانة او اقل مما يلي الخاصرة وهو عيب فاحش لا علاج له . ومنها الحمر وهو عيب يحدث عن تخمة الشعير ، وربما كان من شرب الماء على التعب ، فيحدث عنه ثقل الصدر . ومنها الانتشار ، وهو انتفاخ العصب بواسطة التعب، ويكون من فوق الرسغ الى آخر الركبة ، وهو عيب فاحش ويسميه العرب اليوم النشر . ومنها تحرك الشظاة ، وهو عظم لاصق بالذراع وهو على الفرس اشق من الانتشار .

ومنها الروح ، وهو داء يكون فيه غلظ في القوائم كمثل داء الفيل في البشر ، ومنها المشش ، وهو داء يكون في بادىء امره ماء اصفر ، ثم يصير دما ، ثم يصير عظما ، ويكون على الوظيف وفي مفصل الركبة ، وهو على العصب والركبة شر منه على الوظيف ، ويسمونه الآن بالبيض . ومنها القمع ، ويكون في الرجلين في طرف العرقوبين ، وهو غلظ يعتريهما ، والملح ، ويكون في الرجلين تحت القمع من خلف ، وهو انتفاخ مستطيل لا يضر بالعمل ، والجرد ، وهو كالعظم الناتىء يكون في الرجلين تحت العرقوبين على المفصل من داخل ومن خارج ، وهو عيب فاحش يؤول بالدابة الى العطب . والنفخ ، وهو انتفاخ يكون في مواضع الجرذ وهو من دواعي الجرذ، والعقال ، وهو ان تقلص رجله ، وذلك يكون في عصب الرجل الواحدة دون الاخرى وربما كان في الرجلين جميعا وهو عيب فاحش يضر بالعمل وهو في البرد اشد منه في الحر . ومنها الشقاف ، وهو داء يصيبه في ارساغه وربما ارتفع الى وظيفه ، والسرطان ، وهو داء يأخذ بالرسغ فييبّس عروقه حتى ينقلب حافره ، ومنها العون ، وهو جسوء في رسغ رجله ، والدخن ، وهو ورم يكون في حافره ،

جواد من رسن «الصقلاوي»

جواد من رسن «عبيان»



جواد من رسن «كحيلان»

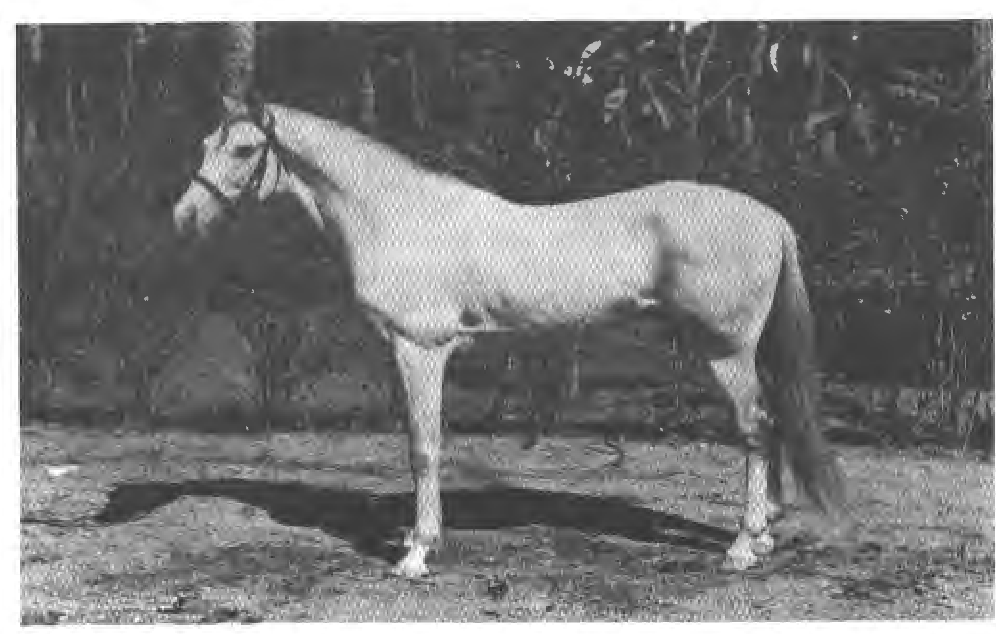
جواد من رسن «ابو عرقوب»



جواد من رسن «التويهي»

جواد من رسن «المخلدي»

جواد من رسن «الصويتي»



جواد من رسن «الحمداني»

والقفد ، وهو تشنج عصب رسغه حتى ينقلب حافره الى داخل فيمشي على ظاهر الحافر . ومنها النملة ، وهي شق في الحافر من ظاهره ، والرهسة ، وهي ما يكون في الحافر من صدمة ونحوها ، والعامة تقولها بالصاد . والقشر ، وهو ان تنقشر حوافره وهو عيب فاحش ، والناسور ، وهو الذي تسميه العامة الوقرة وهو داء يحدث في نسور الدابة فاذا قطع سال الدم منه .

ومنها الادرة ، وهي عظم الخصيتين ، وربما عظمت خصيتاه في الصيف واحمرت في الشتاء ، والمدلي ، وهو الذي يدلي ذكره ثم لا يرده ، وهو عيب قبيح بحيث يقبح ركوب الفرس الذي فيه هذا العيب ، ومنها البرص ، وهو بياض يعتري الفرس في مرقاته كالجحفلة وجفون العينين وبين الفخذين والخصيتين ، ومنها الخلد ، وهو داء شديد ينقب موضعه من بدن الدابة يسيل منه ماء اصفر ، فاذا كوي بالنار برأ وانفتح موضع آخر فلا يزال كذلك حتى تعطب الدابة وهو عيب فاحش . وثمة عيوب اخرى يطول ذكرها ، وفي كتب البيطرة ذكر الكثير من ذلك مع علاج ما له علاج منه وبيان ما لا علاج له .

الدوائر في الخيل

اما الدوائر التي تكون في الخيل فقد عدها العرب ثماني عشرة دائرة ، بعضها مستحب وبعضها مكروه . فالاولى دائرة المحيا ، وهو الوجه وهي اللاحقة بأسفل الناصية . والثانية دائرة القطاة ، وهي دائرة تكون في وسط الجبهة . والثالثة دائرة النطيح ، وهي دائرة ثانية في الجبهة بأن يكون في الجبهة دائرتان . والرابعة دائرة اللهذمة ، وهي دائرة تكون في لهذمة الفرس . والخامسة دائرة المقود ، (في المخصص العموم) وهي التي تكون في موضع القلادة والسادسة دائرة السمامة ، وهي دائرة تكون في وسط العنق . والسابعة والثامنة دائرتا البنيقتين ، وهما دائرتان في نحر الفرس فيما قاله الاصمعي ، وقال ابو عبيد : البنيقة الشعر المختلف في منتهى الخاصرة والشاكلة . والتاسعة دائرة الناحر ، وهي دائرة في باطن الحلق الى اسفل من ذلك . والعاشرة دائرة الخالع ، وهي

دائرة تكون تحت اللبد . والحادية عشرة دائرة الهقعة ، وهي دائرة تكون في عرض الزور . والثانية عشرة دائرة النافذة ، وهي دائرة ثانية تكون في الزور بأن تكون فيه دائرتان في الشقين في كل شق منهما دائرة ، وتسمى النافذة دائرة الحزام ايضا . والثالثة عشرة والرابعة عشرة دائرتا الخرب ، وهما اللتان تكونان تحت الصقرين وهما رأسا الحجبتين اللتين هما العظمان الناتئتان المشرفان على الخاصرتين كأنهما صقران . الخامسة عشرة والسادسة عشرة دائرتا الصقرين ، وهما دائرتان بين الحجبتين والقصريين . السابعة عشرة والثامنة عشرة دائرتا الناخس ، وهما دائرتان تكونان تحت الجاعرتين .

قال ابن قتيبة : وهم يكرهون منها اربع دوائر : وهي دائرة الهقعة مع ذكره ان ابقى الخيل المهقوع . ودائرة القالع ، ودائرة الناخس ، ودائرة النطيح ، قال وما سوى ذلك من الدوائر فليس بمكروه . وذكر صاحب زهر الاداب في اللغة انهم يستحبون من الدوائر دائرة المقود ودائرة السمامة ودائرة الهقعة احتجاجا بأن ابقى الخيل المهقوع . ويكرهون دائرة النطيح ودائرة اللزمة ودائرة القالع . ورأيت في بعض كتب البيطرة ان المستحب منها ثلاث دوائر. دائرة المقود ودائرة السمامة ودائرة الهقعة ، وما عدا ذلك مكروه . وكره حكماء الهند دوائر أخرى ذكروها ، وهي ان يكون في مقدم يده دائرة ، او في اصل ذنبه من الجانبين دائرتان ، او على ناصيته دائرة ، او على محجره دائرة ، او في جحفلته السفلى دائرة ، او على صرته دائرة ، او على منسجه دائرتان .

اسنان الخيل

وأما أسنان الخيل ، فأول ما تضع الحجرة جنينها قيل مهر ، والانثى مهرة ؛ واذا فصل عن امه قيل فَلْو ، فاذا استكمل حولا قيل حوليّ ، والانثى حولية ؛ فاذا دخل في الثانية قيل جذع ، والانثى جذعة ، فاذا دخل في الثالثة قيل ثنيّ والانثى ثنية ، فاذا دخل في الرابعة قيل رَباع والانثى رباعية ، فاذا دخل في في الخامسة قيل قارح للذكر والانثى ، وفي الغالب يلقي

اسنانه في السنة الثالثة وربما تأخر لقاؤها الى السنة الرابعة وذلك اذا كان ابواه شابين ؛ وقد يلقي اسنانه في حول واحد ، وذلك اذا كان ابواه هرمين ، ثم ان لكل مهر اثنتي عشرة سنا وهي ست من فوق ، وست من اسفل ، ويليها من كل جانب ناب ، ويليها الاضراس ، وتنبت ثناياه بعد وضعه بخمسة ايام ، وتنبت رباعيته بعد ذلك الى مدة شهرين،وتنبت قوارحه بعد ذلك الى ثمانية اشهر .

ويختص التبديل منها بالاسنان الاثنتي عشرة دون الانياب والاضراس ، وربما القى المهر بعض اسنانه ثم لا تنبت ، واذا قرح المهر اصفرت اسنانه واسودت رؤوسها وطالت ، فيبقى كذلك خمس سنوات ، فاذا جاوزت ذلك ابيضت وحفيت رؤوسها ، ثم تنتقل فتصير كلون العسل خمس سنوات اخرى ، ثم تبيض فتصير كلون الغبار ويزداد طولها ، وربما دلس النخاسون فنشروا اسنانها وسووها . ومما وجد في الكتب القديمة ان الفرس تتحرك ثناياه في سبع وعشرين سنة ، وتتحرك الرباعيات في ثمان وعشرين سنة ، وتتحرك القوارح في تسع وعشرين سنة ثم تسقط الثنايا في ثلاثين سنة ؛ والرباعيات في احدى وثلاثين سنة والقوارح في اثنتين وثلاثين سنة وهو عمر الدابة .

واما التفرس في الخيل فاعلم ان المهر وان ظهرت فيه علامات النجابة او العكس ، فلا عبرة بذلك . فانه قد يتغير منه ما كان قبيحا . وانما يتفرس فيه اذا ركبه لحم العلف ، وذهب عنه لحم الرضاع . وافضل الفراسة في المهر الاخذ في الجري وهو جواد، ولكنه ربما تغير اخذه للجري اذا ركب لضعف فيه حينئذ ، وقصور عن بلوغ مدى قوته ، وقد لا يجري جذعا ويجري ثنيا ، وقد لا يجري ثنيا ويجري رباعيا ، وقد لا يجري رباعيا ويجري قارحا حين تجتمع له قوته ويعرف ضعف الضعيف منها بتلويه تحت فارسه وعجزه عنه ، وفترته اذا نزل عنه .

ومما يدل على جودة الفرس وحسن جريه ، انه يراه اذا اخذ في الجري سما بهاديه ، وأثبت راسه ، ولم يستعن بهما في احضاره

أي جريه واجتمعت قوائمه ، وسبح بيديه ، وضرح برجليه ، ولها في احضاره ، وامتد وبسط ضبعيه حتى لا يجد مزيدا ، وتكون يداه في قرن ، ورجلاه في قرن ، فاذا كان كذلك فهو الجواد السابق ، وقد قيل : ان خير الخيل الذي اذا مشى تكفأ ، واذا عدا بسط يديه واذا ادبر حفا واذا اقبل اقعى .

انساب الخيل واجناسها

واما المعروف في زمننا عن الخيل وما يستحب من صفاتها ويكره ، فهو على منوال ما جاء في هذه الرسالة من آراء العرب الاقدمين . واما اصائل الخيل المعروفة عند المتأخرين فسبعة الكحيلة ، والحمدانية ، والعبيّة ، وهدبا ، والصقلاوية ، والدَهما ، والصويتية . واما ما بقي من اسماء فهو متفرع عن هذه الاصول . وفي ايدي العرب اليوم خيل تسمى المحصنة ، اي المعروفة الآباء ، لا ينزون نتاجها على اناث الخيل حتى تبلغ اربعين بطنا من حصن عتق ؛ ومتى بلغت الواحد والاربعين عتقت واخذت اسم آخر حصان ولدت منه ، واجيز لها ان ينزو ولدها على الاناث من الاصائل . مثال ذلك اذا كان الحصان المنوه به حمدانيا قيل عنها الحمدانية واذا كان كحيلان قيل الكحيلة ، والحقت بالاصائل وعتقت ونزا ولدها .

واما تمييز هذه الاصول عن بعضها بمجرد النظر فامر غير مستطاع ، وانما تعرف بما تحمل من شهادات ثم بالمشاركة . فمثلا الصويتية لها اصحاب في قبيلة حرب واصحاب في قبيلة عتيبة ، فاذا قلنا مثلا انها في قبيلة حرب عند عشيرة الفرم ، وعند قبيلة عتيبة في فخيذة آل محيا من الروقة ووقع غزو بين القبيلتين واخذت الكحيلة من قبيلة حرب الى عشيرة اخرى من عتيبة فان ابن محيا صاحب الرسن يأتي ويدفع ناقة لمن انتزع هذه الفرس من قبيلة حرب ويأخذها ، لانه صاحبها . وبهذا تحفظ انساب الخيل عند سائر القبائل .

وارسانها في الاصول السبعة معروفة من غير شك ولا مراء . ومن هذا يرى ان الخيل في القديم كانت تنسب عند العرب الى آبائها

كما جاء في هذه الرسالة في اعوج وسلالته ، اما اليوم فيقولون ان الخيل لا يرفعها الا الحصن اي لا يحفظها ويحفظ قوّتها ، وانما يحرّزونها بأمهاتها لان الفرس الانثى العتيق لا ينزّى عليها هجين ولا مقرف برِذَون ، فاذا نزا احد الخيل الاصائل على مهرة من جنس الحمدانية ، وكان الذي نزا عليها الصويتي اخذت اسم امها وتركت اسم ابيها خلافا للقديم . واما في المحصنات فيفهم القارىء من قولنا يحرزونها بامهاتها انه اذا نزا اصيل على هجين وهكذا دواليك الى اربعين بطنا تعرف آباؤها فتكون آخر الاحدى والاربعين حرزت وحصنت بالخيل الاصائل ، وتكتسب اسم آخر حصان ، فاذا كان حمدانيا بقيت حمدانية . والعتق يقرر لها وتلحق اليه عن طريق الحصن فكأنهم رجعوا بذلك الى القديم ايضا .

الخيل المنسوبة

واما الخيل المنسوبة فمن اشهرها الحرون من خيل العرب ، وقد كان مع مسلم بالري وشهد معه وقعة ابراهيم . حدّث الاصمعي قال الحرون بن الاثاثي بن الخزر بن ذي الصوفة بن اعوج فرس مسلم بن عمرو الباهلي في الاسلام . وكان مسلم قد اشتراه من اعرابي في البصرة بألف درهم معاوضة بمتاع . وذكر انه كان في عنقه رسن حين ادخله الاعرابي البصرة وذلك الرسن يطير عفاء ، فسبق الناس عليه عشرين سنة . وكان يسبق الخيل ثم يحرن حتى تلحقه الخيل ، فاذا لحقته سبقها ثم حرن ، ثم سبقها . وكان الحجاج قد بعث بابن له يقال له البطان الى الوليد بن عبد الملك فصيره الى محمد ابنه ، وولد البطان البطين وولد البطين الذائد ، وكان هشام ابن عبد الملك يشتهي ان يسبق الذائد ، فأتوه بفرس بربري يقال له المكانب بعد ما كبر الذائد وحطم وسبق ايضا عشرين سنة . قال فضمه اليه . فكان سائسه يقول جهد المكانب الذائد ، جهده الله ، اي في الجري وهو متفسح . قال فجاء معه يتقدمه بشيء والذائد ابن البطين واشقر مروان من نسل الذائد . قال الأصمعي : كان عبدالله بن علي قدم بأشقر مروان البصرة ، قال فرايته اشقر اعور من نسل الذائد . قال وحدثني جعفر بن سليمان قال: كان لايدخل على

الذائد سائسه حتى يأذن ، يحرك له مخلاة فيها شعير ، فان تحمحم دخل عليه ، وان هو دخل قبل ان يفعل ذلك شد عليه ، وكذا كان يفعل بالفرس اذا جرى معه يكدمه . قال الاصمعي : الوجيه، ولاحق، والغراب ، وسبل ، وهي ام اعوج ، كانت لغني ، واعوج كان لبني آكل المرار ، ثم صار لبني هلال بن عامر ، وجروة فرس شداد بن عمرو ابي عنترة بن شداد ، ومياس وهداج والباهلة لبني اعيا قالت الحارثية :

شقيق وحرمي هَراقا دماءنـا وفارس هداج أشاب النواصيا

والكلب ، فرس رجل من بني عامر او غطفان ، وقرزل فرس الطفيل ابي عامر بن الطفيل ، وذو الخمار فرس مالك بن نويرة ؛ والجوب فرس ارقم بن نويرة ، وذات النسوع فرس بسطام بن قيس ، والنعامة فرس للحارث بن عباد وولدت النعامة الشيّط وهو لبني سدوس ، وكان الخزر بن لوذان وفيه يقول :

لا تذكري مهري وما اطعمتـه فيكون جلدك مثل جلد الاجرب

والمتمطر فرس حيـان بن مرة مـن نسله ، وكامل ، فرس الحوفزان، وحلاّب والفيد ، لبني تغلب ، ومخـايس لبني عقيـل ، واليحموم والدفوف للنعمان بن المنذر ، والعصا ، فرس جذيمـة الابرش ، وفي بني تغلب فرس يقال له العصا ، فارسه الاخنس بن شهاب ، والهطال ، لزيد الخيل ، والنحام ، لرجل يقال له السّليك ابن سلكة السعدى ، وداحس ، لقيس بن زهير ، والغبراء لحذيفة بن بدر الذبياني .

وصف الخيل

ومن اجود ما قيل في صفة الخيل القصيدة المشهورة لابن دريد . قال في وصف الجواد :

فذاك وقد اغتدي في الصبـاح باجرد كالسّيد[1] عبل[2] الشوى[3]

---

[1] السيد الذئب. [2] عبل غليظ . [3] الشوى الاطراف اليدان والرجلان

له كفل ايد١ مشرف ... واعمدة٢ لا تشكي الوجي٣
واذن مؤللة٤ حشرة٥ ... وشدق رحاب٦ وجوف هوا٧
ولحيان٨ مدا الى منخر ... رحيب وعوج طوال الخطا
له تسعة طلن٩ من بعد ان ... قصرن له تسعة في الشوى١٠
وسبع عرين١١ وسبع كسين١٢ ... وخمس رواء وخمس ظما
وسبع قربن١٣ وسبع بعدن١٤ ... منه فما فيه عيب يرى
وتسع غلاظ١٥ وسبع رقاق١٦ ... وصهوة عير ومتن خطا
حديد الثمان١٧ عريض الثمان١٨ ... شديد الصفاق١٩ شديد المطا

---

١ ايد قوي. ٢اعمدة القوائم واحدها عمود. ٣ الوجى ان يجد الفرس وجعا فى باطن حافره من غير ان يكون فيه وهيء ولا خرق. ٤ مؤللة محددة. ٥ حشرة لطيفة رقيقة. ٦ رحاب واسعة. ٧ الهواء ممدود قصره للضرورة وهو الفرجة بين الشيئين يريد انه واسع الجوف. ٨ اللحيان ثنية لحى وهما عظما اللهدمتين واذا طالا طال خد الفرس وهو مدح فى الخيل. ٩ التسعة التي طلن اراد بها الشاعر كل شيء يستحب طوله فى القوائم وهي ثمانية : وظيفا الرجلين ، والذراعان ، والثنن ، وهي الشعر الذي فى مؤخر الرسغ ، واراد الشاعر مع هذه الثمانية العنق ومجموع ذلك تسعة وبهذا يصح قوله لانه قال تسعة فى الشوى وهي القوائم. ١٠ والتسعة القصار اربعة : ارساغه ووظيفا يديه وعسيبه وساقاه. ١١ السبعة العارية : خداه وجبهته والوجه كله ان يكون عاري القوائم من اللحم وهذه كلها تستحب . ١٢ السبع المكسوة : الفخذان وحاميتاه ووركاه وحصيرا جنبيه وفهدتاه وهما فى الصدر والفهدتان هما اللحمتان اللتان فى الزور كالفهدين. ١٣ السبعة التي قربت يريد سبع خصال صالحة. ١٤والسبعة التي بعدن وهي سبع خصال رديئة بعدن منه. ١٥ التسع الغلاظ اوظفته الاربعة وارساغه الاربعة وعكوته. ١٦ والسبع الرقاق منخراه واذناه وجحفلتاه وشفرته. ١٧ حديد الثمان عرقوباه واذناه وقلبه ومنكباه. ١٨ وعريض الثمان أي عريض الفخذين والوركين والاوظفة. ١٩ الصفاق الجلدة التي تحت الجلدة التي الشعر من السرة الى القنب وعاء قضيبه .

وفيه من الطير خمس[١] فمن — رأى فرسا مثله يقتني
غرابان فوق قطاة له — ونسر ويعسوبه[٢] قد بدا
جعلنا له من خيار اللقاح — خمسا مجاليح[٣] شم[٤] الذرى[٥]
يغادي بعض[٦] له دائبا — ونقفيه[٧] من حلب ما اشتهى
فقاظ[٨] صنعا فلما شتى — اخذناه بالقود حتى انطوى
فهجنا به عانة[٩] في الفطاط[١٠] — خمص[١١] البطون صحاح[١٢] العجى
فولين كالبرق في نفرهن — جوافل يكسرن صم الصفا[١٣]
فصوبه العبد في اثرها — فطورا يغيب وطورا يرى
كأن بمنكبه اذ جرى — جناحا يقلبه في الهوا
فجدل خمسا فمن مقعس — وشاص كراعاه دامي الكلى
وثنتان خضخض قصبهما — وثالثة رويت بالدما
فرحنا بصيد الى اهلنا — وقد جلل الارض ثوب الدجى
ورحنا به مثل وقف العروس — اهيف لا يتشكى الحفا
وبات النساء يعوذنه — ويأكلن من صيده المشتوى
وقد قيدوه وغلوا له — تمائم ينفث فيها الرقى

واما الشعر البدوي الحديث فاننا ننشر قصيدة منه على سبيل المثال قيلت في صدد حادثة منيرة الجبلانية من علوة من مطير. فقد كانت في طرف ابلها ، واذا هي بغزو يداهمها فارتج عليها

---

١ واما الخمس التي فيه من الطير فهي النسر في باطن الحافر والغرابان ما اشرف من وركيه والصرد عرق تحت لسانه وعصفوره عظم في وسط هامته. ٢ اليعسوب كل بياض على قصبة الانف عرض او اعتدل. ٣ المجاليح واحدها مجالح وهي الناقة التي تدر على الجوع والبرد. ٤ شم مرتفعة. ٥ الذرى الاسمنة واحدها ذروة واعلى كل شيء ذروته. ٦ العض علف اهل الامصار مثل القت والنوى. ٧ نقفيه: نؤثره والقفاوة ما يخص به الرجل من الطعام. ٨ قاظ من القيظ. ٩ العانة جماعة الحمر جمعها عانات. ١٠ الفطاط الصبح. ١١ خماص ضوامر ١٢ العجى جمع عجاية ويقال عجاوة ايضا وهي قدر مضغة ملصقة بصعبة تنحدر من ركبة البعير الى فرسنه . ١٣ الصفا الصخر .

فتصدى احد رجال الغزو وهو من الصناع فقال :

الفوج من در العرابا نسقيه   واليا تبين خشم ساره طمرها ١

فانتبهت من ذهولها وولدها بقربها فقالت مجيبة الصانع

الذود عنده واحد جانب فيه   خيالحامي فاطره من خطرها ٢
مستجنبن مثل الوضيحي تباريه   طويلة السمحوق، شبر ظهرها ٣
تركض على شق وشق تداريه   وترخي لمدلوق العريني نحرها ٤
تلحق براعي الفوج لو كان مطغيه   وله حربة بين الفرايد سمرها ٥

---

١ نربي هذا الحصان الذكر على حليب الابل العراب ونغذيه حتى يكون في درجة من القوة والنشاط ما يمكنه من ان يقفز خشم ساره وهي هضبة معروفة وهذا كناية عن نشاط أي فرس ينشأ على لبن الابل .

٢ ذودنا هذا يحرسه رجل فارس يحمي فاطره اي المسنة من ابله من خطر الغزو فلا يطمع فيها اعداؤها .

٣ ان هذا الرجل الذي هو حارس الذود مستجنب أي مستصحب معه انثى من الخيل كأنها المهاة طويلة السمحوق اي الساق شبر ظهرها اي قصيرة الظهر وهو من الصفات الممدوحة وهذا البيت يدل على توافق المتقدمين والمتأخرين في استحسان طول الساق وقصر الظهر

٤ ان هذا الفرس تركض على شق أي على جانب من جوانبها وجانب اخر تريحه مما يدل على مرح النفس والنشاط لا الحاجة الحقيقية لا راحة جانب بل هو صفة في بعض الاصائل تعبث مستهترة بغيرها .

واذا اراد خيالها ان يضرب خصمه بالرمح ارخت له صدرها عند العدو الشديد وتركت ذلك النزق والتحرك حتى يتمكن من اللحاق بخصمه .

والقصد انها في بادىء الامر ترى مترددة تركض على جنب مرة وعلى الاخر اخرى حتى تتحقق من مراد فارسها فتعطيه ما شاءت وتمكنه من اللحاق بعدوه اذا طلب والتخلص منه اذا هرب .

٥ تقول مشيرة الى فارس الفوج الذي ذكر انه سقاه من لبن الابل العراب وجعله في درجة يمكن ان يقفز منها خشم هضبة ساره ، وان حجرة ولدها تدرك ذلك الفوج اذا طلبه عليها وتمكنه من ان يضع حربته في ظهره كالمسمار والفريدة هي شقا الظهر تحت الكتف تكون ما بينهما السلسلة الفقارية .

مضرابها بالقاع يروى الرسل فيه   تلقى الزبيدي نابتن في حفرها[1]

ومن ذلك قصيدة الشويعر من قحطان في فرسه ختله :

انا احمد اللي جاب ختله يقودي   من قبل تأتي غاره عقب مسعود[2]
جاني بطافحة الذارع الهبودي   ورث لبويه ذاخره منقع الجود[3]
واذبح لها اول مايجي من قعودي   وكبر فرايدها حليب ام مفرود[4]
كنّه تطلّق من ظهرها عقودي   من واهج بالصدر والراس مشدوده
اباليا مني نصا الحمض ذودي   اقتادها وانسف على منكبي عود[6]
خيال حمض المستوى والنفودي   بشلفا تلظى حاشي جبها العود

---

١ اذا ضربت هذه الفرس الارض بيدها او برجلها تحصل هناك حفرة تمكن السرب من الغنم ان تشرب ارسالا او انها تخرج بتلك الضربة الكماة من الارض لشدتها .

٢ انا احمد الذي اتى بختله يقودها قبل ان يغار علينا بعد فقداننا حصاننا مسعود .

٣ انعم علي الله بطافحة الذراع التي تسحق كل شيء ووالدي معدن الجود هو الذي ورثني المال الذي اشتريت به ختلة .

ومن هذا يفهم ان العرب المتأخرين اذا لم يجدوا من يمدح اقاربهم فلا يرون بأسا ان يمدحوهم هم انفسهم .

٤ يعني ان هذه المهرة تستحق ان ينحر لها اول مولود ذكر من ابله ويخصص تلك الناقة لتلك المهرة لتشرب لبنها ثم بما يضاف الى حليب تلك الناقة من حليب الابل الاخرى .

٥ عندما تهيج الفرس يشعر الراكب كأن عقدا حدثت في صهوتها واذا سكنت تنحل تلك العقدة فيرتاح الراكب في محله مما تشعر به هي من خيلاء في اصائل الخيل وتريد ان تظهر بجمالها وشدة عدوها ولكن راسها مشدود اي لا تملك من امرها شيئا فتعالج فارسها وبعالجها فينعقد ظهرها تارة للشماس وينحل اخرى اذا خضعت له .

٦ ابا اي ابغي ، ليا اي اذا ، منّه اي انه نصا اي قصد والحمض معروف والذود معروف ومعنى سائر البيت ان الذي يقتادها ويحمل على منكبه رمحا حتى يحمي ذوده على هذه الفرس من اي عدو يجده في هذا المرعى .

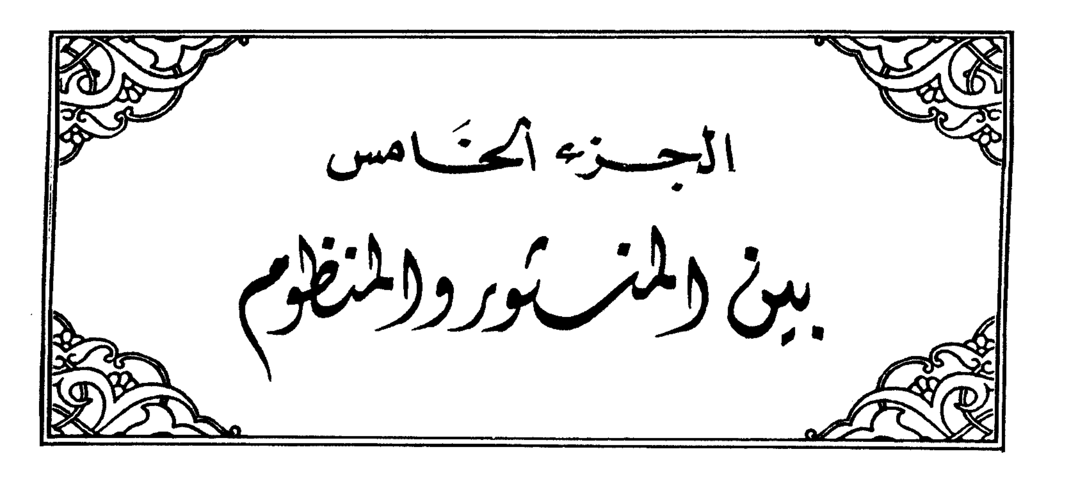
وقال بخيت بن ماعز الروقي :

واسابقي لا صاح صايح ديره　　كلّن يخم عنانها عجلاني
يا سعد والله من يلاوي راسها　　ليّا صار من يم الخطر شفقان
يفرح بها راعي الحصان القاصر　　لا عرضوه الواد ابا الجرفان
والعج فيها والنفل غاطيها　　وارقابها عوج تبا الحيراني
حرد مواطيها قصير قينها　　حد الثفان من اللحم عريان

وقال ضيف الله بن حميد :

يا سابقي حالي سوي لحالك　　حبك صبغ بالقلب ماهو بتسميك
شريت من زين البيادا جلالك　　وخضر يوقن الحفا عن مواطيك
ابا ليا قادوا وقل العشالك　　واليا اللحم مترفع في عواليك
وضلع زما دونك وضلع بدا لك　　يبون بدون حودرا من وراريك
ويا زين صفت في شمال حبالك　　ويا زين باشناق السبايا مداليك
غبر السبايا قيلن في ظلالك　　ومن وسع صدرك قيلن بين اياديك





الجزء الخامس

بين المنثور والمنظوم

لست اشكو من نزوح ونوى
احسن الأوقات وقت فيه شطح
لا ولا اشكو زماناً أثما
هاجري اشكو وللهجران برح
قل لجهال الهوى ان الهوى
مره يحلو ويحلو منه ملح
لا اقول الدهر قلَّت حيلتي
حيلة الحذاق توفيق وفتح

عبد الله بن الحسين

الفصل الأول

المنثور

تابين المغفور له المنقذ الأعظم الملك الحسين بن علي

ايها السادة الكرام ،

الحمد لله الذي يجري قضاؤه وقدره بما شاء ، واياه نستلهم الصبر الجميل والعزاء ، فهو الموئل والمفزع ، واليه المآل والمرجع ، والصلوات الزاكيات والتحيات الطيبات على خير خلقه وآله وصحبه .

اما بعد فلست بالوحيد الذي يعالج برحاء الهموم وقد اخذت منه بالكظم فأغصته بريقه واشرقته بدمعه .

فكل عربي اليوم يتصدع مثلي حسرات ويتقطع زفرات لما رزىء به العرب من فقد منقدهم الأكبر وعمادهم الأرفع ساكن الجنان مولانا الحسين بن علي رضى الله عنه وأرضاه .

اني في هذا الخطب الجلل لبعضكم وواحد منكم ينوبني منه ما ينوبكم ، ويفدحني من لواعج شجوه ما يفدحكم ، ولذلك قدمت القدس الشريف من عمان ملبيا دعوتكم الكريمة شاكرا لكم اختصاصي برئاسة الحفلة وان تكون تحت رعايتي ، ولقد جئت مشتركا في العاطفة معكم ، مشاطرا في الكارثة لكم ، وان الفقيد العظيم لوالد العرب اجمع — فلقد كان عليهم حدبا وبهم شفيقا وليست لحمة النسب بأوثق عروة من صلة الروح بالروح ، وارتباط النفس بالنفس — ذلك شأن العرب مع ملك العرب ، وتلك حال الامة مع فقيد الامة . واني لأسأل الله الذي وحد شعور العرب بمولانا الحسين مرة اخرى في مماته كما كان يؤلف قلوبهم في حياته

ان يمد في اجل ذلك الاتحاد المحمود الذي له اثره وخطره ، وبذلك تقر عين الفقيد العظيم كلما اطلع على ابنائه العرب من غرف النعيم .

وان اكبر تعزية لنا عن ذلك الرزء الجسيم أنما هو هـذا الاشتراك الواحد في الشعور والألفة الفـذة في العاطفة . ان في ذلك برهانا ناصعا على الحياة الفياضة تدب في جوارح العرب فتنبض بها عروقهم ، وتختلج جوانحهم ، وتهتز لها بلادهم جـذلا وغبطة ، ثم اني اشكر الهيئة المحترمـة التي قـامت بترتيب هذه الحفلة الفائقة ، واشكر الخطباء والشعراء والادباء والحضور كافة ممن وفد لهذا الغرض من كل أوب نأى او دنا للقيام بالواجب البنوى نحو الأب البر ، الراحل عنا بجسمه ، المقيم بين ظهرانينا بروحه ، وافتتح هذه الحفلة باسم الله الذي قيض لنـا هـذا الاجتماع الشامل للعرب على اختلاف الامصار ، واياه نحمد وبه نستعين .

بيان الى الامة العربية

إنه لا يسعني وقد امطرني قومي العرب بالوابل بعد الوابل من برقياتهم وكتبهم فوق وفودهم تترى إلي لمشاطرتي العبء الفادح في الرزء الجلل بوفاة شقيقي الملك فيصل الا ان احدث بفضلهم ، وأجهر بالثناء عليهم، فأعانني الله على قضاء حقهم، وآتاني لسان صدق يقوم بأعباء شكرهم ، على اننا سوآء في الشكل شرع في اللوعة .

إنه لا جناح على الأمة ولا تثريب اذا استكانت للعبرة ، واستسلمت للكمد ، فتعاظمها الخطب حتى نزف منها الصبر وفتّ في العضد ، فأن فقد تلك الشخصية العاملة المتفانية في القضية العربية لنكبة واي نكبة ، اما الذين خاضوا الغماد فقضوا نحبهم فأولئك هم الشهداء ، واما الذين مد الله في اجلهم فما ادخروا جهدا في الدأب والجهاد للأمة العربية ، فارتادوا لها نواحي الظفر وتوخوا لها وجوه النجح ، فأولئك هم الجند الذين يعقد النصر بلوائهم ان شاء الله ويبلغون الغاية التي تنهض بالعرب من ذات الصدع الى ذات الرجع فاذا هم في اوج المركز الاجتماعي الخليق بهم وفي نطاق حدودهم الموروثة . اما القضية العربية فلم تكن في الواقع ونفس الامر الا وليدة التاريخ وحلول الوقت الطبيعي لها ، فان الدولة العثمانية التي انتفضت فجأة فقضت على السلطة المطلقة فيها وأخذت بأسباب (الحاكمية الملية) استفز وضعها الطارىء سائر الملل العثمانية الى انفراد كل فريق منها برعاية شأنه، والاحتفاظ بكيانه، ومن ثم كان الكفاح وكان النضال، وشرع الغلاة من الترك العثمانيين في تتريك العناصر تحملهم على ذلك الرغبة في استئصال تلك النزعة فوق ما انتفخت به اوداجهم من الفخر بالأمة ، والأدلال بالعنصر ، فهب المفكرون من العرب

وامراء الجزيرة للدفاع عن الحوذة ، فكان القتـــال في اليمن وفي عسير وفي الكرك وفي حوران ، وكانت سوريا ترفع صوتها مطالبة بادارة لا مركزية ، وانضوت الأحساء الى نجد ولم يمسك الحياد بحجزات احد من امراء العرب الا امـــير حائل الذي كان تحت وصاية ذوي قرابته ، وكانت جمعية الفتاة العربية وسائر الجمعيات العربية تصل الليل بالنهار سعيا وراء توحيد الصفوف ، لا تعرف ولا تستوطيء راحة . ولبثت تلك الشئون كعهدها حقبة من الدهر، تفاديا من حصول ضرر يلم بالمجموع ، الى ان أسفرت النتيجـــة عن اجماع الأمة العربية على حرب الاستقلال فرفع المنقذ الاعظم لواء الثورة ، وأطلق اول رصاصة حملت في ازيزها صوت العرب يهتف بالحرية ، وسبق ذلك ما سبق من مساعي الوسطـــاء الدى الدولة العثمانية ولدى غيرها من الدول للحصول على المقاصد العربية فأخفق الأولون وافلح الآخرون ...

ولقد كان العالم الغربي (اوروبا) شاكي السلاح في تلك الآونة ، وما غبرت شرارة الحرب ان استطارت فاستعرت ، فاندلع لهيبها في كل صوب ــ وكانت الثورة العربية ــ فلم تنكر الدول على العرب ما رموا اليه من وحدة واستقلال ، ووعدت بالتأييد وشد الأزر ، وصرح العرب بأنهـــم في ثورتهم انما يريدون ان يتبوؤا مركزهم تحت الشمس ، وانهم لا يحملون في جوانحهم شحناء لأحد حتى ولا للدولة العثمانية اذا اعترفت بحقهم الصراح، ولذلك تعتقد الامة العربية والبيت الهاشمي في المقدمة أن المطمح الذي صبوا اليه وعملوا له لم يزل قائما ، وانه نصب عيونهم اجمع، وانهم لا يزالون في سعي اليه دائم وجهاد من اجله متصل ، وان الخطة التي انتهجها المرحوم المنقذ الأعظم من الاصرار على بقاء البلاد العربية موحدة ، إنما هي الخطة المثلى التي لاينبغي الاخلال بها قلامةظفر ولا الاغضاء عنها طرفة عين . وإن مااعتور هذهالقضية بعد الهدنة حتى الزمن الاخير من احوال شتى ان هو الا محض

اجتهاد قد يكون الشخص فيه مخطئا او على صواب • واما الذي لا شك فيه في الحالين فهو حسن النية • واما اوبة العرب الى المنهج الاول من ضرورة الوحدة فتأييد لفكرة المنقذ الأعظم وتصويب لما سبق اليه من رأي سديد بثاقب فكره • ولذلك كان حقا على كل عربي ان يسدي الشكر الأجزل لدعاة الوحدة وأن يعمل لها العاملون بعدما نكص غيرهم عنها وبلوا عكسها ، فأفضت بهم التجربة الى فوات وقت وضياع فرص اشار اليها فقيدنا العزيز شقيقي المرحوم الملك فيصل في خطابه المعلوم فور عودته من اوروبا سنة ١٩٣١ واوضحها كل الايضاح • فصونا للموقف من كل عبث وشائبة ، وحثا للأمة على القيام بواجبها في جهادها نحو الاستقلال والوحدة ، قلنا ماعرفناه ، وانما نضيف اليه حض الجميع على توحيد الصفوف العربية ومجانبتها ما يثير النزاع المذهبي من حزازة ، وتؤدي اليه الخلافات الحزبية والاقليمية من وهن وخور ، وانا نصرح أن العرب انما يطلبون حقهم المشروع كاملا غير منقوص ، وانهم لايضمرون لأية امة غلاً ولا حقدا البتة ، وان امةً تظهر ما اظهرت من نبل الشعور وشرف السجية يوم وفاة شقيقي الملك فيصل لانه قام بالواجب نحوها ، لجديرة بالحياة خليقة بالسؤدد والله المسئول ان ينزع من النفوس كل سخيمة، وأن يجعل العرب كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا بمنّه وكرمه••

طلال

طلال بكر الانجال ورهن الدلال حاضره ناضر ومستقبله بعناية الله باهر ، وهو للعمل وللاتي من الزمن أمل . له معي نادرتان اولاهما اذهبت غيظي واخراهما كانت سببا لتعزيتي. الاولى شكاية من معلمه اثارت حفاظي عليه وثارت بي اليه وكنت قد عزمت على ان اجتاز معه حد التأنيب والعتاب الى مبادى العقاب ولكن عندما رآني وقد كدت ان ابادئه بما اعتزمت هش في وجهي وقال ابي فانهى الغضب فصفحت وانصرفت. واما الاخرى فكانت يوم المصيبة الكبرى يوم فقد الوالد وضياع الملك الماجد حيث قابلني وانا متقدم الى غرفة الفقيد الشهيد فاجهش في وجهي وهو في حالة بين الباسم والباكي ثم انكفأ على رجلي يقبلها ففهمت ما وقع وكان لي نعم العزاء يذكرني بما علي من واجب الصبر على المصاب وتحمل ما سياتي من مصاعب واتعاب يجدر بابن الفقيد والله الفعال لما يريد .

عبد الله

كلمة النفس

نبذ وشعور

بسم الله الرحمن الرحيم

احمده واصلي على نبيه الكريم

النبذ جمع نبذة ، والنبذة ــ لغة ــ الشيء اليسير ، فهذه نبذ من شعور ، والشعر ــ لغة ــ العلم ، و(الشعر) منظوم القول غلب عليه لشرفه بالوزن والقافية . وإن كان كل علم شعرا من حيث غلب الفقه على علم الشرع ، واسم العود على (المندل) مع انه اسم لجنس العيدان ، وقال الأزهري : « الشعر القريض المحدود بعلامات لا يجاوزها ، والجمع اشعار وقائله شاعر لانه يشعر ما لا يشعر غيره .» وفي كل لغة شعر ولكل امرىء شعور ولكن لكل امة اتجاه خاص وميل اخص يعرف بها وتعرف به ، لذلك فليس من المستطاع نقل لوحة شعرية من لغة الى اخرى حتى ولو كان القائل أو الناقل يحسن اللغتين ايما احسان ، لكون الشعر تترجم عنه اللغة ، فهي قالبه الذي يصب فيه . واللغة بنيت على ميول ابنائها او خلقوا او تفاهموا على مبانيها واساساتها ، مثال ذلك : لو قارنا هذا البيت من الشعر العربي :

جارتي كيف تحسنين ملامي　　أيداوى كلم الحشى بكلام

بالبيت الآخر الآتي للشاعر نفسه وهو :

خليـاني ولوعتي وغرامي　　يا خليليّ واذهبا بسـلام

وكلا البيتين يعرب عن شعور يترجم عن الألم ، فالبيت الاول يلوم صاحبه فيه جارته لمحاولتها تعزيته على فقد عزيز ؛ والبيت الثاني عن تأففه من محاولة صحابه تسليته على هجر محبوبه له ؛ فمتى انعمنا النظر في هذا ظهر جليا مقدار ما في البيتين من بون ،

ذلك لان للشعر معنى خاصا تجيش به النفس لمؤثرات خفية تنجم للتو والساعة يراها بعض الافراد فيحسنون الاعراب عنها إما نظما أو نثرا بأفصح لسان واوضح بيان ، فتثير في نفس السامع ذلك الشعور عينه الذي هاج بالقائل عند شعوره بتلك الاسباب الخفية ؛ فكيف والحالة هذه بنقلها الى لغة اخرى !! وعليه فان القصائد اذا نقلت او ترجمت ضاع رونقها وأخلقت بهجتها وطاشت مراميها •• وما الشعراء او المصورون الا اناس يتلقفون الطارىء الخلاب من الصور المعنوية والمادية رسما أو قولا تثبيتا لها وابقاء عليها ، كي لاتضيع المحاسن المختلفة ذوات المعاني المفيدة ، فتبقى حية ، وتظل مثالا يحتذى • فلو ان رساما تصدى للغروب فصوره على المهرق في مكان معين ، وكان المنظر خلابا بألوان الشفق التي تتغير على مقدار هبوط الشمس وابتعادها وتكسر اشعتها على السحب ، ثم عاد في اليوم الثاني لوجد اللوحة اما أنها أجمل أو انها اقل من ذلك جمالا أو أنها مشجية او مفرحة • ويخيل اليّ ان كل هذه المناظر الكونية لو جمعت منذ الخليقة حتى اليوم لما تشاكلت، ولكان لها في كل وقت شكل وصورة ، وبالتالي أثر بالنفس ، وكذلك الشعر ؛ فاذن ليس الشعراء والمصورون الا اناسا افذاذا خلقوا ليلفتوا انظار الذين ليس في طاقتهم استجلاء تلك الصور المادية والمعنوية الى ما عجزوا عنه ، حتى اذا اشير اليهم قولا او رسما ثقفوها ثم تذوقوها وتحدوها ، وبهذا تتهذب النفوس فيستطيع قصير النظر أن يستطلع البدائع الكونية ، وأن يتعمق في النظر الى الجمال من مادي ومعنوي ، وليس لذلك من مقياس أو ميزان ، بل لكل شاعر متذوق يؤثره على سواه • وكذلك الرسامون ، فالذين يعالجون الصور الهزلية بخطوط يثبتونها تجعل المرسوم معروفا بذاته لمن يعرفه وإن كان الرسم هزليا ، لان الملامح الاساسية هي هي ، ومعناها اختلاف صور الالقاء أو التنبيه إن رسما او شعرا ؛ وفي الشعر أمثلة جمة يريد

بها شعراء هذا الصنف احياء ذهن السامع أو القارىء بأشارات كلامية أو بجمل مقطعة الى مايريدون ، ثم يتركون استيفاء فهمها لذلك السامع أو القارىء ، وما هؤلآء في نظري إلا عشاق الغموض والابهام ؛ وبما أن المظروف يتعلق بالظرف في اختلافاته وتبدلاته فقد اشار الى هذا الظرف الأعم غير الشعراء من مثل ما جاء في الكتب السماوية من أدلة على الآيات الكبرى ، ولا اعني بها آي القرآن ، ولكن العلامات البالغة منتهاها من عظمة المبدع الكريم وأستشهد على ذلك صورا تلائمه وجاءت في إبّانه مبتكرات وتصورات مادية وروحية يتمشى معها الشعور من غير طفرة ، فيعكس ما لمعقول تلك الأمة من صور بلغتها ..

وبين دفتي هذه المجموعة أقوال مشطرة وأخرى مبتكرة فأحببت أن اجتهد في تفهم المشطر ، ولذلك اقبلت على تشطيره فزاد فهمي لما عني به قائلوه ، وأما المبتكرات فما هي إلا نتائج لشعور هاج بي فقلت ما قلت ، لا لعرضه على الناس ، بل لاحتفاظي بتلك السوانح وذكرى اوقاتها الخاصة بها ؛ ورب ماض لايعوض ، والله المستعان ..

والشاعر في لغته آمر لا يستطيع غيره أن يؤدي ذلك الأمر بأية صورة من الصور ، اذ الأمم في بعض أوقاتها تشبه الاطفال الذين يدربون ويشجعون على سلوك سبل شتى بتنبيه أو زجر أو تبشير ، مثال ذلك ، عند المحنة الاخيرة قول شاعر بيتنا الهاشمي الصديق الحبيب الشيخ فؤاد الخطيب وقت التردد وخوف التبعة خطابا للأمة العربية :

حي الشريف وحي البيت والحرما
وانهض فمثلك يرعى العهد والذمما

فأثار في كل من سمع هذا القول الشعور بأن عمله مما يوجب له التحية ؛ والتحية لها معناها عند العرب ..

الفصل الثاني

المنظوم

قافية الهمزة

النبويــة

وهي قصيدتي الهمزية في مدح النبي صلى الله عليه وسلم ، والتوسل الى الله عز وجل والتقرب اليه بحبيبه ، ومن انا ، حتى اصل الى تفهم معاني مدحته وتعقل باهي صفاته ، ولقد هِبتُ هذا الموقف كثيرا ، وفي الوقت الذي شاء الباري ولا اشكَ قبول استشفاعي وتوسلي من باب كرمه ، اندفعت فطرقت بابا لم أسبق اليه ، وانشأت قصيدتي ببعض ما ذكر صلى الله عليه وسلم في الكتاب العزيز ، والصلاة والسلام عليه وعلى اخوانه المرسلين وآله وصحبه وسلم :

قد اشاحت بوجهها الشيماء ... ثم ولت تجنها الظلماء

روعتني ببعدها وبين ... يا خليلي متى يكون اللقاء

أدلال” حدا بها أم مِلال” ... أو جفاء وفي النساء الجفاء

وحبيب يمل منه محبٌ ... وملال” دواؤه الاقصاء

لا يقيم المحب بعد حبيب ... لا ولا ينفع البغيض البقاء

وغريب يحب قبل قريب ... ومشوق يروقه الادناء

وجزآء القطوع قطع وداد ... ذاك دأبي وما به اخفاء

لا يسلي الهموم غير نزوح ... فوق رحل تقله كوماء

بنت فحل من الركاب سبوح ... تقطع البيد دأبها التعداء

حلوة الخطم والمناسم درم ... تسبق الركب ناشز عنباء

تلك حمالتى الى خـير أرض ضمنها النور والهدى والسناء

إن دنت بي الى مقـام كريـم فهي عتق لا يعتريها الشقـاء

هـو قصدي وغايتي ومرامي إن اصلـه فتكلم النعمـاء

يا رسول الالـه انت شفيعي وبك الخـير كلـه والرجـاء

إن وعدا حبـاك ربي جليـل سوف تعطى حتى يكون الرضاء

سبقت دعـوة الكليم بقـول رب هدنا ومنك يرجى النجاء

فاذا القول رحمتي كل شـيء وسـعته ونالهـا الأتقيـاء

الألى يقتفـون اثـر نبـي خـير من بشرت بـه حـواء

صاحب الحوض ناصر الحق يأتي يوم حشر وفي يديـه اللواء

الرسـول الأمي يطـرح عنهم وزرهـم والقيود فهي هبـاء

اسمه والصحاب معـه رأينـا جآء في الذكر وصفهم والثناء

هم على الكافرين ارباب بأس واشـداء بينهـم رحمـاء

ركـع سجد تلـوح عليهـم آيـة في وجـوههم سيمـاء

ورؤوف بالمؤمنـين رحيـم نعمـة الله نـوره الوضـآء

وحريص عليهـم لـم ينلهـم وهو منهم في امرهم اشقـاء

غاب عنـا فجاشت الشحنـاء وعلينـا تـألب الاعـداء

غـاب عنا ولات حين مناص غـاب عنـا فكانت الدهماء

رب نشكو غيـاب خـير نبي وعـداة تؤزهـا البغضـاء

أظهروا البغي والفجور وصالوا فجلونـا وفي الجـلاء البلاء

بعد هذا وبعد ما كان قبـلا كيف تـرضي فعـالهم آبـاء

فعزاء فيمـا اعترانـا عـزاء وقعـة مـن شهودها كربلاء

كان فيها الشهيد نجل عـلي وهـو سبط وأمـه الزهراء

ليس يعرو القنوط منـا قلوبا وله الأمر وحـده والقضـاء

نقمة الله فانتظرهـا عليهـم انت نبراسها وانت الضيـآء

كل يسر يجيء من بعد عسـر ولك البشر أن يزول العنـاء

البرق والغور

بينما كنت ذات ليلة في الغور على تعطش للغيث بعد جفاف في السنة كلها ، وبعد أن اخذ القنوط بالناس كل مأخذ وأنا ومثقال ابن فايز في مضربي بالزور واذا بالبرق يلمع من وراء جبال (نابلس) وهو آخذ ذات اليمين يضيء ويتبلج ثم مازال يتتابع حتى سمعنا رعدة ، ثم غشينا ُربَّانه ، ثم رش ، ثم انهمر ، ثم سال فحل البشر محل القنوط وكان الشهر رمضان المبارك عام ١٣٥٢ فاجتمعنا في الخيمة وكان المنظر من الروعة والبهجة فوق حد الوصف ، فوقع كثير من الصحاب زالقا من اثر الغيث ، فعلى اثر هذا جاءت هذه القصيدة وسنذكر شيئا عن الغور ووصفه وما قيل فيه من اقوال منظومة ومنثورة عند اثبات الغورية الثانية الرائية ان شاء الله تعالى :

آه للبــــرق اضـــاء	أيمـــن الغـــور عشـــاء
عـــنّ عـــلويـــا فـــلم	يهدنـــا الا العنـــاء
واصفـــا تلـــك الوجوه	العربيـــات الـــوضـــاء
ياله مـــن ضـــاحـــك	علـــم عينـــي البكـــاء
كـــان لـــي داء ولـــلأطـــلال أقـــويـــن دواء	
من رأى جـــذوة نـــار	قبلـــه تحمـــل مـــاء
صنعـــة الرحمـــن ربي	قـــدّر الله فشـــاء
سيلـــه روي وهـــادا	قـــال ربي جيء فجـــاء
يـــا حبيبي قـــم إليـــه	وانشـــر اليـــوم اللواء
تـــاقت النفس اليـــه	قم معي نهنـــا هنـــاء
قـــم ورافقنـــي إليـــه	واجعل النفس فـــداء
وأشـــر ثـــم إليـــه	أيمـــا اصفـــى صفـــاء
وبـــه رمت اتصـــالا	قم معي نمشي ســـواء

قافية الباء

الصورة

كنت عندما وصل سيدنا صاحب الجلالة الهاشمية الملك علي المعظم الى العراق بعد جهاده المعروف في الحجاز وذوده عن الوطن وعن العقيق وذي المجاز قدمت لجلالته آخر صورة لي رآها الأخ المرحوم الملك فيصل تغمده الله بالرحمة والرضوان فقال انك لا تزال تؤخرني في كل مرة كما بعثت لزيد بذلك الخنجر أثناء الحرب العامة وتركتني وهاأنت اليوم تبعث بصورتك الى سيدنا علي وتتركني ، فأنك ان لم تقم بتنفيذ طلبي ، أتتك مني خنجرية اخرى . وعليه وللأعتذار والصدع بالطلب قلت هذه الابيات ولوعة الوطن آخذة مني كل مأخذ والعذر في هذا واضح والله المستعان :

عتبت بلطف ثم ذكرت مامضى ... بعتبك والتذكير اهلا ومرحبا
تهددني مولاي في خنجرية ... فما اعذب التهديد منه واطيبا
فهاج بي الأشجان حتى نفثتها ... لديه بشعر كان مني تحببا
ولو أن في الامكان سعيي مبادرا ... لجئت وحطت النفس ان تتعذبا
ببعد قضاه الله والله قادر ... عظيم اذا ما شاء ضمّ فقربا
وقد جاءك الرسم الذي انت طالب ... واني لأبغى مثل ذلك مطلبا
تغرّب عن عمان طوعا ومن يكن ... بقربك في شرع الهوى ماتغربا
سأتبعه قولا على وزن ما أتى ... يسرك موزونا ويرضيك معربا
وتسمع اصوات الحجاز تجددت ... كعهدك بالامس الذي قد تحجبا
ولا شك ان الله ناصر حزبه ... وخاذل من آذى البلاد وخربا
ولا سيما ان كان مثلك مقدما ... يسوق الى المجد الخميس المدربا
به تكشف اللأواء في كل مأزق ... يكون لها بدرا وان تك غيهبا
وددت لو اني قلت هيا فشمروا ... ولكنني فضلت ان اتأدبا

فعذرا اخي ان شمت فينا تسرعا فسائقه المعروف عندك اوجبا
فأول ارض مس جلدك تربها لقد أصبحت للخصم ملهى وملعبا
وإن اعزاء عليك ونسوة يهيمون في الآفاق يبغون مهربا
فما عذرنا ان لم نكن عند خوفهم أمانا لهم نستسهل الموت مركبا
ويارب شيخ بات كالطفل واهنا ويارب طفل بات كالشيخ أشيبا
ينادون هل من ناصر او مدافع يفك اسارا او يحقق مأربا
فقد ذهبت اخبارهم كل مذهب وقد طوت الأرجاء شرقا ومغربا
فحاشاك ان ترضى وارضى ونرتضي بذلك ذلا يجعل الظهر احدبا
وان عدو الله حارت اموره وأصبح بعد البأس خزيان اجربا
لعل جوابا منك يطرق مسمعي قريبا فان النصر قد بات اقربا

قد نال منزلة

في هذه الأبيات يرى القارىء ما للروح البدوية في الشعور نحو العشق والعلاقة ، ثم تتجلى له في الوقت نفسه ميوله الى الابل وصفاتها وتتعدى الى الحادي لها ، ويتطرق القارىء من ضمنها الى الكنايات التي يرومونها فيمن يشيدون النسيب عليهن باستعمال صيغة المذكر بالاطراء تجنب اثارة ما في اطراء كهذا من محاذير ضمن العشيرة ، ويرى ايضا مقدار مالهم من اعجاب للاائي لا يرمين انظارهن الى جهة من الجهات فيتعشقن الطبع والشكل ،

وقادم عاجل قد جاء من سفر تمشي به سمحه الخفين تنتهب
هركولة ، "فنق" درم مناسمها اذا تفز يكاد الرحل ينقلب
سرحوبة من خيار الأبل ذعلبة يحدو بها صيت للعيس منتدب
تمور بالراكب الخف المدل بها فمن يراه يقول الآن ينعطب
رأيت طلعته من بعد ان غربت فأشرقت شمسه وانجابت السحب
يمر في الناس لايرنو الى احد سجية منه لا تيه ولا عجب
قد صاغه الله من حسن ومن ادب فكان من ذاك فيه الفضل والادب
فايه يانفس هيمي في محبته فانه العشق لا شك ولا ريب

إن الذي أنشــأ الأكوان ميزه | بكامل الحسن لاعيب ولاعطب
من نال منه وصالا واستدار به | قد نال منزله من دونها الرتب

طربت وانني رجل طروب

طــربت وانني رجــل طروب | فلا غضب لــدي ولا قطوب
شربت المــاء ناولني الحبيب | وقد غــاب امفند والرقيب
شفــاء النفس فيــه فهنئوني | فــلا حضر المحجب والطبيب
فمــا خمر معتقــة ُببصرَى | لهــا في جسم شاربهــا دبيب
تساوي شربة قــد نــاولتني | بكف في جــلاجلــه خضيب
لها عين المهــاة ومحجراهــا | اذا سئلت بحــاجبهــا تجيب
وتبسم حــين تبسم عن نضيد | كــدر البحــر ريقــه عجيب
تنفس عــن اشم ذى زمــام | لهــا خــد تــراه لــه لهيب
وفي قــد الغــلام وساعديــه | اذا غضبت اقول لهــا أتوب
فتلك حبيبتي ومحط رحلــي | بغــير محلهــا كمــدا أذوب
نقيــة كــل عضو فاعلمنهــا | حصــان لا تــراب ولا تريب
هنائي عندهــا وبها سروري | كظبي الخبت منزاق لعــوب
درى الواشي بأني غير مصــغ | لأقــوال لــه ولــه حــريب
هل الواشي سوى شخص حسود | على الواشي تكاثفت الذنوب

تخون عهودا لا تبالي اذا بغت

وعينين سوداوين خبأتا لنــا | طبيعــة نمر أو طبيعــة ثعلب
تخون عهودا لا تبالي اذا بغت | تكون كهر غادر الطبع احدب
وحينا تراها في رياء وخدعــة | حليفة أفعى او خدينــة عقرب
على انها المرغوب فيها لأنسها | حوت في معانيها شكيمة أغلب
تشع شعاعا يملك القلب بعضه | فمن لي بصبر عن خؤون محبب

ان الحبيب محكم

لا زال مــدحــي للــحبيب | لــو كــان لاح بــه المشيب
ان الحبيــب محكــم | للنفس دام هــو الطبيب

مــــن لست احــذر فيــــه   دهري مـــن بعيــد او قريب
وبــه المعــاني قــد كملــن   عليـــه فــافهــم يــا لبيب
خــذهــا وغــن لنــا بهــا   واسبق بهــا ابــدا عريــب

عين أطــاف بهــا

عين اطاف بها رعش احاط بها   تبدي التماعا عجيبا زاد في حربي
قد لونت يوم كانت لون جلدتها   اذا نظرت اليها طرت من طربي
تقول للعاشق الولهان في خفر   مم ابتعدت وقد امعنت بالهرب
فقلت في ذلــة مني وفي الــم   كيف اصطباري وقد الححت بالطلب
فنوليني وصالا جئت اطلبــه   يازينة الناس من ترك ومن عرب

من دار قوم الى اخرى

ترجمة عن ابيات تركية للفيلسوف رضا توفيق بك :

عددت ايام غمي بعد عهــدكم   فكنت كالسيل يجري فائضا صخبا
من دار قوم الى اخرى يهيم بكم   عسى بطغيانه يطفي اذ الهبــا
بهنانة فرعك اللماع فاق عــلى   تاج برأس عزيزات وما اقتضبا
ماضرك اليوم لو آنى دنوت وقد   جدلت فرعك واستعذبت ذا العجبا
قذفت بالهائم الولهان في ألم   جاد الفراق به فاستلطف الكربا
أنقل حديثي الى فتّانتي وعسى   افني دموعي على اقدامها حربا

دار النبي الى نفسي محببة

كم بالحمى مـــن نزيل عز مطلبــه   وكم بــه من انيس غير محــروب
ايــن الحبيب تظن اليــوم منزلــه   ابــالســراة تــراه أم بملحــوب
انّى لصبري على بعدي ونأيكـــم   وفي ابتعــادكم هجري وتعــذيبي
لا ابعــد الله قومــا كنت آلفهــم   ففي اجتماعي بهم قصدي ومرغوبي
ان عدتمُ تجدوني وفــق عهدكــم   او جئتكم ساعيــا في زي مجلوب
يا آل سلمى لقدما فــاز حظكــم   بمــن يــوالي ولاء غــير مكذوب
كم همت أمشي ولا ادري أفي قمــر   سراي ام في نهــار كــان تسريبي

وشاكرات جيادي سعيها خببا ... وراضيات ركابي مس عرقوبي
ان كان ذلك يدني من رحابكم ... او كان في سعيها ميعاد تقريبي
كل البلاد يباب بعدكم أبدا ... وكل ارض سواكم ارض مجدوب
دار النبي الى نفسي محببة ... وفي اتصالي بها عزي ومطلوبي
هو الرسول الذي لولاه ما ذكرت ... للعرب مأثرة في يوم تضريب
هي البلاد التي أسّ الاساس بها ... اصل الشريعة اصل المجد والطيب
والله لا ابتغي ارضا بها بدلا ... لو رام آخر اغرائي وترغيبي

★ ★

قل للاديب الذي قد جاء يتحفنا ... بفائق من تحيات وتحبيب
إحمل ودادي واشواقي الى بلد ... به الاشاوس من مرد ومن شيب
واقر السلام لمن بالغرب يقطنه ... وأكد الود مشفوعا بترحيب

الغيرة

سأل احدهم جلالة الملك علي عن الغيرة ومعناها ، فانصرف عنه بوجهه وقال لهاشم والعود بيده : «اضرب يا هاشم» ، فكان احسن جواب لسائل متعنت وعليه جاءت هذه الكلمة :

شعور كمين" وسط قلبي يذيبني ... اذا سارق المحبوب عين رقيبي
اذا شعرت نفسي بأمر يريبني ... على من تحب النفس زاد لهيبي
اغار على المحبوب ما دام حبه ... صحيحا وللمحبوب كان وجيبي
اذا المرء لم يعبأ بما سر نفسه ... فما ذاك في جنبيه قلب لبيب
ارى الغيرة المعيار للحق واضحا ... وفاقدها في الناس جد مريب
أيا سائلا عن غيرة عرفت بها ... بنو العرب يوم العهد غير قريب
لقد وأد الاجداد جلّ بناتهم ... حمية حر للاباء مجيب
يخافون تدنيسا لعرض كريمة ... بفقد كريم من أب وقريب
فتلك التي تسمى بغيرة يعرب ... وهذا جوابي وهو غير غريب

قافية الجيم

أسلك الطرق

اسلك الطرق شعابا او فجاجا ورد الماء فراتا او اجاجا
سئمت نفسي احاديث الورى أصوابا هي ام كانت لجاجا
اطرب النفس سرور" كامن اورث الجفن رفيفا واختلاجا

★ ★

تلك هند اقبلت في تربها منحت مجلسنا هذا ابتهاجا
عندما بشرت ان قد عزمت أن توافيني قضيت اليوم حاجا
ولقد منيت نفسي خاليا والاماني حققت والحب عاجا

★ ★

قل لعذالي ألا فابتئسوا زال سوء الظن عن هند وماجا
ان كل الغيد قد عودنني صرف ودّ لا ارى فيه مزاجا
قاتل الله اناسا انهم أكثروا في حومة الحب احتجاجا
يا سنا البرق الذي قد شمته يصدع الليل ضياء وانبلاجا
نشر العاذل عنا خبرا ضاع فحواه زمانا ثم راجا
واذاع السر يبغي ضرنا ومتى لاقيته حار فداجى
هكذا العذال دأبا انهم كظلام الليل لا يلقى سراجا
واخو العشق مريض واذا خشي العذال لا يخشى علاجا
ان ترد ميزان ثقل في الورى انه العاذل طبعا ومزاجا
انما العاذل سم ناقع لا اراه الله سعدا وابتهاجا

يا لها من فتنة

لونه قد اورث القلب اختلاجا وبعينيه لما يضنبي علاجا
كلما شاهدتها ابصرتها تنفث السحر وتسقيك اجاجا
يا لها من فتنة قد كمنت تحت رمش خالط العقل امتزاجا

ولقد تزداد سطوا وشبا حين يبكي فترى فيه التعاجا
حسنه في العين والعين به زادها الله جمالا ولجاجا
واذا ما سر يوما تلقه يضحك الثكلى وينسيها انزعاجا
فهو لغز صيغ في قالبه ساعة مرّ وقد يحلو ابتهاجا

ما اشوق النفس

يا ليت شعري والايام محدثة من بعد اقصائنا يوما لنا فرجا
أم هل ترى الشمل يمسي وهو مجتمع في بلدة قدست ارضا ولا حرجا
فيا حبذا انت يا عمان من بلد وحبذا موطن للصيد مبتهجا
ما اشوق النفس من روحاء من بلد وحبذا صبحها الوضاء منبلجا

يا حادي العيس

اللوحة غزلية ، والمحرك العين ، وليس في العرب من لايدري ماالعين. عملت على اثر طلب ممن لا يمكن اغفال امره كي تلحن ويغنى بها ، ولقد جاءت بديعة في بابها ، مشجية بأنغامها .

يا عينه ما الذي شاءت حواجبه فسددت نبلها رميا الى المهج
قوس على العين في اوتاره شرك ان لم يصبك دعتك العين بالدعج
قد زينا وجه من في انفه شمم غض الاهاب نقي الثغر ذي فلج
يا حادي العيس احبس ساعة فعسى نلقى المنى في محيا وجهه البهج
يا حادي العيس لا تعجل بنا مهلا ياحادي العيس مافي الحبس من حرج
من منقذي من وثاقي كيف قيدني ان لم أخلص فقد امعنت في اللجج
ودعته عجلا والدمع يشر قني يوم الرحيل ضحى في اسفل الدرج

من لنفس قادها الشوق

للشيخ فتح الله النحاس قصيدة على هذا الروي والقافية طائرة الصيت في الحجاز واليمن ، وابن النحاس شاعر خنذيذ واديب مشتهر يعرف بنزيل المدينة المنورة له ترجمة في سلافة العصر وله ابيات ذكرت في كتاب ازهار الربيع في علم البديع :

مَن لنفس قادها الشوق الملح ... اثر من تهوى وللاظعان نزح
كلما رام لحاقا بهم ... رحلوا عنه وللاحشاء قرح
ايقن الولهان أن قد بعدوا ... فأطاروا لبه وازداد جرح
جاءك الغيث أيا ارض الحمى ... وحبيب فيك سمح لا يشح
هل ترى يا دار انا نلتقي ... بهم فيك وهل ذاك يصح
ان ارضا قد تحلت بهم ... زينت صعدأ كما قد زين سفح
صاح هذا البرق من نحوهم ... هب يدعونا اليهم ويلح
فأجبنا ورحلنا غدوة ... ندفع الشوق بذكراهم ونصحو
ليت سلطان الهوى يقتادهم ... مثلما قد قادنا وهو الاصح
يا مغاني الحي من ذي أثر ... هل لنا مع نازليك اليوم صلح
وليال قد تقضت معهم ... هي عيد لاشعانين وفصح
لست اشكو من نزوح ونوى ... احسن الاوقات وقت فيه شطح
لا ولا اشكو زمانا انما ... هاجري اشكو وللهجران برح
قل لجهال الهوى ان الهوى ... مره يحلو ويحلو منه ملح
لا اقول الدهر قلّت حيلتي ... حيلة الحذاق توفيق وفتح

قافية الحاء

العلوية

قلتها في بغداد عند زيارتي الاخيرة لشقيقي وسيد الحجازيين جلالة الملك علي بن الحسين بن علي ؛ امـا ما ذكر فيها من مواضع وجبـال : فـ (اريتين) جبلان على الطريق للمسافر الى بغداد من الحرة تسلك بـين المقرن الجنوبي لجبل الدروز وقلعة الازرق يبعدان عن عمان الى الشرق مايه فرسخ ، ثم تخرج الى (الرويشدات) وهن اودية معروفة حولها منازل ومشاتي للبادية شهيرة ظريفة ، ومن الرويشدات الى الرطبة ، وهي في حدود المملكة العراقية ، ثم الى الرمادي ، فالفلوجة ، فبغداد ...

ذكرت لجلالته صفات وهن اقل ما فيه ... ولّيَ الملك على اثر نزول جلالة الوالد له عن الملك صيانة للبلاد المقدسة من ثورة داخلية عزم على احداثها رجال غلطوا او استدرجهم اعداء الوطن فشكلوا حزبا اسموه (الحز بالوطني الحجازي) انضم اليه كثير من الشرفاء والاعيان ممن عرف بالجبن والبخل وعدم الايمان في الدين والوطن !.. والقصيدة هي هذه :

ما مثل حسنك في الطيف الذي سنحا ... انت المقيم وقـد ولى وقد برحـا
لا اطلب الدهـر انسانا اهيم بـه ... اطرح عصاك فاني لا انـي مرحـا
يا لا ئمي في هـواه لست متبعـا ... اني عصي لمـن قـد لامني ولحـا
دع عنـك هذا وجهز انت دارجـة ... نحو العراق وسر ليلا ومصطبحـا
واجعل طريقك يمضي قصد ناحيـة ... من (أريتين) وصمم واهجع الدوحا
وامس المساء بأطراف العراق وبت ... في الرطبة الليل واسرح لاتني الوضحا
من الشـآم الى اطـراف سـامرة ... يا بعدهـا شقـة عنـا ومطرحـا
ارى فؤادي قـد هاجت سواكنـه ... ما يمنع القلب من شوق وقد طفحا
اشتقت سيـد عـدنان وهاشمهـا ... من حكمه العدل بين الناس قد وضحا
الكامـل الفاضل المحمود سيرتـه ... نجل الحسين الذي بالخير قد سنحا

من جربته الليالي في رخا وضنى | وحملته حمولا ما بها رزحا
ارض العراق اراك اليوم فاخرة | كما فخرت بأجداد له سمحا
هو المليك فمن ينسب اليه فقد | ضم اليدين على خير وقد ربحا
نحن الشقيقان من ام مباركة | ومن اب قدسته الناس اين نحا
في كل آن ينادني لحضرته | شوق ملح وقلب بالهوى جمحا
فلا تقل اين تبغى بعدها ابدا | عرفت قصدي فغض الطرف واطرحا
علي سيدنا صبرا لخائنة | من الزمان فقد ولى بها ومحا
فكم تلاحم باب الشر ثم مني | بواصل من حبال الله فانفتحا
وكم تغلب كرب وقت معضلة | فباد عن قدرة لله وانفسحا
أهنىء النفس ان زرت المليك وقد | شفاه ربي فقل حمداً وته فرحا
حتى أذنت فاني شاكر كرما | قد نالني ففؤادي عاد منشرحا
ولا اغب بلادا انت قاطنها | ازورها كل عام زور من نزحا

قافية الدال

اما الداليات ، فهن قصيدة « الحصري » المشهورة التي شطرت ، واخرى معارضة لها ، وما بقي منهن فمبتكرات لا حاجة الى تعريفها :

التشطير :

يا ليل الصب متى غده	قد حان الوقت نجدده
أمل للوصل يعلله	أقيام الساعة موعده
رقد السمّار وأرّقه	هم للنوم يبدده
واعان عليه واقلقه	اسف للبين يردده
فبكاه النجم ورق له	علم للشام وفرقده
والبدر الساري يسعده	مما يرعاه ويرصده
كلف بغزال ذي هيف	وأشم الانف محدده
ونفور الطبع مروّعه	خوف الواشين يشدده
نصبت عيناي له شركا	وعلى درب يتعمده
شرك قد كون من امل	في النوم فعزّ تصيده
وكفى عجبا اني قنص	متقان القنص معوده
واخو حذر واخو ختل	للسرب سباني أغيده
اتقصده عمري سحرا	أهواه ولا اتعبده
صاح والخمر جنى فمه	ورضاب يعذب مورده
وله دلّ يمتاز به	سكران اللحظ معربده
ينضو من مقلته سيفا	وقوام راعك أملده
فيريق دم العشاق به	لو صادف ليثا يرعده
او نازل شهما مال به	والويل لمن يتقلده
كلا لا ذنب لمن قتلت	زفرات جوى تتقصده
والريم براء ان فتكت	عيناه ولم تقتل يده
يا من سفكت عيناه دمى	وشهود الحال تؤكده

تبديه وتظهر شاهده ... وعلى خديه تورده
خداك قد اعترفا بدمي ... هل من حكم تتقصده
لون الياقوت علامته ... فعلام جفونك تجحده
اني لأعيذك من قتلي ... عن طبعك· ذلك ابعده
والهجر ارى قتلا وبلا ... واظنك لا تتعمده
بالله هب المشتاق كرى ... في نار الشوق توقده
هبه سنة لا تحرمه ... فلعل .خيالك يسعده
ما ضرك لو داويت ضنىً ... قد كاد بعادك يخمده
مضنى بودادك ذو كلف ... صب يدنيك وتبعده
لم يبق هواك له رمقا ... الا لهبا قد تخمده
واذا ما لم تنجده غدا ... فلبيك عليه عوده
وغدا يقضي أو بعد غد ... يأتيه اخوه يلحده
فيموت اسى ويهيم هوى ... هل من نظر يتزوده
يا اهل الشوق لنا شوق ... أنّى نسطيع نكابده
وغصصت أيا للناس انا ... بالدمع يفيض مورده
يهوى المشتاق لقاءكم ... يمضي ليل لا يرقده
وله امل في قربكم ... وظروف الدهر تبعده
ما احلى الوصل واعذبه ... فليبعد عنك مفنده
يا ما احلاه واملحه ... لولا الآلام تنكده
بالبين وبالهجران فيا ... لجناني اني فاقده
بالصد وبالابعاد فيا ... لفؤادي كيف تجلده

حب يعنيك تجدده

المعارضة :

حبّ يعنيك تجدده ... وهوىً يغريك تعدده
ومشير الحب تدلله ... وقوام يخطر املده
رشأ كالغصن تمايله ... يومي أرعاه وارصده
وحياتي اوشك افقدها ... لتوهم اني افقده

وله لهب في وجنته ... نار للحسن توقده
وحواجبه كالقوس لها ... سهم للقلب تسدده
ترميك وتضحك من عبث ... وتقيم الصب وتقعده
وله عين فيها دعج ... تسبي المشغوف وترعده
قد فاق الابيض اسودها ... يرمي الملهوف فيقصده
ثغر كالبدر تلالؤه ... والجيد يروقك اغيده
والحسن تجرك فتنته ... والقلب يصدك اصلده
وله شفة فيها لعس ... ورضاب يعذب مورده
وجبين تشرق طلعته ... واشم الانف محدده
واليه بسطت يدي شغفا ... أتراه تمد لنا يده
فنكون مدى الايام معا ... ونعيش الدهر وننفده
ونغيظ الحاسد نكبته ... ونمر عليه تنكده
فيموت اسى ونهيم هوى ... ويخون قواه تجلده
ما اجلى الحب واظهره ... فليخسأ عنك مفنده
وامر الهجر وانكده ... انا لا اسطيع اكابده
واذا المحبوب تنكر لي ... يمضي ليلي لا ارقده
انا عبد اوثر خدمته ... ويظن بأني سيده
وله إسم غنيت به ... وأظل الليل اردده

يا عاذلين اقلوا اللوم

المبتكرات :

ما للمحبين من اسر الهوى فادي ... ولا مقيل لقتلاهم ولا وادي
ولا حميم ولا مولى يرق لهم ... بل هم بواد وكل الناس في وادي
وارحمتاه لهم ما كان اجرأهم ... على معاناة جمع بين اضداد
والناس إلب" عليهم واحد شرع ... ما ان ترى من يواسيهم باسعاد
اما عذول واما ذو مراقبة ... او مظهر النصح او ساع بافساد
ان اظهروا ما بهم ليموا وان كتموا ... لاقوا بما كابدوا تصديع أكباد
يا عاذلين اقلوا اللوم ويحكم ... اني لمن رام قودى غير منقاد

أحيث ما كنت او يممت من جهة ألقى رقيبا ولو اما بمرصاد
يزداد باللوم حب الصادقين هوى واها لحب بطول اللوم مزداد
املأ لي الكاس صرفا واسقني عللا فالكأس إكسير من قد جاءكم صادي
اقول لاثنين فتان وذي مُلَّح كفى دلالا فأني رائح غادي

قد نال حسنا

حورية وجهها كالشمس مشرقة تطفي بأشراقها النسوان في البلد
لحظتها اليوم تمشي وهي جافلة يا حسنها حين ولت تتقي بيد
قد راعها ما رأت من شكل رامقها مسلط لا يبالي سطو ذي لبد
ملأت عينيَّ من شخصيهما ولقد اقبلت امشي ولكن مشي متئد
فالوجه منه حيي باهت فرق والخد منها يقول النفس في كمد
يا سرع ما ادبرت في شكل مرتبك وسرع ما قام من وان ومن حرد
قد نال حسنا ونالت بهجة فهما كالشمس والبدر لم تنقص ولم يزد
اجهدت فكري لعلي اناري مثلا لما بصرت فلم اظفر ولم اجد
يعيذها الله ربي دائما ابدا وصانه الله من نيات ذي حسد

الخنجرية

قيلت هذه القصيدة وأنا بالعيص في الحرب العامة عندما كنت اقود الجيش الشرقي الهاشمي عام ١٣٣٥ وكان قد مر بي اخي زيد بن الحسين وهو اصغر أخوتي في طريقه الى الوجه ثم العقبة ، وكنت قد اهديته خنجرا رآه اخوه الصنو فيصل فبعث الي يعاتبني ويشير الى رغبته في خنجر كالذي اهديته زيدا ، فبعثت اليه بالخنجر وبهذه القصيدة . وكان قال في كتابه : « ان لم تف بحقي والا تحاكمنا الى حكمين » . اما العيص فهو موضع في ناحية ذي المروة بقرب الساحل وعلى الطريق التي كانت تأخذ قريش في مسيرها الى الشام ؛ وقال افنون التغلبي واسمه حريم بن معشر ابن ذهل بن تيم بن عمرو بن تغلب في العيص :

لو انني كنت من عاد ومن ارم غذيت فيهم ولقمان وذي جدن
لما فدوا بأخيهم من مسهولة اخا السكون ولا حادوا عن السنن

سألت عنهم وقد سدت اباعرهم   من بين رحبة ذات العيص فالعدن

اما وقد جاء ذكر العيص والجيش الشرقى الهاشمى فسأبحث بالمناسبة عن حرب الثورة والنهضة للفائدة فأقول : لم يكن من واجب العرب ان يناموا عن حقهم الذي خصهم الله به كأمة ولا عن حقهم الذي شرفهم الله به ، فكانوا الامناء على الدين الذي ارتضاه لهم واعلى مرتبتهم بخاتم الانبياء والمرسلين والكتاب المبين ، وشهد لهم بأنهم خير أمة اخرجت للناس ، لذلك فبقاؤهم من عهد السلطان سليم بن عثمان الى عهد رشاد ابن عبد المجيد بن عثمان لعهد ملؤه الصغار • وقد طال مكثهم فيه ، وهم اشتات يتناهبون ويقتتلون كأنهم قد نكصوا الى عادات الجاهلية وكأنهم نسوا امر النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع اذ يقول لهم في خطبته المشهورة : فلا تعودوا بعدى كفارا يضرب بعضكم وجوه بعض • فأصبح والحالة هذه عند كل ذى علم بالواجب ومعرفة بمقتضى الشرف نبذ هذا العار والوصول بالعرب الى المكان الذي اعدهم الله له ، فيسر ذلك بعد تجارب عديدة وقعت من شرفاء مكة وائمة اليمن الكرام للحسين بن علي ابن محمد بن عبد المعين بن عون في فرصة الحرب العامة التي سنحت وكان ذلك على رغبة العرب المقرونة ببيعتهم في الشام والعراق قبل الثورة وبعد ان وقع من دولة آل عثمان في عهد دستورهم الأخير وفي مدة سلطنة رشاد بن عبد المجيد ما وقع على العرب من ظلم وتقتيل في انحاء البلاد الشامية ، حيث ضربوا اهل حوران وجبل الدروز على يد سامر الفاروقى وابادوا اهل الكرك في ذلك الوقت ثم اقتتلوا مع امام اليمن ذلك القتال الطويل المدى الذى انتهى بعد تجارب عنيفة بعجزهم والاعتراف لجلالته بأنه امير المؤمنين ببلاد الزيدية من اليمن وكذلك وقائعهم والسيد ابن ادريس بتهامة عسير وما انتهت اليه الحالة هناك ، كل هذا ادى الى المطالبة العاجلة والقيام بما يجب على كل فرد عربي من سيد جليل ومسود نبيل ، فكان ما كان مما عرفه التاريخ من توفيق ونجاح الى ان وضعت الحرب اوزارها وجاءت الهدنة فقام عمال التفرقة وخدام المصلحة الذاتية

فعاجلوا الأمة بفصل الشام عن الحجاز والعراق عنها قبل ان يتم الصلح مع الدولة العثمانية صاحبة الحق على هذه الأقطار العربية بمقتضى العرف الدولي، فسهلوا على ارباب المطامع من الدول قضاء اوطارهم منها ، فجاءت كارثة سوريا ، وانتهت بالفجيعة المعلومة وافضت هذه الحادثة الى تصلب في الرأى في الحجاز ومطالبة بالوفاء المطلق ، جر هـذا الى كارثة سقوط الحكم الهاشمي فيه ، ونجم هذا الانقلاب الذي حمانا الله سبحانه وتعالى من عواقب تبعته ؛ وانا نسأله عز وجل اللطف بالعرب والتوفيق لهم والهداية وسينتهي وآجبنا من ناحية البحث عن النهضة العربية وعواقبها وكيف قامت حكومة العراق الهاشمية وهذه الأمارة الأردنية في مذكراتنا ان شـاء الله تعالى ؛ اما القصيدة فهي هذه :

أفيصل لا تلم قبـل التروي ... ولا تعجل هداك !الله رشـدا

فأنـك قـرة العينيـن منـا ... وانك لـم تزل في الآل فـردا

أقر بكل مـا تحويـه فخـرا ... من الاعمال ما قـد ناف عدا

فلا واخيك مـا بعثت يميني ... لزيـد خنجرا قسما وعهـدا

مؤخرة لما استوجبت عنـدي ... بما اوقعت بالأعـداء عمـدا

فأن كان المقـدم في العطـايا ... فأنـك عندنـا انت المفـدى

وانت هزمت للأعـداء جيشا ... وانت لركنهـم زلزلت هـدّا

ورأيك يرجح الآراء حزمـا ... وانت مظفر في كـل معـدى

وزيد ليس ينقص في كمـال ... عن الأخوان بـل سهم أعـدا

اخو ثقـة وكارثـة وحـرب ... وفي الهيجآء سيف ليس يصدا

تـذكرني بصفـين وعمـرو ... لدى التحكيم اذ كان الأشداء

فأن يك ما زعمت قرين صدق ... فأمـر الله لـم يقبـل مـردا

وخنجر عزكـم صغنـاه حتى ... لمركز فضلكم يعزى فيهـدى

الصيـد

جاء في هذه القصيدة ذكر الصيد ، والصيد ما يتصيد ، والصيد هو الحلال الممتنع الذي لا مالك له ، وصيد البر معروف حلالـه وحرامـه ،

وصيد البحر حلال كله وهو اللهو المحلل والمقامرة المحللة . اما صيد البر من الطيور وذوات الأرجل فلكل وقت وآلة ومن جملة مارغبت في الحصول عليه ولم اوفق له الى الآن ، هو كتاب (المصائد والمطارد) عثرت على اسمه في صبح الأعشى وكذلك وقعت على اسم كتاب (الأنواء الكبير) وكلاهما مهم ، وفي فقدانهما خسارة كبرى . وقد جاء في العقد الفريد الشيء النافع الموجز عن الصيد وآلاته ، وكذلك في صبح الأعشى ، انما لايوجد ويالالأسف في اليد ما يدل دلالة قطعية على هذا المرغوب المطلوب من كتاب يشفي . اما المعروف الآن لدينا فهو صيد الطير بالطير ، وصيد الغزلان والظباء بالطير والكلب والخيل ، وفيه من المحاسن ما يوجب الافتتان به ؛ واما طرد الصيد على السيارات فهو ابادة وانه جناية على هذه المخلوقات التي جعل الله وسيلة دفاعها في السبق والهرب ، فمغالبتها على وسائط قاهرة هي كما قلنا ، عندنا ان هي الا جناية قد تصل الى حد الكراهية ؛ ويعجبني وصف ابي نواس للبازي حيث يقول :

ابرش بطنان الجناح أقمرا ... أرقط ضاحي الدفتين أنمرا
كأن شدقيه اذا تضورا ... صدعان من عرعرة تفطرا
كأن عينيه اذا ما اثأرا ... فصّان قيضا من عقيق احمرا

واستحسن ايضا وصف القطا كما جاء في صبح الأعشى حيث قال :
« والقطا نوعان : كدري وجوني ؛ » وزاد الجوهرى نوعا ثالثا وهو الغطاط . فالكدري غبر اللون ، رقش البطون والظهور ، صغر الحلوق ، قصار الاذناب ؛ والجوني سود بطون الاجنحة والقوادم ، والظهر أغبر أرقط تعلوه صفرة ، والجونية اكبر جرما من الكدرية تفصح باسمها قطا ، قطا ؛ والجونية لا تفصح بل تقرقر بصوت لها في حلقها :

يا طالب الصيد هات الصقر والبازي ... اريد طردا لصيد في الفلا جازى
وحش بوجرة يرعى خضرّ أودية ... منها السليم ومنها رهن أحجاز
واكلبٌ علمت يلحقن ذا سبق ... يمسكنه لو تعلى في الهوى نازى
كيف النجاة له من مأزق حرج ... به عداة ثلاث قيد ايعاز

جوارح وكليب لاتني ابدا | والخيل تتبعها هذبا لأيجاز
منها صريع ومنها ممعن هربا | وبعضها قد نجا من مخلب الباز
حتى اذا زال ظل الشخص ظاهرة | عدنا فقلنا بقصر لابن فواز
شواحط في ربى الحلقات موقعه | تراث ذى همة للقرن حجاز
يا صاح شم بارقا قد بت ارمقه | في فاحم من حبي المزن رجاز
سقى تهامة ثم انهل صيبه | نحو السراة بأرداف واعجاز
كأن اطوار روضى تحت كلكله | شيخ بتيمن مشغول بألغاز

وشواحط هو قصر لآل فواز بن ناصر بن فواز بن عون احد فروع البيت الهاشمي وهو على عشر فراسخ من الطائف الى ناحية الشرق الشمالى في ربى واد يسمى الحلقة ، يسكنه فتيان آل فواز بقصد الابتعاد عن الحواضر وما فيها : والطائف مصيف الحجاز ومدينته الغناء ذات العيون والانهار والطيور والاشجار ،، ومع ذلك فهي قليلة الحظ ، كثيرة النكبات ؛

والطائف شديد البرد في الشتاء جافه ، عديم القيظ في الصيف جافه ، معروف بالفواكه والثمار ، لا يسأم نازله ، ولا يهرم قاطنه ، وقد قال في وصفه الشيخ فؤاد الخطيب يوم زار الطائف وهو بمعية صاحب الجلالة الملك علي المعظم في اجازة لهما من المرحوم سيدنا المنقذ الحسين بن علي ، هذه القصيدة الغناء التي ننقلها برمتها لمناسبة ذكر الطائف المأنوس :

انا في الروضة استوحي الشعور | إن في الروضة بعثا ونشور
احيت الأحداق في نرجسها | واعادت في الأقاحي الشعور
ولقد حدثنى رمانها | انه كان نهودا في الصدور
وروى لي البان عن اعطافه | انه كان قدودا وخصور
فلو اجتازت بها الروح لما | كنت الا بين ولدان وحور
نثرت في أرضها حصباؤها | دررا تنجم منها وشذور
ومشى الجدول في أثنائها | كوثرا يسبح فيها ويمور
حبس الزهر صفوفا حوله | وهو كالراح على الشرب تدور
كلما استضحك عن لؤلؤه | هتفت في فنن الأيك الطيور

سبحي أيتها الطير له … واملأي الجو هناء وحبور
جل من ألهمها تسبيحها … هكذا الجنة والعبد الشكور
حسبك الدومة ضاف طلثها … تحته الكاعب والريم النفور
جمع الملتف من اغصانها … كنس الغزلان فيها والخدور
فسل الطائف عن أيامنا … تشهد الدار وابراج القصور
والمروج الخضر في رأد الضحى … لبست ثوبين من نَوْر ونور
كم بلغنا فيه من اوطارنا … وحظوظ الناس ويل" وثبور
وخلونا بين اطراف الرُبى … خلوة الورق جثوا في الوكور
وتشاكينا تباريح الهوى … حولنا السوسن مستحي حصور
يحمل القول على علاته … ونسيم الروض في الروض نفور
وغضيض الأتل عن ايماننا … كعذارى الحي ارخين الشعور
يرتمي العوسج في ساحاتها … حنقا يزحف بالشوك غيور
وقح يعلق في اهدابنا … علق الفاجر بالعف الوقور
طبعه الوخز اذا استشهدته … قبح العوسج من شاهد زور
فدع النوم وان طال الكرى، … فغدا تشبع نوما في القبور
تطبق الاجفان في ظلماتها … وهي لا تعرف للصبح سفور
كم وثبنا غلس الليل معا … وثبة البرق خفاء وظهور
تملأ الأعيان منا بغتة … ثم تخفينا الزوايا والستور
ويد تمسك منا بيد … تقصد الرعشة فيها وتجور
وفم فوق فم تسمع من … وقعه اللثمة تترى فتثور
تصعد الزفرة في أثنائها … خلل الأنفاس كالقدر تفور

قافية الطاء

كم ذا اداري جهولا

كم ذا اداري جهولا لست أفهمه — أعاقل هــو ام في العقل تخليط
ومبهم حالــك الالوان مفزعــه — وفي أتباع له خــوف وتوريــط
وفي البراح سماح أنت واجده — وفيــه للنفس تــرويح وتنشيط
وجانب الهم والأهــواء قاطبــة — ففي الغلو خســارات وتفريــط
أواسط الأمر خير الامر تعرفــه — وفي التشطط ابســاس وتغليط
وتابــع الحق لا تعروك مأسفــة — له من الحق اســوار وتحويــط
اتبع شريعة خــير الخلــق كلهم — يصبح لك الحق ان الحق سليط

قافية القاف

الماء يجري

« الماء يجري ولا نظام له ... » بيت قديم يتغنى فيه ، ولقد كان سببا للمساجلة مع الشاعر الكبير الشيخ فؤاد الخطيب ذات ليلة على مائدة احد الاصدقاء بحضور جلالة الملك علي بن الحسين المعظم وهي هذه :

الماء يجري ولا نظام له ... لو وجد الماء مخرقا خرقه
لكنه سال غير محتبس ... روائح الزهر حوله عبقه
وشمعة حولها ذلاذلها ... تضيء للناس وهي محترقه
تقبس من نوركم لها قبسا ... وأنها في اقتباسها لبقه
يا حسنها والرياح تصفقها ... رأيتها حول نفسها خفقه
وللمصابيح حولها لعب ... مضيئة تارة ومنطبقه
تبين وجه التي الاحظها ... موجات نور تضلل الحدقه
ترمقها العين وهي ماثلة ... كأنها في وشاحها قلقه
يا زهرة في الاناء باسمة ... نحيلة الساق بضة رشقه
اذكرتني بالتي وهبت لها ... مدامعا في الخدود مندفقه
عطفا على من اتى ليطلبكم ... يشحذ منكم لنفسه صدقه
علّها تروّي منه غلته ... ودمعة قبل اختها أبقه

قافية الكاف

يادمية الدار

للرضي ــ رضي الله عنه ــ على هذا البحر والقافية قصيدة في منتهى ما يمكن ان يكون من الابداع في النسيب ، اما هذه فحذت حذو تلك ، وكأن روحه ــ رضي الله عنه ــ املت فأروت ، ولقد تكرر ذكر العين ايضا بهذه القصيدة ، والعين او العيون سر الاسرار ومنبع السرور والاكدار ، منها تقرأ الروح وتفهم النفس وهي اللسان قبل اللسان ، وهي الحبالة للانسان ، فيها كل شيء ، ان ارادت دعت او شاءت نفرت، واحلاها عند العرب سوداها، وتعرف بالدعج ، وتوصف بالرهج كما قال الشاعر :

سوداء في دعج صفراء في رهج كأنها فضة قد شابها ذهب

ولا يجمع ما جمعت من قوى حي ولا شيء . والعيون علامة الذكاء او البلاهة ، حسانها تدني ، وقباحها تبعد وتقصي ، وشر العيون الجواحظ ، وربما زينت العيون بالحور ، ومنها الزرق الالوان ، وهن في الاعاجم لاصحابها الشقر . ومن العيون ما يقارب لونها لون العسل ومنها ما يخالطه خضرة مع صفاء في البياض واسراع في الارماش او بطء ولله در القائل :

عيون المها بين الرصافة والجسر
جلبن الهوى من حيث ادري ولاادري

والقصيدة هي هذه :

يا دمية الدار جارت في حبائلها رفقا دمية قد اكثرت قتلاك
قطعت عهدا وثيقا بالحجاز لنا والعهد يسأله الرحمن مولاك
سرت الينا مع السارين قارصة تنبي بعكس الذي قد كان رحماك
من ذا الذي حل منك اليوم ناحية من الفؤاد تراعيه ويرعاك

تالله ما حل عندي قط بعـــدكم قرين حسن وما ارقيت مرقـــاك
قومي اذكري اليوم صبا مدنفا تعبا رعى الزمام وقود النفس اعطاك
انت الحبيبة ان جارت وان عدلت صدت الفؤاد فما اخطأت مرماك
ماذا الذي امرت عيناك مذ نظرت عيني اليها فذاقت حلو مجنـــاك
رأيت لمعـــة لحظ لا تخـــاطبني إلا بسهم ســـديد شك مغنـــاك
سقى ربوعا لنا صوب السحاب همى على البـــلاد فأهنانـــا وحيـــاك
كأن عينيك يـــوم العهد عـــارفة بما نوت فأبانت قصد معنـــاك
يا دمية الدار ان الحسن عـــارية مرجوعـــة نحو معطيهـــا فإيّاك

قافية اللام

مالي وما لصياح السلك

هذه القصيدة قيلت بمعان عام ١٣٣٩ عند قدومي اليها بعد سقوط سوريا وخروج الاخ الملك فيصل ومن معه منها الى حيفا ، ثم الى اوروبا ، وبعد كفاح حوران صد الاحتلال ، وضد الخائنين من الرجال . سافرت من مكة بطلب تكرر من رجالات الحمية ، وممن عرف بالاخلاص والنجدة وصدق اللقاء . فاستأذنت المرحوم الوالد وقدمت الى معان مع من اثق بهم من الاعوان ، و (معان) بالفتح وآخره نون ، والمحدثون يقولون بالضم ، واياه عنى اهل اللغة ، منهم الحسن بن علي بن عيسى ابو عبيد المعني الازدي المعاني ، من اهل معان البلقاء روى عن عبد الرزاق بن همام روى عنه عبد الرزاق أبناء خزيم ، وعمرو بن سعيد بن سنان المنبجي وغيرهم ، وكان ضعيفا . والمعان المنزل ، يقال : الكوفة معاني أي منزلي ... قال الازهري وميمه ميم مفعل وهي مدينة في طرف بادية الشام تلقاء الحجاز من نواحي البلقاء ، وكان النبي – صلى الله عليه وسلم – بعث جيشا الى مؤتة ، فيه زيد بن حارثة وجعفر بن ابي طالب ، وعبد الله بن رواحه، فساروا حتى بلغوا معان ، فأقاموا بها وارادوا ان يكتبوا الى النبي صلى الله عليه وسلم عمن تجمع من الجيوش ، وقيل قد اجتمع من الروم والعرب نحو مائتي الف ، فنهاهم عبد الله بن رواحه وقال : انما هي الشهادة او الطعن.. ثم قال :

جلبنا الخيل من أجأ وفرع	تغز من الحشيش لها العكوم
حذوناها من الصوان سبتا	أزل كأن صفحته أديم
أقامت ليلتين على معان	فأعقب بعد فترتها جموم
فرحنا والجياد مسومات	تنفس في مناخرها السموم
فلا وابي مآب لآتينها	وان كانت بها عرب وروم
فَعَبَّئنا اعنتها فجاءت	عوابس والغبار لها بريم
بذي لجب كأن البيض فيها	اذا برزت قوانسها النجوم

ومعان هي احدى منازل الحاج يوم كان، واكبر موقف للخط الحديدي الحجازي بين المدينة المنورة والشام ، وقد هوجمت معان هذه اثناء الحرب العامة من الجيش العربي الشمالي بقيادة المرحوم الاخ الملك فيصل عدة مرات ابرز فيها الجيش منتهى البسالة والاقدام وكافح العثمانيون احسن كفاح كعاداتهم وما عرف عنهم في تاريخ الكفاح العسكري في القلاع ، وثبتت على حالها الى ان تمزق الجيش العثماني بفلسطين وتراجع فرجعت حامية معان ثم اسرت بين القطرانة وزيزياء • والقصيدة هي هذه :

مالي وما لصياح السلك في بلد — لا السهل يشبهه كلا ولا الجبل
ابيت سهران ارعى النجم مرتقبا — ضوء انصباح بأصوات لها زجل
ترى به لمعان البرق مشتعلا — كأن حافاته الاستار والكلل
كأنه حين تأتيه الرياح دجى — عاو رأى غنما فيها فتى بطل
فارتاع لما رآه حوله وثنى — ترديد صوت هصور هاجه خبل
بل ذلك الصوت نوح الشام يرسله — للعرب مما دهاه ملؤه الوجل
يقول أن سراة الشام ظاعنة — ترجو المنون وهم لم يعرهم دخل
ليسبت ورب الصفا والبيت راضية — بملك علج عنيف ملؤه الخجل
يسوقهم بسياط الذل مطمحه — للغدر ينكر ما جاءت به الرسل
في اول الامر قد ابدى مخاتلة — والسر اخبث مما اظهر الوجل
وانتم يا سراة العرب مالكم — ان النفوس لعز الدين تبتذل
فكيف ترضون ان تبقى بلادكم — بالذل محتلة سكانها خول
يا ساريا فوق بكر مسرعا عجلا — لم يثنه عن مناه اللهو والشغل
أبلغ كريما نأى عنا لحادثة — من اجلها مع ذوي التيميس مشتغل
فليخبر القوم انا لم نحل ابدا — عما بنينا وهم عنا قد اعتزلوا
اغروا بنا رهطغورو ثمة اضطجعوا — وذاك منهم نكول كيف يعتدل
ما بالهم قد نسوا منا مشابرة — لما دعونا فصرنا القوم ننتشل
اذ كان قيصر المان يناجزهم — والترك تقتل منهم ثم تأتكل
أعوذ بالله من رأي وثقت به — وقد اراك سواه الحادث ألجلل
فان وجدت وثوقا بالعهود فكن — لما انتدبت اليه انت محتمل

اولا فلا تقعدن يا شهم بينهم واقدم ترانا جميعا كيف نفتعل

حنين

ليالي بعد الظاعنين شكول تقضّى ثقالا والحزين مسول
تمضّى كأن الليل لاصبح بعده طوال وليل العاشقين طويل
يبين لي البدر الذي لا اريده فأمسى حزينا والعذول يصول
يبدينه قصدا وقهرا وقسوة ويخفين بدرا ما اليه وصول
وما عشت من بعد الاحبة سلوة ولكن خيالا في الفؤاد يجول
وما عشت ابغي لي بديلا أديله ولكنني للنائبات حمول
وما شرقي بالماء الا تذكرا لأهلين في ماء العذيب نزول
يحرمه لمع الاسنة فوقه وفرسان صدق والرفاق قليل
ويمنعه قوم قروم اشاوس فليس لظمآن اليه سبيل

سفينة تبغ

لا بد من راحة بعد التعب ، واعتقد ان ما جاء من تفاصيل بسبب القصيدة المسماة « مالي وما لصياح السلك » ربما اورثت الكلال او التعب للقارىء وقد جاءت الصدف بهذه الاخيرة وهي في بابها لطيفة ، اما جمع الذكر بالقريض فذلك من جملة مبتكراتي ولا بد من مستحسن لها ، وهي مريحة وان خلطت الجد بالهزل :

سفينة تبغ من لجين رأيتها بكف ظريف الطبع بادي الشمائل
اذا همز الكباس زال غطاؤها فتبسم عن رخصات شبه الانامل
فينهب منها اخت اخرى جميلة حبيسة ثوب ابيض اللون حافل
فيكوي لها رأسا فيبدو دخانها يحلق مثل الطير فوق المناهل
متى سحب الانفاس منها رأيته بدا البشر منه في الضحى والاصائل
كأن معاطيها اليف مدامة وقد أدمن المشروب غير مخاتل
على انني قد قلت عنها وانني صدوق معاني القول وسط المحافل
هي السم تدني الموت من ناقل لها ولا تقبلوا قول الغشوش المحايل

قافية الميم

ذو سلم

جاء ذكر ذي سلم بهذه القصيدة ، وذو سلم ووادي السلم وأم السلم بالحجاز وفي المعجم عن ابي موسى قال الشاعر :

وهل تعودن ليلاتي بذي سلم كما عهدت وايامي بها الاول
ايام ليلى كعاب غير عانسة وانت امرد معروفا لك الغزل

وذو سلم واد ينحدر على الذنائب ، والذنائب جمع أذنبة ، وأذنبة جمع ذنوب وهي الدلو الملأى ماء ، وقيل قريبة من الملء ، ثلاث هضبات بنجد ، وقال وهي عن يسار فلجة مصعدا الى مكة وفي شرح قول كثير :

أمن آل سلمى دمنة بالذنائب الى الميث من ريعان ذات مطائب

الذنائب في أرض بني البكاء على طريق البصرة الى مكة ـ والمطالب ـ الطرق العغار :

يلوح بأطراف الأحبة رسمها بذي سلم اطرافها كالذواهب

ـ ذو سلم ـ واد ينحدر على الذنائب . وسوق الذنائب قرية دون زبيد من ارض اليمن وبه قبر كليب وائل ... ولقد جاء في القصيدة هذا البيت :

صبيحة النحر والاحرام يجمعنا ضحت بشخص كريم ثابت الحرم

ويحرم الانسان احرامين للحج والعمرة وللفائدة والبركة سنذكر عن الحج والعمرة الشيء المفيد فنقول كما في البخاري :

باب وجوب الحج وفضله وقول الله تعالى «ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ، ومن كفر فان الله غني عن العالمين» . حدثنا عبدالله ابن يوسف اخبرنا مالك عن ابن شهاب عن سليمان بن يسار عن عبدالله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال : كان الفضل رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءت امرأة من خثعم ، فجعل الفضل ينظر اليها وتنظر اليه ، وجعل النبي صلى الله عليه وسلم يصرف وجه الفضل الى الشق الآخر ، فقالت يا رسول الله ان فريضة الله على عباده في الحج ادركت أبي شيخا

كبيرا لا يثبت على الراحلة ، أفأحج عنه ، قال نعم وذلك في حجة الوداع .

باب قول الله تعالى «يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم» . فجاجا الطرق الواسعة ، حدثنا احمد بن عيسى حدثنا بن وهب عن يونس عن ابن شهاب ان سالم بن عبد الله أخبره ان ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يركب راحلته بذي الحليفة ثم يهل حتى تستوي به قائمة ، حدثنا ابراهيم اخبرنا الوليد حدثنا الاوزاعي سمع عطاء يحدث عن جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنهما ـ ان اهلال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذي الحليفة حين استوت به راحلته رواه انس وابن عباس رضي الله عنهما .

باب الحج على الرحل : وقال أبان حدثنا مالك بن دينار عن القاسم ابن محمد عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث معها اخاها عبد الرحمن ، فأعمرها من التنعيم وحملها على قتب . وقال عمر ـ رضي الله عنه ـ شدوا الرحال في الحج فانه احد الجهادين . وقال محمد بن أبي بكر المقدمي ، حدثنا يزيد بن زريع حدثنا عزرة بن ثابت عن ثمامة بن عبد الله بن انس قال ، حج انس على رحل ولم يكن شحيحا ، وحدث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حج على رحل وكانت زاملته . حدثنا عمرو بن علي ، حدثنا ابو عاصم ، حدثنا ايمن بن نابل ، حدثنا القاسم بن محمد عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ انها قالت : يا رسول الله اعتمرتم ولم اعتمر ، فقال يا عبد الرحمن ، اذهب باختك فأعمرها من التنعيم على ناقة فاعتمرت .

يظهر من هذا ان الحج على السكك الحديدية والسيارات والطيارات غير مستحب . وان الحج لترويض النفس ، والخروج من ترف الدنيا واذلال الكبرياء ومساواة الناس مساواة حقيقية ، شعثا غبرا حفاة عراة ، لا فرق فيه بين السوقة والملوك ، والخاصة والعامة ، وما يفعل اليوم في حرم الله من ملوك الزمان ومن حولهم من طلاب الدنيا ، منكر لايرضي الله ورسوله ، خصوصا بعد ان سمعنا عمر يقول : « شدوا الرحال في الحج ، فانه احد الجهادين » يعلم من هذا ان الثواب في الحج يكون عن طريق اجهاد النفس

لا ترفهها . فليعلم المسلم ...»

باب فضل الحج المبرور : وللفائدة للنساء وانه لا يتطلب منهن الاعمال الشاقة حتى في امور دينهن نذكر الاحاديث الآتية كما في البخاري

حدثنا عبد العزيز بن عبد الله ، حدثنا ابراهيم بن سعد عن الزهري عن سعيد بن المسيب ، عن ابي هريرة — رضي الله عنه — قال : سئل النبي صلى الله عليه وسلم أي الاعمال افضل ؟ قال : ايمان بالله ورسوله . قيل ثم ماذا ، قال : جهاد في سبيل الله ، قيل ثم ماذا ، قال : حج مبرور . حدثنا عبد الرحمن بن المبارك حدثنا خالد ، اخبرنا حبيب بن أبي عمرة عن عائشة بنت طلحة عن عائشة ام المؤمنين — رضي الله عنها — انها قالت : يا رسول الله نرى الجهاد افضل العمل أفلا نجاهد قال لا ، لكن افضل الجهاد حج مبرور .

فهذه للنساء كرامة من الله دالة على ما في الاسلام للمرآة من طرح الشاق من الاعمال كما قلنا آنفا ..

والقصيدة هي هذه :

يا صاحبي الما بي بذي سلم ورفهها عن فؤادي دائم الكلم

وخففا وطأة الهجران وارتفقا يا صاحبي بقلب مفعم الالم

ان التي تيمتني منذ ان رحلت قد صرت من بعدها في حالة العدم

يا حبذا تلك من فتانة خلقت تبدي بضعف لها عن بأس ذي ضغم

ما كنت احسب اني قبل رؤيتها اكون رهنا لمن قد رام سفك دمي

صبيحة النحر والاحرام يجمعنا ضحت بشخص كريم ثابت الحرم

من اللواتي يصدن الاسد في مهل بباهر الحسن لا بالسيف والعلم

سيفانة هتكت صبري وما نطقت بصارم من شبا عين لها وفم

أمنيّة هي كانت ثمة انتقلت لقد حسبت ودادي دائما بدم

الحسن حارسها والدل وامقها فما احتيالي على الظلام ذي الظلم

يااخت سهم اجيبي صوت مضطرب من لوعة الحب قد اشفى على السقم

★ ★

اقول للقلب لما لج مؤتلما يا قلب صبرا على آلامك القدم

أصبحت جذلان في رحلي بلا سبب ... سوى الصبا قد اتت من نحو ارضهم
أستفسر الريح مني قصد نائية ... بهتانة لا تراعي واجب الذمم
يا نسمة قد اتتني بالصباح وقد ... جاءت بريًّا عبير من ديارهم
بالله ردي تحياتي لغائبة ... وخبريها بسقمي بعد بعدهم

★ ★

يا ايها البرق لمّاعا ومختفيا ... اشبهت درا مصونا عندها بفم
ويا دجى لونك المسود ذكرني ... فرعا أحمّ لذات الخال والعنم
بتنا بُعيد التي قد غادرت سكنا ... في مضجع قد حكى شوكا من السلم
اريد كتما لأسرار عواذلنا ... وكيف ذاك واني هائم بهم
اما الفراق فقد ذقناه اجمعنا ... يا ليلة الوصل حلي ثمة انتظمي
ان الذي رحل الحسناء ادهشنا ... دراجة فوق لا خف ولا قدم
لو كان يمشي بها في ظهر ادهم من ... نسل لأعوج او حمالة الحكم
لكنت ادركتها يومي وما ظفرت ... يد لنقالها ليلا ولم ينم
يا عاذلين اقلوا اللوم ويحكم ... اني مزجت بعصيان من القدم
ويا بلادا تحلت بالحبيب لقد ... شرفت ارضا به فاستأنسي وعمي
سقاك وبل من الوسميّ متصل ... سح وصيّابة من فاحم سحم
ان الذي ظن اني سوف اهملها ... قد ظن عجزا وقاسى الجهر بالحلم
والله لا ابتغي حبا بها بدلا ... حصرت ودي لها فاختم بها كلمي
فانها ارض آبائي ولدت بها ... لا ارض جنكيز او فرعون ذي الهرم

البر وحسناته

جاء في هذه القصيدة ذكر الابطح ، والابطح جمعه اباطح وهي الاودية الكثيرة البطحاء ، وهي دقاق الحصى تكون في الحجاز ، جميلة الالوان ، رقيقة المس ، دفيئة في الشتاء وفي الليالي الكثيرة الهبائب . قد يحتفر المقرور حفيرة في البطحاء فيجثم فيها ، ويحثو منها عليه ما يعصمه من البرد ، حتى كأنه في دثار ولحاف ، ولقد علمنا ان في بعض السواحل من بحر الروم يتداوى بالبطحاء الحارة من الرثيات ...

« هوازن معشر » ، هوازن القبيلة المعروفة وهي اليوم : سليم ، وعتيبة وثقيف ، وقد عنى البيت منهم عتيبة خاصة ...

والقصيدة هي هذه :

أحب البر اشطح في رباه أسلي النفس اصطاد النعاما
اذا أصحرت صرت قرير نفس فلا أشكو ولا ابكي المقاما
ألام على التبدي كل يوم علام ملامكم قل لي علاما
عليّ بناقتي عجلي ومهري الى بلدانكم اهدي السلاما
ألا قل للأحبة من قريش ألا حيوا المشاعر والمقاما
وحيوا ذكرنا والعز فيه ألا قوموا فقد كنتم كراما
محببة اليّ بلاد قومي أحب الآل والبلد الحراما
ورب كريمة الجدين رود تطل فتفضح البدر التماما
يروعها بأبطحها زنيم فيسلبها الدمالج واللثاما
على مَ رضيتم بوضيع قوم تحكم فيكم عاما فعاما
لغارب هاشم قد جب عمدا واعدمها الكواهل والسناما
اذا ترك العزيز الامر يوما ينادى بالوضيع اتى اماما
ألا قل للبقية من قريش لقد نمتم ألا فدعوا المناما
هوازن معشر" عرفوا قديما كخير رعية وبنا التئاما
فلولا جمعهم وبنو ابيهم مع الادنين لم يرعوا ذماما
لما وطىء العدو لنا بلادا ولا بلغت ظعائننا الشآما
ألسنا الهادمين الشرك شرخا ببدر فاتْرُكْ عنك الكلاما
في أحد وخيبر مع حنين هدمنا الكفر نسفا واصطلاما
وفي الاحزاب موقفنا منار بحيدرة كفى الله الصداما
رسول الله يقدمنا لأمر اراد الله ان يغشى الانا ما
مسيلمة رأى ما قد أتاه جنود الله تعفره الرغاما
وفي العصر الاخير وقد رأينا طغاة الترك تضطرم اضطراما
فتسبي العرب ما شاءت وتقصي ولم تبق الارامل والايامى
فثرنا ناقمين نريد حقا أزلنا الجور والقوم الطغاما

وفي ارض أقاموا الظلم دهرا ملأنا منهم جثثا وهاما
كذلك فعل هاشم فاعلموه متى زلنا منار الحق هاما
فان عدنا لما كنا عليه فلا ظلما ترون ولا ظلاما

كلما اصبح اخلى سربه

هذه الميمية عربية اعرابية ، والبيت الاخير منها هو نكاية في الشيخ فؤاد الخطيب وهي :

ما لنفسي تسأل الناس اهتماما عن غزال نازل تلك الخياما
كلما اصبح أقصى سربه وتمشى معه شرقا وشآما
أمُضلٌ إلفه أم شأنه شأن صب ساقه الحب فهاما
منذ أيام مضت لم اره ليت من يلقاه يقريه السلاما
انه ان كان أضناه الهوى فهو مثلي انني ذبت غراما
أيها النوام هبوا وانظروا ذلك البرق الذي شق الظلاما
نوؤه دوّى الحمى والتحمت سحبه يا حبذا ذاك غماما
وسقى الافياح فاخضرت به جمع الغزلان فيه والنعاما
ترك الغدر مِلاءً سفحا يتماوجن فيغسلن الخزاما
فترحل نحوه مستعجلا وبمرآه عسى تروي أواما
وعسى تلقى الذي تهوي به وبلقياه تزيلن السقاما
زمن عهد الصبا يا ليته لم يزل يمكث عاما ثم عاما
ومن الشيب اشمأزت مهجتي أحسب الرأس نصيا او ثغاما
ويسليني لداتي انهم صلع الأرؤس يحنون السناما
غير انني لم ازل ترمقني فتيات الحي حبا واغتلاما

اشكو الى الله

أشكو الى الله انسانا فتنت به يرى مصارمتي عدلا وقد ظلما
يا ايها المعتدي قد تهت معتمدا تقابل الود بالبغضاء مرتسما
ولو يخالف بعضي بعضه لكفى لكن اباعده جهرا ومكتتما
ان السنين المواضي جد مخبرتي ان الحبيب لحبل الود قد صرما

دع ذا وصل بي الى كوماء ذعلبة ... تطوي الفجاج وتطوي البيد والأكما
عسى تفرج عنا غب ليلتها ... ما نشتكي من حبيب مال معتزما
قد كان يصحبني في كل مرتحل ... ولا يفارقني صبحا ومعتتما
فاجنب ركائبه نلهو بهن معا ... عسى نصادفه نجدا ومتهما
لم يبق في الناس لا خير ولا ادب ... الخير كان بناء ثمة انهدما
واحسرتا لرفاق كنت آلفهم ... عصر الشباب فراعوا العهد والذمما
لا خائنين ولم يبغوا بنا بدلا ... وقد اراني اخاف الصحب والخدما

ولو عاكستني العين

تشطير قصيدة للشريف الرضي رضي الله عنه :

«عطوف بأعناق الظباء وأشرقت» ... شموس سناها ظاهر وغميم
حسان ملاح لا شحاح قبائح ... «وجوه عليها نفرة ونعيم»
«امطن سجوفا عن خدود نقية» ... وعن فره تمّ اراه يهيم
وعن جلنار في الخدود ولمعة ... «صفا بشر منها ورق اديم»
«شفوف على اجسادهن رقيقة» ... تنم على ما تحتها وتقيم
على الرأس تيجان حسان ثمينة ... «ودُر على لباتهن نظيم»
«يجلن خلاخيل النضار وملؤها» ... دعائم خلق كلهن سليم
يشبهها الرائي اذا ما رنا لها ... «بوادى غيل نبتهن عميم»
«تأطر اغصان الاراك امالها» ... نعائم يلقطن النما وظليم
او الطرة الفحماء صبحا اجالها ... «وقد رق جلباب الظلام نسيم»
«غرامي جديد بالديار واهلها» ... وشخصي بدارات الديار مقيم
واني حديث العهد ياصاح فاعلمن ... «وعهدي بهاتيك الطلال قديم»
«يقولون ما ابقيت للعين عَبرة» ... وقل لهم دمع أراه جميم
وقالوا ترفق بالعيون ودمعها ... «فقلت جوى لو تعلمون أليم»
«ايسمح جفني بالدموع واغتدي» ... لها جالس اني اذن لعديم
وتجري شئون العين مني وأنني ... « ضنين بها اني اذاً للئيم »
«ولو بخلت عيني اذا لعتبتها» ... وقلت الا يا عين انت عقيم
ولو عاكستني العين كنت زجرتها ... «فكيف ودمع الناظرين كريم»

قافية الهاء

نصيحة وتورية

إن المليحة في البلقاء ضائعـــة — قد غشهــا خلق بالبين يرميها
قل للمليحة ما معنى الملال وما — معنى الظواهر قد تبدى خوافيها
إن الجمال لظل زائل عجــل — ثوب معار بدا بالغش يغويها
لا تبذليه لمن لم يدر عـــاقبة — بل فابذليه لمن يشرى ويعطيها
يا أخت ريم له جيد" وناشزة — علـــى أحم بأنفـــاس يجريهـــا
ان الظباء اذا ما جال في طرف — من الفلاة غريب جاء يبغيهـــا
ينفرن منها على وقت بلا مهل — آلا نفرت مع الظبيات تقفيهـــا
ما بالك اليوم في معزى على وشك — لا الشكل شكلك كيف النفس تعطيها
اضاعها العرق دساسا لحاملة — من الظباء عن الصحراء يقصيها

الشيشة

وذات قوام ذى غصون رأيتهـــا — وقد حملت للشيخ يبغي وصولها
مزوقة حسناء تحمـــل جمرهـــا — على الرأس منها حيث يبدو خلولها
وفي البطن منها تحمل الماء آسنا — كراكره فيهـــا تـــدق طبولهـــا
لهـــا مســـد يمتد منهـــا وينتهي — بفي الشيخ في نابين سود أصولها
اذا جذب الانفاس جن جنونهـــا — وان كف كفت واستعيد خمولها
وللشيخ اشباه عـــلى مثل حالـــه — عظـــام شفـــاه ناتئات فلولهـــا
اذا كحّ منهم واحد كحّ جـــاره — متى يأتهم فالعين فيهم تجيلهـــا

قافية الواو

يا ليتنى معهم

يقال ان قافية الواو من اصعب ألقوافي في الشعر ، وفي الحقيقة ان للحروف العربية مزايا خاصة ، منها ما يستعمل في اوائل الكلم كثيرا ، ومنها ما يستخدم في اواسطه والبعض في الاواخر ، واكثر القوافي اتت في الراء واللام والميم ، وكذلك النون ، وما بقي فهو بين باقي الحروف ، وعندي ان حرف الـ (ظـ) من اصعب القوافي ايضا ، أما هذه الواوية ، فهي على نسق ما اعتاد انشاءه الشعراء القدماء في النسيب :

لـوا ديونهم عني وقـد عـذروا ... فبعد وُدٍّ لحبل الوصل كيف طووا
هـم الألى اسـروا قلبى فليتهـم ... قـد عاملوه بعـدل كامل ووفـوا
يا صاح ما شـأن نفسي قيدت بهم ... لم يخطىء القلب سهم العين حين رموا
لا اشتـكي سهم عـين منهم حسدت ... لكن عيون ظباء خلت حـين دنـوا
يا لائمي في هواهم لا تطـل فنـدا ... ماء الحياة هم ان ابعـدوا ورسـوا
مـن لي بهم ايـن هم يا ليتنى معهم ... أو ليتنى في رحال القوم ايـن ثووا
قـم نتبعهم لعـل الله يوصلنـا ... وننتصف مـن رقيب قـادهم فنأوا

★ ★

نُبَذٌ

القلعة العصماء

وتلّ بعجلون قليل نباته	اقول اذا شاهدته رأس اصلع
تحيط به الآكام خضر رؤوسها	ويرقبها في حيرة وتفجع
وبالقلعة العصماء للربط التي	بناها صلاح الدين في رأس امنع
خياما رأينا اذكرتنا بسالف	من العز للاسلام عال ممنع
اسائل ابراجا بها قد تأبدت	عن العصر بعد العصر ثم التصدع
اجاب لسان الحال منها بداهة	جواب صريح ليس بالمتشيع
قضينا ديونا كان حتما قضاؤها	لتعتبروا من قبل وقت التزعزع

الشيخ فؤاد الخطيب يشطر

سرى يخبط الظلماء والليل عاكف	ولم تثنه عما يروم التنائف
دعاه الهوى حتى استجاب ملبيا	حبيب بأوقات الزيارة عارف
فما راعني الا السلام وقوله	هنا البدر لكن حجّبته المطارف
وباح بنجوى القول وهو مداعب	ايدخل محبوب على الباب واقف

تشطير صاحب المذكرات

سرى يخبط الظلماء والليل عاكف	من الناس من في الناس قد كنت آلف
جميل المحيا كامل الحسن والبها	حبيب بأوقات الزيارة عارف
فما راعني الا السلام وقوله	دخيل اتاك الليل حيران خائف
يقول على دل قديم عهدته	ايدخل محبوب على الباب واقف
فرحبت بالمحبوب ترحيب واله	واسكنته في القلب والقلب واجف

بيت القصيد

طال البعــاد وطــال الهم والحزن   أين الاحبة قل لي أين هم قطنوا
لا كان من قام في ترحيلهــم ابدا   من الخيار ومن للفخر قد فطنوا
ليت الزمــان يدور اليوم دورته   فأعلمن منه اين اليوم قد سكنوا

★ ★

ابشر فذاك رسول القوم ذاك اتى   يقــول هــاهم فلا همّ ولا حزن
بيت القصيد هم في كل قافيــة   نور البلاد هم والنفس والبــدن

الخاتمة

لعلّي وفيت ما عليّ نحو امتي بما ذكرته من حقائق وامور ، وما تحدثت عنه في موضوع العرب اليوم ، وما سردت من آراء عامة وشرحت من تفكير قومي ، ولعلي حققت ما يتوخاه الناس بما كتبت الماما وتلميحا . وما غايتنا إلا رفع شأن العرب وبعث الاسلام ، ندعو الى الوحدة والتماسك والاتحاد ، ونناديء في بني قومنا بنبذ الاشرار واتباع الاخيار .

وليس يحزنني الا ما انتاب الامة من تفرق وضعف ووهن ، وما غشى على ابصارها من ضلالة وجهل ، ولكنني وطيد الامـل في ان الظفر معقود لها اذا تدبرت امرها ، ووعت تاريخها وشـدت من عزمها .

وقد اتممت هذه الرسالة خالصة لله وللحق ، وهي نتـاج التجارب والحوادث والايام،وثمار معالجة السياسة ومقارعة الحرب، فان وفقت في ادائها فذلك جل ما ابتغي .

عبد الله بن الحسين

المحتويات

رقم الصفحة

